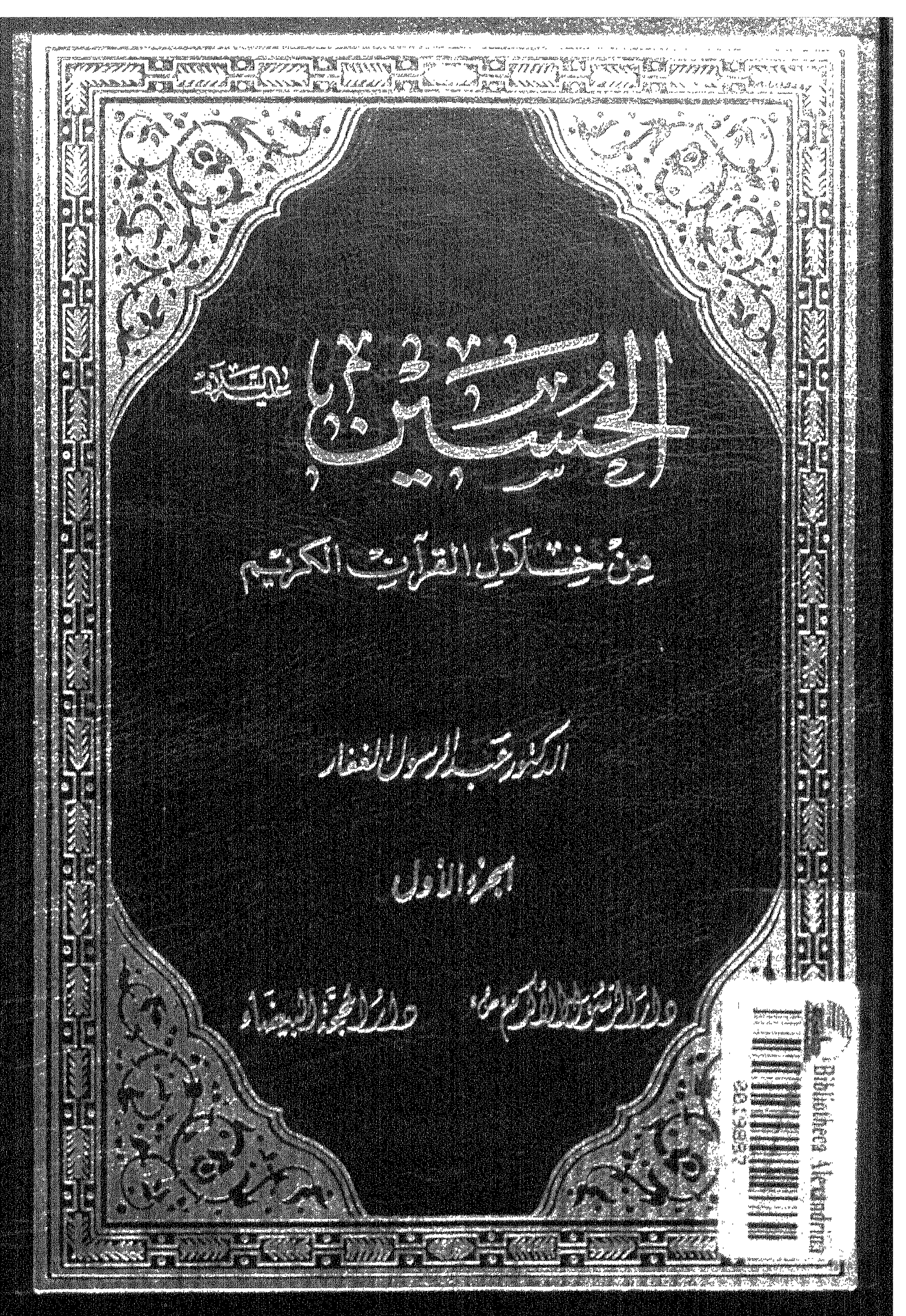
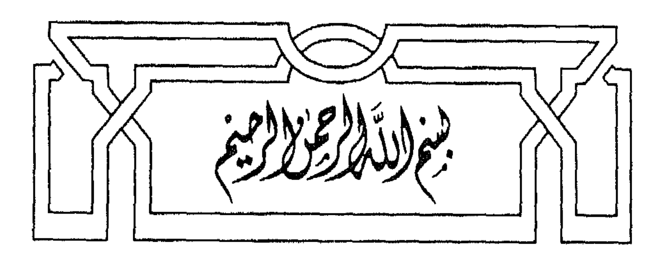

الحسين عليه السلام
من خلال القرآن الكريم
الدكتور عبد الرسول الغفار
الجزء الأول
دار الرسول الأكرم (ص)
دار المحجة البيضاء
Bibliotheca Alexandrina





الحسين عليه السلام

من خلال القرآن الكريم


بسم الله الرحمن الرحيم

الحسين عليه السلام

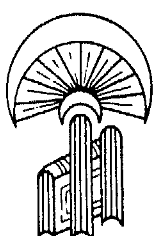
من خلال القرآن الكريم

الدكتور عبد الرسول الغفار

دار الرسول الأكرم (ص) — دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م





تتم مراسلة المؤلف على العنوان التالي

بيروت - لبنان ص - ب ١١/٨٦٠١ فاكس: ٦٠١٠٠٥ - ١ - ٠٠٩٦١

الإهـــداء

إلى الأرواح الطاهرة الزكية.. والنفوس الأبيّة..

إلى الدماء التي سقت وجه البسيط من رمضاء كربلاء...

إلى القربان المضرّج...

إلى الخدّ التريب، والجسم السليب...

إلى محزوز الرأس من القفـا...

إلى العاري الملقى على الثرى...

إلى مرضوض البدن...

إلى من غيّرت معالمه الشمس والمحن...

إليك يا سيّـد الأحرار وإلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك

سيّدي أنا لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً ولا أدّخر لها سوى حبّكم أهل البيـت، وان هـذا الحـب قـد أيقظـه نـداؤك يـوم عـاشـوراء «ألا مـن نـاصـر ينصرنا...».

إن صرختك سيّدي مدوّية في الأجيال... في النفوس... في الضمائر فإن لـم يستجب لك بدني ودمي فها قد جئتك ـ ببضاعة مزجاة ـ استنصاراً لصرختك وتلبية لندائك... فأستميحك عذراً إنْ شطّ بي القلم، أو أسئت الأدب... وأرجو أن أكون قد وفّيت ولو بالنزر القليل، وإن كان لي فيه نصيبٌ من الثواب اللهم فاجعله لي ذخراً أنال به شفاعة ابن بنت نبيك، ورحمة منك لي ولأبوي، إنك جوادٌ كريم، وإحسانك قديم.



شكر وتقدير

لا يخفى على القاريء الكريم ان هذا الجزء من الكتاب ـ منذ عشر سنوات ـ كان ينتظر نور الطباعة، غير ان الظروف المحيطة بي ولإسباب عديدة تأخر عن الاخراج.

واليوم بفضل سليل العترة الطاهرة من الشجرة الطيبة سماحة العلامة المجاهد السيد الغريفي ناصر أهل البيت قد نهض بأعباء طباعة هذا الكتاب ليكون له ذخراً في دنياه وآخرته.

دامت أفاضاته وحرسه الله من كيد حاسديه انه سميع مجيب.



قرض الكتاب: سماحة الأديب الاستاذ الشيخ جعفر الهلالي:

لك عبدَ الرسولِ خيرَ وسامٍ … سوف يبقىٰ فخراً مدى الأعوامِ
قد نصرت الحسينَ والنصرُ بالسَّيـ … ـفِ وطوراً يكون بالأقلام
فلقد صُلْتَ تكشف الزيف عمّا … قاله الأدعياء أهلُ الخِصام
رحت تجلو حقيقة حيث وافنا … كمنار الضُّحى بوجه الظلام
(فبآي الكتاب) رحتَ تُرينا … مالسبط الرسول من إعظام
وبحقٍّ ما كان أمراً غريباً … لحسينٍ سليلِ خيرِ إمام
فهو عِدلُ الكتابِ وافى به الله … مدىٰ الدهرِ معجزاً للأنام
صامتٌ ذاك، وهو قرآنه النا … طقُ في مسلكٍ وحُسنِ التِزام
وحماهُ بما تحسَّد فيه … يومَ حربِ الطفوفِ من إقدام
قدَّمَ الأهلَ والأحبّةَ قُربا … ناً لتحيىٰ شريعةُ الإسلام
خَسأ المدّعون: مات حسينٌ … فهو حيّ رغمَ العلوجِ الطُغام
كلَّ آنٍ يعلو لذكراهُ صوتٌ … من صداه يهتزُّ عرشُ اللِّئام
هو ذاكَ الحسينُ، أين يزيدٌ؟ … حينَ ولّى بلعنةِ الأيّام
فهنيئاً (عبدَ الرسول) كسبتَ الفضـ … ـلَ مِن خالِقِ الورىٰ العلاّم
وستلقىٰ الحسينَ وهو سيجزيكَ … ويحبوكَ بالرّضا والسَّلام
ولقد حُزتَها به (صالحاتٍ … باقياتٍ) دوماً مدى الأعوام

جعفر الهلالي

قم المقدسة/١٤١٠ هـق



وقرض الكتاب فضيلة الأديب شاعر أهل البيت الشيخ محمد سعيد المنصوري:

(أَبو الزّهراءِ) جاء بخير سِفرٍ ... ينير الحَقَّ باباً بَعد بابِ
واسماه (الحسين) ودون شكٍّ ... له فيه غداً (حسن المآب)
وفي الدّنيا ينال به افتخاراً ... وفضلاً ضمنِ إذلالِ الصِّعاب
بآياتٍ آتانا محكماتٍ ... تُفَسَّر في (الحسينِ) من الكتاب
وأهل (الاختصاص) به أقروا ... وقالوا ما بِهِ أيُّ ارتياب
فلا تعجب إذا ما (السبط) يحظىٰ ... من القرآنِ في أوفىٰ نِصاب
لهم جاء (الكتاب) وجاء فيهِ ... بِهِمْ من آيِهِ لبُّ اللُّباب
وما لم تدرك الأفهام منه ... بِآلِ الله أكثر في الحساب
ومن جهلاً يُسفّه ما ذكرنا ... لعمرك ذا مِنَ العجب العجاب
أَيُنْكَرُ ما تَوالىٰ النّصُ فيه ... (بِسبطِ محمد) (وأبي تُرابِ)
وهل تُخفى ضياء الشّمس كفٌّ ... إذا رُفعت علىٰ أَعلَى الهضاب
أبا الزّهراء يا قَلَماً وعلماً ... وليس بمالَكُمْ أُبدي (محابي)
كسبت بما كتبت عُلاً وفَضْلاً ... وفزتَ بِجانِبٍ أبداً مُهابِ
غَداً يومَ الجزاءِ إليكَ مِمَّن ... يُجازى الخلقَ في دار الثّواب
بفضلٍ منه في التاريخ «لقيا ... بِخُرّد من كواعِبِها عِرابِ»

محمد سعيد المنصوري

١٤١٥ هـ ق



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على اشرف الخلق اجمعين وسيد الانبياء والمرسلين، البشير النذير والسراج المنير، أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد...

لقد علم الله تعالى وقبل أن يخلق الخلق ـ وهم في عالم الذرّ ـ أنّ الناس صنفان مؤمن وكافر، وليلدنّ المؤمن كافراً وليلدنّ الكافر مؤمناً، فذلك قوله تعالى: ﴿**ليميّز الله الخبيث من الطيّب**﴾.

ولمّا كانت رحمة الله قد سبقت غضبه، وكان اللطف منه أسبق من نقمته فما كان من شأنه إلاّ أن يرسل الأنبياء وينزل الشرائع بغية هداية البشر وإنقاذهم من مهالك الكفر والعصيان.

وقد اعطى القرآن الكريم دروساً متتابعة، إذْ حذّر كلّ أمّةٍ من مغبّة الكفر والجحود والطغيان والفساد، وكان يُهدّدهم بالعذاب الذي نزل من قبل على من سبقهم من الأمم، وهكذا بالنسبة للقصص التي سردها القرآن الكريم لنا عن أمم أخذهم الله بكفرهم وعنادهم، فهي ـ قصص الأمم الغابرة ـ عِبرة للمسلمين على مدى التاريخ. ولمّا كانت الأمور تجري وفق مقاييس اقتضتها الحكمة الإلهية وضمن قانون العلّية التي أودعها سبحانه في كلّ شيء، ولمّا كان سبحانه عالماً بهذه الأمّة وما يجري لها بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) من الظلم والأذى والتشريد لآل بيت النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) فإنّ من الضروري لتهذيب النفوس وتعويدها على

الخير من جهة، ولردع النفوس الشّريرة وإصلاح ذوي الاهواء والعقائد الفاسدة من جهة أخرى أن ينذر سبحانه وتعالى ويحذّر بآياته المسلمين كافّة؛ كي لا يسقطوا في وادي العصيان فتشملهم اللعنة والعذاب، وهذا ما وجدناه في مكنونات القرآن المجيد، حيث قال تعالى: **﴿سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً﴾**، وقوله تعالى: **﴿يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾**، وقوله تعالى: **﴿فهل ينظرون إلاّ سنّة الأوّلين﴾**، وقوله تعالى: **﴿لتركبُنَّ طبقاً عن طبق﴾**، وقوله تعالى في توبيخ من حادّ عن الهدى: **﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذْ جاءهم الهدى ويستغفروا ربّهم إلاّ أن تأتيهم سنّة الأوّلين﴾**. إلى غير ذلك من الآيات البيّنات.

وما تصريح القرآن الكريم في نشر فضائح اليهود والنصارى والأُمم الأخرى الذين سبقوهم؛ كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم إلاّ تحذيراً لأمّة محمّد (صلى الله عليه وآله) الذي علم الله أن سيتّبعون سنن من سبقهم ويسلكون سبيل اليهود والنصارى، إذْ غَدَرَ أولئك بالأوصياء الذين هم خلف الأنبياء، بل تجرّأوا على أولاد الأنبياء، حيث جحدوا منزلتهم، فقتلوهم وسفكوا دماءهم؛ كما حصل لزكريّا ومن بعده يحيى (عليهما السلام).

وما حدث بالمسلمين من ظلم وجور على أيدي الخلفاء والحكّام كان أمرّ وأنكى، إذ غصب أولئك الحكّام آل البيت (عليهم السلام) حقّهم، وسفكوا دماءهم، وسَبَوا ذراريهم، بل تتّبعوهم في البوادي والأمصار وأوقعوا بهم الغدر والفتك.

روى الطبرسيّ (قدّس سرّه) في الاحتجاج في حديث طويل عن الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «لتركبن أمّتي سنّة بني اسرائيل حذو القذّة بالقذّة وحذو النعل بالنعل، شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراع، وباعاً بباع»(١).

(١) الإحتجاج ١/٨٦.

وفي رواية أخرى أنه قال في قوله تعالى: **﴿لتركبُنّ طبقاً عن طبق...﴾** أي: لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء.

وفي العيون: بإسناده عن الرضا (عليه السلام) أن المأمون سأله فقال له: ما تقول في الرجعة يا أبا الحسن؟

فقال الرضا (عليه السلام) : إنّها لحقّ، وقد كانت في الأمم السالفة، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يكون في هذه الأُمّة كلّما كان في الأمم السابقة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة.

أمّا في كتب العامة فالأحاديث فيها كثيرة جداً ولا يحصيها ـ هنا ـ مقام، بل نذكر بعضها:

أخرج البخاري في صحيحه، وكذلك مسلم وآخرون، عن أبي هريرة عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال: لتتبعنّ سنن الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ حتّى لو سلكوا حجر ضبٍّ لسلكتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!

هناك أحاديث كثيرة وردت في مصادر أهل السنّة فمن أراد فليراجع في مضانّها.

وعليه فان من سنن الله سبحانه في خلقه أن لا يترك هذه الأُمّة وسائر الأُمم الأخرى دون إنذارٍ ووعدٍ ووعيد لمصلحة منه تعالى. فكان سبحانه من تمام ألطافه، وحُسن صنيعه، وجمال فعله أن يرشد كلّ أُمّةٍ إلى طريقها الصالح الذي يقودها إلى النعيم الأبدي، ومن المُسَلّم به أنّ كلّ أُمّةٍ لو اتّبعت سُبُل ما قبلها في الظلم والفساد لسقطت في وادي العصيان والهلاك، فلا ينجو منها اِلاّ من اتّبع الهدى وبالغ في تهذيب النفس وجهادها.

فلا عجب أنّ كل ما ورد في القرآن الكريم من مدحٍ وثناءٍ وإطراءٍ وتكريمٍ للمؤمنين إنّما عُني به ـ على وجه الخصوص ـ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته،

أو مؤوّل بهم، وكلّ ما ورد في القرآن من ذمّ ولعنٍ وطردٍ ووعيد إنّما عُني به أعداء النبيّ وأعداء أهل بيته (عليهم السلام) ، أو مؤوّل بهم، كبني أُمّية، وبني العبّاس ومن كان من سنخهم على مدى الزمان.

ويدلّ على ذلك ما جاء في الخبر المشهور:

عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر (عليه السلام) : «يا محمد، إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأُمّة بخيرٍ فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوءٍ ممّن مضى فهم عدوّنا»[١].

وقد وردت عدّة أحاديث وأخبار متواترة صحيحةٍ بهذا المضمون في عدّة تفاسير فلتراجع.

وفي الكافي، وتفسير العياشي، وتفسير الصافي وغيرها: عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدوّنا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام»[٢].

أقول: على أن الأخبار في ذلك متظافرة، والأحاديث متواترة من كتب الفريقين، بل إنّها من المسلّمات، ومع ذلك نجد في هذه الأيام أصواتاً قبيحةً لكتّابٍ مأجورين تتعرّض إلى ثورة الحسين (عليه السلام) بأُسلوبٍ خبيثٍ مسموم، فقد جنّد بعضهم طاقاته الثقافية والأدبية ليصوغ من التأريخ المزيّف ومن المغالطات شخصيةً جديدةً ليزيد بن معاوية، فيُظهِرَه على مسرح التاريخ أنّه الرجل العطوف الرؤوف الذي يخاف الله، حتّى أنّهم صيّروه بريئاً من دم الحسين، بل صاغوا الأخبار والأكاذيب ليجعلوا من يزيد الرجل الناقم على عبيد الله بن زياد، المخالف له في أفعاله وتصرّفاته، بل ادّعوا أنّ يزيد لعن واليه ابن زياد لمّا أقدم على حرب الحسين وسفك دمه في يوم عاشوراء وسبى أهل بيته...إلى غير ذلك

---

(١) تفسير العيّاشي ١٣/١، والصافي ١٤/١ و٢٥، والبرهان ٢٢/١، وإثباة الهداة ٤٣/٣.

(٢) الكافي ٦٢٧/٢ باب النوادر، ح٢.

من الادّعاءات الباطلة.

فلهذا ولأسباب أُخر ـ سنبيّنها فيما بعد ـ رأيت من الضروريّ أن أُبيّن منزلة الحسين (عليه السلام) في القرآن الكريم وأن أُحصي الآيات الكريمة النازلة أو المؤوّلة بهِ (عليه السلام)، أو التي تجري في الحسين لأنّه من أبرز مصاديقها[1].

كما جعلت تنسيق هذه الآيات حسب ترتيبها في القرآن، بدءاً بسورة البقرة وانتهاءً بآخر سورةٍ منه. ثمّ شرح الآية شرحاً يليق والمواضيع التي تضمّنتها: من تأريخيةٍ أو عقائديةٍ أو لغويةٍ، مراعياً في ذلك الضرورة والأهمّية، وبعد ذلك أفردت لكلّ آيةٍ بحثاً روائياً، وهو طريقنا في الاستدلال بأنّ الآية تخصّ الإمام الحسين (عليه السلام) من أحد الوجوه المعتبرة: كالنزول أو التأويل أو الجري أو من باب المصداق، ولا يضرّ هذا أن تكون الآية بمفهومها العامّ شاملةً لأصحاب الكساء، وهم الرسول الأعظم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، بل لا ضير لو أنّها كانت تشمل جميع أهل البيت المعصومين (عليهم السلام)، وعلى أيّ حال، فاختيارنا للآية إنّما يتمّ عندما يكون الحسين (عليه السلام) أحد المعنيّين بها.

والمهمّ في البحث أن تعرف هذه الزمرة من أصحاب الأقلام المأجورة أنّ الحسين (عليه السلام) أعظم ممّا يتصوّرون، وأنّ أقلامهم الأجيرة لابدّ أن تقف عند حدّها، ومهما بالغ أُولئك في طمس معالم التأريخ الإسلاميّ وإخفاء الحقيقة أو تزويرها، ومن ثمّ تشويه ثورة الحسين (عليه السلام). فإنّ أولئك النفر من أهل الضلال والنفاق هم أعجز وأخسّ، وما ينسجونه من الدسائس إنما هو أوهن من بيت

---

(١) روى العياشيّ بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلاّ وله حدّ، ولكلّ حدٍّ مطلع ما يعني بقوله لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس والقمر كلّما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾ نحن نعلمه.

العنكبوت. ولابدّ من تعرية هؤلاء على حقيقتهم، والكشف عن خبث سرائرهم وسوء نواياهم، كما أن الجدير بالذكر أنّ البعض اقتفى آثار من سبقه، مدّعياً أنّ ذلك تجديداً في التاريخ أو تحليلاً موضوعيّاً، أو أنّ ما يصنعه إنّما هو تسليط الأضواء على زوايا مهمّةٍ من تأريخنا لغرض أن يستنتج شيئاً جديداً ـ على حدّ تصوّره ـ ولو كان فيه مخالفة للعقائد الدينيّة أو المذهبية، بل إنّهم يدّعون ذلك مساهمةً في بناء التأريخ الصحيح ورقيّ الحضارة الإسلامية، ألاساء ما يدّعون.

فكان من جملة الدواعي المهمّة في تأليف هذا الكتاب ـ والذي هيّئت مسوّداته منذ تسع سنوات ـ هو ما وجدته من نتاجاتٍ قد كُتِبَتْ خلال هذه السنين الغابرة، طعناً بثورة أبي الشهداء (عليه السلام) ، وأخصّ بالذكر منها:

أوّلاً: مقالة الدكتور حمد محمد العرينان[1]، أستاذ التأريخ في كلّية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز، وتتصدّر المقالة مقدّمةً بقلم الوهابيّ المتعصّب محمد ابراهيم الشيباني. وحديثنا مع الدكتور العرينان سيكون في لوط بن يحيى ومع الشيباني في مقدمته. وسنفرد لهما ردّاً في الصفحات الآتية. وقد طبعت المقالة والمقدّمة معاً في كرّاس مستقلّ عام ١٩٨٣ م.

ثانياً: ما ذكره الشيخ محمد الخضري في كتابه «محاضرات تأريخ الأُمم الإسلامية»، المطبوع عام ١٣٥٤ هـ في مطبعة الاستقامة، المحاضرة الرابعة والثلاثون.

سيجد القارئ ردّنا على الخضري في بحث الآية الكريمة:

﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله...**﴾[2] فراجع هناك.

---

(١) عنوان المقالة: «إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاية بين المصادر القديمة والحديثة». ونشرت في مجلة كلّية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز؛ المجلد الخامس ص٧٩، عام ٧٨/٧٧.

(٢) البقرة/٢٠٧.

ثالثاً: أقلام مشبوهة ومنحرفة عقائدياً عن خطّ أهل البيت (عليهم السلام) ، والتي جهدت نفسها كسباً للمال وسعياً للجاه والشهرة ولا يخفى أنّ البعض من هؤلاء يتلقّون الدعم الماديّ والمعنويّ من حكّام ومنظماتٍ وهّابية. بصورةٍ أو أُخرى، وقد أوجزنا الحديث عن هؤلاء، فما هم بشيءٍ، بل إنّهم من المتطفّلين في الكتابة، بل إنّ بعضهم كالعنكبوت في النسج، علماً وأُسلوباً، وصدق الشاعر عندما قال:

مازاد حنون في الإسلام خردلةً ولا النصارى لهم شغل بحنّونِ

فمن هؤلاء: الصالحي النجف آبادي في كتابه (شهيد جاويد)[1] ثم تطّرقنا بإختصار عن سرقات الركابي الذي انتحل الكتاب الآنف فنقله من الفارسية إلى العربية وجعله تحت عنوان **وقعة كربلاء**.

هذه جملة من الأسباب الداعية لتأليف هذا الكتاب؛ «**الحسين سنام القرآن**» سائلين المولى الإتمام والقبول.

وقد عرفت من الصفحات المتقدّمة أنّ الأسلوب الذي نهجناه بعد استعراض جملةٍ من الأحاديث المتواترة في حقٍّ أهل البيت (عليهم السلام) ، وما سيأتي في الصفحات اللاحقة هو الاستفادة من المحصلّة الأخلاقية التي جاء بها القرآن الكريم لتهذيب بني الإنسان.

إذن، كان ولابدّ من التأكيد على الجانب الإرشاديّ في القرآن الكريم، والذي ألفناه بصياغته الأدبية والبلاغية، إنّه كتاب مقدّس فيه تأريخ الأمم وهو زاخر بالعبر والمواعظ، وفيه تجارب الأنبياء مع أُممهم، كما أنّه يكشف لنا مواقف تلك الأُمم من الشرائع السماوية، بالإضافة إلى كونه كتاب تشريعٍ يضم بين دفّتيه جميع الأحكام والأصول القانونية والمبدئية.

وعليه، فما عسانا إلاّ أن نقول: إنّ الهدف من هذا الأُسلوب الذي صِيغ به

---

(١) كتاب فارسي طُبع في قم المقدسة عام ١٣٥٠ هـ ش.

القرآن إنّما كان بمقتضى الحكمة الإلهية لتهذيب البشر والأجيال المتعاقبة.

إذن، إرشاد الناس للهداية بآيات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، وعرض صورٍ من تأريخ الشعوب والأمم كان الطريقة المثلى لتصحيح سلوك الناس في المجتمع الإسلامي وردعهم عن الظلم والفساد والعصيان، وهذا اللّون من الإرشاد والتبليغ لابدّ منه؛ كي لا يختلف المسلمون في أهل بيت نبيّهم، ولا يتفرّقوا عنهم، ولا ينحرفوا عن الطريق السويّ والصراط الواضح.

لهذا كان المقصود بلسان المدح في القرآن هم أئمة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام) . ولا محذور في ذلك طالما أنّهم خلقوا من نورٍ واحدٍ، وهو نور نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله) قبل أن يخلق آدم، ولولاهم لما خلق الله الخلق ولا السماء ولا الأرض.

وقد دلّت الأخبار والروايات عن الرسول والأئمّة الأطهار أنّ ذوات محمد وأهل بيته (عليهم السلام) هي علّة إيجاد هذا الكون، كما يظهر من الحديث المشهور «لولاك لما خلقت الأفلاك»، وحديث: «أوّل ما خلق الله نوري». ثم ان هذا النور تضمّن ذات علي (عليه السلام) أو حديث: «خلقت أنا وعليّ من نورٍ واحد»[1].

وعن جابر الجعفي -في حديث طويل- قال: قال أبو جعفر (عليه السلام) : «كان الله ولا شيء غيره، ولا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمّداً (صلى الله عليه وآله) ، وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته، فأوقفنا أظلّةً خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر...إلى أن قال (عليه السلام) : فبذلك -يا جابر- قامت السماوات بغير عمدٍ، وثبتت الأرض، ثم خلق الله آدم من أديم الأرض، فسوّاه ونفخ منه من روحه، ثمّ أخرج ذرّيّته من صلبه، فأخذ عليهم الميثاق له بالربوبيّة، ولمحمدٍ (صلى الله عليه وآله) بالنبوة،

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٥٨/٢.

ولعليٍّ بالولاية، أقرّ منهم من أقرّ، وجحد من جحد، فكنّا أوّل من أقرّ بذلك.

ثم قال لمحمدٍ (صلى الله عليه وآله) : وعزّتي وجلالي وعلوّ شأني **لولاك** ولولا عليّ وعدّتكما الهادون المهديّون الراشدون **ما خلقت** الجنّة ولا النار ولا المكان ولا الأرض ولا السماء ولا الملائكة، ولا خلقاً يعبدني.

يا محمد، أنت خليلي وحبيبي وصفّي وخيرتي من خلقي، وأحبّ الخلق إليّ، وأوّل من ابتدأت إخراجه من خلقي، ثمّ من بعدك الصدّيق عليّ أمير المؤمنين وصيّك، به أيّدتك ونصرتك، وجعلته العروة الوثقى، ونور أوليائي، ثمّ هؤلاء الهداة المهديّون.

من أجلكم ابتدأت خلق ما خلقت، وأنتم خيار فيما بيني وبين خلقي.

خلقتكم من نور عظمتي واحتجبت بكم عمن سواكم من خلقي...الخ[١].

أقول: وروى أحمد بن حنبل بإسناده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعة عشر ألف عام[٢].

وفي عيون أخبار الرضا بإسناده عن السروي عن الرضا (عليه السلام) أنّه قال في حديثٍ طويل: «إنّ آدم (عليه السلام) رفع رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً (لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة)، فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ فقال عزوّجلّ: من ذرّيّتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار، ولا السماء ولا الأرض. والأحاديث في ذلك عن طرقنا لا يحصرها عدّ، فليراجع، أمّا الأخبار الواردة في كتب أهل السنّة فهي كثيرة.

---

(١) بحار الأنوار ١٧/٢٥ ـ ٢٠ الحديث: ٣١ نقله المجلسي (رحمه الله) عن كتاب رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي من علماء القرن الخامس الهجري.

(٢) ومثله في الاحتجاج ١٤٦/٢.

وعلى سبيل المثال نذكر ما قاله العلاّمة الخطيب الشافعيّ المعروف بابن المغازلي في كتابه «المناقب»، بإسناده عن زاذان، عن سلمان، قال: سمعت حبيبي محمداً (صلى الله عليه وآله) يقول: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله ـ عزّوجلّ ـ يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق الله آدم بألف عام، فلمّا خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صُلبه فلم يزل في شيءٍ واحدٍ حتّى افترقنا في صُلب عبدالمطّلب؛ ففيّ النبّوة، وفي عليّ الخلافة»[1].

وأخرجه العلاّمة الكنجيّ الشافعيّ في كفاية الطالب ص ٣١٥، وكذلك في ميزان الاعتدال للذهبي ٢٣٥/١، كذلك في تذكرة الخواصّ ص٥٢ ط الغري.

ثم حديث الكساء الذي اشتهر بين العامّة والخاصّة.

فنذكر هنا ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الفضائل قال: حدّثنا إبراهيم بن عبدالله، حدّثنا حجّاج، حدّثنا عبدالحميد بن بهرام، حدّثنا شهر بن حوشب قال: سمعت أمّ سلمة تقول: حين جاء نعي الحسين بن علي لَعَنَت أهل العراق وقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه وذلّوه لعنهم الله، فإنّي رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجاءته فاطمة (عليها السلام) ومعها ابناها، جاءت بهما تحملهما حتى وضعتهما بين يديه، فقال لها: أين ابن عمّك؟ قالت: هو في البيت، قال: إذهبي فأدعيه وائتني با بنيّ، قال: فجاءت تقود ابنيها كلّ واحدٍ منهما في يدٍ وعليّ يمشي في أثرها، حتّى دخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأجلسهما في حجره، وجلس عليّ على يمينه وجلست فاطمة على يساره.

قالت أُمّ سلمة: فأخذ من تحتي كساءً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة، فلفّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذه بشماله بطرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربّه عزّوجلّ قال: اللّهمّ أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ثلاث مرّات، كلّ ذلك يقول: اللّهمّ أهلي أذهب عنهم الرجس

(١) المناقب/٨٨.

وطهّرهم تطهيراً[١].

وتجد حديث الكساء في عشرات المصادر من كتب أهل السنّة. ولا نبالغ إذا قلنا: إنّها تناهز المائة، ناهيك عمّا روته كتب الشيعة؛ وزيادةً في التفصيل راجع كتابنا (ملامح شخصية الإمام عليّ (عليه السلام)) من كتب الجمهور، وكذلك بحث آية التطهير من كتب الصحاح[٢].

وفي الحديث القدسي: «...وعزّتي وجلالي إنّي ما خلقت سماءً مبنيّةً ولا أرضاً مدحيّةً ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئةً إلاّ في محبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء»[٣].

وربّ سائلٍ يسأل، ما وجه ارتباط هذه الآياتْ التي تذكرها مع واقعة الطفّ؟ وما وجه تأويلها بالحسين (عليه السلام) ؟

قلت: إنّ لظاهر الآيات معنى، ولباطنها معانٍ قد خفيت عن الناس، ولا يعلم تأويلها إلاّ الله والراسخون في العلم: كالرسول محمدٍ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) الذين هم معدن، العلم ومخزن الوحي، وقد بيّنّا في الصفحات السابقة: أنّ علم القرآن وتأويله عند أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد وردت عنهم روايات وأخبار مفادها ما ذهبنا إليه؛ في ما خصّ الحسين (عليه السلام) من القرآن.

فقد روى العياشيّ وآخرون عن جابر، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثمّ سألت ثانياً؟ فأجابني بجوابٍ آخر، فقلت:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٢٩٢، وفضائل الخمسه ١ / ٢٧٨.

(٢) صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة. مستدرك الصحيحين ١٤٧/٣، و٤١٦/٢، وسنن البيهقي ١٤٩/٢. وتفسير ابن جرير ٥/٢٢ و٧، تفسير الدر المنثور آية التطهير. صحيح الترمذي ٢٠٩/٢ و٣٠٨/٢ و٣١٩ و٢٩، مشكل الآثار للطحاوي ٣٣٥/١. ومسند أحمد بن حنبل ٢٥٢/٢ و٣٣٠/١ و١٠٧/٤.

وهناك عشرات الأحاديث في عشرات المصادر فلتراجع في مضانّها.

(٣) انظر الهامش السابق.

جعلت فداك، كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم! فقال لي: يا جابر، إنّ للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنّ الآية لتكون أوّلها في شيءٍ وآخرها في شيء، وهو كلام متّصل ينصرف على وجوه.

وقد ذكر أبو نعيم في حلية الأولياء، وكذا الغزالي في إحياء العلوم، وآخرون عن ابن مسعود قال: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرفٍ ما منها حرف إلاّ وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن[١]. والمراد من بطن القرآن تأويله كما قال تعالى: **﴿ولا يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾**[٢].

وفي البصائر: عن أحمد بن محمد بن عيسى عن آدم بن اسحاق عن هشام عن الهيثم التميميّ قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) : «يا هيثم، إنّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم ذلك شيئاً. وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهرٍ إلاّ بباطن، ولا بباطن إلاّ بظاهر»[٣].

وذكرنا فيما تقدّم: أنّ القرآن نزل قسم منه في أهل البيت (عليهم السلام) ، وقسم في أعدائهم، وقسم أحكام وسنن. ونضيف إلى ذلك ما أخرجه العياشيّ في تفسيره، عن أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع في فرائض وأحكام، وربع سنن وأمثال، ولنا كرائم القرآن»[٤].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١ / ٦٥ ط ١ بيروت سنة ١٩٨٨.

(٢) آل عمران/٧.

(٣) بصائر الدرجات الجزء العاشر ص ٥٥٦، الحديث ٥.

(٤) تفسير العياشي ٩/١، والبرهان ٢١/١، وتاريخ اليعقوبي ١٣٦/٢، والصافي ١٤/١.

وفيه عن محمّد بن خالد بن الحجاج الكرخي، عن بعض أصحابه رفعه إلى خيثمة قال: قال أبو جعفر (عليه السلام) : «يا خيثمة، القرآن نزل أثلاثاً: ثلث فينا وفي أحبّائنا، وثلث في أعدائنا وعدوّ من كان قبلنا، وثلث سنّة ومثل، ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أُولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلّ قومٍ آية يتلونها وهم منها من خيرٍ أو شر»[(١)].

وفيه، عن ابن مسكان قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) : «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكبّ الفتن»[(٢)].

وهناك عشرات الأحاديث والأخبار في هذا الشأن، وعلى أيٍّ، ليس الأمر خفيّاً على أهل النظر والتحقيق ومن سبر الغور في مطالعة كتب الحديث والتفسير، وكما عرفت أنّ هذهِ الأُمّة سوف تتّبع مسلك الأمم الغابرة، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك.

وكما صرّح هو بنفسه (عليه السلام) فقال: «والله لتعتدنّ عليّ كما اعتدت بنوإسرائيل»[(٣)].

فما جرى هناك من عصيانٍ وسفك دماءٍ وقتل ذراري الأنبياء كذلك يجري في أُمّة محمدٍ (صلى الله عليه وآله) ، وحقّاً أنّ الذي أخبر عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) قد وقع القسم الأكبر منه وتحقّق في الخارج. ومن أبرز تلك الحوادث والوقائع التي أشار إليها (صلى الله عليه وآله) :

هي واقعة الطف ومقتل ابن بنته سيّد شباب أهل الجنّة ومن بعد القتل صلبوا رأسه الشريف على رمحٍ طويلٍ وسبوا نساءه وحريمه، كما أنّ

---

(١) تفسير العياشي ١/ ١٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٣.

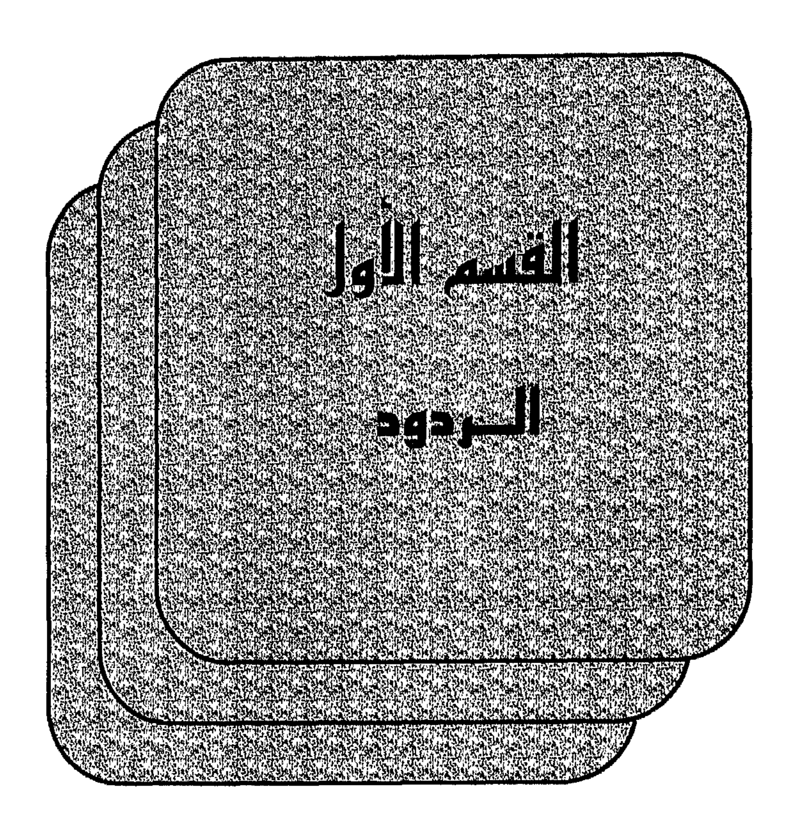
(٣) البداية والنهاية ٨/ ١٦٩.

الرسول (صلى الله عليه وآله) أشار إلى عدّةٍ آياتٍ كانت مؤوّلةً بالحسين (عليه السلام) ، وهكذا الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) أوّلوا كثيراً من الآيات بقيام الحسين وثورته واستشهاده، وما جرى له ولأهل بيته من أذىً وتشريدٍ وسبي.

والذي أحصيناه قد لا يساوي عُشر ما نزل في الحسين من الآيات أو قلّ ما أُوِّل به، ولا ندّعي في ذلك الاستقصاء والكمال، ولكن كلّ ما بذلت هو قصارى جهدي المتواضع أمام هذا الصرح الشامخ الخالد الذي يضاهي كلّ ما في الوجود، فما عساك أيّها المطالع إلاّ أن تقف لحظةً لتفكّر في عظمة أبي الأحرار وسيّد الشهداء؛ كي تأخذ منه الدروس والعبر، وتنصف نفسك فتضعها في أحد شقيّ الناس: إمّا موالياً له ولأهل بيته، وإمّا معادياً له ولمن تبعه، أعاذنا الله من ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله والعاقبة للمتّقين.

المؤلّف


القسم الأول
الـردود



- ١ -

مع محمــد إبراهيــم الشيبــاني

في مقدّمته

اليوم نرى بعض المأجورين وهو يكتب مقدّمةً على مقالٍ[1]، وكاتب المقال هو الدكتور حمد محمد العرينان أُستاذ مساعد بقسم التاريخ، كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدّة، وناشر المقال مع المقدّمة هو «محمد ابراهيم الشيباني» نشرهما في كراس واحد، يقع المقال في «٢٢» صفحة وللمقال فهارس في ١٩صفحة، والمقدّمة ـ التي موضوعها البارز براءة يزيد مما جرى على الحسين وأهل بيته من قتلٍ وسبي وأسر ـ تقع في «١٦» صفحة؛ أي مجموع صفحات الكرّاس «٥٧» صفحة، وتاريخ النشر ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣.

نحن لا نريد مناقشة الدكتور حمد محمد العرينان على ما أورده من أباطيل وأدلّةٍ واهية لا يقبلها أدنى مطالع، ولا يرتضيها أقلّ منصف؛ لأنّ البحث الذي نحن بصدده لا يتضمّن إباحة المدينة حتّى نردّ على الكاتب، كما أنّه لا يتظمن حريق الكعبة، لكن سنفرد له مقالاً ـ إن شاء الله ـ في الردّ على مقال حمد العريننان، ونُوقفه على جملةٍ من الأدلّة والبراهين الدامغة، ومن ثمّ نقول له: كفّ قلمك من بثّ الأباطيل والإساءة لكبار مؤلّفي أهل السّنة الذين أنصفوا التأريخ في كثيرٍ من جوانبه...، إلاّ أننا لا نغفل عن مناقشته في لوط بن يحيى، كما سيأتي.

أمّا حديثنا الآن فهو مع صاحب المقدّمة ـ محمد ابراهيم الشيباني ـ الذي وقف موقف الدفاع المستميت لتنزيه يزيد عن جرائمه وفجوره، بل رفع يزيد إلى مراتب القدّيسين، ولا أدري لو كان يزيد حيّاً في الوجود ماذا كان يصنع الشيباني...؟! ولا أظنّه يبخل في المبالغة في وصفه بالمكارم والمناقب والمعاجز

---

(١) نُشر في مجلّة كلّية الآداب، المجلد الخامس ص ٧٩ سنة ٧٧ ـ ٧٨ تحت عنوان «إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القديمة والحديثة».

إن لم يُوصله إلى مراتب الأنبياء...!!

إنّ الشيبانيّ معجب «بالعرينان»؛ لأنّه تحرّى الحقيقة على حدّ تعبيره، فلم يجد مَنْ يؤلّف رسالةً أو بحثاً في حقيقة يزيد...، لذا أقدم على تصدير المقالة بمقدمةٍ ثمّ نشرها بين أوساط المسلمين؛ لأنّ يزيد كما يعتقده الشيباني ـ خليفة المسلمين، والخلفاء منزّهون عن كلّ معصيةٍ أو ذنب...

قال الشيباني في مقدّمته: (...فلم يؤلّف بحث أو رسالة فيما أعلم يُـبيّن فيها الحقيقة التي توضّح لجماهير المسلمين وغيرهم شخصية يزيد بن معاوية كما جاء بهذه الرسالة الصغيرة الحجم الكبيرة المعاني، فقد بيّن الدكتور العرينان ما أغفله الأوائل وأُبهم عليهم، وغاب عنهم من حقائق التأريخ، فهو وضّحه بأسلوبه الشيّق، وببحثه المستوفى في أُمّهات المصادر التأريخية والحديثية حتّى خرجت هذه الرسالة بهذه الصورة التي تكشف الحقائق وتزيل لثام الكذب والافتراء على هذا الخليفة؛ وذلك باتّهامه بحادثتين نقلهما أكثر المؤرّخين بدون تمحيصٍ وتدقيق، وهما: استباحة المدينة وقتل أهلها واغتصاب نسائها من المسلمين، وحادثة حرق جيشه للكعبة المشرّفة...).

ثمّ يقول بعد ثلاثة أسطر: (...وقد كان منهجي في هذه الرسالة أوّلاً: نشرها ليطّلع المسلمون عليها وما حوت من حقائق طمسها أهل الزيف والضلال.

وثانياً: ليعلم أهل الحقّ كيف يزوَّر التأريخ الإسلاميّ من قبل أهل التزوير والتلفيق والغارات التي تشنّ على خلفاء المسلمين من الصحابة وغيرهم وعلى أُمّهات المسلمين...).

أقول: أيّ حقيقةٍ طرحها العرينان حتّى تكون ـ أيّها الشيبانيّ ـ من المعجبين به؟! إنّه أقدم على نسف كلّ المصادر التأريخية وزيّفها، وإنّه كذّب الطبري في هذه الواقعة، حيث ينقل عن لوط بن يحيى، وإنّه كذّب اليعقوبيّ بادّعائه أنّه يميل إلى روايات الشيعة، لذا فالتعامل معه يجب أن يكون بحذرٍ

شديد. وإنّه أخرج المسعوديّ من دائرة الاعتبار؛ لأنه يُحسب من مؤلّفي الشيعة، وأَبْعَدَ ابن الأثير؛ لأنّه متأخّر عن الصدر الأوّل، لذا لا قيمة لكامله؛ لأنّه اقتبس تأريخه من الطبري. أمّا كتاب ابن قتيبة «الإمامة والسياسة» فلا يمكن الاعتماد عليه لأنه مكذوب على ابن قتيبة...، وهكذا في بقية المصادر والمراجع التي هي أُمّهات الكتب، فلو أخذنا بقول العرينان لما بقي لدينا خبر ولا حديث ولا واقعة تسلم من الطعن والردّ، ولأصبح التأريخ في جيب العرينان الأيمن يسطّر لنا ماشاءت قريحته وما درّت عليه الدولارات...!!

ثمّ أيّها الشيباني، إنّ المقالة كانت تتحدّث عن «إباحة المدينة وحريق الكعبة» فما الذي حدا بك أن تترجم لحياة يزيد وتذكر طرفاً من مناقبه ومحاسنه، ثمّ من أين لك هذه المقولات الكاذبة؟ وأيّ المصادر المعتبرة اعتمدتها في مقدّمتك؟

لقد ذكرت في الصفحة «ح»: (أنّ يزيد أمر بحمل الطعام إلى أهل المدينة وأفاض عليهم بالأعطية، وهذا خلاف ما ذكره كذبة الروافض...)(١).

أين الدليل على ذلك؟ وما هي المصادر التي تكشف النقاب عن كذب الروافض؟ وأيّ المراجع اعتمدتها في هذا النص؟!

ألم يكن هذا زوراً وبهتاناً...؟! ألم يكن هذا باطلاً وكذباً وأنت تريد الحقيقة وتتحرى الواقع، فأين الذي ذكرته في تلك الحقيقة المنشودة؟!

بل ان في ذلك تحريف للحقائق وتزوير للوقائع، لأن يزيد بن معاوية لم يَرَ من أهل المدينة إلاّ المنابذة والمجابهة العنيفة والإصرار على خلعه لأنّه فاسق فاجر لا يليق لإمرة المسلمين.

نعم ان يزيد بن معاوية زاد في عطاء أهل الكوفة؛ أهل السمع والطاعة.

قال البلاذري: وحدّثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مجاهد بن سعيد

---

(١) انظر الصفحة (ب) و(ح) من مقدّمة كتابه.

قال: كتب يزيد إلى ابن زياد: أما بعد فزِد أهل الكوفة؛ أهل السمع والطاعة في اعطياتهم مأة مأة[١].

وهذا دليل واضح على أن يزيد بن معاوية شكر صنيع ابن زياد في قتله الحسين بن علي (عليه السلام).

فابن زياد صنيع يزيد وهو من أهل السمع والطاعة. والذين اشتركوا في جيش عمر بن سعد هم أهل السمع والطاعة. وهؤلاء انما كانوا في الكوفة، وهم سكنة العراق، فإي عطاء لَحِقَ بأهل الحجاز أو المدينة كما يدّعيه الشيباني؟؟!

ثمّ هلاّ سألت نفسك لماذا خلع الناس يزيد بن معاوية...؟ حيث قلت في الصفحة «ج»: (كما قال الإمام أحمد: حدّثنا اسماعيل بن عليّة، حدّثني صخر بن جويريّة، عن نافع قال: لمّا خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثمّ تشهّد ثمّ قال: أمّا بعد...).

لقد نقلت كتب التأريخ والسيرة والتراجم أنّ البيعة أُخذت ليزيد قهراً، وأنّ السيوف شهرت بوجه من لم يبايعه، وهذا حدث في زمان معاوية لمّا أخذ البيعة لابنه يزيد...!

فإيّ بيعةٍ شرعيّة في أعناق المسلمين ليزيد...؟ وكيف تصحّ البيعة له وبين المسلمين من الصحابة والتابعين مَنْ هو أفضل منه علماً وتقوىً وزهداً وإيماناً وجهاداً...؟

ثمّ قلت تحت عنوان «مقتل الحسين وانقسام أهل العراق فيه»: (ومع هذا فيزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولا حمل رأسه إلى بين يديه، ولا نكث بالقضيب على ثناياه، بل الذي جرى منه هو عبيدالله بن زياد، كما ثبت في صحيح البخاري، ولا طِيف برأسه في الدنيا، ولا سُبي أهل الحسين، بل الشيعة كتبوا إليه

---

(١) أنساب الأشرف ٣ / ٢٢٠ ط ١، دار التعارف ١٩٩٧ بيروت.

وغرّوه...)[١].

إذا كان يزيد لم يأمر بقتل الحسين، فَمنْ الذي أمر بقتله...؟! وَمَن الذي يصدّر الأوامر الجليلة للقواد والولاة والأمراء والحكّام...؟ أليس الأوامر تصدر من خليفة المسلمين...؟ أم هناك شخص غيره...

وإذا قلتم: إنّ ذلك صدر من عبيدالله بن زياد فمن الذي أجازه لحرب الحسين؟ ومن الذي جهّزه بالجيوش والسلاح...؟ ولو سلّمنا أنّ عبيدالله بن زياد هو الذي أمر بقتل الحسين لكنْ من هو عبيدالله؟ ألم يكن أحد ولاة يزيد بن معاوية على العراق؟! فاذا أنكر يزيد هذا العمل فلماذا لم يقتصّ من واليه؟ ولماذا لم يصدّر بحقّه التأديب والعقوبة والتي لا تخرج عن «القصاص بالقتل»، أو قُلْ على أقلّ تقديرٍ: عزله من الإمارة وحاكميّة الكوفة والبصرة...؟! بل المشهور والمنقول من كتب التأريخ: أن يزيد فرح فرحاً شديداً على ما صنَعه عبيدالله بن زياد بالحسين وأهل بيته...

إذاً لا مفرّ من الإذعان بالحقيقة والتسليم لها، والاعتراف بأنّ حرب الحسين بدأت من يزيد بن معاوية، وهو الذي أمر الولاة والحكّام والقوّاد بأخذ البيعه من الحسين بن علي. «وإنّ أبى ذلك فاضربوا عنقه ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة...!

ثمّ أيّ مصدرٍ اعتمدته في إنكارك لهذه الجريمة التي اقترفها يزيد بحقّ الحسين وعياله واهله بيته...؟

نعم، ليس لك إلاّ أن تقول: إنّ المصدر الوحيد المعتمد هو: «الناصبيّ» ابن تيميّة، وقرينة الغزالي.

ثمّ هلا سألت صاحبك الغزالي عن المصدر الذي نقل عنه عندما قال: (...وأمّا قتل الحسين فلم يأمر به، ولم يرضَ به، بل ظهر منه التألّم بقتله

---

(١) راجع الصفحة (د) من مقدّمة كتابه.

وذمّ من قتله، ولم يحمل الرأس إليه، وانّما حمل إلى ابن زياد)[١].

أين الدقّة التي تسجّلها أيها الشيباني؟ وأي حقيقةٍ تحرّيتها؟ وأي علمٍ وفنٍّ كان ضائعاً وأنت اليوم تعثر عليه؟

ألم يكن حديثك هذا هو طمس للحقائق ونشر للضلال والزيف؟! فالذي كنتَ تحذره قد سقطت فيه.

ثمّ قلت في أوّل مقدّمتك مستعرضاً منهج البحث: (ليعلم أهل الحق كيف يزوَّر التاريخ الاسلاحي من قبل أهل التزوير والتلفيق...) فهلاّ أخرجت نفسك من هذا الرعيل يمين الله إنّي أشهد أنّك قطب من أقطاب التزوير، وأنك لكبير القوم في التلفيق...

أمّا رواية يزيد بن معاوية للحديث النبويّ فقد ذكرت أنّه روى عن أبيه معاوية حديثاً وهو: «مَن يرد الله به خيراً يفقهّه للدين» وقلت روى حديثاً آخر في الوضوء، فقط. الحمد لله الذي أجرى الحقّ على لسان أهل الباطل والتحريف...

خليفة المسلمين يحفظ عن الرسول وبواسطةٍ واحدةٍ حديثين فقط... إنّهما حديثان فقط...نعم، حديثان...، وهكذا شأن أبيه معاوية أنّه لم يحفظ إلاّ هذار المقدار[٢]. يا ويل المسلمين!! يا للرزء الشديد!! خليفة المسلمين لم يحفظ من الأحكام والأحاديث النبويّة سوى حديثين...لا أدري كيف جبن المسلمون من الصحابة والتابعين؟ وكيف انقادوا لأجهل القوم؟ بل كيف أغمدوا سيوفهم قبال سيف الشرّ والفسق والفجور...؟!

إنّ الأموال التي سخّرت القلوب وجلبت ضعاف النفوس في صدر

---

(١) الصفحة (د).

(٢) روى الحاكم في المستدرك، بإسناده عن أبي إدريس الخولاني، قال: (سمعت معاوية ابن أبي سفيان ـ وكان قليل الحديث عن رسول الله ﷺ ـ يقول: ...) ٤ / ٣٥١.

الإسلام هي التي حرّكت الأيادي المأجورة اليوم، هي الأموال والمصالح والأطماع...هي الدنيا التي بها تُشترى الضمائر، وتسخّر الأقلام، وتجنّد الطاقات في الباطل والضلال...

فالإغراءات المادّية هي التي تخلق في عالمنا اليوم أمثال الشيبانيّ والعرينان والمئات من المتطفّلين على مائدة التأريخ...

أمّا بشارة النبيّ (صلى الله عليه وآله) للجيش الذي يغزو قسطنطنية:

قلت: روى البخاريّ في صحيحه عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال: قال رسول‌الله(صلى الله عليه وآله) : «أوّل جيشٍ من أُمّتي يغزو مدينة قيصر مغفور لهم»[١].

أقول: من أين عرفت أنّ هذا الحديث يخصّ يزيد بن معاوية؟ وأي دلالةٍ تُشعِر على أنه بالخصوص مغفور له. وإذا كان كذلك فلماذا لم يرد في مصادر التأريخ التصريح بمثل هذه المغفرة ليزيد، وهل يشقّ على الرسول الأكرم أن يصرّح باسمه بالقياس إلى الأخبار الكثيرة التي وردت عن الرسول وقد أخبر بها قبل وقوعها...!!

ثمّ لو سلّمنا بصحّة الحديث فإنّ المغفور لهم من سقط منهم أثناء الغزو واستشهد؛ أمّا من بقي فموكول إلى أعماله وخواتيم عمره، فكم من صحابيٍّ كان من قبل مشركاً وقد هداه الله ببركة الإسلام، ثمّ ختم عمره بأحسن العواقب[٢]. وكم من صحابيٍّ كانت له صولة وجولة في بدء الدعوة الإسلامية فنصر الإسلام ووقف في جانب الحقّ. إلاّ أنّه فيما بعد زلّت قدماه فكانت عاقبته من أسوء العواقب[٣]... فالأعمال موكولة بعواقبها، لا بأوائلها...

---

(١) الصفحة (س).

(٢) جُلّ الصحابة ممّن كان يعبد الأصنام من هذا القسم.

(٣) خير دليلٍ على ذلك: أصحاب الجباه السود الذين اشتركوا في معركة صفّين والنهروان والجمل ضدّ الإمام علي(عليه السلام) أيّام خلافته.

ذكر أرباب التأريخ والسير ان معاوية أرسل يزيد للالتحاق بالجيش الذاهب لفتح القسطنطنية، ولكنّ يزيد تخلّف عن المسلمين، وقال في ذلك شعراً يظهر فيه زهده في الجهاد وتحمّل الصعاب، وتعلّقه بالحياة اللاهية العابثة.

فلو سلّمنا بصحّة صدور الحديث المتقدّم عن الرسول ـ (ﷺ): «أوّل جيشٍ من أُمّتي يغزو مدينة قيصر مغفور لهم ـ فهذا الحديث لا يشمل يزيد، وأنّه ليس من المغفورين لهم كما عرفت من الخبر المتقدّم: أنّ يزيد رجع من أول الطريق، بل لم يشترك معهم، حيث تخلّف عن الحملة متّجهاً إلى الصيد واللهو، فكيف أصبح من المغفورين؟!

قال المتّقيّ الهنديّ في كنز العمال بسنده عن أَنْ أنس ـ وعن أُمّ حرام ـ قال: قال الرسول (ﷺ): «ناس من أُمّتي عرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله يركبن ثبج البحر ملوكاً على الأسرّة»(١).

ذكر صاحب الشفاء الحديث بلفظ مقارب هذا نصّه: «وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة في سبيل الله يركبون ثبج».

أمّا علي القاريّ الحنفي في شرحه ذكر ما نصّه: «وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة» كما في الصحيحين بلفظه.

ثمّ قال: كان رسول الله (ﷺ) يدخل على أُمّ حرام بنت ملحان من خالات النبيّ (ﷺ) من الرضاع، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً فأطعمته، ثمّ جلست تفلي رأسه، فنام، ثمّ استيقظ يضحك، فقالت: ممّ تضحك؟ قال: ناس من أُمّتي عرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله يركبون ثبج ـ أي: وسطه. ومعظمه، وقيل: ظهره ـ هذا البحر، ملوك على الأسرّة، أو كالملوك على الأسرّة، فقالت: أُدعُ الله تعالى أن يجعلني منهم، فدعا: لهم، ثمّ نام، ثمّ استيقظ يضحك، فقلت: ممّ تضحك؟ فقال كالأول، فقالت: أُدع الله تعالى أن يجعلني

---

(١) كنز العمال ٤ / ٢٩١، مؤسّسة الرسالة بيروت ١٩٧٩، رقم الحديث ١٠٥٤٣.

منهم، فقال: أنتِ من الأوّلين، فركبت البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابّتها بعد خروجها منه فهلكت. والأسرّة جمع سرير وهو بساط الملك(١).

أقول: أين لفظ المغفرة في هذا الحديث...؟ هذا ما أورده صاحب الشفاء، وما عقّب عليه الشيخ عليّ القارئ الحنفي.

إذاً، الحديث عارٍ عن أيّ معنىً يمتّ بصلةٍ إلى موضوع المغفرة. كما أن يزيد لم يعرف له وجود في هذا الحديث...

وإضافة إلى ما تقدّم فسوف أضع بين يدي ـ الشيباني ـ والقرّاء الأعزّاء المصادر الصحاح المعروفة والموثوق بها عند المسلمين من أبناء العامة التي تؤكّد على كفر يزيد، وأنّه غير مغفورٍ له، وأنّه في العذاب، وأنّ عليه لعنة الله والملائكة والأنبياء جميعاً...

الأول

ما رواه العلاّمة المولى المتقي الهندي في منتخب كنز العمّال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يزيد لا بارك الله في يزيد ـ بن معاوية ـ الطعّان اللّعان، إنّه نعي إليّ حبيبي وسُخيلي حسين، أتيت بتربته ورأيت قاتله، أما إنّه لا يقتل بين ظهرانيّ قومٍ فلا ينصرونه إلا عمّهم الله بعقاب»(٢).

الثاني

ما رواه العلاّمة ميرزا محمد خان بن رستم خان المعتمد البدخشي في كتابه «مفتاح النجا في مناقب آل العبا» قال: وأخرج الطبرانيّ، عن معاذ (رضي الله عنه) أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال: «يزيد لا بارك الله في يزيد نعي إليّ حسين وأتيت بتربته

(١) شرح الشفاء ١ / ٣٩٩ م دارالطباعة ، ١٢٦٤ هـ.

(٢) منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ / ص ١١١ / ط الميمنيّة، مصر.

وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا تقتل بين ظهراني قومٍ لا يمنعوه إلاّ خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلّط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً»(١).

الثالث

ما رواه العلاّمة محمد خان البدخشيّ ـ بعين ما تقدّم ـ من طريق ابن عساكر، عن عبدالله بن عمرو بن العاص(٢).

الرابع

ما رواه العلاّمة الشبلنجي في «نور الأبصار»: قال: روى سليمان الأعمش (رحمه الله) قال: خرجنا ذات سنةٍ حجّاجاً لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبيّ(صلى الله عليه وآله) ، فبينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهمّ اغفر لي وما أظنّك تفعل، فلمّا فرغت من طوافي قلت: سبحان الله العظيم، ما كان ذنب هذا الرجل؟! فتنحّيت عنه، ثمّ مررت به مرةً ثانيةً وهو يقول: اللهمّ اغفر لي وما أظنّك تفعل، فلمّا فرغت من طوافي قصدت نحوه فقلت: يا هذا، إنّك في موقفٍ عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام، فلو سألت منه ـ عزوجلّ ـ المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل، فإنّه منعم كريم، فقال: يا عبدالله، من أنت؟ فقلت: أنا سليمان الأعمش، فقال: يا سليمان، إيّاك طلبت وقد كنت أتمنّى مثلك فأخذ بيدي وأخرجني من داخل الكعبة إلى خارجها، فقال لي: يا سليمان، ذنبي عظيم، فقلت: يا هذا، أذنبك أعظم أم الجبل، أم السماوات، أم الارضون، أم العرش؟ فقال لي: يا سليمان، ذنبي أعظم! مهلاً حتى أُخبرك بعجبٍ رأيته، فقلت له: تكلّم رحمك الله، فقال لي:

---

(١) مفتاح النجا ص ١٣٦ (مخطوط).

(٢) المصدر السابق.

يا سليمان، أنا من السبعين رجلاً الذين أتوا برأس الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) إلى يزيد بن معاوية، فأمر بالرأس فنصب خارج المدينة، وأمر بإنزاله ووضع في طستٍ من ذهبٍ ووضع ببيت منامه، قال: فلمّا كان في جوف الليل انتبهت امرأة يزيد بن معاوية فإذا شعاع ساطع إلى السماء، ففزعت فزعاً شديداً وانتبه يزيد من منامه، فقالت له: يا هذا، قم فإنّي أرى عجباً، قال: فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها: أُسكتي فإنّي أرى كما ترين، قال: فلمّا أصبح من الغد أمر بالرأس فأُخرج إلى فسطاطٍ وهو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلاً فخرجنا إليه نحرسه، وأمر لنا بالطعام والشراب حتّى غرب الشمس، ومضى من الليل ماشاء الله ورقدنا، فاستيقظت ونظرت نحو السماء وإذا بسحابةٍ عظيمةٍ ولها دويّ كدويّ الجبال، وخفقان أجنحة، فأقبلت حتّى لصقت بالأرض، ونزل منها رجل وعليه حلّتان من حلل الجنّة وبيده درانك وكراسيّ، فبسط الدرانك وألقى عليها الكراسيّ، وقام على قدميه ونادى: انزل يا أبا البشر، انزل يا آدم، فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيباً، فأقبل حتّى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا وليّ الله، السلام عليك يا بقيّة الصالحين، عشت سعيداً وقتلت طريداً، ولم تزل عطشاناً حتّى ألحقك الله بنا، رحمك الله، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم زال وقعد على كرسيٍّ من تلك الكراسيّ.

قال: يا سليمان، ثمّ لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أُخرى أقبلت حتّى لصقت بالأرض، فسمعت منادياً يقول: انزل يا نبي الله، انزل يا نوح، وإذا برجل أتمّ الرجال خلقاً، وإذا بوجهه صفرة وعليه حلّتان من حلل الجنّة، فأقبل حتّى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا عبدالله، السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشاناً حتّى ألحقك الله بنا، غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم زال فقعد على كرسيّ من تلك الكراسي.

قال: يا سليمان، ثمّ لم ألبث إلاّ يسيراً وإذا بسحابةٍ أعظم منها، فأقبلت حتى لصقت بالأرض، فقام الأذان، وسمعت منادياً ينادي: انزل يا خليل الله، انزل يا إبراهيم، وإذا برجلٍ ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني أبيض الوجه أملح الرجال شيباً، فأقبل حتى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا عبدالله، السلام عليك يا بقيّة الصالحين، قتلت طريداً، وعشت سعيداً، ولم تزل عطشاناً حتّى ألحقك الله بنا، غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم تنحّى فقعد على كرسيٍّ من تلك الكراسيّ.

ثم لم ألبث إلاّ يسيراً فإذا بسحابةٍ عظيمةٍ فيها دويّ كدويّ الرعد وخفقان أجنحةٍ فنزلت حتّى لصقت بالأرض وقام الأذان، فسمعت قائلاً يقول: انزل يا نبي الله، انزل يا موسى بن عمران، قال: فإذا برجل أشدّ الناس في خلقه واتمّهم في هيبته وعليه حلّتان من حلل الجنّة، فأقبل حتّى وقف على الرأس، فقال مثل ما تقدّم ثم تنحّى فجلس على كرسيٍّ من تلك الكراسيّ.

ثم لم ألبث إلاّ يسيراً وإذا بسحابةٍ أخرى وإذا فيها دويّ عظيم وخفقان أجنحة فنزلت حتّى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا عيسى، انزل يا روح الله، فإذا أنا برجلٍ محمرٍّ الوجه وفيه صفرة، وعليه حلّتان من حلل الجنّة، فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل مقالة آدم ومَنْ بعده. ثمّ تنحّى فجلس على كرسيٍّ من تلك الكراسيّ.

ثمّ لم ألبث إلاّ يسيراً وإذا بسحابةٍ عظيمةٍ فيها دويّ كدويّ الرعد والرياح، وخفقان أجنحةٍ فنزلت حتّى لصقت بالأرض، فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي: انزل يا محمد، انزل يا أحمد، وإذا بالنبيّ وعليه حلّتان من حلل الجنّة وعن يمينه صفّ من الملائكة والحسن وفاطمة (رضي الله عنهما)، فأقبل حتّى دنا من الرأس فضمّه إلى صدره وبكى بكاءً شديداً، ثمّ دفعه إلى أمّه فاطمة فضمّته إلى صدرها وبكت بكاءً شديداً حتّى علا بكاؤها، وبكى لها من سمعها

في ذلك المكان، فأقبل آدم (عليه السلام) حتى دنا من النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: السلام على الولد الطيّب، السلام على الخلق الطيّب، أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك في ابنك الحسين، ثمّ قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : يأ أبي آدم، ويا أبي نوح، ويا أبي إبراهيم، ويا أخي موسى ويا أخي عيسى، اشهدوا وكفى بالله شهيداً على أُمّتي بما كافؤني في ابني وولدي من بعدي، فدنا منه ملك من الملائكة فقال: قطّعت قلوبنا يا أبا القاسم، أنا الملك الموكّل بسماء الدنيا، أمرني الله تعالى بالطاعة لك، فلو أذنت لي أنزلتها على أُمّتك فلا يبقى منهم أحد، ثمّ قام ملك آخر فقال: قطّعت قلوبنا يا أبا القاسم، أنا الموكّل بالبحار، أمرني الله بالطاعة لك، فإن أذنت لي أرسلتها عليهم فلا يبقى منهم أحد، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : يا ملائكة ربّي، كفّوا عن أُمّتي، فإنّ لي ولهم موعداً لن أُخلفه، فقام إليه آدم (عليه السلام) فقال: جزاك الله خيراً من نبيٍّ أحسن ما جُوزِيَ به نبيّ عن أُمّته، فقال له الحسن: يا جدّاه، هؤلاء الرقود هم الذين يحرسون أخي، وهم الذين أتوا برأسه، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : يا ملائكة ربّي، اُقتلوهم بقتلهم ابني، قال: فوالله ما لبثت إلاّ يسيراً حتّى رأيت أصحابي قد ذُبحوا أجمعين، فقال: فلصق بي ملك ليذبحني فناديته: يا أبا القاسم أجرني وارحمني يرحمك الله، فقال: كفّوا عنه ودنا منّي، وقال: أنت من السبعين رجلاً؟ قلت: نعم، فألقى يده في منكبي وسحبني على وجهي، وقال: لا رحمك الله ولا غفر لك، أحرق الله عظامك بالنار، فلذلك أيست من رحمة الله! فقال الأعمش: اليك عنّي، فإنّي أخاف أن أُعاقب من أجلك[١].

الخامس

ما رواه العلاّمة الخوارزميّ في «مقتل الحسين»، قال: نقل عن معاوية في وصيّته ليزيد: فقد حدّثني ابن عبّاس فقال: حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند وفاته وهو يجود بنفسه، وقد ضمّ الحسين إلى صدره وهو يقول: هذا من أطائب

---

(١) نور الأبصار / ١٢٥ ط مصر، وكذا في شرح الشفاء: الفصل (٢٤).

أرومتي وأبرار عترتي وخيار ذرّيّتي، لا بارك الله فيمن لم يحفظه من بعدي، قال ابن عباس: ثمّ أُغمي على رسول الله ساعةً، ثمّ أفاق فقال: يا حسين، إنّ لي ولقاتلك يوم القيامة مقاماً بين يدي ربّي وخصومةً، وقد طابت نفسي إذ جعلني الله خصماً لمن قاتلك يوم القيامة، يا بني، فهذا حديث ابن عباس. وأنا أُحدّثك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال: أتاني يوماً حبيبي جبرئيل فقال: يا محمد، إنّ أُمّتك تقتل ابنك حسيناً، وقاتله لعين هذه الأمّة، ولقد لعن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قاتل حسين مراراً، فانظر يا بنيّ، ثمّ أنظر أن تتعرّض له بأذىً، فإنّه مزاج ماء رسول الله، وحقّه ـ والله ـ يا بنيّ عظيم، وقد رأيتني كيف كنت احتمله في حياتي وأضع له رقبتي وهو يجبهني بالكلام القبيح الذي يوجع قلبي فلا أُجيبه ولا أقدر له حيلةٍ؛ لأنه بقية أهل الله بأرضه في يومه هذا، وقد أُعذر من أنذر، ثمّ أقبل معاوية على الضحّاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المريّ وهما من أعظم قوّاده، وهما اللذان كانا يأخذان البيعة ليزيد، فقال لهما: اشهدا على مقالتي هذه، فوالله لو فعل بي الحسين وفعل لاحتملته، ولم يكن الله تعالى يسألني عن دمه، أفهمت عنّي يا بني ما أُوصيتك به؟ قال: قد فهمت يا أمير المؤمنين[١].

السادس

ممّن روى الحديث المتقدّم: العلاّمة ابن الأثير الجزريّ في «أُسد الغابة»، نقله عن حمّاد بن سلمة، عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عباس[٢].

السابع

وممّن رواه: العلاّمة محبّ الدين الطبريّ في «ذخائر العُقبى»، نقله عن

---

(١) مقتل الخوارزمي ١ / ١٧٣ ط الغري.

(٢) أُسد الغابة ٢ / ٢٢، ط مصر.

طريق ابن بنت منيع، ومن طريق أبي عمر الحافظ السكني[١].

الثامن

وممّن رواه: العلاّمة ابن حجر العسقلانيّ في «تهذيب التهذيب»، نقله عن حمّاد بن سلمة، عن عمّار ابن أبي عمّار، عن ابن عبّاس[٢].

التاسع

وممّن رواه العلاّمة الذهبيّ في «تلخيص المستدرك» المطبوع بذيل المستدرك[٣].

العاشر

وممّن رواه العلاّمة سبط ابن الجوزيّ في «التذكرة»، نقله من طريق زيد ابن الحسن اللغوي، قال: أخبرنا أبو منصور القزّار، أخبرنا أحمد بن عليّ بن ثابت، أخبرنا ابن زرق، أخبرنا محمد بن عمر الحافظ، حدّثنا الفضل بن حبّاب، حدّثنا محمد بن عبدالله الخزرجي، حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن عمّار ابن أبي عمّار، عن ابن عبّاس[٤].

الحادي عشر

وممّن رواه العلاّمة الكنجيّ في «كفاية الطالب»، نقله من طريق العدل أبي

---

(١) ذخائر العقبى / ١٤٨ ط مطبعة القدس، القاهرة.
(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٣، ط حيدر آباد.
(٣) المستدرك ٤ / ٤٩٧ ط حيدر آباد.
(٤) تذكرة الخواص / ٢٧٨ المطبعة الحيدرية، النجف.

العبّاس بن المفرّج الدمشقي، عن العلاّمة أبي محمد بن عبدالله بن الخشّاب النحوي، أخبرنا عبدالله بن شاتيل، أخبرنا أبو محمد، أخبرنا أبوبكر، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، أخبرني أبي، حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد عن عمّار ابن أبي عمّار عن ابن عبّاس[١].

الثاني عشر

وممّن رواه: العلاّمة القندوزي الحنفيّ في «ينابيع المودّة»[٢].

الثالث عشر

وممّن رواه: ابن الأثير الجزريّ في «الكامل»[٣].

الرابع عشر

ورواه: أيضاً ابن الأثير الجزريّ أيضاً في «المختار»[٤].

الخامس عشر

وممّن رواه: ابن كثير في «البداية والنهاية»، نقله عن سعيد بن نصر، عن قاسم بن أصبغ، عن ابن وضّاح عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن عفّان، عن حمّاد بن سلمة[٥].

---

(١) كفاية الطالب / ٢١٠ مطبعة الغري.

(٢) ينابيع المودّة / ٣٢٠ ط اسلامبول.

(٣) الكامل ٣ / ٣٠٣ ط المطبعة المنيرية، مصر.

(٤) المختار / ٢٢.

(٥) البداية والنهاية ١ / ١٤٣.

السادس عشر

وممّن رواه: الشيخ حسين بن محمد المالكيّ في «تأريخ الخميس»[(١)].

السابع عشر

وممّن رواه: باكثير الحضرميّ في «وسيلة المآل»[(٢)].

الثامن عشر

وممّن رواه: السيوطي في «الخصائص الكبرى»، نقله عن الإمام أحمد والبيهقي[(٣)].

التاسع عشر

وممّن رواه: ابن الصبّان المصريّ في «إسعاف الراغبين» المطبوع بهامش نور الأبصار[(٤)].

العشرون

وممّن رواه: ابن حجر العسقلانيّ في «الإصابة»[(٥)].

الحادي العشرون

وممّن رواه: الحافظ مخلص الدين، أبو عبدالله محمد بن أحمد المعمر

---

(١) تأريخ الخميس ٢ / ٣٠٠ ط الأستانة الوهبيّة، مصر.

(٢) وسيلة المآل / ١٩٨.

(٣) الخصائص الكبرى ٢ / ١٢٦ ط حيدر آباد.

(٤) إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار ١ / ١٩١ ط مصر.

(٥) الإصابة ١ / ٣٣٤ ط مصر، مصطفى محمد.

القريشيّ في مسنده على ما في مناقب الكاشي[١].

الثاني والعشرون

حديث معاذ بن جبل رواه العلاّمة الطبرانيّ في «المعجم الكبير»، قال: حدّثنا الحسن بن العبّاس الرازي، حدّثنا سلم بن منصور بن عمّار، حدّثنا أبي (ح)، وحدّثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيّان الرقّي، حدّثنا عمرو بن بكر ابن بكّار القعنبي، حدّثنا مجاشع بن عمرو، قالا: حدّثنا عبدالله بن لهيعة، عن أبي قبيل، حدّثني عبدالله بن عمرو بن العاص أنّ معاذ بن جبل أخبره قال: خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) متغيّر اللون، فقال: أنا محمد أُوتيت فواتح الكلام وخواتمه، فأطيعوني مادمت بين أظهركم، فإذا أذهبت فعليكم بكتاب الله عزوجلّ، أحلّوا حلاله وحرّموا حرامه، أتتكم الموتة أتتكم بالروح والراحة، كتاب من الله سبق، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلّما ذهب رسل جاء رسل تناسخت النبوّة، فصارت ملكاً، رحم الله من أخذها بحقّها وخرج منها كما دخلها، أمسك يا معاذ واحصِ، قال: نعي إليّ حسين، وأُتيت بتربته، وأُخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلاّ خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلّط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً، ثم قال: واهاً لفراخ آل محمدٍ من خليفةٍ مستخلفٍ مترفٍ يقتل خلفي وخلف الخلف، أمسك يا معاذ، فلمّا بلغت عشرة قال: الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام يبوء بدمه رجل من أهل البيت يسلّ الله سيفه فلا غماد له، واختلف الناس وكانوا هكذا ـ وشبّك بين أصابعه ـ ثم قال: بعد العشرين ومأة موت سريع وقيل ذريع، ففيه هلاكهم، ويلي عليهم رجل من ولد العباس[٢].

---

(١) مسند الحافظ القرشي / ٢٦٢ (مخطوط).

(٢) نقلنا الحديث كما هو، ولا يخلو من تصحيف. ورواه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمّال ١١ / ٦٦ ،

الثالث والعشرون

وممّن روى حديث معاذ بن جبل: الحافظ الهيثميّ في مجمع الزوائد(١).

الرابع والعشرون

وممّن رواه: العلاّمة البدخشيّ في «مفتاح النجا في مناقب آل العبا»(٢).

الخامس والعشرون

وممّن رواه: العلاّمة الخوارزمي في «مقتل الحسين»(٣).

السادس والعشرون

حديث المسوّر بن مخرمة، نقله العلاّمة الخوارزميّ في «مقتل الحسين» قال: قال المسوّر بن مخرمة: ولقد أتى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ملك، من ملائكة الصفيح الأعلى لم ينزل إلى الأرض منذ خلق الله الدنيا، وإنّما استأذن ذلك الملك ربّه ونزل شوقاً منه إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فلمّا نزل إلى الأرض أوحى الله عزوجلّ إليه: أيّها الملك، أخبر محمداً بأن رجلاً من أُمّته يقال له: يزيد يقتل فرخك الطاهر وابن الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، فقال الملك: إلهي وسيّدي، لقد نزلت وأنا مسرور بنزولي إلى نبيّك فكيف أخبره بهذا الخبر؟! ليتني لم أنزل عليه، فنودي الملك من فوق رأسه: أن امضِ لِمَا أمرت، فجاء وقد نشر أجنحته حتّى وقف بين يديه، فقال: السلام عليك يا حبيب الله، إنّي استأذنت ربّي في

والشهيد التستري في إحقاق الحق ١١ / ٣٨٤.

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٩ ط مكتبة القدسي، القاهرة.

(٢) مفتاح النجا / ١٣٥ (مخطوط).

(٣) مقتل الخوارزمي ١ / ١٦٠ مطبعة الغري.

النزول إليك فليت ربّي دقّ جناحيّ ولم آتك بهذا الخبر، ولكنّي مأمور يا نبيّ الله، اعلم: أنّ رجلاً من أُمّتك يقال له: يزيد يقتل فرخك الطاهر ابن فـرختك الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، ولم يمتّع من بعد ولدك، وسيأخذه الله معافصة على سوء عمله فيكون من أصحاب النار، فقال: ولمّا أتت على الحسين من مولده سنتان كاملتان خرج النبيّ في سفرٍ، فلمّا كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك؟ فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرضٍ بشاطئ الفرات يقال لها: كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة، فقيل: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال: له يزيد، لا بارك الله في نفسه، وكأنّي أنظر إلى مصرعه ومدفنه بها وقد أُهدي رأسه، والله ما يـنظر أحـد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلاّ خالف الله بين قلبه ولسانه، يعني لبّس في قـلبه مـا يكـون بلسانه من الشهادة، قال: ثمّ رجع النبيّ من سفره ذلك مغموماً، فـصعد المـنبر فخطب ووعظ، والحسين بين يديه مع الحسن، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسين ورفع رأسه إلى السماء، وقال: اللّهمّ إنّي محمد عبدك ونبيّك، وهذان أطائب عترتي وخيار ذرّيّتي وأرومتي ومن أخلفهما في أُمّتي، اللّهم وقد أخبرني جبرئيل بأن ولدي هذا مقتول مخذول، اللّهم فبارك لي في قتله، واجعله من سادات الشهداء، إنّك على كلّ شيءٍ قدير، اللّهم ولا تبارك في قاتله وخاذله، قال: فضجّ الناس في المسجد بالبكاء، فقال النبيّ: أتـبكون ولا تنصرونه؟ اللّهم فكن له أنت وليّاً وناصراً[1].

السابع والعشرون

أمّا حمل الرأس الشريف إلى يزيد بن معاية في الشام، والذي أنكره الشيبانيّ فنذكر في صفته حديثاً نقله العلاّمة الخوارزميّ في «مقتل الحسـين»،

---

(١) مقتل الخوارزمي ١ / ١٦٢ ط الغري، نجف.

قال: حدّثنا عَين الأئمّة أبو الحسن عليّ بن أحمد الكرباسيّ الخوارزمي، حدّثنا الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن محمد البلالي، حدّثنا الإمام السيد المرتضى أبو الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسينيّ الحسني، أخبرنا الحسن بن أحمد الفارسي، أخبرنا عليّ بن عبدالرحمن، حدّثنا محمد بن منصور، حدّثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن حسين، عن أبي خالد، عن زيد، عن ابن لهيعة، قال: كنت أطوف بالبيت إذا أنا برجلٍ يقول: اللّهم اغفر لي وما أراك فاعلاً، فقلت له: يا عبدالله، اتّق الله، لا تقل مثل هذا، فإنّ ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار واستغفرت الله غفرها لك فإنه غفور رحيم، فقال لي: تعال حتّى أُخبرك بقصّتي، فأتيته فقال: اعلم: إنّا كنّا خمسين نفراً حين قتل الحسين بن عليّ، وسلّم إلينا رأسه لنحمله إلى يزيد بالشام، فكنّا إذا أمسينا نزلنا وادياً ووضعنا الرأس في تابوت، وشربنا الخمور حوالي التابوت إلى الصباح، فشرب أصحابي ليلةً حتّى سكروا ولم أشرب معهم، فلمّا جنّ الليل سمعت رعداً وبرقاً، وإذا أبواب السماء قد فتحت، فنزل آدم ونوح وابراهيم واسحاق واسماعيل ونبيّنا محمد صلوات الله عليهم، ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرئيل من التابوت فأخرج الرأس وقبّله وضمّه، ثمّ فعل الأنبياء كذلك، ثمّ بكى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على رأس الحسين، فعزّاه الأنبياء، وقال له جبرئيل: يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أُطيعك في أُمّتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : لا يا جبرئيل، فإنّ لهم معي موقفاً بين يدي الله ـ عزّوجلّ ـ يوم القيامة، قال: ثم صلّوا عليه ثم أتى قوم من الملائكة فقالوا إن الله تعالى أمرنا بقتل الخمسين، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله) : شأنكم بهم، قال: فجعلوا يضربونهم بالحربات، وقصدني واحد منهم بحربته ليضربني فصحت: الأمان...الأمان يا رسول الله، فقال لي: اذهب فلا غفر الله لك،

قال: فلمّا أصبحت رأيت أصحابي جاثمين رماداً[١].

الثامن والعشرون

في حرمان يزيد الشفاعة

ذكر العلاّمة أبو اسحاق برهان الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى في «غرر الخصائص الواضحة»، قال: ويقال: إنّه لمّا حمل رأس الحسين (رضي الله عنه) إلى يزيد بن معاوية ووضع بين يديه خرجت كفّ يدٍ من الحائط فكتبت في جبهته أي: جبهة يزيد بن معاوية:

أترجو أمّةٌ قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب[٢]

التاسع والشعرون

ممّن روى البيت المتقدّم: ابن المغازليّ في «مناقبه»[٣].

الثلاثون

في حمل الرأس الشريف من الكوفة إلى يزيد بن معاوية في الشام

ذكر الأستاذ الشيخ محمد الصبّان في كتابه «إسعاف الراغبين في هامش «نور الأبصار»، قال: ولمّا قتل الحسين (عليه السلام) حزّوا رأسه وأتوا به إلى ابن زياد فأرسله ومن معه من أهل بيته إلى يزيد، ومنهم: عليّ بن الحسين وعمّته زينب، فسّر يزيد سروراً كثيراً وأوقفهم موقف السبي وأهانهم، وصار يضرب الرأس

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ٨٧ ط الغري.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ٩ / ١٩٩ ط مكتبة القدسي ١٣٥٣ القاهرة، وغرر الخصائص الواضحة ص ٢٧٦ ط مصر.

(٣) مناقب ابن المغازلي ص ٣٨٨ م الاسلامية طهران.

الشريف بقضيبٍ كان معه، ويقول: لقيت بغيك يا حسين وبالغ في الفرح، ثمّ ندم لما مقتهُ المسلمون على ذلك، وأبغضه العالم. وفي هذه القصة تصديق لقوله (صلى الله عليه وآله) : إنّ أهل بيتي سيلقون بعدي من أُمّتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أُميّة وبنو مخزوم[١].

ورواه الحاكم، وما ذكر: من أنّ الضارب لرأس الحسين بالقضيب يزيد هو ما في طبقات المنّاوي.

ثم قال: ولكن نقل في الصواعق: أنّه ابن زياد، وأنه كان عنده أنس فبكى وقال: كان أشبههم برسول الله...إلى أن يقول: ويمكن الجمع بأنّ هذا الفعل ـ الضرب بالقضيب على ثنايا الحسين ـ وقع أوّلاً من ابن زياد، ثم وقع ثانياً من يزيد[٢].

الحادي والثلاثون

وممّن روى حديث حمل الرؤس إلى يزيد وأنّه جعل ينكت بالقضيب ثغر الحسين: البلاذري في كتابه أنساب الأشراف[٣] وتذكرة الخواص[٤]، وكذا ابن الجوزي في كتابه «الرّد على المتعصّب العنيد» بطرق عديدة.

الثاني والثلاثون

ذكر العلاّمة سبط ابن الجوزيّ في «التذكرة»، قال: ذكر عبد الملك بن هشام في كتاب السيرة الذي أخبرنا القاضي الأسعد أبو البركات عبد القويّ ابن

---

(١) اسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار.

(٢) نور الأبصار ١٨٩ ـ ١٩١.

(٣) أنساب الأشراف ٣ / ٢١٤، ط دار التعارف.

(٤) تذكرة الخواص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

ابي المعالي ابن الجبّار السعدي في جمادي الأوّلى سنة تسع وستمائة بالديار المصريّة قراءةً عليه ونحن نسمع، قال: أنبأنا أبو محمد عبدالّله بن رفاعة بن غدير السعديّ في جمادي الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة، قال: أنبأنا أبو الحسن عليّ ابن الحسن الخلعي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن سعيد النحاس النحيي، أنبأنا أبو محمد عبدالله بن هشام النحويّ البصري، قال: لمّا أنفذ ابن زياد رأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد بن معاوية مع الأسرى موثّقين في الحبال منهم نساء وصبيان وصبيّات من بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أقتاب الجمال موثّقين، مكشّفات الوجوه والرؤوس، وكلّما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوقٍ أعدّوه له، فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل، ثم يعيدونه إلى الصندوق ويرحلونً، فنزلوا بعض المنازل، وفي ذلك المنزل دير فيه راهب، فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادته وأسندوا الرمح إلى الدير، فلمّا كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس إلى عنان السماء، فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب ابن زياد. قال: وهذا الرأس؟ قالوا: رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: نبيّكم؟ قالوا: نعم، قال بئس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكنّاه أحداقنا، ثم قال: هل لكم في شيء؟ قالوا: وما هو؟ قال عندي عشرة آلاف دينار تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة، وإذا رحلتم تأخذونه، قالوا: وما يضرّنا، فناولوه الرأس وناولهم الدنانير، فأخذه الراهب، فغسّله وطيّبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كلّه، فلمّا اسفر الصبح قال: يا رأس، لا أملك إلاّ نفسي، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ جدّك محمداً رسول الله وأشهد الله أنّني مولاك وعبدك، ثمّ خرج من الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت.

قال ابن هشام في السيرة: ثمّ إنهم أخذوا الرأس وساروا، فلمّا قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتّى نقسّم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منّا،

فأخذووا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحوّلت خزفاً وعلى أحد جانب الدينار مكتوب ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ الآية، وعلى الجانب الآخر: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون﴾ فرموها في بَرَدى[١].

وفي مجمع الزوائد للهيثمي: ذكر كتاب يزيد بن معاوية لعبيدالله بن زياد يقول فيه: قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلى الكوفة وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلاد، وابتليت به من بين العمّال، وعندها تُعتق أو تعود عبداً كما تُعتبد العبيد، فقتله عبيدالله بن زياد وبعث برأسه إليه، فلمّا وضع بين يديه تمثّل بقول الحصين بن حمام المريّ:

نفلّق هاماً من رجالٍ أحبّةٍ إلينا وهم كانوا أحقّ وأظلما

قال الهيثمي: رواه الطبرانيّ، ورجاله ثقات[٢].

وكذا رواه البلاذريّ في أنساب الأشراف[٣].

الثالث والثلاثون

وممّن روى الحديث المتقدّم: العلاّمة ابن حجر الهيثميّ العسقلاني في كتابه «الصواعق المحرقة»[٤].

الرابع والثلاثون

وممّن رواه: العلاّمة أبوبكر الحضرميّ في «رشفة الصادي»[٥].

(١) انظر تذكرة الخواص ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ م مؤسسة أهل البيت / بيروت.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٣، وص ١٩٥ مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٣ م.

(٣) أنساب الأشراف ٣ / ١٦٠ دار التعارف بيروت ط ١٩٧٧ م.

(٤) الصواعق المحرمة ص ١١٩ ط حلب.

(٥) رشفة الصادي ص ١٦٤ ط مصر وص ٦٠ نقلاً عن روض الأخبار.

الخامس والثلاثون

وممّن رواه: العلامة القندوزي الحنفي في «ينابيع المودّة»(١).

السادس والثلاثون

وممّن رواه: العلاّمة الخوارزمي في «مقتل الحسين»(٢).

وممّن ذكر حمل الرأس الشريف إلى يزيد: البلاذري في «أنساب الأشراف»(٣).

السابع والثلاثون

ذكر المقريزي في خططه انه لما اخرج الرأس من عسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسك وهذا يدلّ على ان الرأس الشريف قد حمله العسكر إلى الشام إلى يزيد بن معاوية ثم طافوا به البلدان منها عسقلان(٤).

هذه جملة من مصادر أبناء العامّة في التأريخ والحديث والسيرة والتراجم التي أكدّت على أنّ قاتل الحسين هو يزيد بن معاوية وإن لم يباشر يزيد القتل بنفسه، وأنّ الذي اقترفه بحقّ الحسين لجرم عظيم لا يغتفر، وأنّه من المخلّدين في نار جهنّم، هو ومن تبعه ومن رضي بفعله، ومن حاول تنزيهه أو تبرئته، وقد تركنا مئات الأحاديث في هذا الباب خوف الإطالة، فهل من واعظٍ يتعظ؟ أو من زاجر ينزجر؟ فهذه بضاعتكم رُدّت اليكم...فهل تعي القلوب التي أبغضت علياً وأبناءه؟ بل إنّما لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يُبصرون بها!!

بعد هذه المطالعة السريعة في مصادر كتب العامّة ولكبار علمائهم

---

(١) ينابيع المودّة ص ٣٢٥ ط اسلامبول.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ١٠٢، م الزهراء.

(٣) أنساب الأشراف ٣ / ١٩٣ و٢١٢ و٢١٩ و ٢٢٠ ط دار التعارف بيروت ١٩٧٧.

(٤) انظر الخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٤.

ومصنِّفيهم، وبعدما تبيّن أن يزيد قاتل الحسين بلا منازع في ذلك عند جميع طوائف المسلمين إلاّ من أعمى الله قلبه قبل عينيه فأُولئك الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة...بعد هذا كلّه لنضع بين يدي الشيبانيّ بعض الأحاديث ومن طرق القوم التي تنصّ على عذاب قاتلي الحسين وكفرهم، وبراءة الرسول منهم...، فنتابع التسلسل المتقدّم.

الثامن والثلاثون

ما رواه ابن المغازليّ بإسناده قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إنّ موسى بن عمران سأل ربّه ـ عزوجلّ ـ فقال: يا ربّ، إنّه أخي هارون قد مات فاغفر له! فأوحى الله ـ عزوجلّ ـ إليه: يا موسى، لو سألتني في الأوّلين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن عليّ فإنّي أنتقم له من قاتله[١].

التاسع والثلاثون

وممّن رواه: العلاّمة الخوارزميّ في (مقتل الحسين)[٢].

الأربعون

وممّن رواه: العلاّمة السيوطيّ في ذيل اللآلي[٣].

الحادي والأربعون

ذكر الحافظ أبوبكر البغداديّ في تأريخ بغداد، قال: أخبرني الأزهري حدّثنا المعافى بن زكريا الجريري، حدّثنا محمد بن مزيد ابن أبي الأزهر، حدّثنا

---

(١) مناقب ابن المغازلي ص ٦٨.
(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٨٥ ط الغري.
(٣) ذيل اللآلي ص ٧٦ ط لكنهو ـ الهند.

عليّ بن مسلم الطوسي قال: حدّثنا سعيد بن عامر، عن قابوس ابن أبي ظبيان عن أبيه، عن جدّه، عن جابر بن عبدالله قال: وأنبأنا مرّةً أُخرى عن أبيه، عن جابر قال رأيت رسول الله ـ (صلى الله عليه وآله) وهو يفخّج بين فخذي الحسين ويقبّل زبيبته ويقول: لَعَن الله قاتلك، قال جابر: فقلت: يا رسول الله، ومن قاتله؟ قال: رجل من أُمّتي يبغض عترتي لا تناله شفاعتي، كأنّي بنفسه بين أطباق النيران يرسب تارةً ويطفو أُخرى، وأنّ جوفه ليقول: عقّ عقّ[1].

الثاني والأربعون

وممّن رواه: الحافظ ابن حجر العسقلانيّ في «لسان الميزان»[2].

الثالث والأربعون

وممّن رواه: ابن عساكر الدمشقيّ في «تأريخ دمشق»[3].

الرابع والأربعون

ما رواه العلاّمة الشيخ ابراهيم بن محمد ابن أبي بكر الحموينيّ في كتابه «فرائد السمطين»، باسناده عن مجاهد قال: قال ابن عبّاس: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في حديث: فلمّا ولد الحسين بن عليّ وكان مولده عشيّة الخميس ليلة الجمعه أوحى الله ـ عزوجلّ ـ إلى مالك خازن النار: أخمد النيران على أهلها لكرامة مولدٍ ولد لمحمدٍ (صلى الله عليه وآله) في دار الدنيا، وأوحى الله تبارك وتعالى إلى رضوان خازن الجنان: طيّبها لكرامة مولدٍ ولد لمحمدٍ (صلى الله عليه وآله) في دار

(١) تاريخ بغداد ٣ / ٢٠٩ ط السعادة ـ مصر.

(٢) لسان الميزان ٥ / ٣٧٧ ط حيدر آباد.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ / ٣٣٩ ط روضة الشام.

الدنيا، وأوحى الله تبارك وتعالى إلى حور الدين، أن تزيّنوا وتزاوروا لكرامة مولدٍ ولد لمحمدٍ (ﷺ) في دار الدنيا، وأوحى الله إلى الملائكة. أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتحميد والتكبير لكرامة مولودٍ ولد لمحمد (ﷺ) في دار الدنيا، وأوحى الله ـ عزوجلّ ـ لجبرائيل: أن أهبط إلى النبيّ محمدٍ (ﷺ) في ألف قبيل، والقبيل ألف ألف من الملائكة على خيول بلق مسرّجة ملجمة عليها قباب الدرّ والياقوت، ومعهم ملائكة يقال لهم: الروحانيّون بأيديهم حراب من نورٍ أن هنّوا محمداً بمولوده، وأخبره يا جبرئيل أنّي قد سمّيته الحسين فهنّه وعزّه، وقل له: يا محمد، تقتله شرّ أمّتك على شرّ الدواب، فويل للقاتل، وويل للسائق، وويل للقائد، وقاتل الحسين أنا منه بريء، وهو منّي بريء، لأنّه لا يأتي يوم القيامة أحد إلاّ وقاتل الحسين أعظم جرماً، قاتل الحسين يدخل النار يوم القيامة مع الذين يزعمون أنّ مع الله إلهاً آخر، وللنار أشوق إلى قاتل الحسين ممّن أطاع الله إلى الجنّة، قال: فبينا جبرائيل (عليه السلام) يهبط من السماء إلى الدنيا إذْ مرّ بدردائيل فقال له دردائيل: يا جبرائيل، ما هذه الليلة في السماء؟ هل قامت القيامة على أهل الدنيا؟ قال: لا، ولكن ولد لمحمدٍ (ﷺ) مولود في دار الدنيا، وقد بعثني الله ـ عزّوجلّ ـ إليه لأهنّيه بمولوده، فقال له الملك: يا جبرائيل، بالذي خلقني وخلقك إنْ هبطت إلى محمدٍ فأقرأه منّي السلام، وقل له: بحقّ هذا المولود عليك إلاّ ما سألت ربّك أن يرضى عنّي ويردّ عليّ أجنحتي ومقامي من صفوف الملائكة، فهبط جبرائيل على النبيّ (ﷺ) فهنّاه كما أمره الله ـ عزّوجلّ ـ وعزّاه، فقال له النبيّ (ﷺ) : تقتله أمّتي؟ فقال له: نعم يا محمد، فقال النبي (ﷺ) : ما هؤلاء بأمّتي أنا بريء منهم والله بريء منهم، فدخل النبيّ (ﷺ) على فاطمة فهنّاها وعزّاها، فبكت فاطمة (عليها السلام) ثمّ قالت: يا ليتني لم ألده، فقال النبيّ (ﷺ) وأنا أشهد بذلك...الخ[1].

---

(١) إحقاق الحق ١١ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

الخامس والأربعون

ذكره العلاّمة ابن المغازليّ في «المناقب»[١].

السادس والأربعون

ممّن روى الحديث المتقدّم بعينه: العلاّمة أبو اليقظان الكازرونيّ في «شرف النبي»[٢] على مناقب الكاشي.

السابع والأربعون

وممّن رواه العلامة القندوزيّ الحنفيّ في «ينابيع المودّة»[٣].

الثامن والأربعون

وممّن رواه: العلامة ابن الصبّان المصريّ في «إسعاف الراغبين»[٤].

التاسع والأربعون

وممّن رواه: العلامة الشبلنجيّ في «نور الأبصار»[٥].

الخمسون

وممّن رواه: العلامة السخاويّ في «المقاصد الحسنة»[٦].

---

(١) مناقب ابن المغازلي ص ٤٠٣ و٦٦ ط ٢، ١٤٠٢ م الاسلامية طهران.

(٢) شرق النبي على مناقب الكاشي ص ٢٥٢ مخطوط.

(٣) ينابيع المودّة ص ٢٦٢ ط اسلامبول.

(٤) اسعاف الراغبين ص ١٨٦ مصر.

(٥) نور الأبصار ص ١٢٧ مصر.

(٦) المقاصد الحسنة ص ٣٠٢ ط مكتبة الخانجي، مصر.

الحادي والخمسون

وممّن رواه العلاّمة ابن الربيع الشيباني في «تمييز الطيّب من الخبيث»(١).

نتابع موضوع حمل الرأس ـ والطواف به في البلدان مع السبايا والذي أنكره الشيباني...مع متابعة التسلسل:

الثاني والخمسون

قال العلاّمة الشبلنجي في كتابه «نور الأبصار»: ...فلمّا دخلوا بهم ـ نساء آل محمد الذين أسرهم عمر بن سعد ثمّ صيّرهم من كربلاء إلى الكوفة فأدخلهم على الوالي ـ على عبيدالله بن زياد، أرسل بهم رأس الحسين معهم إلى الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخصٍ يقال له: زجر بن قيس ومعه جماعة هو مقدمهم، وأرسل بالنساء والصبيان على أقتابٍ ومعه عليّ بن الحسين، وقد جعل ابن الزياد الغلّ في يديه وعنقه، ولم يزالوا سائرين بهم على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الشام، فتقدّم زجر بن قيس فدخل على يزيد فقال له: هات ماوراءك؟ قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره؛ ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته...».

ثم يقول الشبلنجي تحت عنوان «فصل»: اختلفوا في رأس الحسين(رضي الله عنه) ـ بعد مسيره إلى الشام إلى أين سار وفي أي موضع استقر؟ فذهبت طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف به في البلاد، فطيف به حتى انتهي إلى عسقلان فدفنه أميرها بها...الخ(٢).

(١) تمييز الطيّب من الخبيث ص ١٣٩، مصر.

(٢) نور الأبصار ص ١٣١ ـ ١٣٣ ط صر.

الثالث والخمسون

ممّن روى الحديث المتقدّم: الشيخ محمد الصبّان في كتابه «إسعاف الراغبين»(١) المطبوع بهامش نور الأبصار.

الرابع والخمسون

ذكر ابن جرير الطبريّ في تأريخه عندما تطرّق لحديث الحسين (عليه السلام) : أنّ يزيد بن معاوية الشارب الخمر هو الذي جهّز الناس لحرب الحسين بن عليّ(عليه السلام) بإيعازٍ إلى عبيدالله بن زياد الذي ضمّ إليه و لاية الكوفة مع ولاية البصرة(٢).

الخامس والخمسون

ابن الأثير في الكامل يذكر صفات يزيد بن معاوية الشارب الخمر، وما جرى في زمنه، وإقدامه على حرب الحسين (عليه السلام) (٣).

السادس والخمسون

ذكر الخوارزميّ في مقتل الحسين: أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) أمر بقتل معاوية ابن أبي سفيان، وهو الذي قال (صلى الله عليه وآله) : «إنّ الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان»(٤).

ولا ينكر أنّ يزيد بن معاوية داخل في عموم قول النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، فإنّ يزيد

---

(١) إسعاف الراغبين ص / ١٨٩ ط مصر.

(٢) تاريخ الطبري ٧ / ٢١٦.

(٣) انظر تفاصيل ذلك في الكامل لابن الأثير ٣ / ٢٦٤.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١٨٥ واللهوف في قتل الطفوف ٢٠.

هو من آل أبي سفيان نسباً وعقيدة.

قال شارح الشفا؛ ملا علي ابن سلطان محمد القاري الحنفي: وقال ـ أي النبي عليه الصلاة والسلام ـ كما في الصحيحين هلاك امّتي على يدي أغيلمه تصغير تحقير لا غلمة جمع غلام، يعني صبيان من قريش، وفي رواية أعوذ بالله من إمارة الصبيان.

وقال (صلى الله عليه وآله) : إن أطعتموهم أذلتكم وإن عصيتموهم أهلكتكم إذْ هم صغار الانسان. وقال أبو هريرة راويه ـ أي راوي هذا الحديث: لو شئت لسميتهم لكم، أي بيّنتهم، وقلت لكم أنّهم بنو فلان وبنو فلان، لكني ما أشاء تسميتهم صريحاً خوف الفساد والفتنة، إلاّ أن في العبارة إشارة بالكناية، والمراد يزيد بن معاوية، فانّه بعث إلى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فأباحها ثلاثة أيّام فقتل من خيار أهلها كثيراً؛ فيهم ثلاثة من الصحابة، وأزيلت بكارة ألف عذراء. وبعده بنو مروان بن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما أوجب أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) تبرّأ منهم.

كما رواه الشيخان أنه قال أنّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء ولكن لهم رحم سأبلها ببلالها، فالمكنّى هو الحكم بن العاص وبنوه فانّهم آله، فكنّى عنهم بعض رواة هذا الحديث حذراً منهم إذ كانوا ولاة الأمر وأصحاب الشر.

هذا وقد قال القرطبي هم والله تعالى اعلم يزيد بن معاوية، وعبدالله بن زياد ومن جرى مجراهم من احداث ملوك بني أمية[١].

السابع والخمسون

مما يؤكّد انحراف بني أُميّة، وانتهاكهم للحرمات، وتعطيلهم للحدود، وإظهارهم للفساد والفجور، وتحكّمهم في رقاب الناس، وظلمهم للعباد، قول الحسين (عليه السلام) لمّا أراد الوقوف بوجه يزيد وإعلان الحرب عليه:

---

(١) شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفاء ١ / ٣٩٧، م دار الطباعة.

«أيّها الناس، إنّ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعُدوان فلم يُغيّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ كان حقّاً على الله أن يدخله مَدْخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله...»[١].

وتعضيداً لِما ذُكر: نقل المتّقيّ الهنديّ بسنده عن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة، وعن عمر؛ كلٌّ روى عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنّه قال: «أحبّ الناس إلى الله يوم القيامه وأدناهم مجلساً إمامٌ عادلٌ، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه إمام جائر». وفي لفظٍ آخر: «وأشدّهم عذاباً إمام جائر»[٢].

الروايات عديدة من الفريقين تؤكّد على مجابهة حكّام الظلم والجور والوقوف بوجههم؛ كيلا يستشري الفساد بين الناس، وأن لا يستغلّ الطغاة الأُمّة وأن لا يستعبدوها. لهذا تنبأ الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عمّا سيجري على الأُمّة من بعده، وما سيفعله حكّام بني أُمّية.

وعليه، فقد أمر الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بقتل معاوية فيما لو شوهد على منبره، وللاطّلاع راجع تأريخ الطبري[٣]. وتهذيب التهذيب[٤]. وكتاب صفين[٥]. وشرح النهج[٦]. وكنوز الدقائق للمناوي على هامش الصغير[٧]. واللئالي

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣ / ٢٠٠، أنساب الأشراف ٣ / ١٧١، تاريخ الطبري ٧ / ٣٠٠.

(٢) كنز العمال ٦ / ٩ و١٥، منشورات مكتبة التراث الاسلامي، حلب ط ١، ١٩٧١.

(٣) تاريخ الطبري ١٢ / ١٨١ و١١ / ٣٥٧.

(٤) تهذيب التهذيب ٢ / ٤٢٨.

(٥) كتاب صفين ٢٤٣.

(٦) شرح النهج ١ / ٣٤٨.

(٧) كنوز الدقائق على هامش الصغير ١ / ١٨.

المصنوعة للسيوطي[١]. وميزان الاعتدال للذهبي[٢]. وسير أعلام النبلاء[٣].

كما أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) لعن أبا سفيان ومعاوية ويزيد. أُنظر تأريخ الطبري[٤]. وكتاب صفّين[٥].

وفي تذكرة الخواص لابن الجوزي: أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) لمّا رأى أبا سفيان على جملٍ وابنه معاوية يسوقه ويزيد يقوده قال (صلى الله عليه وآله) : «لعن الله الراكب والقائد والسائق»[٦].

الثامن والخمسون

وعلى هذا تأكّد كفر يزيد وجواز لعنه بإجماع الأُمّة، فهذا العلاّمة الآلوسي أحدهم يقرر ذلك، فقال: من يقول ان يزيد لم يعص بذلك ولا يجوز لعنه فينبغي أن ينتظم في سلسلة أنصار يزيد، وأنا أقول أنّ الخبيث لم يكن مصدّقاً بالرساله للنبي (صلى الله عليه وآله) وان مجموع ما فعله مع أهل حرم الله وأهل حرم نبيّه(صلى الله عليه وآله) وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من القاء ورقة من المصحف الشريف في قذر ولا أظن أنّ أمره كان خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك ولكن كانوا مغلوبين مقهورين ولم يسعهم إلا الصبر ولو سلم ان الخبيث كان مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر مالا يحيط به نطاق البيان وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين ولو لم يتصوّر أن يكون له مثل من الفاسقين والظاهر أنه لم

(١) اللئالي المصنوعة ١ / ٣٢٠.
(٢) ميزان الاعتدال ١ / ٢٦٨ ؛ انظر ترجمة الحكم بن ظهير.
(٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٩٩.
(٤) تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٧؛ انظر حوادث ٢٨٤ هـ
(٥) كتاب صفين ص ٢٤٧.
(٦) تذكرة الخواص ص ١١٥ ط ايران.

يتب واحتمال توبته أضعف من ايمانه[١].

التاسع والخمسون

وفي رسائل الجاحظ: «المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين وحمله بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبايا وقرعه ثنايا الحسين بالعود واخافته أهل المدينة وهدم الكعبة تدلّ على القسوة والغلظة والنصب وسوء الرأي والحقد والبغضاء والنفاق والخروج عن الإيمان، فالفاسق ملعون ومن نهى عن شتم الملعون فملعون[٢].

الستّون

نقل ابن خلدون في مقدّمته الاجماع على فسق يزيد، وانه لا يكون صالحاً للإمامة ومن أجله كان الحسين (عليه السلام) يرى من المتعيّن الخروج عليه وقعود الصحابة عن نصرة الحسين لا لعدم تصويب فعله بل لأنهم يروا عدم جواز إراقة الدماء فلا يجوز نصرة يزيد بقتال الحسين بل قتله من فعلات يزيد المؤكّدة لفسقه والحسين فيها شهيد[٣].

الحادي والستّون

ان الامام أحمد بن حنبل سأله ـ يوماً ـ ابنه عبدالله عن لعن يزيد، قال: كيف لا يلعن من لعنه الله في كتابه، فقال عبدالله قرأت كتاب الله عزوجل فلم أجد فيه لعن يزيد. فقال الامام أحمد: ان الله يقول: ﴿**فهل عسيتم أن تولّيتم أن**

---

(١) تفسير روح المعاني ج٢٦ ص٧٣، انظر تفسير الآية: ﴿فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله﴾ ومابعدها. سورة محمد(صلى الله عليه وآله) / ٢٢ ـ ٢٣، ط بيروت سنة ١٩٨٥م.

(٢) رسائل الجاحظ، الرسالة الحادية عشر في بني أُميّة، ص ٢٩٨.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٥٤ فصل ذكر ولاية العهد.

تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله﴾[١] وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد؟![٢].

الثاني والستّون

قال ابن الجوزي في كتابة السرّ المصون برواية ابن مفلح الحنبلي: من الاعتقادات العامية التي غلبت على جماعة من المنتسبين إلى السنّة انهم قالوا كان يزيد على الصواب والحسين مخطيء في الخروج عليه، ولو نظروا في السير لعلموا كيف عقدت البيعة له والزم الناس بها ولقد فعل مع الناس في ذلك كل قبيح، ثم لو قدرنا صحة خلافته فقد بدرت منه بوادر وظهرت منه أمور كل منها يوجب فسخ ذلك العقد من نهب المدينة ورمي الكعبة بالمنجنيق وقتل الحسين وأهل بيته وضربه على ثناياه بالقضيب وحمل رأسه على خشبة، وانما يميل إلى هذا جاهل بالسيرة عامي المذهب يظن أنه يغيظ بذلك الرافضة[٣].

وفي موطن آخر قال سبط ابن الجوزي: سئل ابن الجوزي عن لعن يزيد، فقال: قد أجاز أحمد لعنه ونحن نقول لا نحبّه لما فعل بابن بنت نبيّنا وحمله آل رسول الله سبايا إلى الشام على اقتاب الجمال وتجرّيه على رسول الله، فان رضيتم بهذه المصالحة بقولنا لا نحبّه وإلاّ رجعنا إلى أصل الدعوى جواز لعنته[٤].

---

(١) سورة محمدﷺ / ٢٢.

(٢) انظر تفسير الآلوسي بحث الآية الآنفة الذكر.

(٣) انظر الفروع، باب قتال أهل البغي ج ٣ / ٥٤٨ ط المنار، ١٣٤٥ هـ.

(٤) مرآة الزمان، حوادث سنة ٥٩٧ هـ، ج٨ / ٤٩٦.

الثالث والستّون

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: كان يزيد بن معاوية ناصبيّاً فظّاً غليظاً جلفاً يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل الشهيد الحسين وختمها بوقعة الحرّة فمقته الناس ولم يبارك في عمره[١].

الرابع والستّون

قال الشوكاني: لقد أفرط بعض أهل العلم فحكوا بأن الحسين السبط (ﷺ) وأرضاه باغٍ على الخمّير السكّير الهاتك لحرمة الشريعة المطهّرة يزيد بن معاوية لعنهم الله فيا للعجب من مقالات تقشعرّ منها الجلود ويتصدّع من سماعها كل جلمود[٢].

---

(١) انظر الروض الباسم ج ٢ / ٣٦ محمد بن ابراهيم الوزير اليماني.

(٢) نيل الأوطار ٧ / ١٤٧.

- ٢ -

مناقشة حمد العرينان

في مقالته



نشر الدكتور حمد العرينان مقالةً[١] تحت عنوان: «إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القديمة والحديثة».

تعرّض الدكتور في مقالته إلى أكبر حدثين في التأريخ الإسلامي، فعمد إلى رفضهما بعدما حاول ـ عبثاً ـ إقامة الدليل على فكرته.

أراد الكاتب أن ينفي هذين الحدثين الكبيرين بعدما أطبقت المصادر جميعها على وقوعهما في عهد يزيد بن معاوية، إذ كان حريق الكعبة واستباحة المدينة من قبله لمدّة ثلاثة أيام على يد مسلم بن عقبة المرّيّ مع جيشٍ جهّزه يزيد وأرسله إلى الحجاز لهذا الغرض.

يقول ابن حجر العسقلانيّ في «تهذيب التهذيب» في ترجمة يزيد بن معاوية: (...وأرسل الجيوش إلى الحسين فقُتل، كما تقدّم في ترجمته سنة إحدى وستّين. ثمّ خرج أهل المدينة على يزيد وخلعوه سنة ثلاث وستّين، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرّيّ، وأمره أن يستبيح المدينة ثلاثة أيّام، وأن يبايعهم على أنّهم خول وعبيد ليزيد، فاذا فرغ منها نهض إلى مكّة لحرب ابن الزبير، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل بها خلقاً من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين، وأفحش القضية إلى الغاية. ثمّ توجّه إلى مكّة فأخذه الله تعالى قبل وصوله، واستخلف على الجيش حصين بن نمير السكوني، فحاصروا ابن الزبير، ونصبوا على الكعبة المنجنيق، فأدّى ذلك إلى وهي أركانها ووهي بنائها

---

(١) انظر مجلّة كلّية الآداب الصادرة من جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، العدد الخامس لعام ٧٧/ ٧٨ م.

ثمّ أُحرقت...)[١].

وهناك عشرات المصادر التأريخية القديمة التي ذكرت الحادثتين، ناهيك عن المصادر التأريخية الحديثة. ولا تعليق لنا على هاتين الحادثتين؛ لأنّهما من باب المسلّمات، وما جاء به الكاتب كالذي ينفخ في رماد. غير أن الكاتب التمس دليله في الماء العكر عندما أراد نفي الحادثتين. وصبّ اهتمامه على كتاب الطبريّ فقط، مدّعياً أنّه المصدر الوحيد لنقل الحادثتين، وأنّ راويهما هو لوط بن يحيى المعروف بأبي مخنف.

ولمّا أراد الكاتب ـ من خلال تعصّبه الشديد لبني أُميّة ـ أن يثبت نزاهة يزيد بن معاوية وبراءته من تلك القبائح الشنيعة والأفعال المخلّة بعدالته، بل والمثبتة لفسقه وكفره[٢]، على أنّ جرائمه كثيرة وقبائحه لا تعدّ ولا تحصى، إلاّ أنّ من أبرزها واقعة الطفّ، ثمّ واقعة الحرّة، ثمّ حريق الكعبة، فما كان من «العرينان» إلاّ أن يدافع عن معشوقه وأميره في الضلال يزيد بن معاوية، فعمد إلى رواية لوط بن يحيى ليرفضها بالمرّة؛ لأنّه شيعيّ، ورواية الشيعيّ لا تصحّ عند مذهبه كما يزعم...!!

أقول: كما أسلفت في الصفحات السابقة: أنْ أترك بحث الحادثتين للعرينان لأنّهما من البديهيّات في وقوعهما والتي قد تسالم عليهما أرباب التأريخ والتدوين قديماً وحديثاً ولا ينفعنا ما جاء به الكاتب فشأنه كمن يحجب عينيه بكمّه عن نور الشمس ليقول بمقالة من أنكر الشمس وهي في رابعة النهار.

بل حديثنا معه في لوط بن يحيى.

وخلاصة حديث العرينان وكل ما في كنانته هو ان لوط بن يحيى شيعي

---

(١) تهذيب التهذيب ١١ / ٣٦١، ط ١ حيدر آباد، الهند.

(٢) لقد ثبت فسق يزيد وكفره عند كثيرٍ من علماء السّنة وكبار مشايخهم.

تالف ولا يجوز الأخذ بروايته، وليس هناك مصدر أقدم من تأريخ الطبريّ في نقل الحادثتين!

أقول: بعد استقرائنا لكثيرٍ من المصادر القديمة المقاربة لتأريخ الطبريّ في التأليف فلم نجد فيها ذكراً للطبري في نقل الحادثتين حتى نجعله على صدر قائمة المصادر التأريخية. هذا من جهة.

ومن جهةٍ ثانيةٍ: هناك قائمة من الكتب التأريخية التي أُلِّفت قبل تأريخ الطبري، علماً أن وفاة ابن جرير الطبري كانت سنة (٣١٠ هـ).

فهناك عوانة بن الحكَم المتوفّى سنة (١٥٨ هـ)، وهو معاصر للوط بن يحيى، وله كتب في التأريخ، إلاّ أنّها لم تصل إلينا.

وكذلك هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ الكوفيّ انتسابه (ت ٢٠٦ هـ) قبل الطبريّ..

ومحمد بن عمر الواقدي (١٣٠ ـ ت ٢٠٧ هـ) قبل الطبريّ.

وأبو الفضل نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ)، وله كتاب «وقعة صفّين».

وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، وابن واضح البغدادي (اليعقوبي).

وابن قتيبة (ت ٣٢٢ هـ)، معاصر للطبري، وله كتاب «الإمامة والسياسة».

وابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، معاصر للطبري، وله كتاب «العقد الفريد».

وعلي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، وله كتاب «إثبات الوصية».

والحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، وله كتاب «المعجم الكبير».

فهؤلاء من مشاهير علماء التاريخ الذين سبقوا ابن جرير الطبريّ في تدوين التأريخ، أو ممّن عاصروه.

و«العرينات» في مقالته تلك عمد إلى رفض الحادثتين؛ لكون المصادر المتأخِّرة تروي عن الطبري، والطبريّ يرويها عن لوط بن يحيى.

إذن رواية هؤلاء مردودة: إمّا بتهمة ميولهم إلى التشيّع، أو لأنّهم يستندون في روايتهم على الطبريّ.

وكما عرفت من خلال رواية ابن حجر العسقلانيّ في تهذيب التهذيب المتقدّمة وروايات عديدةٍ لمصادر قديمةٍ شتّى أن ليس فيها ذكر لابن جرير الطبريّ ولو من بعيد.

كما أنّ سند روايتها لم ينته إلى لوط بن يحيى، وليس له ذكر فيها.

فكيف أباح الدكتور العرينات لنفسه أن يتّهم الصدر الأوّل من الكتّاب والمؤلّفين ويطعن بروايتهم؟

ولماذا هو يرفض رواية الطبريّ في هاتين الحادثتين فقط، ثمّ يعتمد عليه في بقية الحوادث ويجعله الكتاب الأساس للتاريخ؟

ولماذا يطعن برواية هؤلاء في تلك الحادثتين دون غيرهما؟

ولماذا يكون على حذر في التعامل مع من كان ميوله إلى التشيّع؟

وكيف يُسيئ الظنّ برواية الطبريّ في هاتين الحادثتين دون غيرهما من الحوادث؟

بل كيف يجزم الكاتب أن تأريخ الطبريّ هو الأساس في نقل هاتين الحادثتين؟

ثمّ كيف يجزم العرينان بعدم الأخذ برواية علماء الشيعة عند أهل السّنة؟

ثمّ لماذا لم يتحرَّ الكاتب الدّقّة في شخصيّة لوط بن يحيى؟ بل إنه اتبع ملّة أسياده في تأييد الباطل والإيغال فيه.

هذه جملة من الأسئلة، وعلى المُنصِف أن يسلك الطريق العلميّ والمنطقيّ لإحقاق الحقّ ونبذ الباطل، **﴿إنّ الباطل كان زهوقاً﴾**.

ولست أدري هل أن الكاتب عجز عن البحث والتدقيق، أم أعيته السُبل، أم في قلبه نفثات لابدّ من إخراجها وإن كانت هي مسمومة؟!

يحاول العرينان أن يردّ رواية لوط بن يحيى بأيّ شكلٍ من الأشكال؛ لذا يقول عنه: (وهذا شيعيّ لا يمكن الاعتماد على روايته)!

أقول: ما هو المقياس عند العرينان في ردّ أخبار لوط بن يحيى؟ هل أنّه كذّاب؟

فلم توجد بين أيدينا رواية تقدح فيه أو تُنسبه إلى الكذب، بل ورد المدح والثناء بحقّه، هذا عند كتب الخاصّة. وأما عند العامة فكذلك لم يُوجد عندهم أيّ نصٍّ يذهب إلى اتهام لوط بن يحيى بالكذب أو الفسق...

إذن، ما المقياس المعتمد عند العرينان؟

يبدو أن مقياسه هو كون الراوي شيعيّاً فحسب! وكما صرّح به في مقالته استناداً إلى بعض كتبهم في حقل التراجم والرجال.

أقول: إذا كان العرينان يريد أن يدخل إلى تفنيد أخبار الواقعتين ـ اباحة المدينة وحريق الكعبة ـ من هذه الزاوية فهذا يعني أنّه لا يعتمد على أيّة رواية في سندها شيعي. وإذا كان كذلك فأمره عجيب جداً! حيث نجد في أسانيد الكثير من روايات أهل السنّة ـ من كتب الصحاح الستّة وغيرها ـ رواةً من الشيعة، ومع ذلك مدحوا الرواية متناً وسنداً ووثّقوا رجالها.

فهناك أكثر من (٣٠٠) رواية في أسانيدها رجال من الشيعة.

وقد أفرد العلاّمة عبد الحسين شرف الدين في المراجعة (١٦) فصلاً في ذلك، وذكر مائة اسم من رواة الشيعة في أسانيد أهل السنّة، وذكرهم على سبيل المثال لا الحصر[1].

وكذلك ذكر العلاّمة الأميني طائفةً من أُولئك في المجلد الثالث من

---

(١) انظر المراجعات / المراجعة (١٦).

الغدير[١]. فماذا يقول العريان في ذلك؟!

ثمّ لدينا نقاش مع العرينان في الفحص عن هويّة لوط بن يحيى وإليك طرفاً من ترجمته وشأنه:

لوط بن يحيى في مصادر الشيعة

١ ـ قال النجاشي (المتوفّى سنة ٤٥٠ هـ): لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الأزديّ الغامدي، أبو مخنف، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يسكن إلى ما يرويه، روى عن جعفر بن محمد (عليه السلام) . وقيل: إنّه روى عن أبي جعفر (عليه السلام) ولم يصحّ...[٢].

٢ ـ قال الطوسيّ: (المتوفّى سنة ٤٦٠ هـ) في الفهرست: لوط بن يحيى يكنّى أبا مخنف، من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ومن أصحاب الحسن والحسين (عليهما السلام) على ما زعم الكشّيّ، والصحيح أنّ أباه كان من أصحاب عليٍّ (عليه السلام) وهو لم يلقه. له كتب كثيرة في السيرة[٣].

وفي رجاله ذكره ـ تبعاً للكشيّ ـ تارةً من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأُخرى من أصحاب الحسن (عليه السلام) ، وثالثةً من أصحاب الحسين (عليه السلام) ، ورابعةً من أصحاب الصادق (عليه السلام) [٤].

٣ ـ قال ابن شهرآشوب (المتوفّى سنة ٥٨٨ هـ) في المعالم: لوط بن يحيى الأزدي، أبوه من أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) ، له

(١) الغدير للعلاّمة الأميني المجلد ٣.

(٢) رجال النجاشي / ص ٣٢٠.

(٣) الفهرست / ص ١٢٩.

(٤) رجال الطوسي ص٥٧ و٧٠ و٧٩ و٢٧٩.

كتب كثيرة في السير: كمقتل الحسين (عليه السلام)، ومقتل محمد ابن أبي بكر، ومقتل عثمان، والجمل، وصفّين، وخطبة الزهراء (عليها السلام) [١].

٤ ـ ابن داود الحلّي (المتوفّى سنة ٧٠٧ هـ) قال في رجاله: ولوط بن يحيى روى عن الحسن والحسين والصادق (عليهم السلام) [٢].

٥ ـ وقال العلامة الحسن بن يوسف الحلّي (المتوفّى سنة ٧٢٦ هـ): لوط ابن يحيى بن سعيد بن مخنف بن أسلم الأزديّ الغامدي، أبو مخنف رحمه الله، شيخ اصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يسكن إلى ما يرويه. روى عن جعفر ابن محمد (عليه السلام) [٣].

٦ ـ قال العلامة الصدر في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: قلت: لا يرمونه بغير التشيّع، وهو عند أهل العلم منهم لا ينافي الوثاقة، وقد اعتمد عليه أئـمّة السنّة كأبن جرير الطبري وابن الأثير، خصوصاً ابن جرير قـد شـحن تأريـخه الكبير من رواية أبي مخنف [٤].

٧ ـ وقال العلاّمة شرف الدين ـ بعدما عدّ في المراجعات مائةً من رجال الشيعة في أسناد السنّة. بل حتّى صحاحهم وعيّن مواضعه ـ قال: وخلاصة القول فيه: ينبغي التأمّل في كونه شيعيّاً لا إمامياً كما صرّح به ابن أبي الحديد، فهو كلام متين، وإنّما عدّه بعض العامّة شيعيّاً على ما تعوّدوا عليه بالنسبة إلى من يميل إلى أهل البيت (عليهم السلام) بالمودّة والمحبّة والهوى، ولم يصرّح أحد من علماء الشيعة السابقين بتشيّعه، وإنما وصـفه النـجاشي بأنّـه (كـان شـيخ أصـحاب الأخـبار بالكوفة) ولم يقل: شيخ أصحابنا، ولا شيخ أصحاب أخبارنا. على أيٍّ لم يثبت

---

(١) معالم العلماء ص٩٤.

(٢) رجال ابن داود / ص ١٥٧.

(٣) رجال العلامة الحلّي / ص ١٣٦.

(٤) تأسيس الشيعة / ص ٢٣٥ ط بغداد.

الرجل كونه إمامياً، نعم، يصحّ القول عنه شيعياً؛ لأنّه يميل إلى محبّة أهل البيت(عليهم السلام) .

هذه بعض أقوال علماء الشيعة في لوط بن يحيى.

أقوال علماء السنّة في لوط بن يحيى

١ ـ قال في القاموس في مادّة (خ ن ف): وأبو مخنف لوط بن يحيى أخباريّ شيعيّ تالف متروك[(١)].

٢ ـ وقال ابن أبي الحديد: وأبو مخنف من المحدّثين، وممّن يرى صحّة الإمامة بالاختيار، وليس من الشيعة، ولا معدوداً من رجالها، توفّي لوط سنة (١٥٨ هـ). وسبب تضعيف روايته عند العامّة هو ما قاله في القاموس[(٢)].

٣ ـ وقال الذهبي: ...أخباريّ تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره. وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرّة: ليس بشيء. وقال ابن عدي: شيعيّ محترق صاحب أخبارهم[(٣)].

وثاقة لوط بن يحيى

ممّا تقدّم من نصوص اتّضح لنا: أنّ لوط بن يحيى لم يكن من أصحاب الإمام عليٍّ (عليه السلام) ، ولا من أصحاب الامام الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر (عليهم السلام) . بل إنّه من أصحاب الإمام جعفر بن محمد

(١) القاموس / (مادّة خ ن ف).
(٢) انظر تأسيس الشيعة / ص ٢٣٥.
(٣) ميزان الاعتدال ٣ / ٢٣ ط مطبعة الحلبي.

الصادق (عليهما السلام) ؛ لأنّ جدّه سعيد بن مخنف لم يشهد صفّين لصغره، وكان أخوه ـ محمد بن مخنف ـ لمّا شهد صفين ابن سبع عشرة سنة. ومعركة صفّين كانت عام (٣٧ هـ)، وهذا يكشف لنا أنّ ولادة محمد بن مخنف ـ عم أبي لوط ـ كانت في عام (٢٠ هـ)، وسعيد كان أصغر منه، وليكن ولادته مقاربةً لأخيه، أي: بعد عام (٢٠ هـ) بقليل.

وقد أكّد الأخ المحقّق الشيخ اليوسفيّ في تحقيقه لكتاب وقعة الطف ما ذهبنا إليه، إذ يقول: إنّ لوط بن يحيى لم يكن من أصحاب الإمام عليّ وولديه الحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن عليّ الباقر (عليهم السلام) ، بل إنّه من أصحاب الصادق (عليه السلام) ، فهو لم يرو عن الإمام عليّ، كما أنّه لم يروِ عن الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) ، وكذلك أنّه لم يروِ مباشرةً عن الإمام عليّ بن الحسين، بل إنّه روى عنه (عليه السلام) بواسطتين، وكذلك لم يروِ عن الإمام محمد الباقر، بل روى عنه بواسطة. وأمّا روايته عن الإمام جعفر بن محمد الصادق فهي بضع رواياتٍ بلا واسطةٍ. ثمّ إنّه لم يروِ عن الإمام الكاظم (عليه السلام) على أنّه عاش بعد الإمام الصادق عشر سنوات، حيث وفاته كانت في (١٥٨ هـ)، فهو كان معاصراً للإمام الكاظم (عليه السلام) عشر سنين.

وقال المحقّق اليوسفي: وهذا ممّا قد يُدلّنا على أنّه لم يكن شيعيّاً ومن صحابة الأئمّة بالمعنى المصطلح الشيعيّ الإماميّ الذي يعبّر عنه عند العامة بالرافضي، وإنّما كان شيعيّاً في الرأي والهوى، كأكثر الكوفيّين، غير رافضٍ لمذهب عامّة المسلمين آنذاك.

وقد يكون مما يؤيّد هذا: أنّ أحداً من العامّة لم يرمِهِ بالرفض كما هو المعروف من مصطلحهم، إنّهم لا يقصدون بالتشيّع سوى الميل إلى أهل البيت (عليهم السلام) . وأمّا من علموا منه اتّباع أهل البيت (عليهم السلام) في مذهبه فإنّهم يرمونه بالرفض لا التشيّع فحسب، وهذا هو الفارق في مصطلحهم بين

الموردين[١].

وتعقيباً لما ذكر في التفريق بين مصطلح الشيعيّ والرافضي، قال ابن عابدين في رسائله: (من شكّ في كفرهم ـ الشيعة ـ فهو كافر)[٢].

وفي الخلاصة يقول: (الرافضيّ إذا كان يسبّ الشيخين ويلعنهما فهو كافر، وإن كان يفضّل علياً عليهما فهو مبتدع).

هذه نبذة مختصرة عن لوط بن يحيى في أهمّ المصادر الرجاليّة عند الفريقين، واني ذهبت إلى أنّ الرجل ليس فيه مغمز، ولا فيه طعن من حيث عقيدته، بل إنّ كتب الحديث عند جمهور المسلمين كانت تروي عنه، عدا البعض أعرض عنه؛ لكونه شيعيّا فحسب. وقد عرفت أنّ مصطلح الشيعيّ عند بعض إخواننا السنّة غير مصطلح رافضي، وعلى هذا فيكون الأمر بإجماع المسلمين على سلامة مرويّات لوط بن يحيى، وهذا يخالف منهج ومسلك حمد العرينان. ومن ثمّ لا ثمرة علمية لكلّ ما ذهب إليه العرينان في ردّ أخبار ابن جرير الطبريّ في صدد واقعة الحرّة وحريق الكعبة، بل إنّ الموضوع في غاية السخرية، وما جاء به العرينان ممّا يضحك الثكلى لوهنه، وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت...

(١) وقعة الطف، تحقيق اليوسفي / ص ١٩.

(٢) رسائل ابن عابدين ٢ / ١٦٩.

- ٣ -

مع الصالحيّ النجف آبادي

وكتابه «شهيد جاويد»

(الشهيد الحيّ)

يعتبر الشيخ الصالحي النجف آباديّ أحد مدرّسي الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، ينحدر من عائلةٍ فقيرةٍ من منطقة (نجف آباد) التابعة إلى محافظة أصفهان.

عُرف النجف آباديّ بكتابه «شهيد جاويد» الذي صدرت الطبعه الأُولى منه في سنة (١٣٥٠ هـ ش) المصادف (٥ رجب ١٣٩١ هـ ق)، وقد ادّعى مصنّفه أنّه أمضى في تأليفه سبع سنين...

تكرّر طبع الكتاب في قم ثلاثة عشر مرّة، وقد تضمّن عدّة تقاريض، منها: تقريض للشيخ آية الله المنتظري، إذ أبدى إعجابه بالكتاب وأثنى عليه كثيراً، حتى قال: إنّني تلذّذت في مطالعتي للكتاب، وإنّه ينفع المحقّقين والجامعيّين لما فيه من تحليلٍ ودراسة.

لا يهمنا صدق عبارات المقرّظ بقدر ما يهمّنا من انه وثيقة مهمة في وقتها دعمت الكتاب، وأضفت عليه صبغة علمية وأطّرته بالعمق في الدراسة والتحقيق، بل أغرت المطالع من خلال القدسيّة التي منحتها للكتاب ولمؤلّفه...

كما قرّض الكتاب عدّة علماء وفضلاء، كما هو في مقدّمة الطبعة الحادية عشرة عام (١٣٦٠ هـ ش)، طبعة مؤسّسة خدمات فرهنگي «رسا». و إليك أسماء المقرِّضين:

التقريض الأول: لآية الله الحاج السيّد (أبو الفضل مجتهد زنجاني موسوي)، من طهران، تأريخ التقريض (٢٥ صفر ١٣٩١ هـ ق).

التقريض الثاني: بقلم آية الله الشيخ الحاج محمد شريعت أصفهاني من باكستنان، تاريخ التقريض في غرّة ربيع الأول (١٣٩١ هـ ق).

التقريض الثالث: بقلم الأُستاذ محمد تقي الجعفريّ في (١٣٥١/٣/٢١ هش).

التقريض الرابع: بقلم حجّة الإسلام علاّمة من بم كرمان، وقد أرسل للمصنّف رسالتين، وكانت إحداهما مؤرّخة في (١٢ محرم ١٣٩١ هـ ق).

التقريض الخامس: بقلم الكاتب أحمد آرام في (١٠ فروردين ١٣٥١ هش).

التقريض السادس: بقلم آية الله ضيابري من رشت في (٢٠ شعبان ١٣٩١ هـ ق).

التقريض السابع: صادر من الاتّحاد الإسلاميّ لطلبة كلّيّة الصناعة، (دانشگاه صنعتي آريا مهر) طهران في (١٣٥٠/٨/١ هـ ش).

التقريض الثامن: بقلم الشاعر محسن خيّاطان (خاتم) طهران.

التقريض التاسع: بقلم آية الله حسين عليّ منتظري قم في (١٥ صفر ١٣٩٠ هـ).

التقريض العاشر: بقلم آية الله علي المشكيني قم في (٤ ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ).

علماً بأن هذا التقريض في الطبعة الثالثة عشرة لم يثّبت، ويبدو أن الشيخ المشكينيّ أدرك تفاهة الكتاب وعدم جدوى تقريضه.

أقول: وكأنّما المصنّف كان يدرك مسبقاً أنّ ما يكتبه سوف يثير حفيظة العالم الإسلامي والشيعيّ بصورةٍ خاصّةٍ لما في الكتاب من إساءةٍ للعقلية الشيعيّة، ولتأريخ هذه الأُمّة وتراث أهل البيت، والنيل من قدسيّة سيد الشهداء ويوم الطفّ، لذا عمد إلى أُولئك المقرّضين ليحمّلهم نصيباً من تلك المسؤوليّة، ولا أدري كيف تقبّل هذا اللفيف من العلماء والكتّاب أن يقرّضوا هكذا كتاب فيه تشكيك لمسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) والانتقاص من منهجه الرساليّ

المحمدي؟ بل كيف أباحوا لأنفسهم أن يجاروا المؤلّف في ردّ جملةٍ من الأحاديث المعتبرة التي لا غبار عليها، بل قد أطبق علماؤنا ـ الخلف الصالح والسلف المغفور له ـ بصحّتها سنداً ومتناً؟!

ماذا من جديدٍ في كتاب (شهيد جاويد)؟

مؤلّف الكتاب أحد طلاّب العلم، كان يقطن في نجف آباد الأصفهانيّة، ومنذ أكثر من ثلاثين عاماً سكن مدينة قم المقدّسة، وهناك حاول أن يبثّ بعض أفكاره وتشكيكاته في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) وردَّ جملةٍ منها، والانتقاص من علماء الطائفة والطعن في أهمّ معتقدات الإماميّة.

لقد نشر عدّة مقالاتٍ تنبئ عن انحرافه العقائديّ والمذهبي، وكانت هي بدايةً له كي يُعرف في الأوساط العلميّة بأنّه رجل محقّق وقدير في الكتابة، فقد نشر في مجلة (مكتب إسلام) أكثر من مقالة منها، يتناول حديث الكساء وأنّه لا ينبغي الاهتمام به، بل صوّر الكساء بالخيمة والتي تضرب لغرض اللعب...

ثمّ في مقالةٍ أُخرى تناول آية التطهير وجعل موضوعها أمراً عادياً وليس ذات أهمّيّة لأهل البيت. ثمّ يعقّب فيقول: إنّ عائشة يشملها آية التطهير.

وفي مقالٍ ثالثٍ نشرته مجلة (مكتب إسلام) عام (١٣٤٧ هش) تناول فيه حديث ضربة الإمام عليٍّ (عليه السلام) في محرابه في الكوفة وأعطاها البعد العبادي.

وهناك أحاديث وموضوعات أُخرى لاكها في مجالس عديدةٍ لا تخلو من إثارةٍ وشبهة، كلّ ذلك قد سبق كتابه (شهيد جاويد).

فماذا في هذا الكتاب...؟

أوّلاً: يتصدّر الكتاب جملة من تقاريض أهل العلم وبعض أساتذة الجامعات، وقد ذكرناها آنفاً، ولا يخفى أنّ التقاريض والكتاب طبع باللغة

الفارسيّة.

ثانياً: يقول المؤلف: لابد من التحقيق في كلّ المسائل التأريخية، ولابد من الاجتهاد فيها؛ ففي الصفحة (٦) قال:

«چند نكته: ... ٤ ـ مسائل تاريخى نيز بايد مثل مسائل فقه وتفسير وفلسفه بر اساس اجتهاد آزاد مورد بررسى وتحقيق واقع شود، وهر صاحب‌نظرى نظر خود را بگويد تا برخورد افكار مختلف به روشن شدن حقيقت كمك كند، وبراى رعايت ادب بايد هر صاحب‌نظرى در عين حال كه نظر خود را مى‌گويد به نظرهاى مخالف هم با ديدهٔ احترام بنگرد».

ثالثاً: تناول موضوع الإمامة، وعلم الإمام، وعلم الغيب، وأنّهم إذا شاؤوا علموا، وكان الحديث فيه مسهباً، والذي أراد أن يقوله هو: أن الإمام كسائر الناس، وعلمه كعلمهم.

والمصنِّف في إثارته لهذا الموضوع أراد أن يصل إلى نتيجة ـ هو يؤمن بها ـ أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن عالماً بأمره من حين خروجه من المدينة إلى مكّة إلى العراق، ولا يعلم أنّ هذا الخروج سيفضي إلى شهادته وشهادة أهل بيته وأسر نسائه وأطفاله.

ثمّ يجرّ الكلام ليستدلّ بالآية الكريمة: **﴿ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التهلكة﴾**، وأن خروج الامام الحسين (عليه السلام) مع هذه الثلّة القليلة من أصحابه إنّما هو إلقاء النفس في التهلكة، والعقل لا يقبل هكذا فعل...

رابعاً: يشكّك المصنّف بروايات السيّد ابن طاووس والشيخ المفيد.

خامساً: يرفض الأخبار والروايات الواردة عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن أهل البيت (عليهم السلام) في شأن مقتل الإمام الحسين بعدما يناقشها على موجب المصادر التأريخية التي كتبها المخالفون، ومَنْ عُرفوا بعدائهم ونصبهم لأهل البيت (عليهم السلام).

فمن تلك الأخبار التي يردّها:

١ ـ رؤيا الإمام الحسين (عليه السلام) عند قبر جدّه.

٢ ـ قول الإمام (عليه السلام) وأخرج بأقوام للشهادة وكذا قوله (عليه السلام) : «لا أرى الموت إلاّ سعادة».

٣ ـ الاعتراض على الإمام فيما لو صدق الخبر: «أنزل الله النصر على الحسين (عليه السلام) ».

٤ ـ قول الإمام (عليه السلام) : «خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة».

٥ ـ قول النبيّ (صلى الله عليه وآله) للحسين (عليه السلام) في المنام: «إنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»، ثمّ يفصّل «شاء» هذه تكوينية أم تشريعيّة.

٦ ـ حديث أُمّ سلمة والتربة (الطينة) التي أودعها النبيّ عندها لتكون علامةً فيما بعد لاستشهاد الحسين (عليه السلام) .

٧ ـ حديث «أفواج الملائكة» التي نزلت لنصرة الإمام الحسين في عاشوراء.

٨ ـ حديث «الملائكة والجنّ» الذين عرضوا نصرتهم للحسين (عليه السلام) .

٩ ـ حديث الإمام في أهل بيته عندما قال لهم: «من لحق بي استشهد».

كانت هذه النقاط هي مورد التشكيك والرّفض ومن ثم ردّها، فهي المحور الأساسيّ عند المصنّف في كتابه من طبعته الأولى، إلاّ أنّه أجرى تعديلاً على الكتاب بتقديم وتأخير جملةٍ من مطالب الكتاب، لذا تجد هذه البحوث قد جعلها في الطبعة (١١ و١٢ و١٣) في الخاتمة (ص ٣٦٧)، علماً بأنه قد أشار إلى تلك العناوين في (ص ٩٨) متعرّضاً إلى موضوع خروج الحسين، وأنّه ما خرج لغرض الشهادة، بل خرج لإقامة حكومة إسلامية...

سادساً: تضمّن الكتاب نقاطاً أخر، منها: تعرّضه لابن عبّاس في (ص٥٦)

وحتّى (٦٠)، ويعّبر عنه أنّه رجل سطحيّ وغير مطّلع...

سابعاً: اعتماده في مناقشة الأخبار والأحداث على كتب الجمهور كالعقد الفريد، وتأريخ الطبري، والإمامة والسياسة، والكامل لابن الأثير، إذ نقل عنهم أكثر من مائتين وخمسين مورداً، وقلّما تجد فيها أسانيد معتبرةً بل كلّها ضعيفة السند...

ثامناً: ينكر كرامات أهل البيت ومعجزاتهم جملةً وتفصيلاً...

تاسعاً: ادّعى أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان قاصداً للرئاسة وتشكيل الحكومة، وليس مراده الشهادة، حيث إنّه لم يكن (عليه السلام) عالماً بشهادته، لا زماناً ولا مكاناً.

عاشراً: لم يفهم المصنّف الثمرة العمليّة من إستشهاد الإمام (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه، ولم يستوعب ما للثورة من أثرٍ وأهمّيّةٍ وفائدة...!

موقف العلماء من كتاب «شهيد جاويد»

كان لطبع الكتاب أثر كبير في نفوس العلماء والمحقّقين وأرباب العلم، ممّا أثار أصحاب الأقلام ليردّوا على المصنّف بأسرع وقت. كما أنّ العلماء أخذوا قراراً على المؤلّف أن لا يُعيد طبع الكتاب ثانيةً، على أنّ المصنف نزل إلى الأمر الواقع واستجاب للمعترضين، إلاّ أنّه لم يفِ بوعده، إذ كرّر طبع الكتاب (١٣) مرّةً.

وكيف كان، فقد تصدّى العلماء للردّ على المصنّف وجدّ جدّهم، حتّى وجدنا جملة ردودٍ مهمّةٍ تعرّضت لمباحث الكتاب بشيءٍ من التفصيل، ونحن نذكر بعضها:

١ ـ شهيد آگاه، للعلاّمة آية الله الشيخ لطف الله الصافي.

٢ ـ دفاع از حسين شهيد (عليه السلام) ، تأليف المرحوم محمد علي أنصاري.

٣ ـ جواب أو از كتاب أو، للعلاّمة السيّد محمد مهدي (عبدالصاحب) اللنگرودي.

٤ ـ بررسى قسمتى از كتاب (شهيد جاويد) با استفاده از مجالس الفاخرة سيد شرف الدين، للعلاّمة الشيخ رضا اُستادي.

٥ ـ كتاب هفت ساله چرا صدا در آورد؟ للشيخ علي پناه اشتهاردي.

٦ ـ جزوه علم غيب امام (عليه السلام) ، لآية الله السيّد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان.

٧ ـ قسمتى از كتاب شهيد كربلا، للحاج آقا تقي قمّى.

٨ ـ ردّ على شهيد جاويد، للشيخ أبوالفضل زاهدي قمّي.

٩ ـ ردّ كتبه الشيخ محمد تقي صديقين الأصفهاني.

١٠ ـ ردّ كتبه الشيخ آقا شهاب إشراقي، ومحمد فاضل اللنكراني.

١١ ـ ردّ كتبه الشهيد مرتضى المطهري.

١٢ ـ ردّ كتبه الدكتور علي شريعتي.

١٣ ـ ردّ كتبه آية الله العظمى المرحوم شهاب الدين المرعشيّ النجفيّ (قدس سره) .

١٤ ـ ردّ كتبه آية الله أبوالحسن الرفيعيّ الحسينيّ القزويني.

١٥ ـ ردّ كتبه آية الله العظمى الشيخ محمد علي العراقي (الأراكي) (قدس سره) .

١٦ ـ ردّ كتبه الشيخ محمد تقي النجفيّ البروجردي.

١٧ ـ ردّ كتبه الشيخ مرتضى الحائري (قدس سره) .

تساؤلات أم انحراف في العقيدة؟

من خلال المقدّمة وبحوث الكتاب وجدنا كلّ ما أثاره المصنّف الصالحي النجف آبادي من تساؤلاتٍ غير جديرةٍ بالبحث والتحقيق؛ لأنّها واضحة كالشمس في رابعة النهار، غير أنّ المصنّف كاد أن يقول: دعنا نفتّش في زوايا التأريخ كي نصطاد العظمة والشهرة فيما ننقد ونكتب...

طلب المصنّف التحقيق والتدقيق في المسائل الدينية والعقائدية، وطلب أن نجتهد فيها كما لو اجتهدنا في الفقه والأصول...ولا غبار على هذا الاقتراح، بل من المعقول والمنطق السليم أن تكون جميع المسائل الدينية والعقائدية محقّقةً طبق الموازين السليمة والمقاييس الصحيحة، ومراجعة متون المسائل والنصوص، ومقابلة بعضها مع البعض الآخر، ثم الاستعانة بمنطق العقل والاجتهاد...، لكن وفق أيّ مسلكٍ وطبق أي منهج؟

هناك نكتة مهمّة جدّاً، وهي: أن مسائل المذهب وعقائده لابدّ أن تُحقّق وفق ما تقدّم؛ لإثبات الصحيح منها ونبذ الفاسد، وهذا لا يتمّ إلاّ من خلال الاعتماد على كتب علمائنا الخاصّة وآرائهم، وما كتبه محقّقينا. أمّا ما ورد في كتب المخالفين فلابدّ من التحرّز والوقوف عند كلّ شبهة.

نعم، ما كان يوافق نصوصنا فهو مورد تأييدٍ ودعمٍ لما يكتبه علماؤنا، وما عدا ذلك فلا يجوز الأخذ به، كما فعله المصنّف الصالحيّ النجف آبادي في كتابه (شهيد جاويد)، حيث اعتمد على كتب جمهور علماء السنّة لإثبات حقائق تأريخيةٍ وعقائد مذهبيّةٍ لا تمتّ إلى القوم بصلة، بل إنّهم يُنكرونها ويشنّوا على الطائفة الإماميّة حملاتهم المسعورة بين الآونة والأخرى، فكيف نبيح لأنفسنا أن نصيغ عقائدنا من كتبهم؟!

المصنّف في الصفحات الأُولى من كتابه يظهر التأسّف وعدم الارتياح عندما يسمع من الغير من أن الحسين (عليه السلام) خرج لغرض الشهادة، فإنه يرتجف لهذا القول، وإليك نصّ ما يقوله:

«عقدهٔ گشوده»

(سالها بود وقتى مى‌شنيدم كه مى‌گفتند: «امام حسين (عليه السلام) باين قصد حركت كرد كه خونش ريخته شود وخانواده‌اش اسير گردند» بر خود مى‌لرزيدم وناراحت مى‌شدم وبا خود مى‌گفتم: امامى كه بايد خون مقدّس وپر حرارتش در رگهايش بجوشد وبه اجتماع انسانى حرارت بدهد، حركت بدهد، نور ببخشد، پشتوانهٔ اسلام ومسلمانان باشد، چرا آن حضرت مى‌خواست اين خون پاک وپر حرارت روى خاک بيابان بريزد وجهان انسانى از چنين رهبر عظيمى محروم گردد؟!!!»[١].

إنّه يتأسّف لما يقوله الناس عن شأن دم الحسين (عليه السلام)، إن ما يذهب إليه هؤلاء خطأ في عقيدته، ولابدّ من تصحيح أفكارهم؛ لأنّ الحسين (عليه السلام) على حدّ زعمه ـ لم يخرج لغرض الشهادة وإراقة دمه الطاهر على تراب كربلاء ويحرم العالم الانساني من هذه القيادة العظيمة...

إنّه كلام فارغ وسذاجة في التصوير، وقد غاب عن المصنّف أنّ دماء الشهداء عبارة عن فتيل الثورة لإيقاظ الضمير والوجدان في عمق التأريخ، فكيف بدم المعصوم...؟!

إنّ دم الحسين الطاهر ما أُريق عبثاً، بل علّم الناس دروساً في الإباء والعزّ والكرامة والشرف، علّمهم كيف يثوروا بوجه الطغاة؟ كيف يضحّوا كيف ينتصروا...؟

يواصل المؤلّف اعتراضه فيقول: لماذا أخرج الحسين (عليه السلام) عياله معه

---

(١) شهيد جاويد / ص ٨.

وقد عرّضهم فيما بعد للأسر وشماته الأعداء؟

«وچرا امام ميخواست بانوان سراپردهٔ عصمت که نمونه‌های کامل عفت اسلامی بودند بدست دشمنان خونخوار اسیر گردند ودر گذرگاههای عمومی، در معرض تماشای چشمان حریص اراذل واوباش درآیند؟!!

این حالت تعجّب واستفهام که با گـذشت زمـان بـصورت یک عـقدهٔ روحی جانکاه ومشکل درآمده بود...»(١).

إنّ مجرّد نظرةٍ فاحصةٍ لهذا السؤال أو الاعتراض يصل القارئ إلى نتيجةٍ لا تقبل الردّ، وهذه النتيجة يمكن أن تقرّر من خلال أحد الاحتمالين، وذلك: إمّا أن يكون المصنّف شأنه التشكيك بثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ومعطياتها، وإمّا أن يكون ساذجاً في فهمه لهذه الثورة، بحيث لم يستوعب جزئيّاتها وتفاصيلها وأبعادها...

وأيّ الاحتمالين قلت به فهو منقصة لمثل هذا المصنّف الذي ـ كما يدّعي ـ أمضى على تأليف كتابه سبع سنين!!

إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد علم أن يزيد وعمّاله في الأمصار سوف يسعون جادّين في تشويه ثورته المقدّسة والطعن فيه وفي أهل بيته، كما حصل لهم ذلك لمّا أشاعوا بين الناس في الكوفة والشام أنّ هؤلاء الأُسارى هم أسرى الخوارج...!

لكنّ تواجد البيت الهاشميّ وعقائل بيت النبوّة ومعدن الرسالة هو الذي كشف عن زيف هذا الادّعاء.

كيف أنت بأُمّةٍ لم تفرّق بين الناقة والجمل..، هكذا أُمّة أَلَمْ تصدّق بأقوال أميرها يزيد وأعوانه الذين ورثوا هذا الملك العضوض من خليفتهم معاوية ابن أبي سفيان، إذ مهّد لهم البلاد، وأذلّ لهم العباد، وأخاف كلّ صغيرٍ وكبير.

---

(١) المصدر السابق / ص ٨.

لقد علم أبو الشهداء (عليه السلام) أنّ السلطة غاشمة، وقد ضربت بيدٍ من حديدٍ وأُخرى من نارٍ وكمّت الأفواه، لذا خاف رجال الدين من التظاهر بالإنكار والتمرّد على السلطة الظالمة، وخير دليلٍ على ذلك تنكّر عبدالله بن عمر لخروج الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقال: إنّ ليزيد بيعةً في عنقي لا يمكن نقضها؛ هذا النموذج يؤكّد جُبن كبار الناس وعلمائهم، فكيف أنت بالسواد العامّ

ثم ما جرى على عبدالله بن عفيف الأزديّ في مجلس ابن زياد في الكوفة هو الدليل الآخر على صحّة ما نذهب إليه.

ولمّا كانت حرائر الرسالة وعقائل بيت النبوّة شيمتهم الصبر على المكاره ومقارعة الخطوب بجنانٍ ثابتٍ وعزيمةٍ صادقةٍ وملاقاة الصدمات الفادحة والدواهي المؤلمة بقلوبٍ أرسى من الجبال فلا يفوتهنّ تعرية النظام الجائر وفساد أجهزته وطغيان أُمرائه، ولا يفوتهنّ تعريف الملأ الذي يغطّ بنومه وسكره، المغمور بالخُدع والأضاليل، نتائج أعمال هؤلاء الطغاة المردة الذين أرادوا هدم الدين والعبث في مقدّرات المسلمين، والتحكّم في الرقاب؛ لينعموا في دنيا الشهوات والملذّات، إلاّ أنّ دماء الشهداء أذكت روح النهضة في النفوس، وأعطت درساً عمليّاً في الجهاد.

كما أنّ حرائر بيت الرسالة ـ على ما هنّ عليه من أكبادٍ حرّى مكتويةٍ بنار فقد الأحبّة وذلّ الأسر ـ وقفن إلى جنب دماء الشهداء؛ لإحياء الدين المحمديّ الذي كاد أنْ يندرس لولا وجودهنّ في الساحة الجهاديّة.

انظر موقف زينب العقيلة المخدّرة التي تنطق عن وعي الرسالة كمنطق أُمّها الزهراء (عليها السلام) ابنة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فهي بقيّة السلف. إنها انحازت عن النساء في مجلس ابن زيادٍ في الكوفة وهي متنكّرة ممّا ألفتت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكرة؟ قيل له: ابنة أمير المؤمنين؛ زينب العقيلة.

فأراد أن يحرق قلبها، فقال متشمّتا: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم

وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت (عليها السلام) : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمدٍ وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يُفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال ابن زياد: كيف رأيتِ فعل الله بأهل بيتك؟

قالت (عليها السلام) : ما رأيت إلاّ جميلاً. هؤلاءِ قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجَّ وتخاصم، فانظر لمنِ الفَلَج يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يا ابن مرجانة!!

إنّه كلام منضّد ينحدر من عليّة القوم، من سلالة بيت الوحي...

عبارات ألقمت ابن زياد حجراً، فلا يستطيع أن يُحر جواباً، بل جواب هؤلاء الأوغاد هو القوّة.

انظر إلى تشفّي ابن زياد، لما قال: لقد شفى قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتكِ...!

فما عسى أن تقول عقيلة بني هاشم زينب (عليها السلام) .

قالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

لقد استحوذ الشيطان على أهل الكوفة، فما تجد فيهم من يفزع ويقول كلمة الحقّ أمام الطغاة، إلاّ رجل واحد مكفوف البصر، ألا وهو: عبدالله بن عفيف الأزدي، انظر إلى الذلّ والهوان الذي لحق بالمسلمين، فهذا عبيدالله بن زياد أمرأن ينادي بالصلاة جامعةً، فاجتمعوا في الجامع الأعظم ورقى ابن زياد المنبر، فقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب: الحسين بن عليّ وشيعته!!

فلم ينكر عليه أحد من أُولئك الجمع الذي غمره الضلال، إلاّ عبدالله بن عفيف الأزدي الغامدي حين قام وقال إليه:

يا ابن مرجانة، الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك، والذي ولاّك وأبوه، يا ابن مرجانة، تقتلون أبناء النبيّين وتتكلّمون بكلام الصدّيقين؟ فقال ابن زياد: من هذا المتكلّم؟

قال ابن عفيف: أنا المتكلّم يا عدوّ الله! تقتلون الذّريّة الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس، وتزعم أنك على دين الإسلام؟ واغوثاه، أين أولاد المهاجرين والأنصار، لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمدٍ رسول ربِّ العالمين؟

فازداد غضب ابن زياد، وأمر الشرطة أن يأتوا به، إلاّ أنّ قبيلة الأزد انتزعته من بين الشرطة وذهبوا به إلى منزله، إلاّ أنّ ابن زياد أرسل مضر ومحمد ابن الأشعث الى دار ابن عفيف، واقتحموا عليه الدار، ولمّا نشبت بينهم المعركة استطاع الشرطة ومعهم ابن الأشعث أن يأخذوا ابن عفيف أسيراً إلى ابن زياد، فقال له ابن زياد: الحمد لله الذي أخزاك!

قال ابن عفيف: وبماذا أخزاني؟

واللهِ لو يُفرِّجُ لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري.

قال ابن زياد: يا عدوّ الله، ما تقول في عثمان؟

فشتمه ابن عفيف، وقال: ما أنت وعثمان، أساء أم أحسن، أصلح أم أفسد، وإنّ الله تبارك وتعالى وليّ خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحقّ؟ ولكن، سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه.

فقال ابن زياد: لا سألتك عن شيءٍ ولتذوق الموت غصّةً بعد غصّة.

قال ابن عفيف: الحمد لله ربّ العالمين، أما إنّي كنت أسأل ربّي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أمّك، وسألت الله أن يجعلها على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه، ولما كفّ بصري يئست من الشهادة، أمّا الآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها وعرّفني الإجابة في قديم دعائي.

فأمر ابن زياد بضرب عنقه وصلبه في السبخة(١).

هذا هو منطق ابن زياد وحكّام الدولة الأموية طواغيت العصر و فسّاق الدهر. إنّه منطق القوّة القاهرة، بل قل: منطق التسلّط والجبروت والطغيان... فالناس نيام لا يوقظهم إلاّ كلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائر، فما وقوف الحوراء زينب وأُمّ كلثوم وسكينة في مجلس ابن زياد في الكوفة وكذلك وقوفهم بين صفوف الناس، سواء كان في العراق أم في الشام الاّ تعبيراً عن الحقّ والجهاد المكمّل لرسالة الحسين (عليه السلام) .

فهل يذعن المؤلّف (صالحي نجف آبادي) إلى هذه الحقائق الدامغة التي لا غبار عليها أم أنّه يصرّ على عناده لينفخ في رماد...؟!

وإلاّ ما وجه الاعتراض على خروج أهل البيت...؟ وهل كان عقل (صالحي نجف آبادي) قد استوعب كلّ المصالح لهذه الثورة المباركة حتّى يعترض على الإمام؟! أم أنّه ذو عقليةٍ فذّةٍ واسعةٍ أوسع من عقلية الإمام الحسين (عليه السلام) بحيث يدرك كلّ جزئيّات الأحداث الحاضرة والمستقبلية وما يترتّب على ذلك من آثار...؟!

إنّ اعتراضه هذا مكابرة محضة وإساءة أدب...

ثمّ إنّه في الصفحة التاسعة والعاشرة يقسّم المؤلّفين في نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى قسمين:

الأول: ينتقص هذه النهضة؛ لأنّ الحسين ـ على حدّ زعم المؤلّف ـ لم يوازن بين المقاييس المنطقيّة والعقلية، بل إنّ عناصر النهضة لم تكن متوفّرةً عند الإمام، لذا كان خروجه بمثابة الفوضى وإثارة القلق الأمني...

أمّا القسم الثاني من المؤلّفين ـ كما يصوّره نجف آبادي ـ ينظر إلى نهضة

---

(١) انظر اللهوف لابن طاووس / ص ٩٢، كشف الغمّة / ص ١١٦، مقتل الخوارزمي ٢ / ٥٣ مثير الأحزان / ص ٥٠، تأريخ الطبري، الإرشاد للمفيد.

الحسين كفاجعةٍ مؤلمةٍ يجب التأسّف وصبّ الدموع لها، ولا يحقّ له البحث والاعتراض أو التّحقيق في فصول الفاجعة، فيقول:

«مقدّم: بين نويسندگاني كه دربارهٔ قيام حسين بن على (عليه السلام) اظهار نظر كرده‌اند دو گروه را مى‌بينيم كه در دو طرف افراط وتفريط واقع شده ونظر آنان درست بر ضد يكديگر بوده ودر قطب مخالف قرار گرفته است. يک گروه از اهل سنت قيام امام حسين (عليه السلام) را يک شورش ابتدائى نارس ويک انقلاب حساب نشده ونافرجام بر ضد دولت وقت دانسته ودر اين قيام نسبت خطا بامام داده‌اند!.

منطق اين گروه اينست كه: حسين بن على (عليه السلام) با نداشتن نيروى نظامى ومالى وبدون يک نقشه صحيح وبدون بند وبستهاى كامل سياسى وتاكتيكهاى دقيق ديپلماس بر ضد حكومت قوى پنجهٔ يزيد شورش كرد ونظم عمومى را برهم زد ودستگاه حكومت را ناچار نمود كه براى برقرار كردن نظم اجتماع شورش او را سركوب كند وامنيت اجتماعى را برقرار سازد، واين دستور پيغمبر خدا بود كه: «من أراد أن يفرق أمر هذه الأمّة وهو جمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان».

ودر مقابل اين گروه، جمعى از نويسندگان شيعه، قيام امام را از مجراى كارهاى عقلائى وموازين حقوقى بيرون برده وآنرا پيروى از يک نقشه ودستور غيبى واختصاصى دانسته وگفته‌اند:

امام حسين (عليه السلام) به پيروى از علم امامت كه يک رشته از علوم اختصاصى است وبحكم يک فرمان محرمانه الهى دست باين قيام بى‌سابقه زده وكسى حق ندارد دربارهٔ اقدام آنحضرت اظهار نظر يا چون وچرا كند...»[1].

ثم يستطرد المصنّف في كلامه فيقول:

---

(١) المصدر السابق / ص ٩.

«وطبق نظر دوّم قیام امام حسین (علیه السلام) از حدود فکر مردم بالاتر است، زیرا روی این عقیده، عمل امام از روی علم مخصوص امامت انجام شده وچنانکه خود داشتن علم غیب، نوعی از خرق عادتست. کاری هم که از روی علم غیب انجام شود، رنگ خارق عادت بخود می‌گیرد واز دسترس سایر مردم خارج می‌گردد ودر ردیف وظائف اختصاص امام واقع می‌شود چون مردم دیگر، علم غیب ندارند واهل خرق عادت نیستند.

بنابر این هیچکس حق ندارد دربارهٔ ماهیّت قیام حسین بن علی (علیه السلام) وعلل وعوامل با هدف آن گفتگو کند یا از آن پیروی نماید یا مردم را دعوت کند که از آن درس بگیرند وعمل کنند.

وطبق نظر دوّم اگر کسی دربارهٔ قیام امام حسین (علیه السلام) بحث وگفتگو کند اگر عقیده مذهبی داشته باشد فقط بمنظور ثواب بردن یا گریه کردن یا گریاندن به ذکر تاریخ شهادت امام بپردازد)[١].

«بگمان ما صاحبان این دو نظر متضاد چون قیام امام را در همهٔ مراحل یک حرکت واقدام ابتدائی پنداشته وضمناً گمان کرده‌اند که آنحضرت در هیچیک از مراحل قیام نیروی کافی نداشته است، واز طرفی دیده‌اند قیام ابتدائی با نداشتن نیروی کافی کاری عاقلانه نیست، از اینرو آنانکه به امامت وعصمت حسین بن علي عقیده نداشته‌اند طبعاً در این قیام نسبت خطا بامام داده‌اند»[٢].

«ونیز نظر دوم که بعضی از نویسندگان شیعه اظهار نموده وقیام مقدّس امام را از قابلیّت پیروی وبهره‌برداری ساقط کرده‌اند یک نوع رکود وخشکی زیان‌آوری است که هم فکر انسان را از تأمل وتحقیق باز می‌دارد وهم ارزش

---

(١) المصادر السابق / ص ١١.

(٢) المصدر السابق / ص ١١.

واقعى جنبش آزاديبخش اين مرد آسمانى وملكوتى را از بين مى‌برد»[١].

من خلال هذا النصّ ونصوصٍ أُخرى ينفي المصنّف علم الإمام وما سيجري عليه من قتلٍ وسلبٍ ونهبٍ وأسرِ حريمه، فلو لم نسلّم لموضوع علم الإمام الحضوري، ولو لم نقل إنّ ذلك من أسرار الإمامة ومن التكاليف الخاصّة بالمعصوم فإنّ هناك عشرات الأحاديث والأخبار ـ التي ستقف عليها ـ قد صدرت من النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، ومن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد نبّأها جبرئيل للنبيّ، والنبيّ لأميرالمؤمنين (عليهما السلام) .

إذن الصورة كانت واضحةً عند الإمام الحسين (عليه السلام) وإنّ استشهاده في كربلاء كان مسلّماً، فهو بقضاء الله وقدره، وكانت مجريات الأحداث تسير وفق أسبابها، ومن جملة تلك الأسباب: هو خروج الإمام الحسين بوجه الطاغية يزيد؛ لأنّ الإمام (عليه السلام) مكلّف بحفظ الشريعة المقدّسة، وهذا متوقّف على جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا كما يدّعي المؤلّف (نجف آبادي): أنّ الأمر بالمعروف يستلزم الأخذ بزمام السلطة، أي بمعنى آخر: قيام حكومةٍ ودولة، ومن ثمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنّ ذلك أمر خاطئ لا يمكن تحقّقه، كما أنّ الإمام (عليه السلام) قال في وصيّته لأخيه محمد بن الحنفيّة:

«...وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا فمسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدي (صلّى الله عليه وآله) ، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب...»[٢].

ولماذا ينفي (نجف آبادي) علم الإمام بالمغيّبات...؟ فهل حبيب بن مظاهر وميثم التمّار ورشيد الهجريّ وكميل بن زياد وحجر بن عديّ الكنديّ وأبو ذرٍّ هم أفضل من الحسين (عليه السلام) ...؟

---

(١) المصدر السابق / ص ١٢.

(٢) مقتل الخوارزمي ١ / ١٨٨ والمقرّم / ص ١٣٩.

وقد نقل لنا التأريخ ما نقله هؤلاء فيما يخصّهم، وهي أُمور تعدّ من المغيّبات، فهؤلاء بنو أسد اجتمعوا ودار بينهم ما سيجري على أهل البيت (عليهم السلام) ، وكان من بينهم حبيب بن مظاهر وميثم التمّار، وقد حدّث كلّ منهما الآخر بما يجري عليه من القتل في نصرة أهل البيت (عليهم السلام) فكذّبهما القوم ومن لم يفقه الأسرار الإلهيّة. ولمّا جاء رشيد الهجريّ يسأل عنهما قيل له: افترقا وكان من أمرهما كذا وكذا، فقال: رحم الله ميثماً لقد نسي أنّه يزداد في عطاء الذي يأتي برأس حبيب مائة درهم! ثمّ أدبر! فقال القوم: هذا والله أكذبهم. ولم تذهب الأيّام والليالي حتى وقع كلّ الذي تحدّثوا به، حيث صلب ميثم بالقرب من دار عمرو ابن حريث، وقتل حبيب مع الحسين (عليه السلام) ، وقطّع ابن زياد يدي رشيد الهجريّ ورجليه ولسانه كما أخبره أمير المؤمنين (عليه السلام) [(١)].

أقول: هؤلاء ليس بأفضل من الإمام الحسين (عليه السلام) ، فما عند الإمام من المغيّبات الشيء الكثير، فليس غريباً أن يعلم الإمام (عليه السلام) يوم استشهاده ومكانه وموضع قبره وما يجري عليه وعلى أهل بيته من هضم وسبي.

وعلى هذا، فلا مجال للمؤلّف (صالحي نجف آبادي) أنّ يعترض ويثير الشكوك والأوهام على نهضة الامام الحسين (عليه السلام) بدواعي التحقيق والتدقيق...!

ثمّ أيّ تحقيقٍ هذا عندما يعتمد على مصادر المخالفين والمتعصّبين والحاقدين على أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ...؟!

ولمّا كان هذا الرجل (نجف آبادي) يشكّك في قدسيّة الإمامة وينفي العلم بالمغيّبات وعلم الإمام وجدنا من الضروريّ أن نعرّف بهذا المصطلح ولو بشيءٍ من الإيجاز.

فنقول: العلم بالمغيّبات قد يحصل للأنبياء والأئمّة المعصومين ولبعض

---

(١) انظر رجال الكشّي ج١ / ٢٩٢ حديث ١٣٣.

الأولياء من المؤمنين، وهذا القسم من العلم غير العلم المختصّ بالباريً سبحانه وتعالى، إذْ أنّ للباريً علماً استأثر به خاصّةً ولم يطّلع عليه أحداً، منه العلم بالساعة، كما أن اللوح المحفوظ والعلم المخزون ممّا استأثر به دون غيره.

قال ابن حجر الهيثمي: لا منافاة بين قوله تعالى: **﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلاّ الله﴾** وقوله تعالى: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾**، وبين علم الأنبياء والأولياء بجزئيّاتٍ من الغيب، فإنّ علمهم إنّما هو بإعلام من الله تعالى، وهذا غير علمه الذي تفرّد به تعالى شأنه من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزّهة عن التغيير، وهذا العلم الذاتيّ هو الذي تمدّح به وأخبر في الآيتين بأنّه لا يشاركه أحد فيه، وأمّا من سواه فإنّما يعلم بجزئيات الغيب فبإعلامه تعالى وإعلام الله للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممكنٍ لا يستلزم محالاً...[١].

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: إنّا لا ننكر أن يكون في نوع من البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب، وكلّه مستند إلى الباري ـ جلّ شأنه ـ بإقداره وتمكينه وتهيئة أسبابه...

وقال: لا منافاة بين قوله تعالى: **﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾** وبين علمه (صلّى الله عليه وآله) بفتح مكّة وما سيكون من قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فإنّ الآية غاية ما تدلّ عليه نفي العلم بما يكون في الغد، وأمّا إذا كان بإعلام الله ـ عزّوجلّ ـ فلا، فإنّه يجوز أن يُعلِم الله نبيّه بما يكون[٢].

وممّا يعضد هذا الكلام قوله تعالى: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول﴾**[٣].

---

(١) الفتاوى الحديثة / ص ٢٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢ / ٣٦٢ ط ١ مصر.

(٣) الجنّ / ٢٦.

وكان النبيّ محمدٍ (صلى الله عليه وآله) ممّن ارتضاه ربّ العزّة وأطلعه على غيبه، ثمّ مَنْ كان فرعاً لشجرة النبوّة ومعدن الرسالة فلا غرو أن يدخل تحت عموم الارتضاء عند الله سبحانه.

فهذا عمرو بن هداب لمّا كان ينفي عن الأئمة (عليهم السلام) علمهم بالغيب ردّه الإمام الرضا (عليه السلام) ، محتجّاً بالآية المتقدّمة، ثمّ قال له: إنّ رسول الله هو المرتضى عندالله، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على غيبه، فعِلمنا ما كان ويكون إلى يوم القيامة[١].

وممّا يؤكد علم الأئمة (عليهم السلام) كعلم جدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) قول الإمام الصادق (عليه السلام) : «كلّ ما كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فلنا مثله، إلاّ النبوّة والأزواج»[٢].

فأيّ نكيرٍ بعد هذا؟ ألم يطهّرهم الله في كتابه العزيز حيث قال: **﴿إنّما يُريد اللهُ ليُذهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهِّركُم تطهيراً﴾**[٣].

فالغيب المدّعى عند الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) غير المختصّ بالباري تعالى لأنّ ما عنده ـ عزّ اسمه ـ ذاتي، وأمّا عند الأئمّة فمجعول من الله سبحانه، وهذا الجعل إنّما هو لطف أفاضه سبحانه على هؤلاء الكرام من أوليائه ليتمكّنوا من استعلام خواصّ الطباع ومجريات الأحداث.

وعلى هذا التفصيل تبيّن لنا أنّ الغيب على قسمين:

الأوّل: يختصّ بالباري سبحانه، وهو عين واجب الوجود الذي لم يصدر عن علّةٍ إلاّ منه سبحانه.

الثاني: وهو فيض من فيوضات عين واجب الوجود أفاضه على أنبيائه وأوليائه، وبمعنى آخر: ما كان صادراً عن علّة.

---

(١) انظر البحار: باب وروده البصرة.

(٢) المحتضر ص٢٠، ومقتل الحسين للمقرّم ص٢٨.

(٣) الأحزاب / ٣٣.

ويؤكّد هذا التقسيم ما يرويه سماعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إنّ لله -تبارك وتعالى- علمين: علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلماً استأثر به فإذا بَدَأ لله في شيءٍ منه أعلمنا ذلك، وعرض على الأئمّة الذين كانوا من قبلنا»[1].

وعن سدير الصيرفيّ قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ: «بديع السماوات والأرض» قال أبو جعفر (عليه السلام) : إنّ الله -عزّوجلّ- ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثالٍ كان قبله، فابتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهنّ سماوات ولا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾؟!

فقال له حمران: أرأيت قوله جلّ ذكره: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً**﴾؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام) : «فإنّ الله -عزوجلّ- عالمٌ بما غاب عن خلقه فيما يقدّر من شيء، ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه، وقبل أن يُفضيه إلى الملائكة، فذلك -يا حمران- علم موقوف عنده، إليه فيه المشيئة، فيقضيه إذا أراد، ويبدو له فيه فلا يمضيه، فأمّا العلم الذي يقدّره الله -عزّوجلّ- فيقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم الينا»[2].

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٥٥ باب ٤٤، الحديث ١.

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٥٦ باب ٤٥، الحديث ٢.

الإمامة وعلم الإمام

قبل البدء بعلم الإمام لابدّ من التعريف بمصطلح الإمامة ونظر المسلمين فيها:

فنقول: إنّ مصطلح «الإمامة» ورد في القرآن الكريم في عدة سورٍ منه وبألفاظٍ يراد بها: إمّا إمامة الخير والعدل، وإمّا إمامة الشرّ والباطل. وإنّ مقام الإمامة ـ إمامة العدل ـ أعلىٰ منزلةً يهبها الله سبحانه لمن شاء من عباده الصالحين كالأنبياء والأوصياء.

فعن زيد الشحّام قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنّ الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وإنّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلمّا جمع له الأشياء قال: ﴿**إنّي جاعلك للناس إماماً**﴾ قال: فمن عظمها في عين ابراهيم قال: ﴿**ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ قال: لا يكون السفيه إمام التقيّ[١].

الإمامة من خلال القرآن

قال الله تعالى في إمامة ابراهيم (عليه السلام): ﴿**قال إنّي جاعلك للناس إماماً**﴾[٢].

---

(١) أصول الكافي ١ / ١٧٥ ط ٣، ١٣٨٨، طهران، من كتاب الحجّة.

(٢) البقرة / ١٢٤.

وقال تعالى في موسى (عليه السلام) وكتابه الذي يهدي إلى الصراط السوي: **﴿...ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً...﴾**[١]، وقوله: **﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً...﴾**[٢].

وقال تعالى في إمامة إبراهيم وإسحاق ويعقوب: **﴿وجعلناهم أئمّةً يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فِعلَ الخيرات...﴾**[٣].

وقال تعالى في معرض حديثه عن فرعون وطغيانه واستضعافه لبني إسرائيل: **﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّةً ونجعلهم الوارثين﴾**[٤].

وقال تعالى في أفرادٍ من البشر يهدون الناس بأمر الله سبحانه: **﴿وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾**[٥].

وأفراد يُقتدى بهم في الضلال: **﴿...وجعلناهم أئمةً يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾**[٦].

وقوله تعالى: **﴿فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا إيمان لهم...﴾**[٧].

وقال تعالى يصف ما استودعه: **﴿وكلَّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين﴾**[٨].

عن ابن عبّاس، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : «أنا والله الإمام المبين أُبيّن

---

(١) هود / ١٧.

(٢) الأحقاف / ١٢.

(٣) الأنبياء / ٧٣.

(٤) القصص / ٥.

(٥) السجدة / ٢٤.

(٦) القصص / ٢٤.

(٧) التوبة / ١٢.

(٨) يس / ١٢.

الحقّ من الباطل، ورثته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) »[١].

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر عن أبيه عن جدّه (عليهم السلام) ، عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) في حديثٍ أنّه قال في عليٍّ (عليه السلام) : «إنّه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كلّ شيء»[٢].

وفي كتب التفاسير: كالميزان ومجمع البيان وتفسير القمّي: أنّ الإمام المبين هو الكتاب الواضح، أو اللوح المحفوظ.

وقال تعالى فيمن يقتدى به: ﴿**...يوم ندعو كلّ أُناسٍ بإمامهم...**﴾[٣].

والإمام المقتدى به: إمّا أن يهدي الناس إلى الخير ويقودهم إليه، أو يقودهم إلى الضلال. ولا يخفى أنّ هذه الدعوة تشمل عامّة الناس من اهتدى منهم ومن ضلّ السبيل من الأوّلين والآخرين.

ولا ريب أنّ أئمّة الحقّ هم الأنبياء والرسل ومن بعدهم الأوصياء، وهؤلاء لابدّ من تعيينهم بأسمائهم، أو بما اشتملت عليه ذواتهم من صفاتٍ وعلامات وكراماتٍ، وهذه سنّة الله في خلقه، ولا تبديل لسنّة الله ولا تحويل.

الإمامة عند المسلمين

لقد ركن الإنسان بفطرته إلى المؤانسة مع أفراد جنسه من البشر، والميول إليهم بالألفة، ممّا تسالم عليه القول بأنّ الإنسان اجتماعيّ بالطبع، وبهذا السبب تآلف الأفراد فيما بينهم في العادات وأُسلوب التعايش، فكانت المجتمعات والأمم. هذا اللون من التعايش والألفة والوحدة ـ على مرّ الزمان ـ فرضت وجود

---

(١) تفسير عليّ بن إبراهيم /

(٢) معاني الأخبار /

(٣) الإسراء / ٧١.

الحاكم والمحكوم أو الرئيس والرؤوس، وكان أساس ذلك هو حفظ الأمن، وحماية مصالح الجميع، والدفاع عنهم، ورعاية شؤنهم، وهذا أمر طبيعيّ يقرّره الكلّ باختيارهم من خلال النظر إلى المصلحة العامّة، فيجعلون زمام القيادة بيد نفرٍ ممّن تمثّل بهم الصلاح والخير والقوّة في التدبير والكفاءة. ولمّا غاب الخير وساد الشرّ وعمّت الفوضى في صفوف الناس وانتشر عامل الفساد والضلال بعث الله سبحانه الأنبياء مبشّرين ومنذرين يهدون الناس بأمره. ولمّا تتابعت الأجيال وابتعدت الأُمم عن مصدر التشريع كان لطف الله العميم، وجميله في الصنع، وسنّته في خلقه، أن يبعث الأنبياء والرسل تباعاً، حتّى كان خاتمهم نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولإدامة عامل الخير والصلاح ولاستمرار ذلك اللطف كان من الضروري أن تمتدّ الخلافة الصحيحة والحاكمية الرشيدة بين النّاس، وهذا الامتداد إنّما يتحقق من خلال الإمامة والتي هي امتداد حقيقي لخطّ النبوّة وعليه فما كان من الرسول (صلى الله عليه وآله) إلاّ أن ينصّب من بعده علياً وأبناءه مراجع للمسلمين وأئمة يهدون الناس ويرشدونهم إلى الخير وذلك بأمر من الله بصريح آية التبليغ وهو قوله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك...**﴾ إذاً الإمامة وجودها أمر فطري عند المسلمين كافّة بل واجبة، غير أنّ فِرَق المسلمين اختلفوا عن الشيعة في وجوبها، هل انها واجبة عقلاً أم شرعاً؟ ثم هل تكون بالنص أم بالانتخاب...؟

فأهل السنّة قالوا: تجب الإمامة بالإجماع وانها حق للأمّة، فلها وحدها اختيار من يقوم بهذا العبء الثقيل.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: (وقد اختلف الناس في هذه المسألة، فقال المتكلّمون كافّة: الإمامة واجبة، إلاّ ما يُحكى عن أبيبكر الأصمّ من قدماء أصحابنا: أنّها غير واجبةٍ إذا تناصفت الأُمّة ولم تتظالم. وقال المتأخّرون من أصحابنا: إنّ هذا القول منه غير مخالفٍ لما عليه الأُمّة؛ لأنّه إذا كان لا يجوز في

العادة أن تستقيم أُمور الناس من دون رئيسٍ يحكم بينهم، فقد قال بوجوب الرئاسة على كلّ حال.

اللهمّ إلاّ أن يقول: إنّه يجوز أن تستقيم أُمور الناس من دون رئيس، وهذا بعيد أن يقوله، فأمّا طريق وجوب الإمامة ما هي: فإنّ مشايخنا البصريّين رحمهم الله يقولون: طريق وجوبها الشرع، وليس في العقل ما يدلّ على وجوبها. وقال البغداديّون وأبو عثمان الجاحظ من البصريّين وشيخنا أبو الحسين رحمه الله: إنّ العقل يدلّ على وجوب الرئاسة، وهو قول الإماميّة إلاّ أن الوجه الذي منه يوجب أصحابنا الرئاسة غير الوجه الذي توجب الامامية منه الرئاسة، وذاك أن أصحابنا يوجبون الرئاسة على المكلّفين من حيث كان في الرئاسة مصالح دنيوية ودفع مضارّ دنيوية، والامامية يوجبون الرئاسة على الله تعالى من حيث كان في الرئاسة لطفٌ منه وبعدٌ للمكلّفين عن مواقعة القبائح العقلية...)[1].

أمّا الشيعة الاثنا عشرية فترى الإمامة منصباً إلهيّاً، لذا تجب بالنصّ من الله تعالى، وليس لأحدٍ أن يدّعيها لنفسه أو يجعلها لغيره، وإن اجتمعت عليه الكلمة وتجمّعت حوله الأُمّة ما لم يكن منصوصاً عليه[2].

وتعتقد بأنّ الإمامة امتداد للنبوّة، وبمعنى آخر: هي خلافة النبوّة. وبما أنّ النبوّة كانت بالنصّ والتعيين من الله سبحانه فكذلك الإمامة، إلاّ أنّ الفرق بينهما هو: أنّ النبيّ يوحى إليه ويكون صاحب شريعة، أمّا الإمام فليس كذلك، فالنبي منصوص عليه بصريح القرآن، والإمام منصوص عليه لكن بتأويل القرآن والاستفادة من بواطن الآيات التي يشير إليها الرسول (صلى الله عليه وآله) على أنّ في الأمر نكتة خفيّة وحكمة إلهيّة لامتحان العباد؛ **﴿ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾**. ولهذا كانت الأحاديث المتواترة من قبل الرسول في تذكير الأُمّة وتعريفهم بأهل بيته

(١) شرح النهج ١ / ٢١٥ ط بيروت.

(٢) الشيعة والإمامة / ص ٨.

قد جاءت في كل حادثةٍ ومناسبةٍ لتضعهم في المكان المناسب والموقع المقرّر الذي نصبهم الله فيه، وأكّد عليه صاحب الرسالة.

وأهمّ تلك الأحاديث هو: حديث «الثقلين» الذي رواه العامّة والخاصّة في مئات المصادر المعتبرة، لكنّ الأُمّة حقّها أضاعت، وفي الضلال تاهت، وإلى الشهوات وهوى النفس ركنت، فبئس المطّلع، واللعنة على من غيّر وبدّل، ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون**﴾.

مجمل الحديث في الإمامة

بعد اتّفاق الفريقين على ضرورة الإمامة، وبعدما عرفت أنّ الشيعة قائلة بالنصّ من الله تعالى، وليس لأحدٍ أن يدّعيها لنفسه أو يهبها لغيره وإن اجتمعت الأُمّة عليه ما لم يكن النصّ وارداً فيه. وكما عرفت أنّ السنّة قائلة بالإجماع، وهو من حقّ اختيار الأُمّة نجد أنّ هذه الدعوى عند أهل السنّة لا يمكن لأحد منهم أن يبرهن على صحّتها، بل هي دعوى واهية ليس لها دليل ولا برهان عقليّ ولا نقلي، بل الذي ثبت عندنا خلاف ذلك، أي: أنّ الواقع على عكس ما يقولونه، وتعضيداً لقولنا إليك سلسلةً من الأحداث التأريخية في صدر الإسلام تؤكّد ما نذهب إليه:

أوّلاً: لو نظر القارئ في كتب التأريخ لما احتاج إلى زيادة عناءٍ أو تكليفٍ في فهم أحداث السقيفة التي برزت في بني ساعدة، حيث إنّ بيعة أبيبكرٍ تمّت بمبادرةٍ من عمر بن الخطاب، بل كلّ واحدٍ منهما كان توّاقاً إلى الخلافة[1].

---

(١) قال الطبريّ في حديثٍ طويلٍ له يصف به بيعة أبيبكر: (فقال عمر: ابسط يدك يا أبابكر فَلِأُبايعك، فقال أبوبكر: بل أنت يا عمر، فأنت أقوى لها منّي، قال: وكان عمر أشدّ الرجلين. ثمّ قال: وكان كلٌّ واحدٍ منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها، ففتح عمر يد أبيبكر، وقال: إنّ ←

وعليه، إنّ عمر بن الخطاب هو الذي قال لأبي بكر: ابسط يدك لأُبايعك، فبسط أبوبكر يده فبايعه عمر، وتابعه على ذلك من حضر من المتآمرين في السقيفة بسرعةٍ ولهفةٍ حتى وُطِئ سعد بن عبادة وكادت تزهق روحه لشدّة ما به من مرض.

هذا هو أصل بيعة أبيبكر التي يتشدّق بها أهل السنّة وعلماء السلف منهم، إنّها حصلت من ثلّةٍ قليلةٍ وأشخاصٍ قد تآمروا فيما بينهم في سقيفة بني ساعدة، أمّا بقية المسلمين وكبار الصحابة من الأنصار والمهاجرين فكانوا في عزاءٍ وثكولٍ بفقد نبيّهم الأكرم.

فأين الاختيار الذي يزعمه أهل السنّة؟

ولماذا جلّ الصحابة ـ وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ امتنعوا عن بيعة أبيبكر زمناً طويلاً؟ حتّى أنّ الإمام علي لم يبايع إلاّ بعد مضيّ ستّة أشهرٍ كما في تأريخ الطبري، ولمّا لم يجد ناصراً له ولا معين في النهوض بوجه القوم الذين غصبوا حقّه في الخلافة، وقد صرّح (عليه السلام) في عدّة مواقف ومناسبات، وفي نهج البلاغة طرفاً منها إذ يقول: (...أرى تراثي نهباً). ومع هذا وجد أن حفظ بيضة الإسلام هو أهم من المطالبة بحقّه المغتصب، لذا بايع الأوّل وهو على مضضٍ ممّا فعلته الأُمّة[1].

ثانياً: تعيين عمر بن الخطّاب لم يكن بنصٍّ صريح من أحد، بل إنّه تمّ بتصرّفٍ من عثمان لما جاء لأبيبكر عائداً فقال له اكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبوبكر ابن أبي قحافة إلى المسلمين. أمّا بعد.

قال: ثمّ أُغمي عليه، فذهب عنه ـ عثمان ـ فكتب: أمّا بعد: فإنّي قد

← لك قوّتي مع قوّتك. قال: فبايع الناس واستثبتوا للبيعة، وتخلّف عليّ والزبير). انظر: تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٤، أحداث سنة (١١ هـ).

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٤٨٨.

استخلفت عليكم عمر بن الخطاب...)[١].

فأي نصٍّ هذا يتبجّج به ذوو الأقلام ومؤرّخو الأحداث...؟

وفي تأريخ اليعقوبي: أنّه قال: ما آلولكم نصحاً والسلام[٢].

أقول: إنّ النصّ الذي يدّعيه أهل السنّة ـ على فرض صحّته ـ قد حال دون ممارسة الأُمّة لحقّ الاختيار، بل كان ذلك النصّ العقبة الكبرى أمام الأمّة في ممارسة حقّها لانتخاب من يرتضونه للخلافة...!

ثالثاً: أمّا بيعة عثمان بن عفّان فلم تكن وفق الموازين الشرعية أيضاً، فليست هي نصّاً، ولا هي باختيار الأمّة، بل جعلها عمر بن الخطاب شورى في ستّة؛ نصفهم مع عثمان وبني أُميّة، وعداء هؤلاء لبني هاشم واضح لا غبار عليه، فكيف إذاً يكون الاختيار وفق الموازين الشرعيّة...؟ بل وأكثر من هذا أنّ وصيّة عمر لمولاه صهيب خير دليلٍ لسلب الاختيار[٣]. وسيأتي تفصيل الشورى في بحثٍ لاحقٍ إن شاء الله.

رابعاً: أمّا سياسة حكّام الدولة الأُمويّة فقد قامت على أساس الوراثة والتعيين، وليس بينهم أحد جاء باختيار الأُمّة؛ فكان السابق ينصّ بعهدٍ أو بوصيّةٍ إلى ولده، وهكذا تحكّم الأُمويّون في رقاب الناس، حتّى أنّ بيعة يزيد التي دبّرها معاوية في حياته أُخِذت بالسيف، وأجبر المسلمين عليها.

---

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٦١٨.

(٢) تأريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٦.

(٣) لمّا جعل الخليفة الثاني الأمر شورى في ستّة نفرٍ من الصحابة أمر صهيباً مولاه أن يمهلهم ثلاثة أيّام، ثمّ قال له: إذا اجتمع رأي بعضهم على أحدٍ وخالفهم الغير فاضرب عنقه، سواء كان هذا المخالف واحداً أو أكثر...!

أقول: لا أدري أيّ تشريعٍ كان يتّبعه الخليفة الثاني حتّى يسفك دم من يخالف؟ ألم يكن لأهل الشورى حقّ الاختيار وحق الانتخاب؟! ألم تكن في الإسلام حرّية الرأي...؟!

إذن، كيف جوّز الخليفة الثاني لنفسه أن يبيح دم المصون في العرض والمال والنفس؟! فهل ذاك قرآن جاء به عمر، أم اجتهد فأخطأ؟!

وأمامك كتب التأريخ إذ تؤكّد على أنّ ابن الزبير وعبدالله بن عبّاس والحسين بن علي (عليهما السلام) وعبدالله بن عمر رفضوا قرار معاوية في أخذ البيعة لابنه، وأنكروا عليه أشدّ الإنكار؛ فلم تكن في أعناقهم بيعة ليزيد إلا ابن عمر الذي جبن وبايع.

ومع كلّ هذه الأدلّة يبقى أهل السنّة مصرّين على أنّ بيعة يزيد وسائر حكّام بني أُميّة كانت بالإختيار.

ولا ندري هل أنّ الحبّ الأعمى هكذا يفعل بأصحابه حتّى يغفل الجميع عن كلّ هذه التفاصيل؟! وإلاّ هل جُبِل المسلمون على مبايعة أهل الجور من الحكّام، أم أنّ الوعيد والتهديد والحديد والنار قد ساقهم كالأغنام حتّى بايعوا أهل البدع والضلال...؟!

خامساً: أمّا السياسة العبّاسيّة فهي لا تفترق عن سابقتها، وهي الدولة الأُمويّة، بل أصبحت كسرويّةً وهرقليّة.

والخلاصة:

إنّ ما يزعمه أهل السنّة: من أنّ الإمامة تكون بالاختيار ـ عملياً ـ لا دليل عليه، بل انقلب الأمر من كونه حقّ العامّ إلى الحقّ الخاصّ، فالأُمّة التي لابدّ من أن تمارس حقّها في انتخاب الإمام أو الخليفة الحاكم أصبحت في المجال العمليّ والتطبيقيّ لا شيء، وإنّما أصبح حقّ الاختيار بيد الحاكم، فينصّ على من يشاء ويأخذ له البيعة بحضوره؛ ليكون من بعده وليّ العهد ومن ثمّ الخليفة، وعلى المسلمين السمع والطاعة له. ولهذا اختلف علماءُ السنّة فيما بعد، وجعلوا الإمامة مردّدةً بين الإجماع والنصّ.

هذه هي حقيقة الإمامة عند السنّة، وبالخصوص عند السلف منهم.

أمّا الشيعة الاثنا عشريّة فتستمد شرعيّة آرائها من الكتاب والسنّة، وهي

التي تؤكّد على الإمامة في كونها منصباً إلهياً، وليس للمسلمين فيها حقّ الاختيار.

وإنّ الإمامة تنحصر في أشخاص قد اختارهم الله سبحانه خلفاء وأمناء على الدين والشريعة الغرّاء، وهم ورثة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وقد نصّ عليهم نبيّ الرحمة، والأحاديث في ذلك كثيرة ومتظافرة:

منها: حديث الثقلين والولاية والمنزلة، وحديث خلفاء اُمتي، وغيرها من الأحاديث.

وعليه، أنّ مهمّة النبيّ ـ عند الإمامية ـ لا تنحصر في التبليغ والإرشاد، ولا تنقطع توجيهاته بعد الممات، بل من مستلزمات صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله) أن يخلق الظروف المناسبة لاستمرارية ذلك التبليغ، حفاظاً على قدسيّة الشريعة، وتطبيقاً لأحكامها.

وعليه، فلابدّ من تعيين الشخص الحاكم ـ الإمام ـ الذي يكون أميناً على الشريعة من بعد الرسول بنصٍّ خاصٍّ من صاحب الرسالة الذي لا ينطق عن الهوى **﴿إن هو إلاّ وحي يوحى...﴾**.

والسرّ في ذلك: أنّ الإمامة عبارة عن الخلافة الإلهية، فهي امتداد للنبوّة في كيانها وعصمتها ومنزلتها.

وقد نصّ الرسول الأكرم على الأئمّة المعصومين الاثنى عشر الذين هم خلفاؤه، وورثته، وحملة علمه، واُمناؤه على سرّة...

عن عباية بن ربعي عن جابر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أنا سيّد النبيين وعلي سيّد الوصيين وأن أوصيائي بعدي اثنا عشر اوّلهم علي وآخرهم القائم المهدي(١).

وعن جابربن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي (صلى الله عليه وآله) فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقض حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلّم بكلام

---

(١) ينابيع المودّة الجزء ٣ الباب السابع والسبعون.

خفي عَلَي، فقلت لأبي ما قال؟

قال: قال: كلهم من قريش[١].

عن غياث بن ابراهيم عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: سُئل امير المؤمنين (عليه السلام) عن معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» مَنْ العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديّهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتىٰ يردوا علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حوضه[٢].

علم الإمام (عليه السلام)

من الغريب جدّاً أن يشكّك بعض الناس في علم أهل البيت (عليهم السلام) وهم يقرأون في كتب التأريخ والأحاديث والسيرة أنّ ابن عبّاس لفرط ذكائه وسعة علمه كان يسمّى «حبر الأمّة»، وأنّ سلمان ملئ علماً ويقيناً، وهكذا بالنسبة إلى جملةٍ من الصحابة الذين حفظوا القرآن وتعلّموا حدوده وأحكامه وناسخه ومنسوخه وبعض أسراره، حتّى أنّ بعضهم كان يتنبّأ عمّا يحدث...

وربّ سائلٍ يسأل: ومن أين لهم هذه الخصائص العلمية والروحية...؟

إنه كان بفضل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي علّمهم وفقّههم في الدين، وأخبرهم عن الله ـ جلّ شأنه ـ ما كان وما سيكون.

وهؤلاء الصحابة لم يكونوا أفضل من أهل البيت، ولم تنزل فيهم آية كما نزلت في الرسول وآله الأطهار، وهو قوله تعالى: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...». فأيّ محذورٍ في استيعاب أهل البيت (عليهم السلام) للفيوضات

---

(١) صحيح مسلم والبخاري والترمذي.

(٢) معاني الأخبار ٣٢، عيون الأخبار ٣٤.

الإلهيّة وتمكّنهم من الأخبار عن الحوادث التي لم تحدث بعد؟!

أليسوا هم ورثة الرسول الأكرم والأنبياء الأبرار؟ أليسوا هم من شجرة النبوّة ومعدن الرسالة؟!

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «إنّا ـ أهل البيت ـ شجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة وبيت الرحمة، ومعدن العلم»[١].

وعن خيثمة قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام) : «يا خيثمة، نحن شجرة النبوّة، وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمّة الله، ونحن عهد الله، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خَفَرها فقد خَفَرَ ذمّة الله وعهده»[٢].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «يمصُّون الثماد ويدعون ـ المخالفون ـ النهر العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) والعلم الذي أعطاه الله، إنّ الله ـ عزوجلّ ـ جمع لمحمدٍ (صلى الله عليه وآله) سنن النبيّين من آدم وهلمّ جرّا إلى محمد (صلى الله عليه وآله) ، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيّين بأسره، وإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) صيّر ذلك كلّه عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال له رجل: يا ابن رسول الله، فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيّين؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام) : أسمعوا ما يقول؟ إنّ الله يفتح مسامع من يشاء، إنّي حدّثته أنّ الله جمع لمحمّد (صلى الله عليه وآله) علم النبيّين، وأنّه جمع ذلك كلّه عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيّين؟[٣]

وفي حديثٍ آخر، عن عبدالله بن جندب أنّه كتب إليه الرضا (عليه السلام) : أمّا بعد، فإنّ محمداً (صلى الله عليه وآله) كان أمين الله في خلقه، فلمّا قبض (صلى الله عليه وآله) كنّا أهل البيت

---

(١) أُصول الكافي ١ / ٢٢١ باب ٣١ ح ٢.

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٢١ ح ٣.

(٣) المصدر السابق ١ / ٢٢٢ باب ٣٢ ح ٦.

ورثته، فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب ومولد الإسلام[١]، وإنّا لنعرف الرجل إذ رأيناه بحقيقة الإيمان، وحقيقة النفاق، وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يَرِدون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الإسلام غيرها وغيرهم، نحن النجباء النُجاة، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عزّوجلّ، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ونحن الذين شرع الله لنا دينه، فقال في كتابه: «شرع لكم ـ يا آل محمد ـ من الدين ما وصّى به نوحاً» ـ قد وصّانا بما وصّى به نوحاً ـ «والذي أوحينا إليك» ـ يا محمد ـ «وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى» ـ فَقد علّمنا وبلّغنا علم ما علّمهم واستودعنا علمهم، نحن ورثة أُولي العزم من الرسل ـ «أن أقيموا الدين» ـ يا آل محمد ـ «ولا تتفرّقوا فيه» ـ وكونوا على جماعة ـ «كبر على المشركين» ـ من أشرك بولاية عليّ ـ ما تدعوهم إليه ـ من ولاية عليّ ـ «الله يجتبي إليه من يشاء» ـ يا محمد ـ «ويهدي إليه من ينيب» ـ من يجيبك إلى ولاية عليّ (عليه السلام) [٢].

وفي حديث أبي الحسن الأول موسى (عليه السلام) قال: «مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث. فأمّا الماضي فمفسّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبيّنا»[٣].

وهناك أحاديث وأخبار تُعدّ بالعشرات تبيّن علم الأئمة (عليهم السلام) وأنّه ورثوه من عليٍّ أمير المؤمنين، من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بل إنّ بعض علومهم إنّما يكون بواسطة الإلهام، أو بتحديث مَلَكٍ معهم وإن لم يروا شخصه.

---

(١) أي: عندهم عليهم السلام علم مآل كلّ من يولد أهو [illegible] إسلام أم إلى كفر؟

(٢) ما بين شارحتين هو تفسير من قبل الإمام [illegible] أصول الكافي ١ / ٢٢٢ باب ٣٣ الحديث ١.

(٣) أصول الكافي ١ / ٢٦٤ باب ٥٠، الحديث .

هوية بعض المصادر
التي اعتمدها المصنفّ صالحي نجف آبادي

يطالعنا مصنّف كتاب (شهيد جاويد) في جميع بحوثه، إنّه يعتمد في تقرير كلّ بحثٍ يناقشه على كتب المخالفين، بل المتعصّبين منهم. وطبيعيّ أنّ تلك المنهجيّة سوف تبعد الباحث والناقد أيّاً كان عن النتائج الحقيقيّة، طالما لا تخلو المقدّمات من خطأٍ أو شبهة، فالمصنّف ـ مثلاً ـ في مناقشته للحديث: «إنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً» يذكر خمسة عشر مصدراً قد خلت هذه المصادر من ذكر الحديث. غير أنّك تجد من بين هذا العدد أربعةً من كتب الإماميّة واثني عشر مصدراً منها للمخالفين! فأيّ منهجيةٍ سليمةٍ هذه يعتمدها المصنّف؟ وهل عمله هذا يُعدّ من الأُسس العلميّة...؟

وإليك هويّة بعض تلك المصادر ومصنّفيها:

١ ـ ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم ابن أبي بكر الأربليّ البرمكي.

المحدّث القمّي يقول في حقّه: كان في نهاية التعصّب، ويظهر ذلك لمن طالع كتبه ومصنّفاته.

ثمّ يقول القمّي: ينتهي نسب ابن خلّكان إلى البرامكة، وكان البرامكة

مبغضين لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، معلنين العداوة لهم[١].

٢ ـ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، معروف بتعصّبه، صاحب كتاب ميزان الإعتدال وسير أعلام النبلاء. عقيدته في يزيد أنه مغفور له، وكلّ ما جرى فقد سامحه الله عليه[٢].

٣ ـ ياقوت بن عبدالله الرومي، صاحب معجم الأُدباء، معروف بتعصّبه وبغضه لعليٍّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو ضعّف أعثم الكوفي في تأريخه، وقد اعتمد شهيد جاويد على الحمويّ في تضعيفه.

٤ ـ ابن عبد ربّه الأندلسي، صاحب كتاب العقد الفريد، هو الآخر من المتعصّبين لمذهبه، ومن مبغضي أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد اعتمد عليه مصنّف (شهيد جاويد).

وممّا اعتمد عليه المصنّف ـ إضافةً لما تقدّم ـ كلّ من: ابن قتيبة الدينوريّ صاحب كتاب الإمامة والسياسة. وأبي حنيفة الدينوريّ مصنّف الأخبار الطوال، ومحمد بن جرير الطبريّ، مصنّف التأريخ المعروف، وأبي الفرج الأصبهانيّ مصنف الأغاني وغيره، وعليّ بن الحسن الشافعيّ مصنف تاريخ تهذيب ابن عساكر، وابن الأثير مصنف الكامل في التأريخ، وسبط ابن الجوزيّ مصنّف تذكرة الخواصّ...

هذه وامثالها من كتب المخالفين اعتمدها (صالحي نجف آبادي) في كتابه (شهيد جاويد)، فماذا عساك أن ترى، هكذا تحقيق في تأريخ الطائفة... الذي يُبتنى على أُسس المعاندين والمتعصّبين والمبغضين لأهل البيت (عليهم السلام) ؟!

ولو أردنا متابعة فصول الكتاب ـ شهيد جاويد ـ لطال بنا البحث، بل إنّه

---

(١) انظر الكنى والألقاب ١ / ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق ٢ / ٢٣٨.

يتطلّب منّا مجلّد خاص، وقد آثارنا أن نذكر جانباً من بحوثه، وهـو الحـديث المتقدّم الذكر: «إنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً».

المصنّف ينقل نصّ رواية ابن طاووس في اللهوف فيترجمها، ثمّ يردّها للأُمور التالية:

١ ـ يدّعي المصنّف أنّ رواية صاحب اللهوف غير مسندة، ثـمّ يـعقّب فيقول: نحن لا ندري رواة هذه القصّة من هم؟ ونحن لا نـدري إلى أيّ حـدٍّ الكتاب الذي اعتمده ابن طاووس هو قابل الاعتماد والتصديق؟

ويقول: المطالب التي فقط يذكرها ابن طاووس والتي هي بدون سند هل يمكن أن نطمئنّ إليها ونقبلها؟

بعد هذا التساؤل يخدش برواية ابن طاووس فيقول: باصطلاح أهل العلم أنّ هذا النقل مرسل، والحديث المرسل إن لم تكن فيه قرينة على صحّته فهو مردود. ثمّ يذكر بأنّ هناك روايتين تعارض رواية ابن طاووس[(١)].

الرواية الأُولى ـ كما يدّعى ـ هي: روايـة أبـي مـخنف، عـن هشـام بـن الوليد...وهي عند المصنّف مـرسلة أيـضاً، ولمّـا كـانت الروايـتان المـرسلتان متعارضتين إذاً يتساقطان للتعارض. وهذا نصّه الفارسي:

«بديهى است نقل ابى مخنف مثل نقل لهوف مرسل است چون نـاقل اصلى قضيه مجهول است، در اينصورت مرسل ابى مخنف با مرسل لهـوف معارضه مى‌كند وهر دو از اعتبار ساقط مى‌شوند ومثل اينست كه نه ابو مخنف در اين‌باره چيزى نقل كرده ونه لهوف...»[(٢)].

ثمّ يذكر المعارض الثاني لرواية اللهوف، وهي رواية ابن قولويه في كامل الزيارات.

---

(١) شهيد جاويد / ص ١٢٤.

(٢) شهيد جاويد / ص ١٢٥.

ووجه المعارضة ـ كما يدّعي المصنف ـ أنّ الحسين (عليه السلام) أرسل إلى أخيه محمد بن الحنفيّة من مكّة كتاباً يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من الحسين بن عليّ إلى محمد بن عليّ ومن قبله من بني هاشم. أمّا بعد: فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق لم يدرك الفتح. والسلام»[١].

عندما نطالع ما ينقله المصنّف لم نجد أيّ تعارضٍ بين هذه الروايات، حيث المعنى متّحد. كما أنّ الزمن في صدور الرواية في تلك المصادر متّحد، وهو عندما أراد الحسين (عليه السلام) الخروج من مكّة. وقد التبس على المصنف المسكين ـ ويا له من محقّق ـ في مسألة محمد بن الحنفية، فالرواية الأُولى يظهر منها عند ملاقاة الحسين بأخيه محمد وفي الثانية إشارة إلى كون الحسين أقبل من مكّة وابن الحنفية بالمدينة، ولمّا بلغه خبر الحسين وهو يتوظّأ في طستٍ بكى وفي الرواية الثالثة عندما أراد الحسين الخروج من المدينة لم يدرِ أين يتوجّه، ثم توجّه إلى مكّة بإشارةٍ من ابن الحنفية. وفي الرابعة زمن الرواية عندما كان الحسين في مكّة.

أقول: وأنت جدّ عليم أن الحسين (عليه السلام) لمّا أخبر أهله وإخوته وبني عمومته بالخروج ـ وهو في المدينة ـ كان ذلك الخبر بصورة نفيرٍ عامٍّ لبني هاشم، وقد جرى بين الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه محمد بن الحنفية بعض الحديث، كما جرى مثل ذلك لعبدالله بن عمر، وغيره.

ثم هناك المفاجأة في خروج الامام عند السّحر ولم يطّلع على خروجه أحد إلا الذين كانوا معه، لهذا عندما سمع ابن الحنفية وهو يتوظأ بكى، فأيّ تعارضٍ في الأمر؟ الرواية الثالثة تشير إلى أنّ الإمام كان حائراً ثمّ توجّه إلى مكّة بإشارة أخيه ابن الحنفية، هذا حصل في الإنذار العامّ ـ إن صحّ التعبير ـ ولمّا وجد

---

(١) كامل الزيارات / ص ٧٥.

ابن الحنفية أنّ خروج أخيه أمرٌ لابدّ منه أمّا توقيت خروج الإمام فهذا ممّا أخفاه الإمام على الجميع؛ لأمورٍ كان هو أعلم بها من غيره.

ثمّ الرواية الرابعة في كامل الزيارات تذكر: أن الكتاب صدر من الإمام وهو في مكّة، بعثه إلى أخيه محمد وبني هاشم. فما ضير ذلك؟ وهل عقول المحقّقين جمدت إلى هذا الحد بحيث لا تستوعب أبسط الأمور العاديّة التي غالباً تحدث بين الأب وأبنائه فيؤكّد أوامره المرّة بعد الأخرى، سواء كان في رسائله أو في الاتصالات الهاتفية، أو التوصيات الشخصية...؟! فكيف بالإمام الحسين قائد هذه النهضة وزعيم هذه المسيرة ورائد هذا الجهاد؟! أليس من البديهيّ أن تصدر أوامره تباعاً؟! بل من الطبيعيّ جدّاً أن تترى رسائله ورسله إلى قومه وأنصاره ومن يرجو فيه خيراً فيحثّهم على الجهاد ومن ثمّ اللحوق به...

فالإمام الحسين كان يستنهض بني هاشم كغيرهم من الناس، وكتابه لمحمد بن الحنفيّة لا يمانع ولا يعارض ما ذكره له وهو في المدينة، وهكذا لمّا وصل مكّة، وهكذا لمّا خرج منها.

جدول يكشف عن التناقض في استدلال صالحي نجف آبادي

	المصدر	سند الرواية	زمن الرواية ومكانها	من...وإلى	نوع الحديث
١	اللهوف من قتل الطوف ص٥٥	أصل أحمد بن الحسين	عند ملاقاة الإمام بأخيه محمد بن الحنفية وهو في صبيحة يوم خرج من مكة		انظر شهيدجاويد ط١ ص ١٢٤
٢	الطبري ٤ / ٢٩٧	أبو مخنف عن هشام بن الوليد عمن شهد ذلك	ان الحسين اقبل بأهله إلى مكة وابن الحنفية بالمدينة فبلغه خبره وهو يتوظأ في طست فبكى		ابن الحنفية في المدينة ودموعه في الطشت. هذا المعارض الأول ط ١ ص ١٢٤ من شهيد جاويد
٣	الطبري ٤ / ٢٩١ و٢٩٢	الحارث بن كعب الوالبي عن علي بن الحسين	عندما أراد الحسين عليه السلام الخروج من المدينة لم يدرِ أين يتوجّه ثم توجّه نحو مكة باشارة ابن الحنفية		في ط ٩ من شهيد جاويد ص ٣٩٨ يذكر المصنف هذهِ الرواية بعنوان المعارض الأول ويترك الرواية السابقة
٤	كامل الزيارات ص ٧٥	ابن قولويه عن أبيه عن سعد ابن عبدالله عن زرارة عن الباقر عليه السلام	عندما كان الحسين في مكة	كتاب من الحسين عليه السلام إلى ابن الحنفية وبني هاشم يأمرهم في اللحوق به	في ط ١ من شهيد جاويد ص ١٢٦ يذكره المصنف بعنوان المعارض الثاني لكنه في الطبعات الاخرى يحذفه

ثمّ تجد المصنّف لهزالة تحقيقه وتهافته أنّه من طبعة إلى أُخرى يغيّر في وجه الاستدلال.

ففي الطبعة الأُولى (ص ١٢٤) يذكر المعارض الأوّل برواية الطبريّ بسند أبي مخنف، عن هشام بن الوليد.

أمّا في الطبعة التاسعة يترك هذا المعارض ويأتي بمعارضٍ غيره برواية الطبري، لكن بسند الحارث بن كعب الوالبيّ، عن عليّ بن الحسين[١].

أمّا بالنسبة إلى المعارض الثاني ـ كما يدّعيه ـ ففي الطبعة الأُولى من كتابه (ص ١٢٦) يذكره برواية كامل الزيارات بسند ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد ابن عبدالله، عن زرارة، عن الباقر (عليه السلام)، غير أنّه في الطبعات اللاحقة لكتابه يحذف هذا المعارض.

وبالتالي نقول لهذا المتخبّط في التأريخ: إنّ الذي ذكرته كمعارضٍ أوّل لم يثبت عندك، وإن نفسك لم تتيقّن به، ولهذا تردّدت في تعيينه، وهكذا بالنسبة للمعارض الثاني: فقد أيقنت نفسك أنّه لا يصلح معارضاً، فيا ترى هل في جعبتك إلاّ الأوهام والتخيّلات؟ ألا يكون حريّاً بك أن تفيق...؟!

وإليك أيها القارئ العزيز النصّ الفارسي:

«پس از بررسى كامل باين نتيجه رسيديم كه: اين حديث تا حدود نيمۀ دوّم قرن هفتم هجرى در هيچ يک از منابع تاريخى وحديثى كه در دسترس ما هست وجود نداشته است واز نيمۀ دوم قرن هفتم هجرى در كتب مقاتل درج شده وشهرت پيدا كرده است.

اينک نام منابع اصلى تاريخى كه اين نقل در آنها وجود ندارد به ترتيب

(١) انظر الرواية في شهيد جاويد / ص ٣٩٨.

ذكر مى‌كنيم:

١ ـ الامامة والسياسة تأليف ابن قتيبه الدينورى...»[١].

ثمّ يسرد اثني عشر مصدراً لكتب المخالفين وثلاثة مصادر ـ فقط ـ من كتب الإمامية.

بل يؤكد المصنّف أنّ مصادر أهل السنّة هي مورد الاعتماد في هكذا تحقيق.

أمّا نحن فقد أسلفنا فيما مضى: أنّ العقائد الدينيّة والمذهبية التي ابتنى عليها مذهب الإماميّة لا ينبغي أن نأخذها من مصادر وآراء مخالفينا، بل نأخذها من مصادرنا المعتبرة فقط، ومن طريق أهل البيت (عليهم السلام) .

بينما مصنّف (شهيد جاويد) على العكس من ذلك، فهو ينفخ في رماد، ويطلب جذوة نارٍ في ماء إنّه يريد أن يحقّق العقائد الإماميّة بواسطة الكتب السنّيّة، بل يريد من كتّابنا ومصنّفينا أن يوافقوا أهل السنّة فيما يكتبون ويؤرّخون.

إنّ ذلك من أغرب العجائب، حيث أدنى شخصٍ لا يأمل في أُولئك جاحدي خلافة أمير المؤمنين، وناكري ولايته الشرعية وإمامته المنصوصة وإمامة أبنائه، وناصبي العداء والبغضاء لهم، لا يأمل منهم الخير، ولا يتوسّم فيهم الصدق في كلّ ما يكتبونه، فكيف بمن يدّعي الفضل والعلم (كالنجف آبادي)؟!

وقد قيل: فاقد الشيء لا يعطيه فالذي ينكر عصمة الأئمّة ولا يقيم لهم وزناً، بل يجعلهم كسائر الناس العاديّين ولا يرى لهم أيّ حقٍّ لا من قريب ولا من بعيد، بل شأنهم في النسب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) كشأن بني العبّاس، والجميع ـ على حدّ زعم المخالف ـ أبناء عمٍّ ولا فضل لأحد!!

من كان فكره ومعتقده في أهل البيت ـ هكذا ـ فكيف نرجو منه ومن

---

(١) شهيد جاويد / ص ١٢١.

أقرانه أن يضبطوا لنا تأريخ أهل البيت ووقائعهم وخصوصيّاتهم، وخاصّةً واقعة الطفّ وسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) ؟!

واذا قلنا أن المخالف بإمكانه ضبط تلك الوقائع بكل جزئياتها، فهذا يعني: أنّ القوم سيعترفون بمظلوميّة الإمام الحسين (عليه السلام) ، وسيعترفون بجناية يزيد ومعاوية وبني أُميّة، بل إنّهم سيعترفون بجنابة الخليفة الثالث عندما حابا بني أُميّة وقرّب مروان بن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان...!




القسم الثاني
السرقات



مع
الركابي في سرقاته



مع الشيخ الركابي
وكتاب (وقعة كربلاء) المسروق
من الأصل الفارسي (شهيد جاويد)

حبّ الجاه والمال والمنصب والرئاسة تجده عند الكثيرين من الناس، وليس غريباً أن يسعى المرء إلى هذه بطرقٍ نزيهةٍ وشريفة، وليس هناك أيّ مانعٍ من نيل الرُتب الدنيويّة إذا كان الإنسان سعيه في جدٍّ ومثابرة، وقد قيل:

من رامَ وصلَ الشمسِ حاكَ خيوطها   سَببـاً إلى آمـاله وتـعلّقا

لكن من التفاهة والحماقة أن يسعى المرء في بناء شخصيّته الموهومة من خلال سرقة جهود الآخرين وانتحال ذلك المسروق لنفسه...

وفي نظري أنّ ذلك العمل ناشئ من عقدةٍ في الشخص نفسه، ربّما غرّته بعض الكلمات المعسولة الصادرة من قطيع الأغنام الذين يحوطون به، فتشدّق لينتحل بحوث الناس لنفسه.

من أُولئك شخص يدّعى «الشيخ الركابي»، تأريخه مجهول، بل مشبوه أيضاً إليك نبذةً عن حياته:

اسمه: أياد فشّاخ الركابي، من منطقة الرفاعي وهي بلدة صغيرة ريفيّة تقع جنوب العراق تقريباً إلى شمال محافظة البصرة وبالقرب من مدينة العمارة.

لديه أخ اسمه «عبد الجليل الركابي» كان في دولة الإمارات، وقد أنهى كلية أُصول الدين في بغداد، وعمل موظّفاً في دائرة العقاري هناك، ثم عمل مع حركة القوميّين. وفي عام (١٩٨١ م) جاء إلى سوريا ثمّ ذهب إلى مصر، وهناك

أرسل على أخيه أياد الملقب بـ(الشيخ الركابي).

وقد استطاع (الشيخ الركابيّ) أن يزور إيران في عام (١٩٨٢ م)، وهو يوم ذاك لم ينهِ المرحلة الإعدادية من دراسته كما أنّه لم يعرف من شؤون الحوزة وعلومها حتّى مقدّماتها.

حاول أن يتسلق ليصل إلى مكتب آية الله الشيخ المنتظري، وفعلاً حصل له ذلك، ثمّ فجأةً يحضر درس الشيخ (البحث الخارج) وذلك في عام (١٩٨٥ م).

ولم تمضِ عليه أسابيع حتّى نجده يدّعي أنه أُستاذ في جامعة مشهد في مادّة الفلسفة!

والسرّ في ذلك: أنّه يأخذ تعريفاً مزوّراً من مكتب الشيخ ليعرضه على جامعة مشهد في خراسان، عسى أن تتهيّأ له الفرصة فيكون أُستاذاً فخرياً، إلاّ أنّه اصطدم بالواقع، حيث إنّ محتواه العلميّ والفكريّ يكشف زيفه وزيف كلّ محتال...

ثمّ رجع من مشهد خائب الآمال، ممّا حاول أن يبرز في مجال الكتابة ولو بسرقة بحوثٍ كاملةٍ ونقلها من لغةٍ إلى أُخرى...

أوّل سرقةٍ له هو كتاب (شهيد جاويد)المارّ ذكره في الصفحات السابقة لمؤلّفه صالحي نجف آبادي، وهذا المؤلف وهو الآخر من حواشي الشيخ المنتظري.

عمد (الركابيّ) إلى ترجمة أغلب فصول الكتاب وبحوثه، إذ نقلها إلى العربية وانتحل الموضوع لنفسه.

وأغرب من ذلك أنّه سرق حتّى مقدّمة الكتاب، فجعلها ملفّقةً من عدّة مصادر! وإنّك تجد الفقرة الأخيرة من مقدّمة كتاب (وقعة كربلاء) مأخوذة من مقدّمة الشهيد الصدر لكتابه (فلسفتنا)...!

إنّني لا أُريد أن أُسجّل ملاحظاتٍ على كتاب (وقعة كربلاء)؛ لأنّه ليس فيه

جديد، بل مفاده هو نفس كتاب (شهيد جاويد) باللغة الفارسية، لكن أُريد أن أُدلل على أنّ الكتاب مسروق لذا قمت بتصوير بعض صفحات النسخة الفارسيّة بما يقابلها من عناوين في نسخة (وقعة كربلاء)، وقد اخترت لذلك بعض عناوين الكتاب، وسيجد القارئ العزيز بصمات السرقة واضحةً جليّة، وإليك الصفحات المصوّرة من الكتابين:

٦ - مروج الذهب، ٧ - مقاتل الطالبيين، ٨ - الارشاد للشيخ المفيد، ٩ - إعلام الورى، ١٠ - روضة الواعظين، ١١ - الكامل لابن الاثير، ١٢ - التذكرة للسبط، ١٣ - التهذيب لابن عساكر، ١٤ - تاريخ ابن كثير. فالخطبة في جميع تلك التواريخ المدونة أعلاه لم تذكر وليس لها وجود، بل إنها جاءت فقط في كتاب اللهوف والكتب التي تلته رتبها بدون سند يذكر. وعلى أساس هذا فالخطبة ليست متواترة أو يقينية، وليست لدينا قرينة قطعية على صحة صدورها، وليست هي بمستوى الخبر الواحد الصحيح الإعتبار، بل إنها من جهة الإعتبار تأتي بمرتبة الخبر الواحد المجهول السند.

٢ - حديث انزل الله النصر: جاء في كتاب الكافي للكليني حديث بهذا الشكل: «عن ابي جعفر عليه السلام قال: أنزل الله تعالى النصر على الحسين (ع) حتى كان بين السماء والارض ثم خُير: النصر أو لقاء الله فاختار لقاء الله». (اصول الكافي ج ١ ص ٢٦٠). قد يتصور أحدكم أن مقصود الإمام (ع) كان يريد أن يُقتل نفسه، ولكن يجب أن نعلم أن هذا الحديث لا يصل الى حد الحجيّة لمجموعة من العلل نذكر منها ما يلي،

١ - وجود معارض له في المقام كحديث (لوط بن يحيى) المروي بهذه الصورة؛ «قال عقبة بن بشير الاسدي: قال لي أبو جعفر مُحمد بن علي بن الحسين: إن لنا فيكم يا بني أسدٍ دماً قال: قلت: فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا ابا جعفر! وما ذلك؟ قال: اتي الحسين (ع) بصبي له فهُو في حجره إذ رماهُ أحدكم يا بني أسدٍ بسهم فذبحه فتلقى الحسين دمه فلما ملأ كفيه صَبّهُ في الارض ثم قال. رَبّ ان تَكُ حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خيرٌ وإنتقم لنا من هؤلاء الظالمين». (تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٢)

أنظر ص ٣٨٢
٢٩٠ من الكتاب الفارسي مع الهامش

۳ـ پس دراین زمان هم برای شهادت خارج نشد.

و پس‌از برخورد با حربن‌یزید تا قبل‌ازشروع جنگ‌کوشش امام این بود که نزاع خصومت شود وخون ریخته نشود وتلاشهای خالصانهٔامام دراین‌راه ازآفتاب روشن‌تر است[1].

۴ـ پس دراین زمان هم برای‌کشته شدن خارج نشد.

آری، هنگامیکه روز عاشوراء از طرف دشمن حمله شروع شد بحکم اضطرار دستور دفاع صادرفرموده وخود واصحاب‌وفادارش به‌پیکار با دشمن پرداختندکه بشهادت‌آنحضرت ویاران فداکارش انجامید.

پس مضمون این‌دو روایت با روز عاشوراء منطبق میشود، آن‌هم نه بمعنای‌اینکه امام برای‌کشته شدن خارج شده بلکـه باین معنی که پس‌ازحملهٔ دشمن به‌پیکار وجهاد پرداخت و آنحضرت و یارانش دراین پیکار شهید شدند.

بنابراین باتوجه به‌عمل‌امام‌که درخارج انجام‌داد ازاین‌دوحدیث استفاده نمیشود که امام حسین علیه‌السلام از خدا دستور داشته است از همان آغازکار برای‌کشته شدن خود و اصحابش خارج شود.

۳ـ حدیث: «انزل‌الله‌النصر»

کافی حدیثی بدینصورت نقل میکند: «... عَنْ اَبِی جَعْفَرٍ عَلَیْهِ‌السَّلامُ قالَ: اَنْزَلَ اللّهُ تَعالی النَّصْرَ عَلَی الْحُسَیْنِ(ع) حَتّی کانَ بَیْنَ السَّماءِ وَالْاَرْضِ ثُمَّ خُیِّرَ:

۱ـ بص ۱۰۰ و ۱۴۲ ازهمین‌کتاب رجوع شود.

فالحديث السابق الذي رواه الكافي يتحدث بإطلاق عن نزول النصر من السماء على الحسين (ع)، لكنه هنا وفي حديث لوط بن يحيى لم يدعي نزول النصر. ومع تعارض الخبرين نرجع الى التحقيق فيهما.

فرواية الكافي وطبق ما كتبه العلامة المجلسي (قدس س)في كتاب مرآة العقول ج ١ ص ١٨٩ قال عنها بانها رواية حسنة، ومصطلح الرواية الحسنة عند علماء الحديث يعني مقبولة الى بعض الحدود. ولكنها لا تصل الى مستوى الحديث الصحيح. . وأما رواية لوط بن يحيى فهي أيضاً مقبولة الى بعض الحدود، لان لوط بن يحيى وحسب ما صرح به النجاشي في رجاله في الصفحة ٢٤٥ إنه «قابلٌ للإعتماد». والراوي الآخر للحديث عقبة بن بشير ينقل عنه ابان بن عثمان الذي هو من أصحاب الإجماع. فهو إذن مقبول الى بعض الحدود ويمكن الإطمئنان اليه (الكافي ج ٤ ص ٥٠٦ حديث ٤). وعلى أي حال فلو إفترضنا ان رواية لوط بن يحيى لم تكن بمستوى رواية الكافي من حيث السند، لكن هذا المقدار من الإعتماد يُنزل رواية الكافي عن الحجيّة.

٢ ـ وأيضاً؛ يلزم في حديث الكافي ان يكون الحسين (ع) مخالفاً في العمل لسيرة رسول الله (ص) لأن رسول الله (ص) وحسب ما نقل في الروايات المعتبرة إنه إستنزل النصر الالهي في معركة بدر التي كانت هذه المساعدة الغيبية عامل حسم ونصر ونجاة للإسلام والمسلمين. ولكن الإمام (ع) وحسب ما نقله الكافي رفض الإمداد الغيبي وهو بذلك إنما يخالف مسيرة رسول الله (ص). . والمسلم المؤمن لا يتمكن نسبة الخلاف من الحسين (ع) لسيرة جده رسول الله (ص).

٣ ـ وأيضاً؛ يلزم من حديث الكافي أن يفهم المرء أن الإمام الحسين (ع) لا يريد نزول الإمداد الغيبي الالهي الذي هو بمثابة عامل

أنظر ص ٣٨٢
من الكتاب الفارسي ٢٩١

اَلنَّصرِ اَوْ لِقاءَاللّهِ فَاخْتارَ لِقاءَاللّهِ [1]. خدا نصرت خودرا برحسین (ع) نازل کرد تااینکه بین آسمان وزمین رسید آنگاه امام مخیر شد بین نصرت یا ملاقات خدا وآنحضرت ملاقات خدارا اختیارکرد».

ممکن است کسی بادیدن این حدیث تصورکند امام منظورش این بوده که کشته شود ولی باید دانست این حدیث بچندعلت تا سرحد حجیت نمیرسد :

۱ــ معارض دارد وآن حدیثی است که «لوط بن یحیی» بدینصورت نقل میکند : «قالَ عُقْبَةُ بْنِ بَشیرِ الاَسَدیُّ : قالَ لی اَبُوجَعْفَرِ مُحَمَّدُبْنُ عَلیِّ بْنِ الحُسَیْنِ : اِنَّ لَنافیکُمْ یا بَنی اَسَدٍ دَماً قالَ: قُلْتُ: فَماذَنْبی اَنَا فی ذٰلِکَ رَحِمَکَ اللّهُ یا اَباجَعْفَرٍ! وَما ذٰلِکَ ؟ قالَ: اُتِیَ الحُسَیْنُ (ع) بِصَبِیٍّ لَهُ فَهُوَ فی حِجْرِهِ اِذْرَماهُ اَحَدُکُمْ یا بَنی اَسَدٍ بِسَهْمٍ فَذَبَحَهُ فَتَلَقَّی الحُسَیْنُ دَمَهُ فَلَمّا مَلأَکَفَّیْهِ صَبَّهُ فِی الاَرْضِ ثُمَّ قالَ: رَبِّ اِنْ تَکُ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ مِنَ السَّماءِ فَاجْعَلْ ذٰلِکَ لِما هُوَخَیْرٌ وَانْتَقِمْ لَنا مِنْ هٰؤُلاءِ الظّالِمینَ [2]. عقبة بن بشیر اسدی میگوید : امام محمد باقر علیه السلام بمن فرمود: ای بنی اسد شما یك خون ازما ریخته اید گفتم : گناه من چیست؟ وقصه چگونه بوده؟ فرمود: بچه ای را ازامام حسین(ع) به آنحضرت دادند آن بچه در دامن امام بودکه یکی ازشما بنی اسد تیری بوی زد و ذبحش کرد حسین(ع) دودست خودرا زیرخونهای گلوی بچه گرفت وقتی دودست وی پرشد خونهارا بزمین ریخت. آنگاه گفت: خدایا

۱ــ اصول کافی ج۱ص ۲۶۰

۲ــ تاریخ طبری ج۴ص۳۴۲. ارشاد مفید نیزاین حدیث را با کمی اختلاف درص۲۲۱ نقل کرده است.

أنظر ص ۲۹۰
من كتاب وقعة كربلاء

البياض صحيـــــح

اگر نصرت آسمانی‌را ازما بازداشته‌ای این مصیبت را ذخیرهٔ آخرت ما قرارده وانتقام مارا ازاین ستمگران بگیر».

از حدیث کافی معلوم میشود نصرت آسمانی برای امام حسین علیه‌السلام آمده درحالی‌که از حدیث «لوط‌بن‌یحیی» معلوم میشود نیامده است.

وروایت کافی طبق نوشتهٔ علامهٔ مجلسی قدس سره درمرءات‌العقول ج۱ ص۱۸۹ روایت حسنه است و روایت حسنه تاحدودی قابل قبول‌است ولی بپایهٔ حدیث صحیح نمیرسد. وحدیث «لوط‌بن‌یحیی» نیز تاحدودی قابل قبول است زیرا «لوط‌بن‌یحیی» طبق نوشتهٔ رجال نجاشی ص ۲۴۵ قابل اعتماد بوده و «عقبة‌بن‌بشیر» اسدی که راوی دیگر این حدیث است چون «ابان‌بن‌عثمان» که ازاصحاب اجماع است ازوی نقل حدیث میکند (کافی ج۴ص۲۰۵حدیث۴) ازاینرو تاحدودی قابل‌اطمینان‌است.

ودرهرحال اگرچه‌حدیث «لوط‌بن‌یحیی» شاید سندش به‌قوت‌سند حدیث کافی نباشد ولی اینقدر هست که حدیث کافی را ازحد حجیت تنزل میدهد .

۲ـ لازمهٔ‌حدیث‌کافی اینست‌که سیدالشهداء صلوات‌الله‌علیه‌مخالف سیرهٔ رسول خدا (ص) عمل‌کرده باشد زیرا رسول‌اکرم(ص) کمك غیبی را درجنگ‌بدر پذیرفت[1] واسلام راازخطر نجات داد، ولی امام‌حسین(ع) طبق حدیث کافی برخلاف سیرهٔ پیغمبر(ص) کمك خدا را نپذیرفت . و مسلم‌است‌که مخالفت باسیرهٔ رسول خدا(ص) را نمیتوان به سیدالشهداء

۱- سورهٔ انفال‌آیهٔ ۹

أنظر ص ۲۹۱
من كتاب وقعة كربلاء

المساعدة في إحياء الإسلام وإحقاق الحق ونجاة المستضعفين، وهل يمكن للفرد العاقل نسبة ذلك لابن رسول الله (ص)؟

تنبيـه: لا يمكن القول بأنه كما أن الله لم يكن النصر من خلال المعجزة والإمداد الغيبي، وكذلك فإن الإمام (ع) لا يريد النصر من خلال المعجزة والإمداد الغيبي لإنقاذ الإسلام من الخطر.. إن مثل هذا القياس ليس بصحيح، لان الله لم يكن فرداً مكلفاً ولكن الإمام (ع) على العكس فهو فرد مكلف الى الحد الذي يتمكن فيه إنقاذ الإسلام، ولهذا المعنىٰ قام بثورته وقيامه بوجه الظلم مع ما تحمله من مشقات وصعوبات، أضف الى ذلك بأن الله سبحانه وتعالىٰ في حديث الكافي أراد أن ينزل الإمداد الغيبي لنصرة الدين ولكن الإمام (ع) رفض هذا الإمداد!.. ولكن يجب أن تنصفوني القول إن حديثاً له ثلاث نقاط ضعف هل يستطيع أن ينهض أن يكون دليلاً على أن الإمام (ع) تحرك للشهادة؟

٣ حديث من لحق بي إستشهد: يقول حمزة بن حمران كنت في مجلس الإمام الصادق (ع). قال حمزة؛ فذكرت بخروج الحسين (ع) ونخلف ابن الحنفية عنه. فقال (ع) يا حمزة إني سأحدثك من بما لا تشك فيه بعد مجلسنا هذا إن الحسين (ع) لما فصل متوجهاً الى العراق دعا بقرطاس وكتب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي الى بني هاشم أما بعد فإنه من لحق بي إستشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام». (اللهوف ص ٥٧، ودلائل الامامة ص ٧٧، وكامل الزيارات ص ٧٥ مع بعض الإختلاف).

ولا ريب إنه في معنىٰ هذا الحديث وجوه منها ما يلي:

١ ـ يحتمل أن الإمام (ع) يقصد إن كل فرد هاشمي يلتحق به يستشهد، مثل ابني عبد الله بن جعفر، ولكنه لم يتحدث عن شهادة

۹ـ حدیث: « من لحق بی استشهد » :

حمزة بن حمران میگوید : ما در محضر امام صادق علیه السلام از قیام امام حسین(ع) و همراهی نکردن محمد حنفیه با آنحضرت سخن بمیان آوردیم ، حضرت صادق (ع) فرمود : من حدیثی برای تو نقل میکنم

← ۴۱۷ یا ۴۱۸ هجری در مقتل امام حسین (ع) به عربی بسیار رکیك نوشته و حقایق تاریخی را تحریف کرده. صاحب بن عباد دربارهٔ ابواسحاق میگوید: او آتش سوزنده‌ای است (لغت‌نامهٔ دهخدا ص ۲۳۲۲). برای معرفی ایـن سنی دروغ پرداز چندمطلب را از باب نمونه از کتاب او نقل میکنیم: ۱ ـ میگوید: علی علیه‌السلام در محراب مسجد کوفه دفن شده (ص ۵) ۲ ـ میگوید :معاویه دربارهٔ حسین(ع) از پدرش علی مهربان‌تر بود (ص۵) ۳ـ میگوید ،معاویه به یزید گفت: خلافت ازحسین وپدراوست وما بندهٔ حسین وپدر اوهستیم تو بگذار خلافت به اهلش بر گردد(ص۷) ۴ـ میگوید، امام بمردم کوفه نوشت :مسلم برای شما در مسجد کوفه نماز میخواند ونعمان بن بشیر بین شما حکم میکند تامن به کوفه بیایم(ص۱۵) ۵ـ میگوید ، مسلم بمنزل نعمان بن بشیررفت ونعمان نامهٔ امام را روی سر گذاشت و با مسلم موافقت کرد و مسلم نماز جماعت میخواند و بین مردم قضاوت میکرد و نعمان حکومت میکرد (ص ۱۶) ۶ ـ میگوید ، امام به خواهرش سکینه گفت : من از جدم شنیده‌ام که حسین کشته میشود ولی شاید آن حسین غیر از من باشد (ص ۱۷) ۷ـ میگوید ، عبدالله زبیر به امام حسین(ع) گفت : مرا با خود به کوفه ببر و من دو هزار مرد شجاع بکمك شما میآورم و تا دروازهٔ مکه امام را بدرقه کرد و با چشم گریان با او وداع کرد و بر گشت (ص ۱۹) ۸ ـ میگوید ، ابن زیاد نامه‌ای باسم مسلم جعل کرد و از زبان وی به امام نوشت : هر چه زودتر به کوفه بیا (ص ۳۷) ۹ ـ میگوید . اجساد شهدای کربلا را قومی از جن‌ها دفن کردند (ص ۶۶) ۱۰ ـ میگوید . یزید از شدت پشیمانی سیلی به صورت خود میزد و میگفت : مرا با حسین چه کار؟! (ص ۸۵) و صدها دروغ دیگر .

شخص الإمام (ع) أو عدمها حتى عن سائر أصحابه فقد سكت ولم يشملهم بالحديث، وهذا هو ظاهر الحديث.

٢ ـ ويحتمل أن الإمام (ع) يقصد أن كل فرد هاشمي، وكذلك هو واصحابه وكل من جاء معه فإنهم سيقتلون «وهذا من باب كون اللاحق والملحوق في الحكم واحداً» وهذا الوجه لم ينطبق على الواقع، لان عدة من اصحاب الإمام (ع) لم يستشهدوا وكذلك بعض الافراد من بني هاشم أيضاً لم يستشهدوا بل بقوا أحياء كما هو الحال لأبناء الإمام الحسن عليه السلام.

٣ ـ يحتمل أن الإمام (ع) يقصد أن أكثر بني هاشم سواءً التحقوا به أو كانوا معه سوف يستشهدون، ولكنه (ع) لم يحدثنا عن شهادة نفسه أو عدمها بل آثر السكوت. وهناك احتمال أن يكون الإمام (ع) جزءاً من الأقلية أو من الأكثرية، وهذا الاحتمال جار في كلّ فرد من أصحابه.

٤ ـ ويحتمل: أن الإمام (ع) يقصد أن بني هاشم سواء الذين التحقوا به أو الذين كانوا معه فإنهم سيكونون بمعرض للشهادة، لان إمكان وجود صدام عسكري قائم بين الإمام الحسين وحكومة يزيد الفاسدة. ولكنه (ع) في ذات الوقت لم يتطرق الى نفسه أو الى أفراد بني هاشم واحداً واحداً ولم يخصهم من جهة الاسم بالذكر.

٥ ـ ويحتمل: أن كلمة «أستشهد» إنما هي إخبار بمعنى الإنشاء ويكون قصد الإمام (ع) هو طلب الإستنصار من بني هاشم ويريد منهم أيضاً أن يستعدوا للفداء والتضحية مع كبر في نفوسهم وإن يبث فيهم روح الشهامة والشجاعة، ويكون معنى (استشهد) هنا: على كل واحد يلتحق بنا فعليه أن يستعد للتضحية والفداء حتى الشهادة، إذن وبناء على ما تقدم يكون مقصوده (ع) تشويق بني هاشم لكي يلتحقوا به ولذا جيء في ذيل

بدايته في الصفحة السابقة

(وحقیقت مطلب را میگویم) تادیگر بعدازاین مجلس از قضیهٔ محمدبن حنفیه سؤال نکنی :

امام حسین علیه السلام وقتیکه از مکه بسوی کوفه حرکت کرد کاغذی خواست و چنین نوشت : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمْ اُسْتُشْهِدَ وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ وَالسَّلَامُ[1] . این نامه‌ای است ازحسین بن‌علی به‌بنی‌هاشم : ازشماکسی که بمن ملحق‌شود شهید میشود و کسی که ملحق نشود به‌فتح و پیروزی نمیرسد » .

درمعنای این حدیث چند وجه است :

۱ ـ بگوئیم : مقصود اینستکه هرکس از بنی‌هاشم به‌امام ملحق شود شهید میشود مثل پسران عبدالله جعفر ولی دیگر از شهادت یاعدم شهادت خود امام وسایر همراهان آنحضرت ساکت است (و این معنای ظاهرحدیث است).

۲ ـ بگوئیم : مقصود اینستکه هرکس از بنی‌هاشم به‌امام ملحق شودکشته میشودوهمچنین خود آنحضرت‌وهمهٔ همراهان (ازباب‌اینکه حکم‌لاحق‌وملحوق یکی است) شهید میشوند . واین وجه باواقع‌منطبق نمیشود زیرا چندنفرازاصحاب امام ازبنی‌هاشم و غیرآنان زنده ماندند چنانکه سابقاً در صفحهٔ ۳۱۸ اشاره کردیم .

۳ ـ بگوئیم : مقصود اینستکه اکثریت بنی‌هاشم چه‌لاحق وچه ملحوق شهید میشوند وازشهادت یاعدم شهادت خود امام بشخصه ساکت

۱ـ لهوف ص۵۷ ودلائل‌الامامة ص۷۷ وکامل‌الزیارات ص۷۵ باکمی اختلاف.

الرسالة ما يلي «ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح» ولن يتمكن من الوصول الى حافة النصر. وبالتالي فإن بقاءكم في المدينة لا يوصلنا الى النصر ويتحتم عليكم العيش تحت سلطة الظالمين، وإنه لا شي أفضل من أن تستعدوا معي وتساعدوني على أمل أن ننتصر على العدو ونقيم حدود الله ونرفع الظلم من على المستضعفين.

تنبيه: لا ريب أن هذا الحديث كان بمحضر الإمام الصادق (ع) والإمام (ع) في مقام بيان صورة جملة الإستفسار المطروح حول ابن الحنفية وسبب تخلفه، ولعل اسلوب الحديث يوحي بأن الأمام (ع) بمعرض إنتقاد اراء الكيسانية التي تدعي امامة محمد بن الحنفية، وهذا التعليل يبتني على روح سلب الإمامة بجزئها الخاص الى أي فرد لم يكن قد ساهم في حرب الحسين (ع). لعله كان هذا ولعله كان غير ذلك والله العالم.

ملاحظة: إن كلمة الفتح في الحديث كما أرى تعني النصر وتشكيل الحكومة الإسلامية؛ وليس هي الفوز الاخروي تعليلاً لصدر الحديث، بل أن ما إدعاه بعضهم دعوى بلا دليل مع وجود ما يعارضه كما جاء في رسالة أمير المؤمنين (ع) لعقيل بن ابي طالب «فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت» (الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٥). وهذا المعنى الاخير صريح في التعليل لان مبنى القاعدة العقلائية يؤكد على أن مرحلة الحكم على المعنى في الشهادة هي مرحلة تعليل الظواهر بالحاجات المفروضة، لكن ما دام عالم الادلة ينفي ذلك فيثبت جدلاً العكس وهو النصر الالهي بحكومة إسلامية.

خلاصة الوجوه: أما الوجه الأول من الوجوه الخمسة فيحسب المعنى الحقيقي للحديث. وأما الوجه الثاني فلا يمكن قبوله، والثلاثة الاخر يمكن

أنظر ص ٤٢٧
من الكتاب الفارسي (شهيد جاويد)

است چون احتمال دارد خودآنحضرت جزء اقلیت باشد یاجزء اکثریت. چنانکه دربارهٔ یك‌یك ازهمراهان نیزاین احتمال هست که جزء اقلیت باشند یاجزء اکثریت .

۴ـ بگوئیم: مقصود اینست‌که بنی‌هاشم ، چه‌لاحق وچه‌ملحوق‌در معرض شهادت هستند زیرا امکان برخورد نظامی‌هست، ولی‌ازشهادت یا عدم شهادت خود امام (ع) بشخصه ویك‌یك ازافراد بنی‌هاشم باشخاصهم ساکت است .

۵ ـ بگوئیم : کلمهٔ (أُستُشهِد) اخبار بمعنای انشاء است‌ومقصود امام (ع) اینست‌که‌ازبنی‌هاشم استنصارکند وضمناً میخواهد روح‌شهامت وآمادگی برای فداکاری را درآنان بدمد و معنـای « أُستُشهِد » اینست که (هرکس بمن ملحق شود) باید آمادهٔ پیکار تا سرحد شهادت باشد . پس‌منظور آنحضرت اینست‌که بنی‌هاشم را تشویق‌کند تابوی‌ملحق‌گردند و ازاینرو درذیل نامه فرموده است : هرکس بمـن ملحق نشود به‌فتـح وپیروزی نخواهد رسید یعنی حالا که ماندن شما در مدینه به‌پیـروزی نمیانجامد و باید زیرسایهٔ ظلم‌زندگی‌کنید همان‌بهترکه‌آمادهٔ پیکارشوید ودراین‌قیام بامن همکاری‌کنید بامید اینکه بردشمن غالب گردیم.

یك نکته :

چون‌درمحضر امام صادق(ع) سخن‌ازهمراهی‌نکردن محمد حنفیه باامام دربین بوده احتمالاآنحضرت خواسته بفرماید : سیدالشهداء (ع) محمد حنفیه را باسایر بنی هاشم به‌کمك خود طلبید با ین وصف او ازة

في ص ٢٩٣
من كتاب وقعة كربلاء

البياض صحيـــــح

نصرت وی خودداری کرد [1] وشاید ضمناً خواسته باشد از طایفهٔ کیسانیه انتقاد کند وبفرماید : آنان کسی‌را به امامت پذیرفته‌اند که ازکمك به امام خود دریغ کرده‌است .

خلاصهٔ وجوه :

وجه اول ازپنج وجه مزبور معنای حقیقی حدیث محسوب‌میشود ووجه دوم قابل قبول‌نیست وسه وجه دیگر با نوعی‌تأویل قابل‌قبول‌است.

آیا بااین احتمالاتی‌که درمعنای حـدیث هست میتوان یکی از احتمالات را بااطمینان خاطر پذیرفت و آیامیتوان ازاین حدیث‌استفاده کرد که امام حسین (ع) بقصد کشته شدن حرکت فرموده است ؟ و آیا چنین مطلبی‌را که مخالف‌عقل اجتماعی‌مردم‌است میتوان باچنین‌حدیثی اثبات کرد ؟ داوری‌آن بعهدهٔ خود شما .

۵ ـ حدیث عمرو بن لوذان :

آنگاه که امام حسین (ع) درراه کوفه به بطن‌العقبة رسید مردی

---

۱ ـ ابن‌عساکر نوشته است: «امام حسین (ع) از مکه برای مدینه پیکی فرستاد ونوزده نفرمرد وزن ازبنی‌عبدالمطلب برای همراهی آنحضرت آمدند (تهذیب‌ابن‌عساکرج۴ص۳۳۱)» معلوم میشود امام از بنی‌هاشم کمك خواسته و عده‌ای ازآنان‌بکمك حضرتش شتافته‌اند وممکن است‌گفته شود: همین نامهٔمورد بحث را برای کمك خواستن فرستاده ویك عده ازبنی‌هاشم بکمك آمده‌اند ولی محمد حنفیه تخلف‌کرده است. ودراینصورت‌کلمهٔ «استشهد» اخبار بمعنای‌انشاء است وشاید این معنی بهترباشد زیرا خبردادن امام ازاینکه هرکس بمن ملحق شود کشته‌میشود چه سودی دارد؟

الصفحة ٢٩٤

وتكلمته في ص ٢٩٥ من كتاب وقعة كربلاء

قبولهم حسب نوع التأويل الذي يمكن إستخدامه . . ولكن مع تلك الإحتمالات المتعددة، هل يستطيع الفرد أن يطمئن لتلك الإحتمالات ويبني عليها ويقبلها؟ وهل يستطيع الفرد من خلال هذا الحديث أن يقول ان الحسين (ع) تحرك لكي يقتل؟ وهل يمكن إثبات ذلك من خلال هذا مع كونه يخالف الرأي العام والمنطق الإجتمعي والعرفي؟ ونترك الإجابة لكم.

٤ **حديث أم سلمة**: جاء منقولاً في بعض الروايات الواردة عن الرسول (ص) إنه أعطىٰ لأم سلمه شيئاً يشبه التراب الأحمر وقد وضع في قارورة وقال (ص) لأم سلمة؛ حتىٰ ما أصبح التراب دماً فإعلمي أن الحسين قد قتل (البحار ج ١٠ ص ١٥٥) وجاء في رواية أخرىٰ قوله (ص)؛ متىٰ ما أصبح التراب دماً فإن الحسين سيقتل. (مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٦٣) وفي رواية أخرى: ان جبرئيل اعطىٰ الرسول (ص) تراباً أحمر من مقتل الحسين (مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٥٩). وفي خبر آخر: إن جبرئيل جاء بتراب أبيض وأعطاه للرسول (ص) دليلاً على ذلك (مناقب الخوارزمي ج ٤ ص ٥٥). وفي خبر آخر: ان جبرئيل أعطىٰ الرسول (ص) كمية من تراب مقتل الحسين (ع) (مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٥٨) وعلى ما أظن أصل المطلب كان واحداً، ولكن كل شخص ينقل بصورة معينة، فأحد قال مثلاً؛ أن جبرئيل أعطىٰ الرسول (ص) تراباً علامة على قتل الحسين. آخر يقول؛ أعطي للرسول (ص) تراباً، وثاني يقول؛ كان لون التراب أحمر، آخر يقول؛ أبيض. وشخص ثالث يقول؛ لم يكن تراباً بل كان شبيهاً بالتراب، آخر يقول؛ متىٰ ما أصبح التراب دماً فإن الحسين سيقتل. إن القدر المشترك بين هذه الروايات يدور حول شهادة الإمام (ع) دون أن يعين الوقت المحدد لها. ولقد جاء عن رسول الله (ص) وصف ذلك الشيء بالتراب أو ما يشبه

ترجمته يتبع في ص ٤٠٨ من الكتاب الفارسي

رسول خدا(ص) درخواب همین دستوررا به‌آنحضرت داده‌بود ، آیا این افرادمیگویند: پیغمبراکرم (ص) دوباره درمکه درعالم‌خواب به‌ملاقات امام حسین (ع)آمده بودتاهمان دستور صحیفهٔ آسمانی وهمان دستوری‌را که درمدینه درخواب به‌امام داده‌بودتکرارکندکه : « اُخْرُجْ فَاِنَّ اللّٰهَ قَدْ شاءَ اَنْ یَراكَ قَتیلاً. بیرون برو که خدا خواسته ترا کشته ببیند » ؟

چه احتیاجی به تکرار این دستور بود ؟ مگر امام (العیاذبالله) درعمل کردن بدستوری که درصحیفهٔ آسمانی ودرخواب کنار قبر مطهر رسول خدا (ص) از آنحضرت دریافت کرده بود مردد شده یامیخواست در اجرای دستور کوتاهی کند که احتیاج به تأکید و تکرار دستور داشت ؟!

۶ــ حدیث ام سلمه :

دربعضی ازروایات وارد شده‌است که رسول‌خدا (ص) چیزی‌شبیه خاك‌سرخ به‌ام‌سلمه داد واوآنرا درشیشه‌ای ضبط‌کرد ورسول‌اکرم(ص) به ام‌سلمه فرمود : هر وقت این خاك خون شد ، بدان که حسین (ع) کشته شده‌است[۲].

ودرروایت دیگری است که فرمود : هروقت این خاك خون شد حسین (ع) کشته میشود[۳].

۱ــ بحارج۱۰ص ۱۵۵
۲ــ بحارج۱۰ص ۱۵۱
۳ــ مقتل خوارزمی ج۱ ص ۱۶۳

التراب قد أعطي له، وإنه قد تحدث عنه وفي مجالس مختلفة وبدفعات متكررة. . وهذا المطلب من جهة المصادر التاريخية والروائية مقطوع اليقين وغير قابل للشك أو الترديد، ولا شك أن عبائر الحديث مربوطة بزمن حياة الرسول (ص) يعني لفترة ما قبل (٥٠ عاماً) على وقعة كربلاء. ولكن هناك أخبار وروايات منسوبة لأم سلمة ومربوطة بزمن ثورة الإمام الحسين (ع) أي بعد (٥٠ عاماً) من وفاة رسول الله (ص) وهذا الإختلاف في موارد النقل يحتاج الى تحقيق في المطلب وها نحن سنقوم بذلك.

رواية إثبات الوصية: في البداية لا بد من القول؛ أن كتاب إثبات الوصية هو لمؤلف مجهول بل لا يعلم من هو بالضبط «وهذا الرأي للعلّامة الاميني صاحب كتاب الغدير، عندما سئل، هل ان كتاب إثبات الوصية هو للمسعودي مؤلف كتاب مروج الذهب؟ فأجاب قائلاً: كلا، إن كتاب إثبات الوصية ليس للمسعودي». (الشهيد الخالد. ص ٤٠٩). وروي عن أم سلمة إنها أتت الحسين (ع) وإنه لما أراد الخروج الى العراق قالت له أم سلمة: يا بني لا تخرج قال ولم قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول يقتل الحسين ابني بالعراق وأعطاني من التربة قارورة أمرني بحفظها ومراعاة ما فيها فبعث إليها والله يا أماه اني لمقتول لا محالة فأين المفر من قدر الله المقدور ما من الموت بد واني لأعرف اليوم والساعة والمكان الذي اقتل فيه واعرف مكان مصيري والبقعة التي ادفن فيها واعرفها كما اعرفك فإن احببت أن أريك مضجعي ومضجع من يستشهد معي فعلت. قالت قد شئت وحضرته فتكلم باسم الله عز وجل الأعظم فتخفضت الأرض حتىٰ أراها مضجعه ومضجعهم واعطاها من التربة حتىٰ خلطتها معها بما كان ثم قال لها إني اقتل في يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم بعد صلاة الزوال».
وأيضاً جاء عين هذا المطلب في كتاب الخرائج للراوندي صفحة ٢٦، وكذلك في كتاب البحار جزء ١٠ صفحة ١٧٥ مع بعض التفاوت بينهما.

أنظر ص ٤٠٩ من كتاب (شهيد جاويد) والهامش من الصفحة نفسها حيث جعله هنا في المتن

ودر نقل دیگری‌است که جبرئیل خاك سرخی از قربانگاه امام حسین (ع) به رسول خدا (ص) نشان داد .[۱]

ودرحدیث دیگری است‌که جبرئیل خاك سفیدی به‌آن حضرت نشان داد[۲] .

ودرخبر دیگری‌است که جبرئیل مقداری از خاك قتلگـاه امام حسین (ع) را به رسول‌خدا (ص) داد[۳] .

بظن‌قوی اصل مطلب یك‌چیز بوده ولی هرکسی آنرا بصورتی نقل کرده ، یکی گفته‌است : جبرئیل خاك‌را به رسول خدا (ص) نشان داد ، ودیگری گفته‌است : خاك‌را بآنحضرت داد . یکی‌گفته‌است : آن‌خاك، سرخ بود ، و دیگری گفته سفید بود ، و شخص سومی گـفته است : خاك نبود بلکه شبیه بخاك بود ، یکی گفته‌است : هروقت خاك، خون شد معلوم میشود حسین‌بن علی (ع)کشته شده است. و دیگری گـفته : هروقت خاك ، خون‌شد بعداً حسین (ع) کشته میشود .

قدر مشترك بین این روایات اینست‌که دربارهٔ محل شهادت امام حسین (ع) پیش‌از وقت چیزی ، خاك یاغیرخاك به رسول‌خدا نشان‌داده شده وآنحضرت آنرا یك‌دفعه یامکرر نقل فرموده‌اند .

واین مطلب ازنظر مدارك تاریخی وحدیثی قابل تردید نیست .

بدیهی است اینمطلب مربوط بەزمان حیات رسول‌خدا(ص) یعنی بیش ازپنجاه سال قبل‌ازحادثهٔ‌کربلا بوده‌است‌ولی نقل دیگری‌بەام‌سلمه

۱ـ مقتل خوارزمی ج۱ ص۱۵۹
۲ـ مناقب جزء ج۴ ص۵۵
۳ـ مقتل خوارزمی ج۱ ص۱۵۸

أنظر ص ۲۹۵ من كتاب وقعة كربلاء

بعراق برود ام‌سلمه بوی پیغام داد که حرکت نکن چون من از رسول خدا شنیدم که میگفت : فرزندم حسین درعراق کشته میشود و یك شیشه خاك بمن داد وفرمود: آنرا نگاه دار .امام به‌ام‌سلمه پیغام داد: من حتماً کشته خواهم شد واز تقدیر خدا نمیتوان فرار کرد واز مرگ چاره‌ای نیست ومن آن روز وساعت ومکانی راکه‌در آن کشته میشوم میدانم وجای دفن خود رامیشناسم چنانکه ترامیشناسم واگر بخواهی آرامگاه خود وکسانی راکه‌بامن کشته میشوند بتو نشان میدهم. گفت: میخواهم. آنگاه ام‌سلمه بحضور امام آمد آنحضرت اسم اعظم خدا را بزبان آورد وزمین پائین رفت وآرامگاه خود ویارانش را بام‌سلمه نشان داد وازخاك آن زمین بهوی داد و اوباخاکی که‌نزدش بود مخلوط کرد پس امام بهوی فرمود: من روز عاشوراء بعد از نماز ظهر کشته میشوم». (اثبات الوصیة صفحهٔ ۱۳۹) .

وهمین مطلب را خرائج راوندی صفحهٔ ۲۶ وبحار جلد ۱۰ صفحهٔ ۱۷۵ باکمی اختلاف نقل کرده‌اند.

پیش از آنکه درمعنای نقل «اثبات‌الوصیة» گفتگو کنیم بایددانست که این نقل از نظر صدور بدوعلت قابل تردید است :

۱ـ سند ندارد.

۲ـ این نقل، ام‌سلمه را باآن ایمان صحیح وسوابق حسنه، بی‌ایمان بصحت پیشگوئی رسول اکرم صلی‌الله‌علیه‌وآله معرفی میکند زیرا طبق این نقل، ام‌سلمه به‌امام گفته است: به‌عراق نرو که پیشگوئی رسول خدا(ص) دربارهٔ کشته شدن تو واقع نشود .

مگرممکن است قصهٔ شهادت امام حسین(ع) که حتی باانبیاء سلف

أنظر ص ۲۹۷
من كتاب وقعة كربلاء

خبرداده شده بود وپیغمبر اسلام (ص) مکرر از وقوع آن خبرداده بود دروغ ازکاردرآید ؟!

این نقل به ام‌سلمه نسبت داده شده که خواسته است از وقوع شهادت امام جلوگیری کند. مگر ام‌سلمه ایمان نداشته که پیشگوئی رسول‌خدا حتماً واقع خواهد شد؟!

معنای حدیث :

درمعنای نقل «اثبات‌الوصیة» دو احتمال است :

۱ـ اینکه بگوئیم مضمون این نقل اینست‌که فقط امام اززمان و مکان شهادت خود خبر داده است نه اینکه بقصد قربانگاه خود درکربلا حرکت کرده باشد.

۲ـ اینکه بگوئیم: مضمونش اینست که امام از همان مکه بقصد قربانگاه خود درکربلا حرکت‌کرده است.

بنابراحتمال اول این‌نقل دلالت نمیکند که امام بقصد کشته‌شدن حرکت فرموده است.

وبنابراحتمال دوم ، این نقل باگفتار وکردار امام مخالف میشود زیرا طبق احتمال دوم مضمون این‌نقل اینست که آنحضرت ازمکه بقصد قربانگاه خود درکربلا حرکت‌کرده است تادر روز معینی‌در زمین‌معینی فرودآید ودرساعت معینی‌همانجاکشته‌شود. درحالیکه مسلم است‌که‌امام ازمکه بقصدکوفه حرکت‌کرده نه بقصد کربلا ،زیرا اگر امام‌حسین(ع) ازمکه قصد داشت بقربانگاه خود درکربلا برود :

۱ـ بحارج۱۰ ص۱۵۲

أنظر عنوان (رواية إثبات الوصية) في ص ۲۹٦ و۲۹۷ من كتاب وقعة كربلاء

ولكن قبل ان نرد في تفسير رواية إثبات الوصية، لا بد من التفـويه الى مـا جاء في إثبات الـوصية من جهـة النقل ومن حيث الصـدور غير قـابل للقبـول لعلتين:

الاولىٰ: إنه مقطوع السند أو قل لا سند له.

الثانية: وكون هذه الـرواية تخـل بإيمـان أم سلمة وسـوابقها الحسنـة، لانها حينما تمنع الإمام (ع)؛ بعدم الذهـاب الى العراق كي يتحقق مـا قالـه رسول الله (ص) في صدد إستشهـاد الإمام (ع). وهـذا النهي من قبلها إنمـا يكـون عامـل تأكيـد على إنها لـم تكن تؤمن بصحـة حديث رسـول الله (ص) حسب هـذه الروايـة، وهذا يخـالف الواقـع والنتيجة.. وليس بمستحيـل أن تكون قصة إستشهاد الإمام الحسين (ع) كـان يعلمها الأنبيـاء السالفون والنبي (ص) قـال الخبر مرات متعدده، وليس بـالمعقول أن يكـون في ذلك شيء من عدم الحقيقة. أمـا في هذا النقـل المنسوب لأم سلمـة والذي تصـر فيه على منـع الإمام (ع) من الخـروج الى العراق كي لا يقتـل، هـذا النقـل فيـه شيء كثير من التجـاوز على شخصيـة أم سلمـة المؤمنـة التي لا يمكن أن تفعـل شيئاً يخـالف حديث رسـول الله (ص) لانهـا بـذلـك لا تقـطع يقينـاً بـأن مـا حدث به رسول الله (ص) هو فعل واقع لا محال.

معنىٰ الحـديث: يحتمـل لمعنىٰ حـديث إثبـات الـوصيـة شكلان من الإحتمال:

أولهمـا: القول بـأن مضمون هـذا الحديث هـو أن الإمـام (ع) إنمـا أخبر عن مكان وزمان شهادته، لا انه تحرك من أجل أن يقتل في كربلاء.

ثانيهما: والقـول؛ بأن مضمـون الحديث هـو أن الإمام (ع) إنمـا كان نفس تحركه من مكة كان لأجل أن يقتل بكربلاء،.

أنظر ص ٤١٠

من كتاب (شهيد جاويد) الفارسي

نسبت داده شده که مربوط بزمان قیام امام حسین (ع) یعنی پنجاه سال بعد ازوفات رسول خدا (ص) است ولازم است مورد بررسی قرارگیرد، وما آنرا نقل و بررسی میکنیم:

نقل اثبات الوصیة :

کتاب اثبات الوصیة که مؤلف آن معلوم نیست[۱] حدیثی از ام سلمه بدینصورت نقل میکند:

«بعد ازآنکه مردم عراق با امام حسین(ع) مکاتبه کردند وامام، مسلم بن عقیل رابسوی آنان فرستاد، هنگامیکه خودآنحضرت میخواست

۱ــ درماه شعبان سال ۱۳۸۸ هجری درتهران بزیارت علامهٔ مجاهد آیةالله امینی صاحب «الغدیر» رفتیم. اینجانب ازمعظم له پرسیدم: آیا کتاب اثبات الوصیة ازمسعودی مؤلف کتاب مروج الذهب است؟ فرمودند: نه، کتاب اثبات الوصیة از مسعودی نیست.

وجناب ایشان برای اثبات این مطلب دلیلهائی آوردند که جای ذکرش نیست. طبق این نظر ، آن کتاب «اثبات الوصیة» که درکتب رجال به مسعودی مؤلف مروج الذهب نسبت دادهاند غیراز این کتابی است که در دسترس ما است. از مطالعهٔ مجموع از این کتاب «اثبات الوصیة» معلوم میشود نویسندهٔ آن مردی خوش باوروسهل انگار بوده وازنوشتن مطالب نامعقول وبی اعتبار پرهیز نمیکرده است. مثلا درص ۱۳۷ مینویسد: درهمان روزی که امام حسن مجتبی(ع) متولدشد نطفهٔ امام حسین(ع) بسته شد!

ودرص ۱۳۸ مینویسد: وقتیکه ابراهیم فرزند رسول خدا(ص) فوت شد جبرئیل برای رسول اکرم (ص) خبرآورد که اگرمیخواهی خدا ابراهیم را زنده میکند وبعدازتو نبوت را بوی میدهد !

وازاین قبیل مطالب بی اعتبار فراوان داردکه جای ذکر آنها نیست . و داستان ام سلمه هم که درمتن کتاب نقل کردیم یکی ازهمان مطالب بی اعتباری است که درکتاب مزبور آمده ودیگران هم بدون توجه بنقاط ضعف آن ، نقل کردهاند.

أنظر ص ٢٩٦
من كتاب وقعة كربلاء

فيكـون على أساس الإحتمـال الاول لهذا الحـديث فإنـه لا يـدل على أن الإمـام (ع) إنما تحـرك لأجل أن يقتـل. وعلى أسـاس الإحتمـال الثـاني لهـذا الحديث فـإنه يكـونٌ مخالفاً لأفعـال وأقوال الإمـام (ع) لأنـه وطبق مـا تضمنه الإحتمال الثـاني لهذا الحـديث يكون الإمـام (ع) قد تحـرك سن مكة الى العـراق من أجـل أن يقتـل مـع تحـديـد مثبت ليـوم استشهاده المعين والساعة المعينـة والارض المعينة أيضـاً. . في حال إننـا قلنا في مـا تقدم إن الإمام (ع) إنما تحرك من مكة الى كربلاء لكي يقتل فيها فنقول:

١ ـ لماذا ارسل مسلم بن عقيل الى الكوفة؟

٢ ـ ولمـاذا اعتمد في حـركته الى العـراق على رسالـة مسلم؟ فمسلم إنما بعث عن أخبار وتحقيقات من الكوفة ولم تكن عن كربلاء.

٣ ـ ولمـاذا قال لعبـد الله بن الزبيـر؛ قصدي الـذهـاب الى الكـوفـة؟ (تاريخ الطبرتي ج ٤ ص ٢٨٨).

٤ ـ ولمـاذا؛ قال عبـد الله بن عباس لـلإمـام لا تـذهـب الى الكـوفـة؟ (الاخبار الطوال ص ٢٢١).

٥ ـ ولمـاذا قال عبـد الله بن مـطيـع لـلإمـام (ع) لا تـذهـب للكـوفـة؟ (الارشاد ص ٢٠١).

٦ ـ ولماذا كتب وهو في وسط الطريق متجهاً الى الكـوفة رسـالة الى أهلهـا قـائـلاً لـهـم؛ إنـي سـأقـدم الـى الـكـوفـة بـهـذه الايـام؟ (الطبري ج ٤ ص ٢٩٧).

٧ ـ ولمـاذا بعـد أن سمـع بنبـأ قتـل مسلم شـاور أصحـابـه قـائـلاً مـا رأيكم؛ نذهب للكوفة أم لا؟ (الارشاد ص ٢٠٣).

۱ـ چرا مسلم‌بن‌عقیل را بکوفه فرستاد؟!

۲ـ وچرا باتکای نامهٔ مسلم حرکت‌کرد؟ مسلم‌که آمادگی کوفه‌را گزارش داده بود نه‌کربلا را.

۳ـ وچرا بعبدالله‌زبیر فرمود: من قصد رفتن بکوفه دارم؟(طبری ج۴ص۲۸۸) .

۴ـ وچرا ابن‌عباس بامام گفت بکوفه‌نرو ؟ (الاخبار الطوال‌ص ۲۲۱) .

۵ـ وچرا عبدالله‌بن مطیع بآنحضرت گفت: بکوفه نرو ؟ (ارشاد مفیدص۲۰۱)

۶ـ وچرا ازبین راه بمردم کوفه نامه نوشت کـه من‌همین روزها بکوفه میآیم؟ (طبری‌ج۴ص۲۹۷) .

۷ـ وچرا بعد از رسیدن خبر قتل مسلم با اصحاب خود مشورت فرمودکه بکوفه برویم یانه؟ (ارشادص۲۰۳).

۸ـ وچرا به «عمروبن‌لوذان» فرمود: به‌کوفه‌میروم؟(ارشادص۲۰۴)

۹ـ وچرا امام به‌حربن یزید واردوی‌اوفرمود:اگراطمینان‌بدهید دریاریم وفادار هستید من به‌شهرشما (کوفه) میآیم؟ (تاریخ طبری ج ۴ ص۳۰۳ والاخبارالطوال‌ص۲۲۴).

هرگفتگو واقدامی امام‌کرده برای‌کوفه بوده نه کربلا. ونیز اگر امام‌قصد داشت بکربلا برود

۱۰ـ چرا بعدازدگرگونی اوضاع‌کوفه آنحضرت درحضور حربن یزید واصحابش فرمود: من برمیگردم؟ (ارشادص۲۰۵)

۱۱ـ وچرا بعدازآنکه از جلب موافقت «حر» واصحابش مأیوس

٨ ـ ولماذا قال لعمرو بن لوذان؛ اني أذهب الى الكوفة؟ (الارشاد ص ٢٠٤).

٩ ـ ولماذا قال للحر بن يزيد الرياحي عندما إلتقاه: فإنكم ان تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، واني سأقدم الى الكوفة؟ (الطبري ج ٤ ص ٣٠٣). وكل قول أو فعل أو إقدام قام به الإمام (ع) كان يؤكد على الكوفة لا على كربلاء، وأيضاً لوكان الإمام قاصداً كربلاء بحركته:

١٠ ـ فلماذا قال لأصحابه بعد أن أطلع على أوضاع الكوفة؛ اني سأعود؟ (الارشاد ص ٢٠٥).

١١ ـ ولماذا بعد أن يئس من جلب الموافقة من الحر بالرجوع الى الحجاز تحرك ليعود الى المدينة؟ (الطبري ج ٤ ص ٣٠٤)

فما تقدم أصبح معلوماً ان ما نقله صاحب إثبات الوصية وكتاب الخرائج والبحار لا يمكن الإعتماد عليه من ناحية الصدور ومن جهة المعنى والمضمون لثلاثة أدلة هي؛

١ ـ كونه عديم السند.

٢ ـ كونه يضر بإيمان أم سلمة.

٣ ـ كونه يخالف أقوال وأفعال الإمام الحسين (ع).

تنبيه: إن مضمون الرواية اللامعتبرة المنقولة عن إثبات الوصية والتي تؤكد على أن المباحثات التي جرت بين أم سلمة والإمام (ع) كانت في مكة عندما عزم على الخروج الى الكوفة. إذن فحسب هذا النقل تكون المباحثات إنما جرت بمكة لا بالمدينة وأيضاً نقل صاحب كتاب الخرائج عين مطلب إثبات الوصية مع بعض الإختلاف وهو بهذه الصورة «إنه لما

شد کاروان خود را بطرف حجاز بحرکت درآورد تا بمدینه برگردد؟ (طبری ج۴ص۳۰۴) .

ازآنچه‌گذشت معلوم‌شد که‌این نقل«اثبات‌الوصیة» وخرائج‌وبحار نه ازنظر صدور قابل اعتماد است ونه ازنظر معنی ومضمون بسه دلیل:

۱ــ سندندارد.

۲ــ به‌ایمان ام‌سلمه لطمه میزند .

۳ــ مضمون‌این‌نقل طبق احتمال دوم باگفتار وکردار ام‌حسین(ع) مخالف است .

یك‌نکته :

مضمون نقل بی‌اعتبار «اثبات‌الوصیة» این بودکه امام حسین (ع) هنگامیکه میخواست از مکه بکوفه برود این مذاکرات را با ام‌سلمه، فرموده است، پس‌طبق‌این‌نقل، مذاکرات(فرضی)بین‌امام وام‌سلمه درمکه بوده نه‌درمدینه.

وخرائج راوندی همین مطلب اثبات الوصیة را باکمی اختلاف بدینصورت نقل‌کرده‌است :

«اِنَّهُ لَمّا اَرادَالعِراقَ قالَتْ اُمُّ‌سَلَمَة لاتَخْرُجْ اِلَی العِراقِ فَاِنّی سَمِعْتُ رَسُولَ‌اللهِ یَقُولُ : یُقتَلُ اِبْنِی‌الحُسَیْنُ بِالْعِراقِ ۱ الخ .وقتیکه امام‌حسین(ع) خواست بعراق برود ام‌سلمه‌گفت: بعراق نرو چون من‌ازرسول‌خدا (ص) شنیدم‌که میفرمود: فرزند من حسین درعراق‌کشته میشود» .

وهمین مطلب رابحارالانوارچاپ امین الضرب جلد۱۰صفحهٔ۱۷۵

۱ــ خرائج راوندی ص ۲۶ چاپ ۱۳۰۱

نهاية الفقرة ۱۱

أراد العراق قالت أم سلمة لا تخرج الى العراق فإني سمعت رسول الله يقول: يقتل ابن الحسين بالعراق.. الخ.». (الخرائج للراوندي ص ٢٦ طبع ١٣٠١) ونفس المطلب نقله صاحب البحار جزء ١٠ صفحة ١٧٥ طبع أمين الضرب، وطبع ١٣٣٢ خط ميرزا حمد التبريزي صفحة ١٧٥ مع بعض الاختلاف على هذا النحو: «وجدّت في بعض الكتب إنه عليه السلام لما عزم على الخروج أتتهُ أم سلمة فقالت: لا تحزني بخروجك الى العراق فإني سمعتُ جَدُّك يقولُ: يُقتَلُ ولدي الحسين بأرض العراق.. الخ».

وبديهي إنه يجب القول إن المباحثات بين أم سلمة والإمام (ع) حول سفرته للعراق وعلى فرض وجودها، وطبق ما نقله صاحب الخرائج والبحار فإن المباحثات كانت في مكة وليست في المدينة.. لأن الإمام (ع) عندما خرج من المدينة الى مكة لم يكن في ذهنه أي تصميم مثبت حول ذهابه للعراق بل ولم يتخذ قراراً بذلك. نعم إن تصميمه كان في مكة وهذا التصميم إنما استند على عدة عوامل منها ما جاءه من الأخبار الموثقة من قبل مبعوثه مسلم بن عقيل حول القدوم الى الكوفة. بل إنه لم يكن يريد الذهاب للعراق قبل أن تأتيه أخبار من مسلم حول الوضع العام للكوفة.. ومن هنا يتضح بأن الإمام (ع) حينما أرسل مسلم بن عقيل الى الكوفة حمله شرطاً يكون بمقتضاه ما يأتي: ان لم تكن أوضاع الكوفة السياسية والاجتماعية مناسبة وعلى ما يرام يجب عليه أن يعود الى مكة بسرعة. إذن فالمطلب المتقدم كان واضحاً من هذه الجهة.. ولكن جاء في كتاب البحار المطبوع سنة ١٢٧٠ هجري. ما يلي «وجدت في بعض الكتب إنه عليه السلام لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة فقالت: لا تحزني بخروجك الى العراق.. الخ». في هذه الطبعة المملوءة أخطاء وأغلاطاً وأيضاً لم يوجد فيها أرقام للصفحات. أضيفت كلمة (من

وچاپ سنگی ۱۳۳۲ خط میرزا صمد تبریزی صفحهٔ ۱۷۵ باکمی اختلاف بدینصورت نقل میکند:

« وَجَدتُ فِی بَعضِ الْکُتُبِ اَنَّه عَلَیهِ السَّلامُ لَمّا عَزَمَ عَلَی الْخُرُوجِ اَتَتهُ اُمُّ سَلَمَة فَقالَتْ: لاتُحزِنِّی بِخُرُوجِكَ إلَی الْعِراقِ فَاِنِّی سَمِعتُ جَدَّكَ یَقُولُ: یُقتَلُ وَلَدِی الحُسَینُ بِاَرْضِ الْعِراقِ الخ. دربرخی کتابها یافتم: وقتیکه امام حسین (ع) میخواست خارج شود، امسلمه بحضور وی آمد وگفت: بامسافرت خود بعراق مرا محزون نکن چون من شنیدم جدت میفرمود: فرزند من حسین درزمین عراق کشته میشود» .

بدیهی است چون مذاکرات امسلمه دربارهٔ سفر عراق است باید گفت: طبق نقل خرائج وبحار نیز مذاکرات (فرضی) بین امام وامسلمه در مکه بوده است نه درمدینه، چون وقتیکه آنحضرت ازمدینه بمکه هجرت فرمود هیچ تصمیمی دربارهٔ مسافرت عراق نگرفته بود بلکه بعدازگزارش مساعد مسلم بن عقیل تصمیم گرفت از مکه بعراق برود، وقبل از گزارش مسلم تصمیم داشت که اگر اوضاع کوفه مساعد نیست بعراق سفر نکند واز ازاینرو وقتیکه مسلم را فرستاد بوی دستورداد که اگر اوضاع کوفه مساعد نیست زود مراجعت کن[۱] .

تا اینجا مطلب روشن است .

ولی دریك چاپ دیگر بحار که سال ۱۲۷۰ نوشته شده این نقل چنین آمده است: «وَجَدتُ فِی بَعضِ الْکُتُبِ اَنَّه عَلَیهِ السَّلامُ لَمّا عَزَمَ عَلَی الْخُرُوجِ مِنَ الْمَدینَةِ اَتَتهُ اُمُّ سَلَمَة فَقالَتْ: لاتُحزِنِّی بِخُرُوجِكَ إلَی الْعِراقِ الخ».

بدینگونه دراین چاپ بحار که چاپ پرغلطی است وشمارهٔ صفحات

۱ــ الاخبارالطوال ص ۲۱۰

المدينة) ولعل هذا الاشتباه من الكاتب الذي كتبه. لأننّا نلاحظ في رواية (إثبات الوصية) والخرائج وفي طبعت البحار الأخرى التي ذكرناها لم توجد كلمة من المدينة. ولو لاحظت ما كتب صاحب (نفس المهموم) في صفحة ٣٩ فإنك ترى إنه نقل هذه القصة من البحار وكتب كلمة من المدينة، ولعل صاحب كتاب (نفس المهموم) (قدس سره) نقل هذا المطلب من البحار طبعة سنة ١٢٧٠ أو الطبعات الأخرىٰ المشابهة له. ولم يلتفت للطبعتين اللتين ذكرناهما.

والآن لو اطلع أحد علىٰ كتاب نفس المهموم أو البحار طبع ١٢٧٠ من دون الرجوع إلىٰ الطبعات الأخرىٰ، أو الكتاب إثبات الوصية والخرائج فإنه سيتخيل أن الإمام الحسين (ع) كان يقصد العراق عندما خرج من المدينة، ولكي يقتل هناك. مع العلم إن منشأ هذا الخيال فقط هو كلمة (من المدينة) التي نقول إن كاتبها لعله اشتبه في نقلها. وعلى فرض أن صاحب البحار كتب كلمة (من المدينة) إلا أن هذه العبارة من الناحية الواقعية لا يمكن الاعتماد عليها، لأنه لا يعرف مؤلفها ولا ناقلها ومن هنا فلا يمكن جعلها حجة في المقام.

ملاحظة: لا ريب أن المطلب القائل على أن يعطي الإنسان نفسه بدون مبرر للقتل أمر مرفوض لدىٰ العرف ومرفوض لدىٰ العقلاء ولو صادف أن وهب إنسان نفسه للقتل فإن هكذا عمل محكوم عليه بالسفه وعدم الدليل، فالعقل يرفضه إلا إذا كان مرهوناً ومستنداً للتعبد والأمر الالهي. وإثبات ان الإمام (ع) كان يقصد أن يقتل في العراق يحتاج الى دليل وحجية قطعية وثابتة ولا يمكن إعتبار الحجية من حديث أم سلمة لانه عديم السند كما قلنا. وبعبارة أخرى؛ إن إثبات هذاالشيء الذي هو في الواقع يخالف التفكير العام ليس من صلاحية الحوادث التاريخية حتىٰ

هم ندارد کلمه «**من المدینة**» اضافه شده وشاید این اشتباهی باشدکه از کاتب سرزده زیرا درنقل «اثبات‌الوصیة» و«خرائج» وآن دوچاپ دیگر بحارکه قبلا نام بردیم کلمهٔ«**من‌المدینة**» وجود ندارد.

آنگاه‌کتاب «نفس‌المهموم» درص۳۹ این داستان را از بحار نقل کرده وکلمهٔ «**من المدینة**» راهم‌نوشته‌است. معلوم‌میشودمؤلف نفس‌المهموم قدس‌سره این مطلب‌را ازاین‌چاپ بحارکه متعلق‌بسال ۱۲۷۰ است یاچاپی مشابه‌آن‌نقل‌کرده وبه‌آن دوچاپ‌دیگر بحار مراجعه نفرموده است .

حالاکسی‌که به«نفس‌المهموم» یا به‌این‌چاپ بحار رجوع‌کند وبه آن دوچاپ دیگر بحارو «خرائج» و«اثبات الوصیة» رجوع نکند خیال میکند امام‌حسین(ع) ازهمان مدینه قصد رفتن بعراق را داشته‌آن هم برای‌کشته‌شدن. درحالیکه منشأ این‌خیال فقط کلمهٔ «**من‌المدینة**» است که شایدکاتب‌آنرا اشتباهاً نوشته باشد. وبفرض اینکه‌خود مؤلف‌بحارهم کلمهٔ «**من‌المدینة**» رانوشته باشد چون این عبارت را ازکتابی‌نقل‌کرده‌که نه اسمش‌را میدانیم‌ونه‌مؤلفش رامیشناسیم ازاینرو نمیتوانیم بدان‌اعتماد کنیم .

یك تذکر :

چون‌این مطلب که‌انسان خود را بااین‌وضع‌وحشتناك به‌کشتن‌بدهد مخالف عقل اجتماعی مردم است وهمهٔ عقلاء ظاهر آنرا عملی سفیهانه میشمارند ازاینرو باید چنین کاری مستند به‌تعبد ومأموریت الهی‌باشد، واثبات اینکه امام مأمور بوده چنین‌کاری راانجام دهد دلیلی محکم تر ازحدیث بی‌سند امسلمه لازم دارد .

وهل ان قتل المظلوم أمر مطلوب؟ طبعا لا، إذن فتعريض المظلوم للقتل أمر غير مطلوب.

وهل ان قتل الإمام (ع) أمر مطلوب؟ طبعاً لا، إذن فتعريض الإمام (ع) نفسه للقتل أيضاً أمر غير مطلوب. إذن فقتل الإمام (ع) ليس غاية الله أو هدفه أو مطلوبه وليس غاية ومطلوب رسول الله (ص)، وأيضاً فليس القتل هو مطلوب الإمام (ع) نفسه، ولا مطلوب أهل الإيمان والعقل.

مما لا شك فيه أن الفرد الذي يدافع عن كيان الإسلام وحضارته حتىٰ يقتل في ذلك الطريق ذو مقام عالٍ، ولكن ليس من جهة القتل بذاته، ولكنه من طرف الدفاع المخلص في طريق الله يوصله الى حد الكمال، لان الدفاع في سبيل القيم والدين أعلىٰ وأكمل مراتب الفداء والتضحية لذلك يكون الأجر متناسباً مع قيمة الدفاع «الاجر على قدر المشقة» نعم إن هذا الأجر في مقابل الدفاع الأكمل الذي هو غاية عند الله لا مقابل القتل المحض (أي ذهاب الروح عن البدن) «ونقول في الدعاء: ارزقنا الشهادة. ومقصود ذلك: الهي وفقني للجهاد في سبيل دينك حتىٰ أضحي بجسدي في سبيلك، يعني أقوم بأعلىٰ مراتب الجهاد حتىٰ أنال أقصىٰ مراتب الأجر، وهذا طبعاً ليس معناه أن ادعو لكي أقتل نفسي أي أطلب من الله ذهاب روحي عن بدني».

ملاحظة: مقدّماً: يجب العلم إنه وردت آيات في باب الجهاد تدعو لقتل الاعداء وتطهير الارض من رجسهم، في حين لم تتطرق ولو آية واحدة من الايات كي تدعوا الناس لقتل أنفسهم. من هنا نقول: إن المسلمين الدين يذهبون الى ميادين الحرب ولم يكن هدفهم تقوية الإسلام ورفع رايته والقضاء على العدد وإنما هدفهم الوحيد هو أن يقتلوا في ميادين الجهاد، لا ريب أن مثل هكذا تفكير يكون محدود العطاء، ولو إفترضنا أن

آیا کشتن مظلوم مطلوبست ؟ البته نه ، پس درمعرض قتل درآمدن مظلوم بمنظور کشته‌شدن‌هم مطلوب نیست .

آیا کشتن‌امام مطلوبست ؟البته نه، پس‌درمعرض قتل‌درآمدن‌امام بمنظورکشته‌شدن‌هم مطلوب‌نیست . نه‌مطلوب خداست ، نه‌مطلوب پیغمبر خدا (ص)، نه‌مطلوب خود امام، نه‌مطلوب اهل ایمان .

البته‌کسی‌که ازاسلام حمایت ودفاع کندتاکشته شود مقامش‌بالاتر است‌ولی نه‌ازآنجهت‌که‌کشته شده است بلکه ازآنجهت‌که دفاع را بحد کمال‌رسانده، وچون‌دفاع‌کاملتری‌انجام داده‌اجروپاداش بیشتری‌دارد، پس اجروپاداش بیشتر ، درمقابل دفاع کامل‌تر است که مطلوب خداست نه" دربرابر کشته‌شدن ، یعنی‌بیرون رفتن روح ازبدن [1] .

یك‌نکته :

باید دانست آیاتی‌که درباب جهاد وارد شده همه دعوت به‌کشتن ونابودکردن دشمن کرده‌ودرهیچیك ازآیات مردم را دعوت به‌کشته‌شدن نکرده است .

ازاینرو اگرفرض‌کنیم مسلمانی درجبههٔ جنگ فقط باین منظور بمیدان برود که دشمن را وادار کند او را بکشند بدون‌اینکه برای کوبیدن دشمن وتقویت نیروی اسلام‌کمترین کوششی بنماید ، چنین

۱ــ واینکه دردعا میگوئیم: «ارزقنا الشهادة . خدایا شهادت را نصیبما کن» مقصود اینست‌که خدایا بما توفیق بده درراه دین تا سرحد جانبازی پیکار کنیم یعنی‌کاملترین جهاد را انجام دهیم تا کاملترین پاداش را دریافت نمائیم نه اینکه خودکشته شدن یعنی بیرون رفتن جان ازبدن را ازخدا بخواهیم.

هكذا فرد قتل بيد العدو فإنه بلا شك ليس له أجر في مقابل قتله هذا. لانه لم يقدم أي منفعة تذكر للإسلام، بل لعله يمكن القول: إن مثل هكذا فرد قتل نفسه بيده بشكل غير مباشر، أضف الى ذلك فإنه لم يقدم أي فائدة يمكن قياسها مع أقل فرد في العطاء، بل لعله ساهم بشكل غير مباشر في تقوية شوكة العدو وسيطرته في الموقف، نعم لو قاتل هذا الشخص في سبيل عزة الإسلام ونصرة المسلمين حتىٰ قتل في ذلك السبيل فإن له مقاماً شامخاً مع الشهداء ومرافقة الأنبياء (ع) ولهذا المعنىٰ فإن أقصىٰ مراتب الجهاد ان يجود الإنسان بنفسه دفاعاً عن المبادىء والرسالة الالهية «والجود بالنفس أقصى غاية الجود». وهذا المفهوم في الجهاد يعلمنا بأن هكذا أفراد حتىٰ ولو لم ينالوا مرتبة الشهادة في سوح الجهاد فإن أجرهم سيكون عظيماً، وعلى سبيل المثال؛ لو أن شخصين من المسلمين ذهبا نحو ساحة الحرب وقتل كل واحد منهم عشرة أشخاص من جيش العدو، وإستشهد أحدهما وعاد الثاني الى معسكره فإنه بلا ريب سيكون للإثنين معاً مقام شامخ عظيم وأجرهم سواء لا تمييز ولا تفضيل «من دون إستثناء قاعدة إنما الأعمال بالنيات».

والقرآن الكريم يصرح بهذه الحقيقة في بيانه قائلاً ﴿إن الله إشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ (سورة التوبه آية ١١١). ومن هذه الآية الشريفة يفهم ان الفرد الذي يقاتل في سبيل الله والفرد الذي يعطي أمواله في سبيل نصرة الإسلام، لا ريب أن الاثنين موعدهما الجنة لانه يصدق عليهما إنهما جاهدا في سبيل الله، وأيضاً في آية أخرىٰ يقول الله سبحانه وتعالىٰ ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ (سورة النساء آية ٧٦).

والآية تصرح بأن من يقتل في سبيل الله أو من يغلب على العدو هما

فردی اگر بدست دشمن کشته شود هیچگونه اجری دربرابر کشته شدن ندارد زیرا هیچ نفعی برای اسلام نداشته است .

بلکه شاید بتوان گفت : چنین فردی بطور غیرمستقیم خودکشی کرده ، وعلاوه برخودکشی به‌اندازهٔ یك‌نفر ازنیروی اسلام کم‌کرده‌و به نیروی دشمن افزوده است .

آری اگر برای‌کوبیدن دشمن وتقویت اسلام فعالیت کند تاکشته شود مقام شامخ شهید را خواهد داشت ، ولی بدان‌جهت‌که عالی‌ترین درجهٔ جهاد یعنی پیکارتاپای جان را انجام داده است .

و باید دانست‌که چنین فرد مجاهدی اگر جهادکندوکشته‌هم نشود دارای اجر عظیمی خواهد بود . بنابراین اگر دونفر مسلمان در جبههٔ جنگ بمیدان بروند وهریك ده‌نفر ازدشمن بکشند ویکی ازآندوکشته شود و یکی سالم برگردد هردونفر دارای مقامی شامخ و اجری عظیم خواهند بود .

قرآن‌کریم این حقیقت‌را بطورصریح بیان‌کرده و فرموده است : «اِنَّ اللّٰهَ اشْتَرٰی مِنَ الْمُؤْمِنِینَ اَنْفُسَهُمْ وَاَمْوٰالَهُم بِاَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ فَیَقْتُلُونَ وَیُقْتَلُونَ [1] خداوند خود مؤمنان و اموالشان را (یعنی نیروهای انسانی ومالی‌آنان‌را) ازایشان خریده است‌که بهشت‌به‌آنان بدهد آنها درراه خدا پیکارمیکنند ومیکشند وکشته میشوند» .

ازاین‌آیهٔ شریفه معلوم‌میشود کسی‌که درراه‌خدا دشمنان‌را بکشد

۱ـ سورهٔ توبه‌آیه ۱۱۱

عند الله في طائفة واحده ولا فرق بينهما بل ان أجرهما عظيم دون إستثناء أو تخصيص. ومن ذلك أصبح واضحاً ان الأجر العظيم مرهون بعوامل الفعل المؤثر من أجل تحطيم ركائز العدو وتقوية شوكة الإسلام والمسلمين لا إنه يقع للإنسان بمقابل أن يقتل نفسه. نعم نستطيع القول: أن الشخص الذي قتل في حال الجهاد ولو حُرمَ من الحياة إلا إنه وقع في اللطف المخصوص لله سبحانه وتعالىٰ، ولكن هذه المحرومية من الحياة وقعت لعلة الجهاد والفداء والتضحية في سبيل الله ونصرة الإسلام، لا إنه أصبح محروماً من الحياة لعلة ذهاب روحه عن بدنه وهذه الاخيرة هي المطلوبة عند الله ولذلك أمر فيها. ولهذا يتضح مما سبق؛ إنه لا معنىٰ أن يقول الرسول (ص) للإمام الحسين (ع) أخرج واقتل نفسك لان الله يريد أن يراك قتيلاً. بل لعل قول الرسول (ص) هو: اخرج من أجل الدفاع عن الإسلام وحمايته سواء إنتصرت أم إستشهدت، لان الله يريد أن يراك المدافع والمحامي عن دينه. وهذا المفهوم في المعنىٰ كما اعتقد لا يحتاج الى قرار جديد لان الدفاع والحماية عن الإسلام واجبان على كل مسلم.. ومن هذه الزاوية يمكن فهم تحرك الحسين (ع) من مكة أولاً: ليعيد الخلافة الى مركزها الاصلي وتشكيل حكومة إسلامية عادلة، ثانياً: توفر أكثر من ٥٠٪ من شرائط النصر له.

الثاني إذا كانت تكوينية: الى هنا إنتهينا من البحث في (شاء) التشريعية، واليك الآن بحث آخر في (شاء) التكوينية. ولكي نوضح المطلب نقول؛ هل يمكن أن تكون (شاء) تكوينية أم لا؟ يلزم أن نعطي توضيحاً قصيراً في البيان: ان كل العالم بنظر المشيئة التكوينية لله سبحانه وتعالى. أي أن الله هكذا رتبّ القضية على اساس قوانين العلة والمعلول. فكل علة من وجود أي تفسير لا بد أن تكون تلك العلة ناظرة الى موجود معين، طبيعي أن أعمال العباد سواء أكانت حسنة أم سيئة لا يمكن أن

أنظر ص ٤٠٤

من كتاب (شهيد جاويد) الفارسي

وکسی‌که خود دراین‌راه کشته شود هردو جهاد بنفس[1] کرده‌اند و پاداش آنان بهشت خواهد بود.

ونیز درآیهٔ دیگر فرموده است: «وَ مَنْ یُقاتِلْ فی سَبیلِ اللهِ فَیُقْتَلْ اَوْیَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتیهِ اَجْراً عَظیماً[2] کسی‌که در راه خدا پیکار کند پس کشته شود یا غالب‌گردد درآینده اجر بزرگی بوی میدهیم».

بدینگونه می‌بینیم کسی‌که درحال پیکار درراه خدا کشته شود و نیزکسی‌که غالب‌گردد ازنظر قرآن هردو دارای اجر عظیم هستند . پس معلوم میشود اجرعظیم دربرابر فعالیت وکوشش برای کوبیدن دشمن و تقویت اسلام است نه دربرابرکشته شدن .

آری میتوان‌گفت: آنکس‌که درحال‌جهاد کشته میشود چون از زندگی محروم‌گشته موردلطف مخصوص خداوند خواهدبود، ولی‌این‌هم بدانجهت است‌که‌-این‌محرومیت اززندگی بعلت‌پیکار درراه‌خدا وتقویت اسلام بوده نه‌اینکه خود محروم‌شدن اززندگی و بیرون‌رفتن‌جان‌ازبدن ازنظر تشریع، مطلوب‌خدا باشد وبدان امرکرده باشد.

پس معنی‌ندارد رسول‌خدا (ص) به‌امام‌حسین (ع) دستور بدهدکه برو خودرا به‌کشتن بده چون خدا خواسته ترا کشته ببیند بلکه اگر رسول خدا (ص) بخواهد دستوری بامام حسین(ع) بدهد باید بفرماید : بیرون برو برای حمایت‌اسلام چه‌پیروز شوی وچه شهیدگردی چون‌خدا

۱ــ نفس دراین‌آیهٔ شریفه بمعنای جان نیست بلکه بمعنای «خود» است درمقابل مال چون بعضی ازمردم خودشان درجهاد شرکت میکنند و بعضی مال خود را درراه جهاد میدهند. آنانکه خودشان درجهاد شرکت میکنند جهاد بنفس کرده‌اند اگرچه‌کشته نشوند.

۲ــ سورهٔ نساء آیهٔ ۷۶

تستثنى من هذا القانون. فالقانون يشمل الصلاة كما يشمل قتل النفس، وبالتالي فإن الاعمال الحسنة كما إنهّا من المشيئة التكوينية فهي مورد نظر الامور التشريعية الالهية، مثلاً الصلاة التي تقع في الخارج هي مورد المشيئة التكوينية لان العلل الوجودية للمشيئة حاصلة فلذلك وجدت الصلاة، وأيضاً فهي أمر تشريعي لان الله سبحانه قد أمر بالصلاة، أما العمل السيء كقتل النفس لم يقع في مورد للأمر التشريعي لانه مبغوض عند الله، لكنه وقع فقط في مورد المشيئة التكوينية لله أي مع توفر علل القتل وقع القتل ووجد،لكنه في نفس الوقت هذا القتل منهيٌ منه عند الله سبحانه، وعلى هذا الاساس فقتل الإمام (ع) يقع في مورد المشيئة التكوينية لله وفي نفس الوقت مورد النهي التشريعي ومبغوض عند الله سبحانه، وبالتالي فلا يمكن أن يقع ملاكاً لأمر تشريعي لأن ملاك الأمر التشريعي يجب أن يكون محبوباً وذا مصلحة في البيّن لا ان يكون مبغوضاً ومنهياً عنه. إذن فلا يمكن القول؛ ان الرسول (ص) أمر الحسين (ع) أن يخرج بملاك أن يراه الله قتيلاً بالمشيئة التكوينية والإرادة الألهية، هذا في الواقع ليس بصحيح لان قتل النفس في نظر الشرع مبغوضةٌ عند الله ولا يمكن أن تكون ملاكاً لأمر تشريعي. نعم الا إذا سددنا أعيننا عن كلمة (اخرج) تصبح كلمة (شاء) تكوينية لانه يصبح في هذه الحالة معنىً «شاء أن يراك قتيلاً» هو أن الله مقدر لك القتل وهذا هو عين حديث رسول الله (ص) حول مورد شهادة الحسين (ع) والذي قاله الرسول (ص) مراراً وتكراراً في حياته

خلاصة البحث: وخلاصة البحث في هذا الحديث «إن الله قد شاء أن يراك قتيلاً» ان هذا الحديث ساقط عن الإعتبار لوجود معارض له في المقام، اضف الى ذلك إن كلمة «شاء» في الحديث قد لا تكون تشريعية بحيث يمكن الإستفادة منها بالأمر. ومع صرف النظر عن كلمة «أخرج»

أنظر ص ٤٠٥

من كتاب (شهيد جاويد) الفارسي)

خواسته‌است ترا حامی ومدافع اسلام ببیند، واین‌هم دستورجدیدی لازم ندارد زیرا حمـایت ازاسلام برهرمسلمـانی واجب است . و بدینجهت وقتیکه شرائط پیروزی بیش‌از پنجاه‌درصد برای امام‌حسین (ع) فراهم شد برای‌نجات‌دادن‌اسلام‌ازراه برگرداندن خلافت بمرکزخود باتصمیمی قاطع حرکت فرمود .

اگر «شاء» تکوینی باشد

تااینجا بحث برمبنای این بودکه « شاء » تشریعی باشد.

اینك بحث دیگری برمبنای اینکه « شاء » تکوینی باشد:

برای‌اینکه روشن‌شود آیا ممکن‌است « شاء » تکوینی باشد یانه لازم است توضیح‌کوتاهی بدهیم :

همهٔ پدیده‌های جهان مورد مشیت تکوینی خداست یعنی‌خداوند چنین مقررداشته‌که براساس قوانین علت ومعلول ، علل هر پدیده‌ای که بوجودآمد آن پدیده موجود میشود. بدیهی‌است اعمال بندگان نیز چه خوب وچه‌بد ازاین قانون مستثنی‌نیست، هم نماز مشمول این‌قانون‌است وهم قتل‌نفس، نهایت‌اینکه کارهای خوب علاوه‌برمشیت تکوینی ، مورد امر تشریعی خدا نیز هست، مثلا نمازی که درخارج واقع میشود مورد مشیت تکوینی خداست چون علل وجودی‌آن حاصل شده ونماز بوجود آمده..ومورد امرتشریعی است چون خداوند دستورخواندن نمازرا داده است. ولی‌کارهای بد مثل قتل‌نفس مورد امرتشریعی واقع نمیشود چون مبغوض‌خداست وفقط موردمشیت تکوینی‌خدا واقع میشود یعنی‌علل‌قتل که موجود شد قتل‌بوجودمیآید ودرعین‌حال‌این قتل مورد نهی‌خداست .

تكون «شاء» تكوينية التي هي بمعنى حديث عن شهادته (ع) والتي تحدث عنها مراراً. وعلى هذا الاساس فلا نستطيع القول بأن الإمام (ع) فهم من حديث رسول الله (ص) هذا؛ هو أمره للخروج لكي يقتل هناك.

ملاحظة: يقول صاحب اللهوف: «يمكن أن تكون علة إصطحاب الإمام (ع) لأهل بيته معه، حتىٰ لا يأتي بهم يزيد اسرىٰ من الحجاز الى الشام بالقرب منه، ولكي لايسيء معاملتهم، ويكون ذلك سبباً في إعاقة الإمام (ع) عن خوض الجهاد وفي النتيجة يحرم من سعادة الشهادة» (اللهوف ص ٧٤».

من هذا الحديث يعلم أن صاحب اللهوف لم يجر التحقيق اللازم في إستدلاله بهذا الحديث ويقول؛ ان علة حمل الحسين (ع) أهل بيته معه لان الله أراد أن يكونوا اسارىٰ وأراد أن يراهم على هذه الحالة «ان الله قد شاء أن يراهن سبايا» لا أن تقول؛ إن الإمام (ع) حمل عياله وأهل بيته كي لا يقعوا اسارىٰ بيد يزيد. ولكن كثيراً من علماء الحديث ينقلون روايات كثيرة في كتبهم لا يعتقدون بصحتها كما فعل الشيخ الصدوق (قدس سره) في كتابه «عيون أخبار الرضا الجزء ٢ ص ٢٣٨» وما فعله العلامة المجلسي (قدّس سره) عندما كتب قصة فاطمة والحسين (ع) علق بالقول قبل أن ينقل القصة: الكتب التي أنقل عنها هذه القصة غير قابلة للإعتماد (البحار الجزء ١٠ ص ٥٠)

والان لنطرح السؤال التالي: بعض الافراد لديهم عقيدة تقول؛ إن الإمام (ع) قرأ في الصحيفة السماوية إنه يجب أن يتحرك الى كربلاء ليقتل فيها. ويقولون أيضاً: إنّ الإمام الحسين (ع) بالمدينة رأىٰ في المنام رسول الله (ص) وقال له ذلك القول. فهل ان هؤلاء الافراد يقولون؛ إن رسول الله (ص) جاء الملاقاة الحسين (ع) في النوم بمكة ليكرّر عليه، ما قرأه في

أنظر ص ٤٠٦ من النص الفارسي — ٣١٢ — أخذ من هامش ص ٤٠٦ لكتاب (شهيد جاويد)

بنا براین کشتن امام مورد مشیت تکوینی خدا ودرعین حال ، مورد نهی تشریعی است وچیزی که مبغوض خداست ممکن نیست ملاك امر تشریعی واقع شود زیرا ملاك امر تشریعی باید محبوب ودارای مصلحت باشد نه مبغوض. پس نمیتوان گفت : رسول خدا بهامام حسین(ع) دستور داده که بیرون برو بملاك اینکه خدا کشتن ترا بمشیت تکوینی خواسته است. این صحیح نیست زیرا قتل نفس از نظر تشریع مبغوض خداست و ممکن نیست ملاك امر تشریعی قرارگیرد .

آری اگر ازکلمهٔ «اُخْرُجْ» چشم بپوشیم «شاء» میتواند تکوینی باشد زیرا دراینصورت بمعنای «شاءَ اَنْ یَراكَ قَتیلًا» اینست که خدا مقدر کرده است توکشته شوی واین همان پیشگوئی شهادت امام است. و این پیشگوئی را رسول خدا (ص) درزمان حیاتش مکرر فرموده بود.

خلاصهٔ بحث :

خلاصهٔ بحث اینکه حدیث : « إنَّ اللّهَ قَدْشاءَ اَنْ یَراكَ قَتیلًا » معارض دارد وازاینرو ازاعتبار ساقط است .

علاوه براین کلمهٔ «شاء» در این حدیث ممکن نیست تشریعی باشد که ازآن امر ودستور استفاده شود ولی باصرف نظر ازکلمهٔ « اُخْرُجْ » میتواند تکوینی باشد که بمعنای پیشگوئی شهادت امام خواهد بود .

بنا براین از این حدیث نمیتوان فهمید که امام حسین (ع) از رسول خدا (ص) دستور گرفته است برای کشته شدن برود .

الصّحيفة السماوية وما قال له في النوم بالمدينة؟

ما الداعي لتكرار هذا القول؟ إلا والعياذ بالله كان الإمام (ع) متردداً في العمل بما قاله الرسول (ص) له وبما جاء في الصحيفة، أو إنه (ع) أراد التقليل من تنفيذ هذا القرار كي يحتاج الى تأكيد وتكرار لتنفيذه!

فقرة من ٣١٣

یك تذکر :

صاحب لهوف‌میفرماید : «ممکن‌است علت‌اینکه امام (ع) اهل بیت خودرا همراه برد این باشد که اگر آنانرا درحجاز یاجای دیگر میگذاشت یزید دستور میدادخانوادهٔ امام را اسیر کنند وبشام نزد او ببرند ونسبت به‌آنان بدرفتاری میکرد و این سبب میشد که آنحضرت نتواند بجهاد بپردازد ودرنتیجه ازسعادت شهادت محروم میگشت[1] » .

ازاین سخن صاحب لهوف معلوم‌میشوداو حدیث موردبحث‌اعتماد نداشته وگرنه بهمین حدیث استدلال‌میکرد ومیفرمود : علت اینکه امام خانوادهٔ خودرا همراه برد این بود که میخواست به اسیری بروند زیرا خدا خواسته آنانرا اسیر ببیند إِنَّ اللّهَ قَدْ شاءَ اَنْ يَراهُنَّ سَبايا نه‌اینکه بگوید : امام آنانرا همراه خود برد که یزید اسیرشان نکند.

وفراوان شده است که علماء حدیثی را در کتاب خود میآورند بدون اینکه بصحت آن عقیده داشته باشند ، چنانکه مرحوم صدوق‌در «عیون اخبارالرضا» جلد۲ ص۲۳۸ چنین کرده[2] .

یك سؤال :

کسانی‌که عقیده دارند امام علیه‌السلام درصحیفهٔ آسمانی خوانده بود که باید برای کشته شدن درکربلا حرکت کند ، و در مدینـه نیز

۱ـ لهوف ص ۷۴

۲ـ وچنانکه علامهٔ مجلسی قدس‌سره وقتی خواسته داستانی راکه ضمن آن قصهٔ: «درآغوش‌گرفتن فاطمهٔ زهراء(ع) حسنین(ع) رابعدازوفات‌آن‌بی‌بی» آمده نقل‌کند قبل ازنقل داستان فرموده است:کتابی‌که من این داستان را از آن نقل میکنم قابل اعتماد نیست (بحارج ۱۰ص۵۰)

حديث «أخرج بأقوام للشهادة».

١ ـ نقل الشيخ الكليني في كتابه الكافي رواية عن (ابي جميلة) عن معاذ بن كثير عن الامام الصادق (ع) جاء فيها «. . . فلما توفي الحسن ومضى فتح الحسين الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وأخرج باقوام للشهادة لاشهادة لهم الا معك. . .». (الكافي ج ا ص ٢٨٠).

٢ ـ وأيضاً؛ روي في الكافي حديث بهذه الصورة «. . . ثم دفعه الى الحسين ففك خاتماً فوجد فيه أن أخرج بقوم الى الشهادة فلا شهادة لهم إلا معك. . .» (الكافي ج ١ ص ٢٨٠).

وقبل البدء في التفصيل لا بد من القول؛ لاشك أن الروايتين كانتا منقولتين بالمعنى عند القول بأنهما روايتان، وإلا فهما رواية واحدة وهذا الإحتمال وارد يؤيده سياق الروايتين على الظاهر، أما الاختلاف في بعض عبائر الروايتين ناشيء من تعدد الرواة. . ففي الرواية الاولى والتي سندها (ابي جميلة) واسمه (مفضل بن صالح) والذي قال عنه العلامة الحلي (قدس سره) انه كذاب يضع الحديث (خلاصة الرجال ص ٢٥٨). واما الرواية الثانية وطبق ما قاله العلامة المجلسي في (مرآة العقول ج ا ص ٢٠٠) انها مجهولة السند. قد يتصور المرء للوهلة الاولى حينما ينظر للروايتين أن الامام الحسين (ع) عمل منذ ذلك الوقت لكي يقتل. وهذا المفهوم يحتاج الى توضيح طالما، ونحن نعلم أن المطلب المهم هنا والذي يجب معرفته هو: هل أن هذه الرواية حددت الوظيفة العملية لعمل

۲- حدیث: «واخرج باقوام للشهادة»:

۱- مرحوم کلینی قدس سره در «کافی» ضمن حدیثی از «ابی جمیله» از معاذ بن کثیر از حضرت امام جعفر صادق علیه السلام چنین نقل میکند: «... فَلَمّا تُوُفِّیَ الْحَسَنُ وَمَضی فَتَحَ الْحُسَیْنُ(ع) الْخاتَمَ الثّالِثَ فَوَجَدَ فیها اَنْ قاتِلْ فَاقْتُلْ وَتُقْتَلُ وَاخْرُجْ بِاَقْوامٍ لِلشَّهادَةِ لاشَهادَةَ لَهُمْ اِلّا مَعَكَ[1] ... آنگاه که امام حسن علیه السلام درگذشت امام حسین علیه السلام مهر سوم را گشود و در آن چنین یافت که: پیکارکن وبکش وکشته خواهی شد وبا مردمی بیرون برو برای شهادت که برای آنان شهادتی نیست مگر باتو».

۲- بازکلینی ضمن حدیث دیگری چنین نقل میکند: «... ثُمَّ دَفَعَهُ اِلَی الْحُسَیْنِ (ع) فَفَكَّ خاتَما فَوَجَدَ فیهِ اَنِ اخْرُجْ بِقَوْمٍ اِلَی الشَّهادَةِ فَلا شَهادَةَ لَهُمْ اِلّا مَعَكَ ...[2] پس امام حسن (ع) نامهٔ آسمانی را بهامام حسین(ع) داد وآنحضرت مهررا گشود ودرآن چنین یافت که بیرون برو بامردمی برای شهادت که شهادتی برای آنان نیست مگر باتو».

باتوجه باینکه راویها اخبار را نقل بمعنی میکرده‌اند باحتمال قوی این دو نقل یك روایت است که باکمی تغییر درعبارت از زبان دو راوی نقل شده است.

واین «ابی جمیله» که درسند حدیث اول است همان «مفضل بن صالح» است که علامهٔ حلی قدس سره دربارهٔ او فرموده است: «كَذّابٌ يَضَعُ الْحَديثَ[3]. او دروغگو بوده وحدیث جعل میکرده است».

---

۱ و۲- کافی ج۱ ص۲۸۰

۳- خلاصة الرجال ص ۲۵۸

الامام (ع) ضمن ادوار امامته التي دامت ١١ سنة، أم انها عينت الوظيفة العملية لتحرك الامام (ع) لزمن مخصوص ومحدد من ادوار إمامته؟

ولكي نوضح المطلب نقول؛ أن عمل الامام (ع) من الناحية الفعلية يعمل تبعاً للدستور الآلهي ،وعليه يعتبر عمله أفضل مفسر للرواية، ومن هنا يجب أن نطبق معنىٰ الروايتين على الخارج ونرىٰ بامعان في أي زمن خرج الامام (ع) مع أصحابه للشهادة؟ لنتمكن من خلاله الادراك الحقيقي لمعنىٰ الروايتين. . وبديهي أن الامام الحسين (ع) لم يخرج للشهادة بعد وفاة الامام الحسن (ع) مباشرة، بل أن الحقائق التاريخية الثابتة تقول؛ انه عاش زهاء ال ١٠ سنوات في صلح مع معاوية.

١ ـ أذن؛ فهو لم يخرج للشهادة في حياة معاوية. ولكنه خرج من المدينة الى مكة بعد هلاك معاوية وحينما أجبر على بيعة يزيد، وفي مكة أقام ارتباطاته مع العراق.

٢ ـ أذن؛ فهو لم يخرج للشهادة حتىٰ ذلك الوقت. ولكنه خرج بعد أن وصلته أنباء موثقة من مبعوثه مسلم وبعد أن أحس بالخطر من عمّال حكومة يزيد في مكة فتحرك نحو الكوفة لكي يقيم حكومة إسلامية عادلة.

٣ ـ أذن؛ فهو لم يخرج للشهادة حتىٰ ذلك الوقت، بل وحتىٰ بعدما التقى بالحر وما دار بينهما من حوار حول ترك الخصومة وحالة الحرب والانصياع لأوامر الامام (ع) وهذا المبدأ في نهجه أوضح من الشمس.

٤ ـ أذن؛ فهو لم يخرج للشهادة حتىٰ ذلك الوقت. نعم، انه بعدما اضطره العدو للدفاع عن نفسه يوم العاشر من المحرم دخل الحرب مضطراً. وطبيعي في مثل هذه الصورة التي تتطلب خوض الحرب بكل أشكالها وتبعاتها حتى استشهد هو واصحابه، وبموقفهم هذا حطموا كل

وحدیث دوم طبق گفتهٔ مرحوم مجلسی (درمرءات‌العقول ج۱ ص ۲۰۰) سندش مجهول است.

ممکن است‌کسی بادیدن‌این دوحدیث(یا یک‌حدیث)تسورکند که امام‌حسین (ع) ازهمان آغازکار برای کشته شدن خارج شده است. ولی مطلب مهم دراینجا اینست‌که ما بدانیم آیا این‌حدیث وظیفهٔ امام را در همهٔ دوران یازده سالهٔ امامتش تعیین‌کرده یا وظیفهٔ زمان مخصوصی از دوران امامت آنحضرت را ؟

برای تشخیص این‌مطلب لازم است عمل‌خود امام را مفسر حدیث قراردهیم زیرا آنحضرت درهرصورت به‌دستور الهی عمل‌کرده وازاینرو، عمل وی به‌بهترین‌وجهی حدیث‌را تفسیرمیکند بنابراین باید ما معنای این دوحدیث را با خارج تطبیق‌کنیم وبدانیم چه‌وقت امام‌حسین(ع) با اصحابش برای شهادت خارج شد؟ تا باتوجه به‌عمل‌خود امام معنای‌این دوحدیث را بطورصحیح درک‌کنیم .

معلوم است‌که پس‌از وفات حضرت‌مجتبی(ع) امام‌حسین(ع) برای شهادت خارج نشد بلکه ده‌سال درحال صلح با معاویه بسر برد.

۱ــ پس تامعاویه زنده‌بود آنحضرت برای شهادت خارج نشد.

و پس‌ازمرگ معاویه نیز هنگامیکه برای‌بیعت بایزید تحت‌فشار واقع شد بحرم‌خدا،مکهٔ معظمه پناه‌برد و روابطی باعراق برقرارکرد.

۲ــ پس دراین زمان هم برای شهادت خارج نشد.

و پس‌ازآنکه گزارش مسلم‌بن عقیل به‌آنحضرت رسید و در مکه نیز احساس خطر کرد برای رهائی از خطر و نیز بـرای تسخیر کوفه حرکت فرمود.

الركائز التي استندت اليها حكومة يزيد الفاسدة. وعلى هذا الاعتبار اتضح أن مضمون الرواية من الناحية الفعلية ينطبق على يوم عاشوراء، وهو كما ترى تأكيد من وجه على أن الامام (ع) لم يخرج للشهادة مطلقاً وانما كانت الحالة الدفاعية للامام (ع) حالة الزامية لا مفر منها وقع فيها شهيداً. وبإختصار اتضح مما سلف أن مقتل الامام (ع) الذي وقع خارجاً ينفي دعوى الإستفادة من هاتين الروايتين في اثبات أن الله سبحانه اعطى أوامره للحسين (ع) ليخرج بوقته هذا لكي يستشهد هو واصحابه، إذ لا مخصص في البيان ومع عدم التخصيص يخرج الحديث كونه علة الزامية في البدء.

يتبع ص ٣١٤

رواية نقص الملائكة.

نقل ابو جعفر الطبري في كتاب (دلائل الامامة) رواية عن سفيان بن وكيع عن الاعمش، قال، قال لي أبو محمد الواقدي وزارة بن حلج «لقينا الحسين قبل أن يخرج الىٰ العراق بثلاث ليال فأخبرناه بضعف الناس في الكوفة وان قلوبهم معه وسيوفهم عليه، فأومأ بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء ونزل من الملائكة عدد لا يحصيهم إلا الله وقال لولا تقارب الاشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، ولكني اعلم أن هناك مصرعي ومصارع أصحابي لا ينجو منهم إلا ولدي علي». (دلائل الامامة ص ٧٤).

ولكي نوضح بعض العبائر التي جاءت في الرواية نقول؛ أن كلمة (مصرع) تستعمل بمعنىٰ محل القتل كما جاء في كتاب اللهوف (وخير لي مصرع انا لاقيه) ويقول علماء اللغة «مصارع القوم حيث قتلوا.»

أما كلمة (اصحاب) في الرواية فلها معنيان (أعم، واخص) فبالمعنى الاخص تشمل أولاد الفرد دون غلمانه، وبالمعنىٰ الأعم تشمل أولاد الفرد

٣١٥

۷- داستان فرشته‌ها :

ابوجعفر طبری درکتاب « دلائل‌الامامة » ازمردی‌ازاهل سنت‌بنام «سفیان‌بن‌وکیع» واو ازراویان دیگری نقل میکند :

« سه شب پیش‌از آنکه امام حسین (ع) به عراق حرکت کند دو نفر بحضور آنحضرت آمدند وگفتند : مردم کوفه درباری شما ضعیف هستند . امام بادست به‌آسمان اشاره کرد عدهٔ بیشماری ازفرشته‌هافرود آمدند آنگاه فرمود : اگر اجرمن ضایع نمیشد به کمك این فرشته ها

يمكن الإعتماد فيه على نقل المؤرخين أو بالحديث الذي لا سند له. بل أن ذلك الشيء في حد المسائل الفقهية أو أعلىٰ بكثير من المباحث الفقهية ويحتاج الى دليل محكم حتىٰ يمكن أن يتقبله جميع العلماء. والحديث الذي بحثناه الان ليس بمحكم ولا مورد قبول جميع العلماء، وصرف نقل الحديث في كتب الروايات ليس دليلاً بذاته، حتىٰ يمكن لجميع العلماء نقله والإعتقاد بمضمونه. . وأيضاً ما يختص بمسألة علم الإمام (ع) بمكان وزمان شهادته من المسائل الكلامية والاعتقادية، الذي حتىٰ مع ثبوت الخبر الواحد الصحيح لا يمكن ثبوته بدون ملاحظة الاخبار المعارضة والآيات القرآنية من قبل «وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت» فكيف الإعتماد بذلك على حديث لا سند له.

٥ ـ حديث «إن الله قد شاء أن يراك قتيلاً»:

يقولون: ان الإمام الحسين (ع) لما عزم على الخروج من مكة بقصد العراق قال لأخيه محمد بن الحنفية «إن النبي (ص) أمرني قائلاً؛ اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً». ولكن قبل أن ندخل بتفاصيل معنىٰ الحديث حاولنا التحقيق من مصادر ومراجع الحديث التاريخية والروائية، وبعد جهد التحقيق وصلنا الى النتيجة التالية: إن هذا الحديث لم يوجد في أي من المصادر التاريخية التي تحت أيدينا والتي سندرجها بالتسلسل الزماني لها؛ ويعني أن الحديث لم يوجد في الكتب التاريخية الى حدود النصف الثاني للقرن السابع الهجري، ولكنه في الفترة التي تلت النصف الثاني من القرن السابع الهجري وجد في كتب المقاتل وإشتهر على الالسن بشكل عجيب نتيجة لكثرة ترديده.

واليك أسماء المصادر والمراجع التاريخية والروائية والتي لم يذكر فيها هذا الحديث وهي حسب التسلسل الزماني لها:

میشد به برادرش محمد حنفیه فرمود : پیغمبر خدا (ص) بمن فرموده است: « اُخرُج فَاِنَّ اللهَ قَدشاءَ اَن یَراکَ قَتیلاً . بیرون برو چون خدا خواسته است ترا کشته بیبند » .

پیش از آنکه درمعنای این حدیث بحث کنیم لازم بود بررسی کاملی از مدارك تاریخی وحدیثی بکنیم ومنبع اصلی آنرا بدست بیاوریم.

پس از بررسی کامل باین نتیجه رسیدیم که این حدیث تا حدود نیمهٔ دوم قرن هفتم هجری درهیچیك ازمنابع تاریخی و حدیثی که در دسترس ما هست وجود نداشته استوازنیمهٔ دوم قرن هفتم هجری درکتب مقاتل موجود درج شده وشهرت پیدا کرده است .

اینك نام منابع اصلی تاریخی وحدیثی که این نقل درآنها وجود ندارد به ترتیب زمانی ذکر میکنیم :

۱ ـ الامامةوالسیاسة .	تألیف ابن قتیبهٔ دینوری .	وفات ۲۷۶ هجری
۲ ـ الاخبارالطوال.	« ابوحنیفهٔ دینوری.	« ۲۹۰ «
۳ ـ تاریخ یعقوبی.	« ابن واضح .	« بعداز ۲۹۲ «
۴ ـ تاریخ طبری .	« محمد بن جریر .	« ۳۱۰ «
۵ ـ العقدالفرید .	« ابن عبدربه .	« ۳۲۸ «
۶ ـ کافی .	« کلینی .	« ۳۲۹ «
۷ ـ مروج الذهب .	« مسعودی .	« ۳۴۶ «
۸ ـ مقاتل الطالبیین .	« ابوالفرج اصفهانی .	« ۳۵۶ «
۹ ـ ارشاد .	« شیخ مفید .	« ۴۱۳ «
۱۰ ـ روضةالواعظین .	« فتال نیشابوری .	« ۵۰۸ «
۱۱ ـ اعلام الوری .	« امین الاسلام طبرسی .	« ۵۴۸ «

۳۹۴

تجد هذه القائمة بهذا الترتيب في ص ۳۰۲ من كتاب وقعة كربلاء

۵ ـ حدیث: «إن الله قد شاء أن يراك قتيلا

میگویند: هنگامیکه امام حسین (ع) از مکه بقصد عراق خارج

الكتاب	المؤلف	سنة الوفاة
١ ـ الإمامة والسياسة	ابن قتيبة الدينوري	٢٧٦ هجرية
٢ ـ الاخبار الطوال	ابو حنيفة الدينوري	٢٩٠ هجرية
٣ ـ تاريخ اليعقوبي	ابن واضح	بعد ٢٩٢ هجرية
٤ ـ تاريخ الطبري	محمد بن جرير	٣١٠ هجرية
٥ ـ العقد الفريد	ابن عبد ربه	٣٢٨ هجرية
٦ ـ الكافي	الكليني	٣٢٩ هجرية
٧ ـ مروج الذهب	المسعودي	٣٤٦ هجرية
٨ ـ مقاتل الطالبيين	ابو الفرج الاصفهاني	٣٥٦ هجرية
٩ ـ الإرشاد	الشيخ المفيد	٤١٣ هجرية
١٠ ـ روضة الواعظين	الفتال النيسابوري	٥٠٨ هجرية
١١ ـ إعلام الورى	لأمين الإسلام الطبري	٥٤٨ هجرية
١٢ ـ مقتل الخوارزمي	المعروف بأخطب خوارزم	٥٦٨ هجرية
١٣ ـ التهذيب لابن عساكر	علي بن الحسن الشافعي	٥٧١ هجرية
١٤ ـ الكامل	لابن الاثير	٦٣٠ هجرية
١٥ ـ تذكرة الخواص	للسبط ابن الجوزي	٦٥٤ هجرية *

وهذه الكتب جميعاً لم تذكر هذا المطلب ولم توجد فيها عبارة «أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً» وهي جميعها كُتبت قبل النصف الثاني من القرن السابع الهجري. ولكننا نلاحظ ان السيد ابن طاووس المتوفي سنة ٦٦٤ هجرية أدرج هذا المطلب في كتابه اللهوف، وبعده نقل الى كتب كثيرة ومختلفة منها «البحار، ناسخ التواريخ، نفس المهموم وغيرها» وقد إشتهرت هذه العبارة في الكتابين الاخيرين شهرة فاقت التصور. ولا شك ان المنشأ الرسمي لنقل هذه الكتب للعبارة أما مباشرة من كتاب اللهوف أو غير مباشرة عنه. وكتاب اللهوف كما تعلم كتب في

۱۲ ـ مقتل‌خوارزمی .	« اخطب‌خوارزم .	«	۵۶۸ »
۱۳ ـ تهذیب‌ابن‌عساکر .	« علی‌بن‌الحسن‌الشافعی	«	۵۷۱ »
۱۴ ـ الکامل .	« ابن‌اثیر .	«	۶۳۰ »
۱۵ ـ تذکرةالخواص .	« سبط‌بن‌الجوزی .	«	۶۵۴ »

دراین پانزده‌کتاب نامبرده که تاحدود قبل‌از نیمهٔ‌دوم قرن هفتم هجری تألیف شده این نقل‌که : « أُخْرُجْ فَاِنَّ‌اللّٰهَ‌قَدْشٰاءَاَنْ‌یَرٰاكَ‌قَتیلاً » وجود ندارد . آنگاه می‌بینیم درکتاب « لهوف » تألیف مرحوم ابن‌طاووس متوفای ۶۶۴ هجری این حدیث‌درج شده‌و بعداً درکتابهائی ازقبیل بحار وناسخ‌التواریخ‌ونفس‌المهموم‌وغیر اینها ذکر شده و دراین اواخر شهرت کاملی پیداکرده است . .بدیهی است منشاء نقل‌کتابهای بعداز « لهوف » بی‌واسطه یا باواسطه کتاب « لهوف » است‌که در اواسط قرن‌هفتم هجری تألیف شده است .

اینك آنچه را که کتاب « لهوف » نوشته است عیناً درج میکنیم ودربارهٔ آن بحث مینمائیم .

درکتاب « لهوف » چنین آمده است :

« وَرَوَیْتُ مِنْ کِتابِ اَصْلٍ لِاَحْمَدَبْنِ‌الْحُسَیْنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ یَزیدَالثِّقَةِ (وَعَلَی‌الْاَصْلِ اَنَّهُ‌کانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ داوُودَ الْقُمّی) بِالْاِسْنادِ عَنْ‌اَبی‌عَبْدِاللّٰهِ قالَ : سارَ مُحَمَّدُبْنُ الْحَنَفِیَّةِ اِلَی‌الْحُسَیْنِ فِی‌اللَّیْلَةِ‌الَّتی اَرادَالْخُرُوجَ صَبیحَتَها عَنْ‌مَکَّةَ فَقالَ : یا اَخی اِنَّ اَهْلَ‌الْکُوفَةِ مَنْ‌قَدْ عَرَفْتَ غَدْرَهُمْ بِاَبیكَ وَاَخیكَ وَقَدْ خِفْتُ اَنْ‌یَکُونَ حالُكَ‌کَحالِ مَنْ مَضیٰ فَاِنْ‌رَاَیْتَ اَنْ‌تُقیمَ فَاِنَّكَ اَعَزُّ مَنْ‌فِی‌الْحَرَمِ وَاَمْنَعُهُ‌فَقالَ : یااَخی

أواسط القرن السابع الهجري . . ولكي تقف على المطلب بوضوح اليك عين ما كتبه صاحب اللهوف المرحوم السيد ابن طاووس؛ وسيدور بحثنا حول عبائر ما جاء في كتاب أصل لأحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد الثقة (وعلى الاصل إنه كان لمحمد بن داوود القمي) بالإسناد عن أبيه عبد الله قال: سار محمد بن الحنفية الى الحسين في الليلة التي أراد الخروج صبيحتها عن مكة فقال: يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضىٰ فإن رأيت أن تقيم فإنك أعزُّ من في الحرم وأمنعه فقال: يا أخي قد خفت ان يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حُرمة هذا البيت فقال له ابن الحنفية فإن خُفِت ذلك فسر الى اليمن أو بعض نواحي البحر فإنك أمنع الناس به ولا يقدرُ عليك فقال: انظر فيما قلت فلما كان في السحر إرتحل الحسين (ع) فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال: يا أخي الم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال بلىٰ قال: فما حداك على الخروج عاجلاً! قال: أتاني رسول الله بعدما فارقتك فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً فقال له ابن الحنفية: أنا لله وانا اليه راجعون فما معنىٰ حملك هؤلاء النساء وانت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال، فقال له: قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى». (اللهوف ص ٥٥). إذن فالكتب التي يتداولها معظم الناس إنما كان المنبع الرئيسي لحديثها هو اللهوف وما جاء بعده من الكتب على ان الله «اراد أن يرىٰ الحسين (ع) قتيلاً».

«وفي كتاب إثبات الوصية صفحة ١٣٩ جاء فيه أن محمد بن الحنفية قال للإمام الحسين (ع) «الله الله في حرم رسول الله فقال له: أبى الله الا ان يكنَّ سبايا» ويحتمل أن يكون مؤلف كتاب إثبات الوصية أخذ هذا المطلب من الكتاب الذي أخذ عنه صاحب اللهوف ونقل هذه الجملة عنه

نص صاحب اللهوف نقلاً عن كتاب (شهيد جاويد)

قَدخِفتُ اَنْ یَغتالَنی یَزیدُ بْنُ مُعاوِیَةَ فِی الْحَرَمِ فَاَکُونَ الَّذی یُستَباحُ بِهٖ حُرْمَةُ هـٰذَا الْبَیْتِ فَقالَ لَهُ ابْنُ الْحَنَفیَّةِ فَاِنْ خِفْتَ ذٰلِکَ فَسِرْ اِلَی الْیَمَنِ اَوْ بَعْضِ نَواحِی الْبَرِّ فَاِنَّکَ اَمنَعُ النّاسِ بِهٖ وَلا یُقدَرُ عَلَیکَ فَقالَ: اَنْظُرُ فیما قُلْتَ فَلَمّا کانَ فِی السَّحَرِ اِرْتَحَلَ الْحُسَیْنُ فَبَلَغَ ذٰلِکَ ابْنَ الْحَنَفیَّةِ فَاَتاهُ فَاَخَذَ زِمامَ ناقَتِهِ الَّتی رَکِبَها فَقالَ: یا اَخی اَلَمْ تَعِدْنی النَّظَرَ فیما سَئَلْتُکَ؟ قالَ بَلیٰ قالَ : فَما حَداکَ عَلَی الْخُروجِ عاجِلاً؟ فَقالَ : اَتانی رَسُولُ اللّٰهِ بَعْدَ ما فارَقْتُکَ فَقالَ : یا حُسَیْنُ اُخْرُجْ فَاِنَّ اللّٰهَ قَدْ شاءَ اَنْ یَراکَ قَتیلاً فَقالَ لَهُ ابْنُ الْحَنَفیَّةِ : اِنّا لِلّٰهِ وَاِنّا اِلَیْهِ راجِعُونَ فَما مَعْنیٰ حَمْلِکَ هٰؤُلاءِ النِّساءَ وَاَنْتَ تَخْرُجُ عَلیٰ مِثْلِ هٰذِهِ الْحالِ؟ قالَ ، فَقالَ لَهُ : قَدْ قالَ لی: اِنَّ اللّٰهَ قَدْ شاءَ اَنْ یَراهُنَّ سَبایا وَسَلَّمَ عَلَیْهِ وَمَضیٰ»۱.

« ابن طاووس رحمه‌الله میگوید : من از کتاب «اصل» احمد بن حسین بن عمر بن یزید ثقه (که بر پشت آن نوشته شده : این نسخه از کتاب سابقاً در ملك محمد بن داود قمی بوده‌است) بسندی که درآن کتابست ازامام صادق (ع) نقل میکنم که‌گفت : درآن شبی که صبح آن حسین بن علی (ع) میخواست از مکه خارج شود «محمد حنفیه» نزد وی رفت و گفت : ای‌برادر تو اهل کوفه‌را میشناسی که با پدر و برادرت بی وفائی کردند ومن میترسم باتو همانطور رفتار کنند اگر تصمیم بگیری درمکه بمانی تو در حرم خدا عزیز ترین و محفوظ ترین افراد هستی گفت :

۱- لهوف ص ۵۵

البياض صحيـــــح

میترسم یزیدبن معاویه مرا ترور کند واحترام خانهٔ خدا بسبب من از بین برود . « محمدحنفیه » گفت : اگر میترسی ، به یمن یا بعضی از نواحی «بر» برو که آنجا محفوظ ترین افراد خواهی بود و کسی بر تو ظفر نمی‌یابد . گفت : دربارهٔ آنچه توگفتی فکری میکنم. آنگاه سحر امام کوچ کرد . خبر به محمد حنفیه رسید ، آمد و مهار شتر امام را گرفت وگفت : مگر تو وعده ندادی دربارهٔ آنچه من گفتم فکر کنی ؟ گفت : چرا ، گفت : پس چرا بتعجیل ازمکه بیرون میروی ؟ گفت : بعدازآنکه ازتو جدا شدم رسول خدا آمد وگفت : بیرون برو که خدا خواسته‌است ترا کشته ببیند ، محمد حنفیه گفت : توکه با اینحال میروی پس چرا این زنان را باخود میبری ؟! امام فرمود : رسول خدا (ص) بمن گفت: خدا خواسته‌است زنانرا اسیر ببیند آنگاه به رسم خدا حافظی بر وی سلام کرد ورفت » .

ترجمة النص العربي السابق من اللهوف

بدینگونه می‌بینیم دربین کتابهائی که در دسترس ماهست منبع اصلی این نقل‌که : «خدا خواسته‌است امام حسین (ع) را کشته ببیند» ازقرن ۷ ببعد کتاب لهوف‌است . [۱]

اینك باید بدانیم آنچه کتاب لهوف نقل‌کرده است تا چه‌اندازه ارزش واعتبار دارد ؟

بطوریکه می‌بینید کتاب لهوف این خبررا بدون سند نقل کرده

۱ـ در «اثبات‌الوصیة» ص۱۳۹ آمده‌که محمد حنفیه به امام‌حسین (ع) گفت : « الله الله فی‌حرم رسول‌الله فقال‌له : ابی‌الله الا ان‌یکن سبایا» احتمال دارد کتابی‌که نزد صاحب لهوف بوده نزد مؤلف «اثبات‌الوصیة» نیز بوده واین جمله را بطور نقل بمعنی از آن‌کتاب گرفته است .

أنظر ص ۳۰٤

من كتاب وقعة كربلاء (المتن)

بشكل نقل بالمعنىٰ».

نعم هنـا لا بـد أن نعلم إن مـا نقله صـاحب اللهـوف الىٰ أي حـد يمكن إعتبار قيمته؟ مع إننا نلاحظ ان كتاب اللهـوف ينقل هـذا الخبر بـدون سنـد في حين إننا لا نعلم بـالضبط رواة هذه القصـة وكيف كـانـوا ومن هم؟ وأيضاً فإننا لا نعلم ان هذا الكتـاب الذي نقـل عنه صـاحب اللهوف الى أي حد كان قابـلاً للقبـول والإعتماد؟ وهـل ان أكابـر العلماء والمؤرخين أمثـال - اليعقـوبي - الكليني - المفيد - الفتـال النيسابـوري - امين الإسـلام الـطبـرسي الذين عاشـوا قبل صـاحب اللهوف لم يـطلعوا على هـذه القصة؟ وإذا كـانوا على علم منهـا ولم ينقلوها فكيف يمكن الإعتمـاد عليها وقبـولهـا مـا داموا لم يعيروا هم لها إهتماماً معيناً ولم يدرجوها ضمن مطاليبهم؟

وجـود المعارض: مضـافاً الى مـا تقدم فـإن خبر صـاحب اللهوف لـه معارض في المقام وهـو خبر (ابـو مخنف) الذي نقله عن الحـارث بن كعب الوالبي عن الإمام السجّاد (ع) ونقل هذا الخبر الـطبري في تـاريخه والشيـخ المفيـد في إرشاده وهـذا الخبر يتحـدث عن إصرار عبـد الله بن جعفـر على إرجـاع الإمـام (ع) الى مكـة، وجـواب الإمـام (ع) اليـه قـائـلاً: اني رأيت رسول الله (ص) في المنام وأمـرني بما أنـا ماض لـه على كان أولىٰ فقـال له ابن جعفر: «ما تلك الرؤيا؟ قال: ما حـدثت أحداً بهـا وما أنـا محدث بهـا» (تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٢ والإرشاد ص ٢٠٠). ومن هذا الحـديث يُعلم إن مـا قالـه رسول الله (ص) في المنـام لـلإمـام (ع) لم يقله الإمـام الىٰ أي شخص. في حـال أن خبر اللهـوف يصرح بـأن الإمام (ع) قـال لمحمـد بن الحنفية عن الرؤيا التي حدثه بها رسـول الله (ص) وهذا في الـواقع تعـارض بين النقـلـين بين اللهـوف من جهـة وتـاريـخ الـطبـري والإرشـاد من جهـة أخرىٰ، ولازم من التعارض بين الحـديثين مـع إنتفـاء المـرجـحّ لأي منهمـا سقوط الاثنين من الإعتبار، وعليه تكون المعـادلة بـالشكل التـالي؛ طرح مـا

رما نمیدانیم راویان این قصه چه کسانی بوده‌اند ، و نیز نمیدانیم آن کتابی که لهوف این خبررا از آن نقل کرده تاچه‌اندازه قابل اعتماد بوده‌است ؛

آیا کتابی که مؤرخان وعلمای دیگر مثل یعقوبی ـ کلینی و شیخ مفید وامین‌الاسلام طبرسی وفتال‌نیشابوری ، پیش‌ازصاحب لهوف از آن اطلاعی نداشته یااگرهم‌داشته‌اند این مطلب‌را از آن نقل نکرده‌اند تاچه اندازه میتواند قابل اعتماد باشد ؟

معارض دارد :

علاوه بر این خبر لهوف معارض دارد و آن خبری است که « ابو مخنف » از حارث‌بن کعب والبی ازامام سجاد علیه‌السلام نقل‌کرده و مرحوم شیخ‌مفید نیز آنرا در ارشاد آورده که : « امام حسین (ع) درجواب عبدالله جعفر که اصرار داشت آنحضرت بمکه برگردد فرمود : رسول خدا (ص) درخواب بمن دستوری داده که بدان عمل خواهم‌کرد عَلَيَّ كانَ أوْلي [1] چه پیروز شوم وچه شکست‌بخورم. عبدالله جعفر پرسید: آن دستورچیست ؟ فرمود : آنرا بهیچ‌کس نگفته وتاز نده‌ام بهیچکس نخواهم گفت [2] » .

ازاین خبر معلوم میشود امام دستور رسول خدارا به هیچکس نگفته درحالی که ازخبر لهوف معلوم‌میشود آنرا برای محمدحنفیه گفته است واین تعارضی‌است بین نقل « ابومخنف »وارشاد مفید از یك طرف

۱ــ از جملهٔ «علی کان اولی» معلوم میشود رسول خدا (ص) دستوری داده‌که بااجرای آن احتمال پیروزی وشکست هردو دربین بوده‌است.

۲ــ تاریخ طبری ج۴ ص۲۹۲ و ارشاد ص۲۰۰

نقله صاحب اللهوف من نقل أبي مخنف والإرشاد تصبح النتيجة عدم، يعني نقل أبي مخفف والإرشاد ـ نقل اللهوف = عدم.

بحث في معنى الحديث: مع أن البحث في معنى الحديث بعدما تبين التعارض بينهما يكون بحثاً زائداً في المقام لوجود لتعارض في البيّن الذي أسقط الحديث، إلا أن ذلك لا يمنع من التحقيق التام والبحث المُسهب حول معاني الحديث، وها نحن نحاول تسليط الضوء على بعض مضامين الحديث ببعض الجمل آملين الفائدة: إن لكلمة (شاء) في هذا الحديث إحتمالين:

الاول: أن تكون (شاء) تشريعية.

الثاني: أن تكون (شاء) تكوينية.

الاول: إذا كانت تشريعية: لو أن (شاء) تشريعية فإن ذلك ليس بصحيح «لانه لو كانت تشريعية فإنها ستكون بمعنى أمر وتكليف، وعليه يجب أن يتعلق أمر الله بأحد هذه الأشياء الثلاثة:

أ ـ أن يتعلق الأمر بقتل الإمام (ع) وهذا باطل لان الله سبحانه وتعالى لا يأمر بقتل الإمام (ع) مطلقاً.

ب ـ أن يتعلق الأمر بذهاب (الروح عن البدن) وهذا أيضاً باطل لان ذهاب الروح من البدن من باب الإنفعال وليس من باب الفعل والتكليف يتعلق بالفعل لا بالإنفعال.

ج ـ أن يتعلق الأمر بمقدمات القتل يعني ان الله سبحانه وتعالى أمر الإمام (ع) أن يقدم نفسه للقتل لكي يقتل وهذا أيضاً محكوم ببطلانه لانه على أساس ذلك يكون تحريك الاخرين للقتل حراماً، وبالضرورة فتحريك نفسه من أجل قتلها عمل محكوم عليه بالحرمة. وعلى هذا الاساس فلا

ونقل لهوف ازطرف دیگر ولازمهٔ تعارض اینست که اگرترجیحی دربین نباشد هردو از اعتبار ساقط میشوند و نتیجه چنین میشود که نقل لهوف منهای نقل «ابومخنف» وارشاد مساوی‌است باهیچ :

هیچ = نقل ابومخنف وارشاد ـ نقل لهوف

سخنی درمعنای حدیث :

اگرچه بعدازآنکه حدیث لهوف بعلت تعارض ازاعتبار ساقط شد بحث درمعنای آن زائد بنظرمیرسد ولی برای اینکه همهٔ جنبه‌های حدیث بطورکامل بررسی‌شود چند جمله درمعنای آن گفتگو میکنیم :

درکلمهٔ « شاء » دراین حدیث دواحتمال است :

۱ ـ اینکه « شاء » تشریعی باشد .

۲ ـ اینکه تکوینی باشد .

اگر تشریعی باشد :

اگر « شاء » تشریعی باشد صحیح نیست[1] زیرا کشتن امام و

۱ـ اگر « شاء » تشریعی باشد بمعنای امر وتکلیف خواهد بود. آنگاه امر خدا باید به‌یکی از سه‌چیز تعلق بگیرد :

الف ـ امر به‌کشتن امام تعلق بگیرد واین باطل است زیرا خدا هرگزامر به‌کشتن امام نمیکند.

ب ـ امر به‌کشته‌شدن یعنی رفتن روح ازبدن تعلق بگیرد و این‌هم باطل است زیراکشته‌شدن، انفعال است نه‌فعل، وتکلیف به‌فعل تعلق میگیردنه بانفعال.

ج ـ امر بمقدمات‌کشتن تعلق بگیرد یعنی خدا امرکرده است امام قاتل خود را وادار کندکه اورا بکشد و این‌هم باطل است زیرا همانطورکه تحریك برای‌کشتن دیگران گناه است، تحریك برای‌کشتن خود محرك هم‌گناه است . بنابراین ممکن نیست « شاء » تشریعی باشد.

يمكن أن تكون شاء تشريعية». أضف الى ما تقدم فإن قتل الإمام (ع) وأسر أهل بيته ذنب عظيم لا يغتفر ولا ريب أن الله سبحانه وتعالىٰ عندما شرع القوانين لم يكن يريد فيها ظلماً للعبد بداهة أن الله لا يريد من الناس أن يقولوا الكذب ولكنهم على خلاف إرادته يكذبون، كذلك لا يريد أن تكون فتنة وفساد على الارض ولكنها موجودة، كذلك لا يريد أن يقتل الإمام الحسين (ع) ولا أن يقع أهل بيته اسارىٰ، ولكن كل ذلك وقع فقتل الإمام (ع) وسبيت عيالة. يقول الإمام السجاد (ع): ان قتل الإمام الحسين (ع) كان ضربة ومصيبة فادحة وقعت على الإسلام والمسلمين، ولا ريب أن الله لم يكن يريد أن تقع مثل هذه الفادحة العظيمة على الإسلام وان تلقي بستارها عليه. نعم ان يزيداً وابن زياد أرادا ان يقتل الإمام (ع)، لا ان الله أراد ذلك! لانه لو كان الله سبحانه وتعالىٰ في مقام التشريع أراد أن يرىٰ الحسين قتيلاً إذن فلماذا نهىٰ عن قتله؟

قد تقولون: إن القتل في سبيل الدين أمر مطلوب عند الله، نقول في معرض الجواب: إن القتل بذاته لم يكن مطلوباً عند الله، بل ان المطلوب عند الله هو الدفاع عن القيم والمبادىء السماوية وحماية الدين، الذي يكون القتل فيه حالة لازمة وتعتبر اسمىٰ غاية لانها ذات هدف عظيم، إذن فالشيء الذي يريده الله سبحانه وتعالىٰ هو الدفاع عن الدين لا غاية القتل «طبعاً لا يحسن القول؛ إنه إذا لم يكن القتل هو ما يريده الله سبحانه، فإذن لماذا يأمر بذبح إسماعيل (ع)؟ الجواب: إن هذا الأمر كان أمراً إمتحانياً ولم يكن ذبح إسماعيل ما يريده الله قطعاً بل إنه لا يريد قتله ولهذه العلة صرف إبراهيم (ع) عن قتله».

ونعود لتوضيح المطلب قائلين: هل ان ضرب المظلوم أمر مطلوب؟ طبعاً لا، وهل إذن فتعريض النفس للضرب أيضاً أمر غير مطلوب.

اسیرکردن خانواده‌اش گناه بزرگی است ، و هیچ‌گناهی را خدا ازنظر تشریع و قانون نخواسته است. خدا نخواسته است مردم دروغ بگویند ولی میگویند و نخواسته است درزمین فتنه و فساد کنند ولی میکنند ، و نخواسته است امام حسین (ع) را بکشند و خانواده‌اش را اسیر کنند ولی میکنند . کشتن حسین‌بن‌علی (ع) چنانکه امام سجاد علیه‌السلام فرمود[۱] ضربت بزرگی بودکه باسلام زدند و بدون تردید خدا نخواسته است چنین ضربتی را باسلام بزنند .

آری یزیدوابن‌زیاد خواسته‌اند امام‌حسین‌را کشته ببینند نه‌خدا. اگرخدا ازنظرتشریع خواسته امام را کشته ببیند پس چرا ازکشتن وی نهی‌کرده است ؟

واگرکسی‌بگوید : کشته‌شدن‌درراه دین مطلوب خداست جوابش اینست‌که کشته‌شدن مطلوب‌خدا نیست‌بلکه دفاع‌وحمایت ازدین‌مطلوب خداست‌که‌گاهی به‌کشته شدن میانجامد ، پس‌آنچه مطلوبست و خدا خواسته ، دفاع ازدین است‌نه‌کشته‌شدن[۲] .

برای توضیح مطلب میگوئیم :

آیا سیلی‌زدن‌بمظلوم مطلوبست ؟ البته نه ، پس خود‌را بمنظور سیلی‌خوردن درمعرض سیلی قراردادن‌هم مطلوب نیست .

۱ــ لهوف ص۱۸۰ ومثیرالاحزان ص۶۲

۲ــ البته نباید گفته شود : «اگرکشته شدن مطلوب خدا نیست پس چرا امر به ذبح اسمعیل کرده ؟» زیرا این امر امتحانی بود و ذبح اسماعیل هرگز مطلوب نبود وخدا نمیخواست اوکشته شود بلکه میخواست زنده بماند تاوجود مقدس خاتم‌الانبیاء (ص) ازنسل او بوجود آید . و بهمین جهت ازکشتن او جلوگیری‌کرد.

مع غلمانه، ولقد جاءت هنا بالمعنى الاعم لان الامام (ع) فيها استثنىٰ ولده علياً (ع) من اصحابه، وعليه تكون كلمة (اصحاب) شاملة لأولاده وغلمانه. قد يتصور الفرد للنظرة الاولىٰ لهذه الرواية بان الامام (ع) انما تحرك من مكة لكي يقتل، وهذا التصور باطل لا يعتمد على حقيقة علمية، وأيضاً فإننا لا نعتمد على هذه الرواية لعدة اسباب منها ما يلي:

١ ـ لأن؛ أحد رواة هذه القصة هو (سفيان بن وكيع) المتهم بالكذب كما عن ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ١٧٣).

٢ ـ ولأنه؛ يوجد لهذه الرواية معارض في المقام، وهو حديث (لوط بن يحيىٰ) عن (عقبة بن بشير الاسدي) عن الامام الباقر (ع) قال: «رفع الحسين (ع) يديه بالدعاء عندما قتل ولده الرضيع وقال رب ان تك حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير فانتقم لنا من هؤلاء الظالمين.». (تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٢، الارشاد ص ٢٢١). فهذا الحديث ينفي نزول الامداد السماوي على الحسين (ع) في حين تتحدث الرواية التي هي مورد بحثنا عن نزول الامداد السماوي على الحسين (ع) وهذا على ما هو ظاهر تعارض صريح بين الروايتين.

٣ ـ ولأن؛ هذه الرواية تقول، انه لم يبق من أصحاب الامام الحسين (ع) إلا الامام السجاد (ع)، مع العلم أن التواريخ المتعددة تذكر لنا إنه بقي مع الامام السجاد (ع) عدد من الاصحاب واهل البيت نذكر منهم ما يلي:

١ ـ حسن بن الحسن (الطبري ج ٤ ص ٣٥٩).

٢ ـ عمرو بن الحسن (الطبري ج ٤ ص ٣٥٩).

٣ ـ زيد بن الحسن (اللهوف ص ١٢٩، مقاتل الطالبيين ص ١١٩).

تابعٌ للصفحة الآتية

بادشمنان جنگ میکردم ولی میدانم که در آنجا قتلگاه من و اصحابم خواهد بود و از یاران مـن کسی نجات نمی‌یابد بغیر از فرزندم علی **وَلٰكِنْ اَعْلَمُ يَقيناً اَنَّ هُناكَ مَصْرعِى وَمَصْرَعَ اَصْحابِى لايَنْجُو مِنْهُم اِلّاوَلَدِى عَلِىٌّ[1]».**

کلمهٔ « مصرع » بمعنای محل کشته‌شدن استعمال‌میشود چنانکه درحدیث لهوف‌آمده : «وخير لى مصرع اناﻻقيه»[2] واهل‌لغت‌نوشته‌اند: « **مصارع القوم حيث قتلوا**[3]»وکلمهٔ «**اصحاب**» بمعنای‌اخص شامل‌فرزندان وغلامان شخص نمیشود وبمعنای اعم شامل فرزندان وغلامان هم میشود ودراین روایت بمعنای اعم‌است زیراعلی‌بن‌الحسین‌علیه‌السلام ازاصحاب استثناء شده پس دراینجا کلمهٔ «**اصحاب**» شامل غلامان و فرزندان امـام هم میشود .

ممکن‌است کسی بادیدن این نقل گمان کند امام حسین (ع) از مـکه بقصد کشته شدن حرکت فرمـوده است ولی باید دانست که بچند علت به این نقل نمیتوان اعتماد کرد :

۱ـ یکی ازراویان این قصه یعنی «**سفیان‌بن‌وکیع**» متهم بـه‌دروغ گوئی‌است[4] .

۲ـ این نقل معارض دارد وآن روایتی است که «**لوط‌بن یحیی**» از « **عقبة‌بن‌بشیر** » اسدی از امام محمد باقر علیه السلام نقل میـکند که

۱ـ دلائل الامامة ص۷۴

۲ـ لهوف ص۵۳

۳ـ اقرب‌الموارد ج۱ ص۶۴۴

۴ـ میزان‌الاعتدال ج۲ ص۱۷۳

٤ ـ غـلام عبـد الـرحمن بن عبـد ربـه الانصـاري (الـطبـري ج ٤ ص ٣٢١).

٥ ـ الضحاك بن عبد الله المشترقي (الطبري ج ٤ ص ٣٣٩).

٦ ـ عقبة بن سمعان (الطبري ج ٤ ص ٣٤٩).

٧ ـ مرقع بن ثمامة الأسدي (الطبري ج ٤ ص ٣٤٧).

٨ ـ مسلم بن رباح مولى علي (تهذيب ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٨).

٩ ـ قاسم بن عبد الله بن جعفر (سير النبلاء ج ٣ ص ٢٠٣).

١٠ ـ محمد بن عقيل (سير النبلاء ج ٣ ص ٢٠٣).

ولو أن هناك بحثاً حول (زيد بن الحسن) على أساس انه لم يشارك في وقعة كربلاء، وحتىٰ لو تحقق ذلك وبقىٰ ٨ أشخاص فإن ذلك كاف في رد الحديث وبطلانه، بل لو كان الباقون هم نصف ذلك العدو فإن ذلك يثبت بأن عبارة «لا ينجو منهم الاولدي علي» غير صحيحة، ولما ذكرناه من الاسباب الثلاثة في البحث حول الحديث المزبور، وعليه يكون الحديث ليس مورداً للقبول والإعتماد. اضف الى ما تقدم فإن معنىٰ الحديث لا يتناسب ومقام الامام (ع) حتىٰ يمكن نسبته اليه.. «لولا تقارب الاشياء وحبوط الاجر لقاتلتهم بهؤلاء» فالظاهر فيه انه يعتبر الأجر غير متحصل.

اذن فهل ان الامام (ع) يرفض الامداد الغيبي الذي يكون عاملاً مساعداً في حسم وبناء حكومة إسلامية تحيي معالم الدين وهل يكون ذلك أجراً ضائعاً؟! لا ريب انه لن يستطيع أحد الجواب على هذا السؤال سوىٰ الراوي (سفيان بن وكيع) المتهم بالكذب.

أنظر ص ٤١٩

من كتاب (شهيد جاويد الفارسي)

درروز عاشوراء وقتی بچهٔ امام حسین (ع) تیر خورد آنحضرت بدرگاه خدا عرضه داشت :

«خدایا اگرکمك آسمانی‌را ازما بازداشته‌ای این مصیبت‌را ذخیرهٔ آخرت‌ما قرار ده وانتقام مارا ازاین‌ستمگران بگیر[1] » .

ازاین حدیث معلوم میشود خداوند کمك آسمانی را از امام باز داشته درحالی‌که ازحدیث مورد بحث معلوم میشود کمك آسمانی‌را باز نداشته است .

۳ـ دراین نقل میگوید : غیراز امام سجاد علیه السلام کسی از اصحاب امام باقی نمیماند درحالی‌که غیراز حضرت سجاد (ع) این عده که نام میبریم باقی ماندند :

۱ـ حسن بن الحسن (طبری ج۴ ص۳۵۹) .

۲ـ عمروبن الحسن[2] (طبری ج۴ ص ۳۵۹) .

۳ـ زیدبن الحسن (لهوف ص۱۲۹ ومقاتل‌الطالبیین ص۱۱۹) .

۴ـ غلام عبدالرحمن بن عبدربه انصاری (طبری ج۴ ص۳۲۱) .

۵ـ ضحاك بن عبدالله مشرقی (طبری ج۴ ص۳۳۹) .

۶ـ عقبة بن سمعان (طبری ج۴ ص۳۴۹) .

۷ـ مرقع بن ثمامهٔ اسدی (طبری‌ج۴ ص۳۴۷) .

۱ـ تاریخ طبری ج۴ ص۳۴۲ وارشاد ص ۲۲۱

۲ـ طبری ج۴ص۳۵۹میگوید: « **واستصغرعمروبن‌الحسن**» واین بدان معنی نیست‌که عمروبن‌الحسن بچه بوده وازاصحاب نبوده زیرا در همان صفحه دربارهٔ امام سجاد علیه‌السلام‌میگوید: «**واستصغرعلی بن‌الحسین**» ودربارهٔ حسن مثنی هم میگوید: «**واستصغرالحسن بن‌الحسن**» .

أنظر ص ۳۱٦

نقل اللهوف: نقل صاحب كتاب اللهوف هذه القصة في ص ٥٤، في حين انه ذكر في الصفحة ١٢٨، ١٢٩ ان حسن بن الحسن وزيد بن الحسن وعمرو بن الحسن ممن لم يستشهدوا يوم عاشوراء، وهذا كما ترى تناقض بين النقلين!

۸ـ مسلم بن رباح مولى علی (تهذیب ابن عساکر ج۴ ص۳۳۸) .
۹ـ قاسم بن عبدالله بن جعفر (سیرالنبلاء ج۳ ص۲۰۳).
۱۰ـ محمد بن عقیل (سیرالنبلاء ج۳ ص۲۰۳) .

اگرچه دربارهٔ عمرو بن الحسن قولی هست که کشته شده (ارشاد ص ۱۷۶) و دربارهٔ زیدبن الحسن هم قولی هست که همراه امام نیامده ولی اگر ۸ نفر از عدهٔ نامبرده هم باقی مانده باشند بلکه اگر نصف این عده هم باقی مانده باشند باز این جملهٔ حدیث که : «لایَنْجُو مِنْهُمْ اِلاّ وَلَدِی عَلِیّ» از اصحاب من بجز فرزندم علی کسی باقی نمیماند» صحیح نیست .

به این سه علتی که ذکر شد حدیث مزبور قابل اعتماد نیست .

علاوه بر این معنای این سخن چیست که نسبت به امام میدهد : «اگر اجر من ضایع نمیشد به کمك این فرشته‌ها میجنگیدم» ؟ آیا اگر امام بکمك فرشته‌ها دشمنان را نابود کند و اسلام پایمال شده را زنده نماید اجرش ضایع میشود ؟!

جواب این مطلب را باید آن راوی متهم بدروغگوئی «سفیان بن وکیع» بدهد .

نقل لهوف :

لهوف هم این داستان را در ص ۵۴ نقل کرده در حالی که زنده ماندن حسن بن الحسن وزید بن الحسن وعمرو بن الحسن را در ص ۱۲۸ و ۱۲۹ آورده واین تناقض روشنی است !

أنظر ص ۳۱۷أ

من كتاب وقعة كربلاء




القسم الثالث
من السقيفة إلى يزيد



بيعة يزيد امتداد لبيعة الخلفاء الثلاثة

عندما نقول: إنّ بيعة يزيد كانت امتداداً لبيعة الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه إنّما قلنا ذلك لأنّ بيعة الجميع قد تمّت رغم أنف المسلمين؛ وذلك باتّباع أُسلوب التهديد والقتل؛ وسنُوقِف القرّاء على مجمل الأحداث، ابتداءً من انتخاب أبي بكر إلى إمرة يزيد بن معاوية وسيرى القارئ أنّ الذي حدث بمؤازرة عصابةٍ من الناس الذين هم عند أهل السنّة يشملهم عنوان الصحابي. وعلى مذاق القوم أن جميع الصحابة هم عُدول، ثقاة، لا يمكن أن يتطرّق إليهم النقد والجرح...وهذا مقياس خاطئ ما أنزل الله به من سلطان، بل المقياس الصحيح هو قوله تعالى: ﴿**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾، و«لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتقوى».

وعليه سنبيّن أن إمرة الخلفاء الثلاثة لم تكن وفق المنهج الشرعيّ الصحيح.

بيعة أبي بكر عام (١١ هـ)

جميع المسلمين ـ بما فيهم الصحابة ـ كانوا يتطلّعون إلى حالة الرسول (صلى الله عليه وآله) حين مرضه وهمّهم شفاءه، وكانوا يطمحون بطول بقائه وعمره المديد، لكن شاء الله سبحانه أن يرفعه إليه، وأن يُوصي الأُمّة بعليٍّ، فهو خليفته ووزيره، ويؤدّي عنه دَيْنَه، ومع كلّ الذي قاله في حقّ عليٍّ (عليه السلام) كان على

اطلاع مسبقٍ ـ من قبل السماء ـ أنّ الأُمّة سوف تغصب حقّ عليّ. سوف تُقصيه عن الخلافة، بل سوف ينال منها من المصائب والمحن ما ينصدع له القلب، وتنهدّ له الجبال...

ماذا فعل رسول الله في مرضه...؟

أراد الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يكتب كتاباً إضافةً إلى وصيّته في عليٍّ وأهل بيته، وفي هذا الكتاب سوف يقرّر كلّ شيء، وبه تنتهي كلّ المؤامرات، ويحسم النزاع بين المسلمين. فماذا حصل...؟

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: ثمّ نظرت إلى دموعه ـ أي: دموع الرسول ـ تسيل على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ائتوني باللوح والدواة، أو بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده، قال: فقالوا: إنّ رسول الله يهجر[1].

وهذه العبارة من مختصّات عمر بن الخطاب وإن كانت قد رويت بلفظٍ آخر، كما يرويه البخاريّ في صحيحه: إذ لمّا طلب الرسول الدواة والقرطاس قال أبو حفص عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع، وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله[2].

وكان لهذا القول اعتداء سافر على الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ممّا غضب غضباً شديداً حتّى أنّه (صلى الله عليه وآله) أمرهم بالانصراف.

وقول ابن عبّاس يؤكّد ذلك:

قال اشتدّ برسول الله وجعه...فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي أبداً، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبيّ أن يتنازع، فقالوا: ما شأنه؟ أَهَجَرَ؟ فذهبوا

---

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٤٣٦.

(٢) صحيح البخاري ١ / ٢٢٠ باب كتابة العلم.

يعيدون عليه، فقال: دعوني، فما أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه...[١].

توفّي الرسول (ص) وهو ينوي وضع وصيّته مكتوبةً بيد القوم، إلاّ أنّهم خالفوه؛ لتنفيذ مؤامرةٍ قد حِيكت خيوطها من قبل...!! ولا عجب.

عن الأرقم بن شرحبيل قال: سألت ابن عبّاس: أوحى رسول الله (ص) ؟ قال: لا. قلت: فكيف كان ذلك؟ قال: قال رسول الله: ابعثوا إلى عليّ فادعوه، فقالت عائشة: لو بعثت إلى أبي‌بكر! وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر! فاجتمعوا عنده جميعاً. فقال رسول الله (ص) : انصرفوا، فإن تك لي حاجة أبعث إليكم، فانصرفوا...[٢].

أين كان أبوبكر لمّا توفّى الرسول (ص) ...؟ ومتى جاء إلى المدينة؟

لمّا توفّي الرسول (ص) كان أبوبكر عند أهله في السُّنْح[٣] أي: كان خارج المدينة بمسافة عدّة فراسخ، ولم يأتِ المدينة إلاّ بعد انتشار خبر الوفاة!!

عن أبي أيّوب، عن إبراهيم قال: لمّا قبض النبيّ (ص) كان أبوبكر غائباً، فجاءَ بعد ثلاثٍ، ولم يجترئ أحدٌ أن يكشف عن وجهه حتّى اربدَّ بطنه، فكشف عن وجهه و...[٤].

وفي روايةٍ أُخرى: أنّه جاء المدينة في نفس اليوم الذي توفّي فيه النبيّ بعدما ارسل وراءه عمر بن الخطاب. قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد.

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٤٣٦.
(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٩.
(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٢.
(٤) تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٣.

أشهدت وفاة رسول الله (ﷺ) ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويع أبوبكر؟

قال: يوم مات رسول الله (ﷺ) ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة...[١].

ماذا حدث بعد وفاة النبي (ﷺ) ...؟

أجمعت كتب التأريخ والسيرة بأنّ عمر بن الخطاب أنكر وفاة النبيّ، بل توعّد الناس وهدّدهم بالقتل إن قالوا بوفاته (ﷺ) ...!

أمر عجيب...وتحار عنده العقول...قال زيني دحلان: قال عمر: من قال: إنّ محمداً قد مات ضربته بسيفي[٢].

وعن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: لما توفّي رسول الله (ﷺ) قام عمر بن الخطّاب فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله توفّي، وأنّ رسول الله والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلةً، ثمّ رجع بعد أن قيل: قد مات والله، ليرجعنّ رسول الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات[٣].

مَن هؤلاء الرجال المنافقين الذين يزعمهم أبن الخطّاب...؟

هل صرّح النبي (ﷺ) أنّه ذاهب إلى ميقات ربّه كما كان موسى بن عمران...؟

---

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٧.

(٢) السيرة النبويّة للعلاّمة زيني دحلان، المطبوع بهامش السيرة الحلبية ٣ / ٣٩٠.

(٣) هذا الخبر والذي سبقه تجده في عشرات المصادر، وبألفاظ متقاربة نذكر بعضها: تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٢، تأريخ اليعقوبي ٢ / ١١٤، البداية والنهاية ٥ / ٢٤٢، تأريخ أبي الفداء ١ / ١٦٤، تأريخ الخميس ٢ / ١٨٥، مسند أحمد ٦ / ٢١٩، نهاية الإرب ١٨ / ٣٨٥، أنساب الأشراف ١/ ٥٦٥.

وهل علم ابن الخطّاب أنّ الميقات للنبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) هو أربعون يوماً...؟

وهل كفّر عمر عن قسمه الكاذب...، أم أنّه قد استعمل التورية في كلامه...؟

وإذا كان النبيّ سيرجع ويقطّع أيدي رجالٍ وأرجلهم فعلام يتبرّع ابن الخطّابْ في قتل أُولئك؟ وهل تبقى باقية من أُولئك ـ المنافقين على حدّ زعم عمر ـ الذين قالوا بوفاة النبي إلى زمان رجوعه حتّى يقطع أرجلهم وأيديهم...؟

ما هذا التهور...وما هذه العصبية...؟! يبدو أنّها فوضى، وقد سادت الجاهلية من جديد وأصبحت الشريعة الحاكمة هي شريعة الغاب...!

وذلك واضح جدّاً؛ لتأمين مصالح سياسيةٍ قد اتّفق عليها القوم قبل رحيل النبيّ (صلى الله عليه وآله) عنهم.

وابن أبي الحديد أشار إلى ذلك فقال: إنّ عمر لمّا علم أنّ رسول الله قد مات خاف من وقوع فتنةٍ في الإمامة وتغلّب أقوام عليها: إمّا من الأنصار أو غيرهم، وخاف أيضاً من حدوث ردّةٍ ورجوع عن الإسلام...

ثم قال: فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس بأن أظهر ما أظهر من كون الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يمت، وأوقع تلك الشبهة في قلوبهم...[(١)].

لماذا سقيفة بني ساعدة؟

اتّضح ممّا سبق أنّ عمر بن الخطاب كان يماطل المسلمين ويتهدّدهم بالقتل ويحملهم على حياة النبيّ...، و...، كلّ ذلك يُريد أن يصل أبوبكر حتّى تكتمل إرادة الجميع، ويبدأ تنفيذ ما بيّتوه في الأمس.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ١٢٩ ط بيروت.

هذا الموقف قد انكشف للأنصار؛ لذا بادروا إلى حسم الموقف قبل مجيء أبي‌بكر وعمر إليهم، ثمّ جمع غفير من الأنصار كان إلى جنب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ممّن رفضوا مبايعة أبي‌بكر.

قال ابن جرير الطبري: (وكان عمر يقول: لم يمت، وكان يتوعّد الناس بالقتل في ذلك، فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبابكر، فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح، فقال: ما هذا؟

فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير.

فقال أبوبكر منّا الأُمراء ومنكم الوزراء)(١).

أُنظر إلى موقف أبي‌بكر، حيث أدرك أنّ القوم يطلبون الرئاسة، ولا مفرّ من ذلك، ممّا جعل الإمارة له والوزارة لسعد وقومه، غير أنّ عمر بن الخطاب تدارك الموقف لحسم النزاع بالمرّة في صالح رفيقه وصاحبه، فقال لأبي‌بكر: مدّ يدك لأُبايعك، فمدّ يده فبايعه، وتابعه أبو عبيدة الجرّاح وبعض الناس.

أمّا الأنصار فامتنعت، وادّخرت الأمر إلى عليّ بن أبي طالب.

قال الطبري: (...فقام عمر فقال: أيّكم تطيب نفسه أن يخلف قَدَمين قدّمهما النبيّ (صلى الله عليه وآله) ؟ فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار، أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ علياً)(٢).

إذاً بيعة أبي‌بكر لم تحصل إلاّ من عمر وأبي عبيدة بن الجرّاح، وبعض الناس...!

أمّا سعد بن عبادة فلم يبايع...!(٣)

---

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٣.

(٢) تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٣.

(٣) مات في خلافة عمر بن الخطاب ولم يبايع أبابكر ولا عمر، حتّى مات وهو ساخط عليهما. انظر الإمامة والسياسة / ص ١٧.

وأمّا الأنصار فلم يبايعوا...!

ثمّ بنو هاشم كذلك لم يبايعوا...!

ثمّ كبار الصحابة كذلك لم يبايعوا، ومنهم أبوذرّ وعمّار والمقداد وسلمان الفارسيّ و...

ثمّ العبّاس وطلحة والزبير كذلك لم يبايعوا!

ثمّ عليّ بن أبي طالب كذلك لم يبايع!

ثمّ بقيّة المسلمين من المهاجرين كذلك لم يبايعوا، والبعض منهم كان مع عليّ بن أبي طالب في تجهيز الرسول وتغسيله...[1].

وعليه، فإنّ كبار الأُمّة كانت في شغلٍ شاغلٍ عن موت الرسول وتغسيله وتجهيزه؛ لأنّ الكلّ كان يطمع في الخلافة إلاّ بني هاشم الذين تولّوا شأن الرسول في تجهيزه وتكفينه، بل إنّ البعض كان لا يدري حتى دُفن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ...!

عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله (ﷺ) حتّى سمعنا صوت المَسَاحي من جوف الليل، ليلة الأربعاء[2].

فالجميع كان يُمنّي نفسه بالخلافة...

والجميع ـ في باديء الأمر ـ امتنع عن بيعة أبيبكر إلاّ عصابةً منهم...

والحجر الذي يقف أمام عمر وأبيبكر هم الأنصار قاطبة...

أقول قاطبةً؛ وذلك بإعترافٍ من عمر بن الخطّاب، كما في تأريخ الطبريّ:

---

(١) عن عبدالله بن عباس قال: إنّ عليّ بن أبي طالب والعبّاس بن عبد المطلّب والفضل بن عبّاس وقُثم بن العبّاس وأُسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله هم الذين ولّوا غسله، وإن أوس بن خوليّ أحد بني عوف ابن الخزرج قال لعليّ بن أبي طالبٍ أنشدك الله يا عليّ وحظّنا من رسول الله، وكان أوس من بدر وقال أُدخل فدخل...

(٢) مسند أحمد ٦ / ٢٧٤، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٤٤، تاريخ ابن كثير ٥ / ٢٧٠، وتأريخ الطبري ٢ / ٤٥٢ و٤٥٥، طبقات ابن سعد ٢ / ٨٢٤ ط ليدن. القسم الثاني ص ٧٨.

قال عمر: (...وإنّه كان من خبرنا حين توفّى الله نبيّه (ﷺ) أنّ عليّاً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة، وتخلّف عنا الأنصار بأسرها...)[١].

ولا عجب عندما تسمع أن أبابكر وعمر لشدّة تكالبهما على الخلافة أنّهما تركا رسول الله (ﷺ) ولم يشهدا دفنه[٢].

البيعة لأبي بكر تؤخذ بالسيف

دخل عمر بن الخطّاب حلبة الصراع، وأخذ يجول بين أطراف القوم والجهات التي اشرأبّت أعناقها للسلطة وأوّل شخصيّةٍ تتصدر لمجابهة عمر هو الحُبَابُ بن المنذر بن الجموح، حيث أدلى برأيه وقال: منّا أمير ومنهم أمير، آنذاك قال عمر:

هيهات، لا تجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم وَلي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلاّ مُدْلٍ بباطلٍ أو مُتجانِف لإثمٍ أو متورِّطٍ في هلكة...[٣].

هذا أوّل تهديد...أو متورّطٍ في هلكة.

هذا التهديد ردّه الحُبَابُ بن المنذر، فقال: (يا معشر الأنصار، أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأُمور، فأنتم

---

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: انظر كنز العمال ٣ / ١٤٠.

(٣) تأريخ الطبري ٢ / ٤٥٧.

والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم، وإن لهذا الدين من دان ممّن لم يكن يدين أنا جُذَيْلُها المُحَكّك، وعُذَيقُها المُرَجَّب، أما والله لئن شئتم لنعيدنّها جَذعَة)(١).

اتّضح لعمر: أنّ الموقف من الأنصار ـ والذي يمثّله الحُبَاب ـ شديد وربّما ينفجر بالاشتباك الصارخ، ومع هذا الاعتقاد أجاب عمر فقال: إذاً يقتلك الله...!

قال الحُبَابُ: بل إيّاك يقتل...(٢).

عرفت **التهديد الأوّل** من قبل عمر وكان لعامّة الأنصار.

والتهديد الثاني كان للحُبَاب بن المنذر.

وأمّا **التهديد الثالث** من عمر فكان لسعد بن عبادة...

قال عبدالله بن عبدالرحمان: فأقبل الناس من كلّ جانبٍ يبايعون أبابكر، وكادوا يطأون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لا تطؤه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله. ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك، فأخذ سعد بلحية عمر فقال: واللهِ لو حصصتَ منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة، فقال أبوبكر: مهلاً يا عمر، الرفق هاهنا أبلغ، فأعرض عنه عمر...)(٣).

هذا التهديد أوجع قلب أبي‌بكر ممّا عاتب عليه، فقال لعمر: الرّفق هاهنا أبلغ...؛ لأنّ الأمر أُخذ بالقوّة، والناس اتّقت الفتنة، وأما الهمج الرعاع فاتّجهوا نحو أبي‌بكر. إذاً لا داعي لهذا التهديد الجديد وفي سقيفة بني ساعدة...!

التهديد الرابع: هذا التهديد استعمله عمر لبعض المهاجرين،

---

(١) تأريخ الطبري ٤ / ٤٥٨، البيان والتبيين ٣ / ١٨١، الإمامة والسياسية ٩، مسند أحمد ١ / ٥٦، السيرة الحلبيّة ٣ / ٣٨٧، شرح النهج ١ / ١٢٨ و٢ / ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٧.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٩، ومسند أحمد ١ / ٥٦، العقد الفريد ٢ / ٢٤٩، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٣٩.

وبالخصوص للزبير...

عن مغيرة، عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرمنّ عليكم أو لتخرُجُنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مُصْلِتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه(١).

وفي روايةٍ أُخرى: أنهم أخذوا سيفه فضربوا به الجدار.

ورواية ثالثة: أنهم ضربوا به صخرة.

وكيفما كان أرادوا إبطال سيفه عن الضرب حتّى لا ينهض بوجوههم، ولا يقوى على مجابهتهم، وقد حصل لهم ذلك.

التهديد الخامس: استعمله عمر لإجبار عليّ بن أبي طالب، ولم يبقَ من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ بني هاشم، وعلى رأسهم الإمام عليّ (عليه السلام) .

وإليك تفاصيل الحادث برواية ابن قتيبة، قال:

«وإنّ أبابكر (رضي الله عنه) تفقّد قوماً تخلفوا عن بيعته عند عليٍّ (كرّم الله وجهه)، فبعث إليه معمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة؟ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلاّ عليّاً، فإنّه زعم أنّه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة (رضي الله عنها) على بابها، فقالت: لا عهد لي بقومٍ حضروا أسوأ محضرٍ منكم، تركتم رسول الله جنازةً بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقّاً. فأتى عمر أبابكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبوبكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادعُ لي علياً، قال: فذهب

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣، الامامة والسياسة ص ١١، الرياض النضرة ١ / ١٦٧، شرح النهج ١/٥٨ و٢ / ١٩٥.

إلى عليٍّ فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال عليّ: لسريع ما كذبتم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبوبكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبوبكر (﵁) لقنفذ: عُد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ، فأدّى ما أمر به، فرفع عليّ صوته فقال: سبحان الله! لقد ادّعى ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبوبكر طويلاً، ثمّ قام عمر، فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي‌بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك، فقال: إذاً تقتلون عبدالله وأخا رسوله، قال عمر: أمّا عبدالله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبوبكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق عليّ بقبر رسول الله (ﷺ) يصيح ويبكي، وينادي: يا ابن أمّ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، فقال عمر لأبي‌بكر، (رضي الله عنهما): انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم تردّ عليهما السلام، فتكلّم أبوبكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله، إلاّ أني سمعت أباك رسول الله (ﷺ) يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله (ﷺ) تعرفانه وتفعلان به؟

قالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم، سمعناه من رسول الله (ﷺ)؛ قالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه، فقال أبوبكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة؛ ثمّ انتحب أبوبكر يبكي، حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها، ثم خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي. قالوا: يا خليفة رسول الله، إنّ هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنّه إن كان هذا لم يقم لله دين، فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بتّ ليلة ولي في عنق مسلم بيعة، بعدما سمعت ورأيت من فاطمة. قال: فلم يبايع عليّ (كرّم الله وجهه) حتّى ماتت فاطمة (رضي الله عنهما)، ولم تمكث بعد أبيها إلاّ خمساً وسبعين ليلة»[1].

هكذا تمّ الأمر لأبي‌بكر، وكان بطل المسرح عمر بن الخطاب، الذي استخدم سيفه وسيلةً لأخذ البيعة من المسلمين، فمرةً يهدّد بالسيف، وثانيةً ينذر الأنصار والحُبَاب بن المنذر بالهلاك، وثالثةً يأمر بقتل سعد بن عبادة، ورابعةً يضع الحطب على باب فاطمة بنت الرسول ليحرقها ومن فيها، وخامسةً يهدّد الإمام علي بالقتل إن لم يبايع...

فلا نجد موقفاً من مواقف ابن الخطاب يُوافق الشريعة الغرّاء؛ فجميع

---

(١) الإمامة والسياسة ١٩ ـ ٢٠، والعقد الفريد ٢ / ٢٥٠، ومروج الذهب ١ / ٤١٤، وتأريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٥، وشرح ابن أبي الحديد ١ / ١٣٤ و٢ / ١٩، وتأريخ ابن شحنة في هامش الكامل ١٦٤/٧.

مواقفه خلاف القرآن والسنّة. وقد عرفت فيما ذكرناه من نصوص: كيف تحرّك عمر لحسم النزاع بين المهاجرين والأنصار. فبُورك من خليفةٍ يضع السيف على عاتقه والحطب إلى جنبه ليأخذ البيعة لغيره، ومن ثمّ لنفسه بأسلوبٍ همجيٍّ قلّ نظيره في تأريخ الأديان، مما أعقب هذا الأُسلوب الفجائع والويلات، ولا زالت الأمّة الإسلاميّة مثقلة بالفجائع إلى يومنا هذا؛ بسبب انحراف رجالها المتنفّذين...، وعدم لياقتهم للسلطة...ممّا قاله أبوبكر بعدما استتبّ له الأمر:

(...ولقد قلّدت أمراً عظيماً، مالي به طاقة ولايد، ولوددت أنّي وجدت أقوى الناس عليه مكاني، فأطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيتُ فلا طاعة لي عليكم، ثمّ بكى، وقال: اعلموا أيّها الناس، إنّي لم أجعل لهذا المكان أن أكون خيّركم، ولوددت أنّ بعضكم كفانيه، ولئن أخذتموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندي، وما أنا إلاّ كأحدكم، فإذا رأيتموني قد استقمت فاتّبعوني، وإن زغت فقوّموني، واعلموا: أنّ لي شيطاناً يعتريني أحياناً، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني، لا أُؤثر في أشعاركم وأبشاركم...)[(١)].

هذا هو الواقع، والتأريخ هو الشاهد، فما عسى أن نقول...

إنّها حلقة من سلسلةٍ طويلةٍ ابتدأت ببيعة أبي‌بكر، والذي قال عنها عمر ابن الخطّاب:

(...فلا يَغُرّنّ امرءاً أن يقول: إنّ بيعة أبي‌بكر كانت فلتةً، فقد كانت كذلك، غير أنّ الله وقى شرّها، وليس منكم من تُقَطّعُ إليه الأعناق مثل أبي‌بكر...)[(٢)].

خليفة يصرّح بأنّ له شيطاناً يعتريه، فإذا غضب فعليهم أن يجتنبوه، وإذا...

---

(١) الإمامة والسياسة / ص ٢٢، طبقات ابن سعد ٣ / ١٥١، كنز العمال ٣ / ١٢٦، وشرح النهج ٣/٨ و٤ / ١٦٧، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٤.

(٢) تأريخ الطبري ٢ / ٤٤٦، وشرح النهج ١ / ١٢٣، والصواعق المحرقة / ص ٢١، والتمهيد للباقلاني / ص ١٩٦.

ثمّ يأتي الخليفة الثاني فيقول: إنّ بيعة أبي‌بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها...

إذاً علام ذاك التهديد أيها المنصفون؟ فهل يبقى لمقياس الصحبة أثر... وهل لا زلتم تقولون بعدالة كلّ الصحابة...؟! إنها مكابرة وضلال...

بيعة عمر بن الخطّاب

إنّ كلّ الويلات التي أصابت الأُمّة الإسلاميّة، وجرّعتها مرارة الحياة وغصصها كان سببها النزاع الدائر بين شيوخ المهاجرين والأنصار، والذي مهّد السبيل لغصب الخلافة، وأمات كبرياء العرب، وأطاح بهيبة قريش، وأذلّ كبار المؤمنين من الصحابة إنّما هو موقف عمر بن الخطّاب من وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وتهديده للمسلمين، وإكراه الناس على مبايعة أبي‌بكر.

أمّا حلبة الصراع ـ فكما تقدّم ـ كانت في سقيفة بني ساعدة ثمّ توالت الأحداث بسرعةٍ فائقة؛ ولم ينفض القوم عن اجتماعهم ذاك إلاّ وسيف الإكراه فوق رؤوسهم يلاحقهم حتّى بايعوا. كما أنّ حمل الحطب وإضرام النار في باب فاطمة[1] كان أشدّ المواقف خزياً وأجرأها، وهي وصمة عارٍ في جبين التاريخ، ومن أبرز العورات في مسيرة أبي‌بكر وعمر...

عن عبدالرحمان بن عوف، عن أبيه أنّه دخل على أبي‌بكر في مرضه الذي توفّي فيه، فأصابه مهتّماً فقال له عبدالرحمان: أصبحت والحمد لله بارئاً، فقال أبوبكر أتراه؟

قال: نعم، قال: إنّي ولّيت أمركم خيّركم في نفسي، فكلكم وَرِمَ أنفُه من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت...ثم قال أبوبكر:

---

(١) أُنظر: أعلام النساء ٣ / ١٢٠٧، والعقد الفريد ٢ / ٢٥٠، وتأريخ أبي الفداء ١ / ١٥٦.

أجَلْ، إنّي لا آسى على شيءٍ من الدنيا إلاّ على ثلاثٍ فعلتُهنّ، وددت أنـي تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددت أني فعلتهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت عنهنّ رسول الله (ﷺ) . فأمّا الثلاث اللاتي وددت أني تركتهنّ: فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء...)[١].

لقد ندِمَ بن أبي قحافة لمّا أمرهم على أن يحملوا الحطب ويضرموا النار على الزهراء فاطمة وبعلها عليّ بن أبي طالب...

إنّها الدنيا...، الرئاسة...، المُلك العضوض...

لقد ندِمَ، ولات ساعة مندم...

بضعة المصطفى، إنّها روح النبيّ التي بين جنبيه، يغضب لغضبها، ويفرح لفرحها، ومع كلّ الذي جرى، واعتراف أبي‌بكر بما جنته يداه فتأتي مؤامرة اُخرى حين وفاته فيقدم على تنصيب عمر بن الخطّاب دون مشورة المسلمين في ذلك.

عن يونس بن عمرو، عن أبي السَّفَر قال: أشرف أبوبكر على الناس من كنيفه وأسماءُ ابنة عميس ممسِكته موشومة اليدين، وهو يقول: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإنّي والله ما ألوت من جهد الرأي ولا ولّيت ذا قرابةٍ، وإني قد استخلفت عمر بن الخطّاب فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا سمعنا وأطعنا[٢].

ما هو المقياس الشرعيّ الذي اعتمده أبوبكر في تعيين عمر واستخلافه...؟!

ألم يقل أبوبكر إلاّ وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني...؟!

---

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٦١٩، وأخرجه أبو عبيدة في الأموال ص ١٣١، والعقد الفريد ٢ / ٢٥٤، ومروج الذهب ١ / ٤١٤.

(٢) تأريخ الطبري ٢ / ٦١٨.

ألم يقل أبوبكر: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء...[1].

وددتّ أني لم أكن حرقت الفُجاءَة السَّلَمي، وأني كنت قتلته سريحاً أو خلّيته نجيحاً.

وددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين، يريد عمر وأبا عبيدة، فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً...

ألم يكن هو وصاحبه ممّن نزلت فيهما وفي تسعةٍ آخرين آية تحريم الخمر، حيث شربها القوم إلى سنة ثمانٍ للهجرة، وهي عام فتح مكّة، وقد شربوها في الجاهلية، وآخر شراب لهم في الإسلام كان عام ثمانٍ للهجرة في دار أبي طلحة زيد بن سهل، وكان ساقيهم أنس بن مالك، كما في صحيح البخاري، كتاب التفسير آية الخمر في سورة المائدة.

كما أورد الخبر مسلم في صحيحة في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر.

والسيوطيّ في تفسيره «الدرّ المنثور»، أخرجه عن عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردوية عن أنس ٢ / ٣٢١، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧ / ٢٤، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣ / ١٨١ و٢٢٧، وأخرجه البيهقي في سننه ٨ / ٢٨٦ و٢٩٠.

لقد ذكر ابن حَجَر في فتح الباري[2] عشرة أشخاص ممّن كانوا في بيت أبي طلحة زيد بن سهل وهم:

١ ـ أبوبكر ابن أبي قحافة، وكان عمره آنذاك ٥٨ سنة.

٢ ـ عمر بن الخطاب، وكان عمره آنذاك ٤٥ سنة.

٣ ـ أبو عبيدة بن الجرّاح، وكان عمره ٤٨ سنة.

٤ ـ أبو طلحة زيد بن سهل، صاحب الدار ونادي الشراب وكان له من

---

(١) الإمامة والسياسة / ص ٢٤.

(٢) فتح الباري ١٠ / ٣٧ وما بعدها ط بيروت، دار المعرفة.

العمر ٤٤ سنة.

٥ ـ سهيل بن بيضاء، توفي عام ٩ للهجرة، وهو طاعن في السنّ.

٦ ـ أُبيّ بن كعب.

٧ ـ أبو دجانة، سماك بن خراشة.

٨ ـ أبو أيّوب الأنصاري.

٩ ـ أبوبكر بن شغوب.

١٠ ـ أنس بن مالك، حيث قال ـ كما في سنن البيهقي ـ: إنّي لقائم أسقيهم وأنا أصغر القوم[١].

١١ ـ معاذ بن جبل[٢]، وكان له من العمر ٢٣ سنة، وتوفّي في خلافة عمر سنة (١٨ هـ).

هل يصلح أحد هؤلاء القوم للخلافة وبين ظهراني المسلمين والصحابة من لم يعرفها الخمر، ولم يشربها طيلة عمره...؟

هل يصلح أحد هؤلاء ومن بين المسلمين من هو أعلم منهم، ومن هو بالزهد والورع والتقوى والإيمان أشهر من أن يُذكر؟ فأوّل من آمن بالله وبالرسول وأسلم وجهه للدين الحنيف هو عليّ بن أبي طالب، وقد أجمعت المصادر على أنّه لم يسجد لصنم ولم يشرك بالله طرفة عين...!

إذاً لِمَ أقصوه عن الخلافة؟ ولِمَ تركوا النّبي مسجّي في بيته وبعدُ لم يباشر بتجهيزه ومن حوله بنو هاشم في عزاءٍ وثكل...؟

ولِمَ حملوا الحطب إلى دار فاطمة ليحرقوه على من فيه من أهل البيت؟

عشرات الأسئلة تختلج في الصدر، وإنّ قلوب المؤمنين لتعتصر ألماً

---

(١) سنن البيهقي ٨ / ٢٩.

(٢) مجمع الزوائد ٥ / ٥٢، تفسير الطبري ٧ / ٢٤، شرح النوويّ على هامش إرشاد الساري للقسطلاني ٨ / ٢٣٢.

وحزناً لما قام به الشيخان، حيث أوقعوا الأُمّة في صراعٍ دمويّ إلى يومنا هذا...!

لقد عرفت فيما سبق أنّ بيعة أبي‌بكر كانت فلتةً وقى الله شرّها، وقد حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة[١].

وهو الذي قال في يوم السقيفة: من بايع أميراً عن غير مشورةٍ فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه تغرّة أيقتلا[٢].

وهو الذي قال لابن عبّاس: يا ابن عبّاس ما أظنُّ صاحبك إلاّ مظلوماً!

وقد أجابه ابن عبّاس: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي‌بكر[٣].

وهو القائل لابن عباس: لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي‌بكر[٤].

وهو القائل: إنّا والله ما فعلناه عن عداوةٍ ولكن استصغرناه، وحسبنا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها!

فردّ عليه ابن عبّاس إذْ قال لعمر: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغرهُ أنت وصاحبك[٥].

وهو القائل ـ لمّا طعن ـ: إنْ ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم يعني: عليّاً، فقال له ابن عمر: ما يمنعك أن تقدّم عليا؟ قال: أكره أن أحملها حيّاً وميّتاً[٦].

---

(١) شرح النهج ١ / ١٢٣، والتمهيد للباقلاني / ص ١٩٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٥٦، وصحيح البخاري ١٠ / ٤٤ باب رجم الحبلى من الزنا، وأنساب البلاذري ٥ / ١٥.

(٣) شرح النهج ٢ / ١٨.

(٤) شرح النهج ١ / ١٣٤.

(٥) كنز العمال ٦ / ٣٩١.

(٦) أنساب البلاذري ٥ / ١٦، الاستيعاب ٢ / ٤١٩.

لو تجاوزنا هذه الأقاويل فماذا نصادف في استخلاف أبي‌بكر؟ فإنّ لدينا روايات صحيحة:

منها: كما في تاريخ الطبريّ بإسناده عن اسماعيل، عن قيس قال: رأيت عمر بن الخطّاب وهو يجلس والناس معه وبيده جريدة وهو يقول: أيّها الناس، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله (ﷺ) ، إنّه يقول: إنّي لم آلُكم نصحاً. قال ومعه مولىً لأبي‌بكر يقال له: شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر[١].

لا نعرف متى كتبت الصحيفة؟

ومتى استخلف الأول الثاني؟

ومن هم الشهود على هذا الاستخلاف؟

وربّما يكون الأمر مدبّر من الثاني، كما عرفت حيال بيعة أبي‌بكر...!

وعن الواقدي بسنده قال: دعا أبوبكرٍ عثمان خالياً، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبوبكر ابن أبي قحافة إلى المسلمين: أمّا بعد...

قال: ثمّ أغمي عليه فذهب عنه...

فكتب عثمان: أمّا بعد، فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب، ولم آلُكم خيراً منه.

ثمّ أفاق أبوبكر، فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه، فكبّر أبوبكر، وقال: أراك خِفت أن يختلف الناس إن افتلتتْ نفسي في غشيتي! قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرّها أبوبكر...[٢].

هذه مجمل بيعة الخليفة الثاني، ولا يعذر أحد فيها؛ لأنّ الرواية الأخيرة ـ الآنفة الذكر ـ إنّما اختاره عثمان، ولمّا كتب الكتاب افاق أبوبكر، فلم يجد بدّاً من تغيير ما كتبه عثمان فأقرّه كما هو حتّى ينجو من المشكلة...

---

(١) تأريخ الطبري ٢ / ٦١٨.

(٢) تاريخ ابن جرير ٢ / ٦١٩.

وكيفما كان، فلم تكن البيعة وفق المقاييس الشرعيّة، وقبل صفحةٍ قد أثبتنا جملةً من أقوال عمر في شأن الخلافة والمشورة فيها...!

فكيف يرضى بصنع عثمان وإقرار أبي‌بكر دون أن يشاوروا المسلمين فيها؟

يجيب على ذلك الامام علي (عليه السلام) يوم حمّلوه على مبايعة الأوّل، وإلاّ تضرب عنقه، وهو يقول لهم: إذاً تقتلون عبدالله وأخا رسوله...!

وهو القائل لهم: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي...!

فقال له عمر: إنّك لست متروكاً حتى تبايع، فقال له عليّ: احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً...[١].

وإلى هذا وذاك أشار (عليه السلام) في خطبته الشِقشقيّة، فقال:

أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر على طخيةٍ عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً، حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعد...فيا عجباً يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّر ضرعيها، فصيّرها في حوزةٍ خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن اشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس لعمر الله بخبطٍ وشماس، وتلوّنٍ واعتراض

---

(١) أي: افعل فعلاً يكون لك منه نصيب، فأنت تبايعه اليوم وغداً يحوّلها لك. فبنصرتك اليوم له يردّدها إليك غداً مضمونة.

فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى الثاني لسبيله جعلها في جماعةٍ زعم أنّي أحدهم، فيا لله وللشورى...!![١].

تُنبئكَ هذه الخطبة عن خلاصة الأحداث وسير الخلافة، والأسلوب الذي اتّبعه القوم، فيتقمّصها الأول بالقوّة والقهر والغلبة ويدلي بها إلى الثاني فيستخلفه رغم أنف المسلمين، ويُصيّرها الثاني شورى في ستّةٍ منهم عليّ بن أبي طالب...

وعليه، يشكو الإمام علّي من هذا التصرف ويستاء منه، فيقول: متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر...؟

بوادر الشورى والبيعة لعثمان

أدرك الخليفة الثاني أنّ بيعة أبي‌بكر لم تنل رضا المسلمين، ولم يجتمعوا إليه إلاّ بالقهر والغلبة، وقد بان التحزّب، وظهرت الاضغان، وكادت الجاهلية تحلّ بين القوم.

ثمّ إنّ استخلاف أبي‌بكرٍ لعمر كان واضحاً في أذهان المسلمين. إنّها المغامرة الثانية التي أثارت حفيظة المسلمين، وبالخصوص بلاد الشام[٢]، إذ هم مسبقاً كانوا على اطلاع من غلظة الخليفة وقسوته وخشونته مع المسلمين؛ لا لشيءٍ وإنّما هكذا كان فظّاً غليظاً...

ومهما يكن من أمرٍ فإنّ الخليفة الثاني لم يرغب في أن يصرّح بالذي يضمره في قلبه، وهو محاباته لعثمان بن عفّان الذي له أيادٍ بيضاء في صنع المعروف، حيث ذكرنا آنفاً كيف تمّت وصيّة أبي‌بكر، وكيف أدلى عثمان برأيه

---

(١) نهج البلاغة / الخطبة الشقشقيّة.

(٢) الإمامة والسياسة / ص ٢٥.

في الخلافة، وبإقتراح منه دون أن يُملي عليه الأوّل...، إنّه معروف وجميل كبير لابدّ أن يُشكر عليه، فهل ترى يغفل الثاني ترك الحبل على الغارب دون أن يجعل لعثمان فيه نصيباً؟!

ومع ذلك فهو أمر دبّر في ليل، فاتّفقوا أن يجعلوها ـ أي: الخلافة ـ شورى حتّى يُغيّب الأمر على الناس، ويظهر الخليفة أمامهم بوجهٍ مرضيٍّ جميل. علماً بأنّ في بادئ ذي بدءٍ أظهر الخليفة تردّده في الاستخلاف، ممّا استكشف ابن عمر أنّ أباه غير مستخلف.

روى البيهقي وابن كثير وأحمد بن حنبل: أنّ عمر لمّا طُعِن قيل له: لو استخلفت؟ فقال: أتحمّل أمركم حيّاً وميّتاً؟

إنّ أستخلف فقد استخلف من هو خيرٌ منّي أبوبكر. وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال عبدالله: فعلمت أنّه غير مستخلف[1].

وفي موقفٍ آخر يتمنّى عمر بن الخطّاب لو أنّ أبا عبيدة بن الجرّاح كان حيّاً حتّى يقلّده الخلافة، بل أكثر من هذا تمنّى سالماً مولى أبي حذيفة حيّاً حتّى يستخلفه...، هكذا وصل به أن يقلّد الخلافة العبيد وحفّاري القبور في المدينة، متنكّراً لكبار الصحابة: كالمقداد وعمّار وسلمان وأبي ذرّ والعبّاس ومعاذ وأبي أيّوب وعليّ بن أبي طالب الذي يُعدّ على رأس هؤلاء الصحابة...!

نقل ابن جرير بسنده عن عمرو بن ميمون الأوديّ: أنّ عمر بن الخطّاب لمّا طعن قيل له: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت؟ قال: من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة ابن الجرّاح حيّاً استخلفته، فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّه أمين هذه الأمّة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته، فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً شديد الحبّ لله.

---

(١) سنن البيهقي ٨ / ١٤٨، وتاريخ ابن كثير ٥ / ٥٠، ومسند أحمد ١ / ٤٣ و٤٦، كما أخرجه البخاريّ ومسلم.

فقال له رجل: أدلّك عليه: عبدالله بن عمر.

فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، ويحك كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟ لا أرب لنا في أموركم ما حمدتها، فأرغب فيها لأحدٍ من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شرّاً فشرّ عنّا إلى عمر، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمّة محمدٍ. أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافا لا وزر ولا أجر إنّي لسعيد وأنظر، فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منّي، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي، ولن يضيّع الله دينه.

فخرجوا، ثم راحوا، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو عهدت عهداً؟ فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن انظر فأولي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلى عليّ ـ ورهقتي غشية، فرأيت رجلاً دخل جنّةً قد غرسها، فجعل يقطف كلّ غضّةٍ ويانعةٍ فيضمه إليه ويصيّره تحته، فعلمت أنّ الله غالب أمره، ومتوفٍ عمر، فما أُريد أن اتحمّلها حيّاً وميّتاً، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله (ﷺ) : إنّهم من أهل الجنّة: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم، ولست مدخله، ولكن الستّة: عليّ وعثمان ابنا عبد مناف، وعبدالرحمن، وسعد خالا رسول الله (ﷺ) ، والزبير بن العوّام حواري رسول الله (ﷺ) وابن عمّته، وطلحة الخير بن عبيدالله...الخبر[1].

أقول: عجباً لعمر بن الخطّاب أن يتمنّى حياة حفّار القبور أبي عبيدة ابن الجرّاح ليقلّدهُ الخلافة، لانّه سمع فيه حديثاً واحداً من الرسول (ﷺ) ، بل أعجب من ذلك أنّه يتمنّىٰ حياة سالم مولىٰ أبي حذيفة ليقلّده الخلافة، لانه سمع فيه ـ ايضاً ـ حديثاً واحداً من الرسول (ﷺ) .

عجباً للخليفة أنْ يتمنّى وجود هؤلاء أحياءً لانّه سمع فيهما حديثاً واحداً،

(١) تأريخ الطبري ٣ / ٢٩٢، العقد الفريد ٢ / ٢٥٦.

وقد سمع في علي بن أبي طالب عشرات، بل مئات الأحاديث قد خصّها الرسول به، وكلّها تنصّ على فضائل الإمام ومنزلته عند الله.

ألم تكن تلك الأحاديث الصادرة من الرسول (صلى الله عليه وآله) كافيةً كي تؤهّل الإمام للخلافة؟ فعلامَ يتمنىٰ عمر حياة أمثال سالم وأبي عبيدة الجرّاح؟!

فهل غاب عن ذهن عمر منزلة علي بن أبي طالب وقربه من الرسول ..؟ أم انّه لم يسمع تلك الأحاديث من صاحب الرسالة ...؟ أم ماذا ...؟

الشورى التي حصرها الخليفة الثاني في ستّةٍ هم:

١ ـ عليّ بن أبي طالب، ابن عمّ الرسول وأخوه وصهره على ابنته فاطمة (عليها السلام)، ويمثّل ثقل بني هاشم.

٢ ـ عثمان بن عفان، ويمثّل بني أُميّة.

٣ ـ عبدالرحمن بن عوف، وهو صهر عثمان.

٤ ـ سعد ابن أبي وقّاص، وهو ابن عمّ عبدالرحمن.

٥ ـ الزبير بن العوّام، وهو ابن صفية بنت عبدالمطّلب عمّة الرسول (صلى الله عليه وآله).

٦ ـ طلحة بن عبيدالله، أحد الصحابة.

ولو ألقينا نظرةً فاحصةً إلى هؤلاء فنجدهم في ميولهم السياسيّ يشكّلون فريقين:

الفريق الأول يظم: عثمان بن عفّان، وصهره عبدالرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقّاص الذي هو وعبدالرحمن من فرعٍ واحد. وهؤلاء الثلاثة قد اجتمعت كلمتهم على مبايعة عثمان.

أمّا **الفريق الثاني**: فتكاد الألفة تنعدم بينهم، بل إنّ ميول طلحة لا غبار عليه فهو إلى عثمان وإن لم يكن حاضراً، لذا جعل الخليفة الثاني غاية التشاور إلى ثلاثة أيّام، وكأنّما اطمأنّوا في عدم حضور طلحة في الشورى، لذا رجحت

كفّة الفريق الأوّل بغياب طلحة.

وعليه، فلم يبق من الفريق الثاني إلاّ عليّ والزبير، فكيفما دارت المشورة فهي من صالح عثمان وجماعته؛ لأنّ عبدالرحمن خلع نفسه وتركها لصاحبيه، وأمّا عثمان فقبلها، ثم تنازل سعد لعثمان لمّا وجد ابن عمّه (عبدالرحمن) قد خلعها من نفسه وأدلى بها لعثمان. فمن الطبيعيّ أن يتمّ الأمر قهراً لابن عفّان، فلو فارق عليّ والزبير الجماعة مع فرض أنّهما يشكّلان جبهة معارضةٍ ـ فإنّ الغلبة للثلاثة دون الاثنين. كما أنّ سيف صهيب المسلول مأذون بإطاحة رؤوس المعارضة بإيعازٍ من عمر بن الخطاب...!

وقد تنبّأ الخليفة الثاني للنتيجة الحتميّة، إن لم نقل إنّ الأمر دبّر ليلاً...!

ثمّ إنّ تقويمه للستّة يكشف عن خيوط المؤامرة...قال: وما أظنّ أن يلي إلاّ أحد هذين الرجلين؛ عليّ أو عثمان. فإن ولّي عثمان فرجل فيه لِين. وإن ولي عليّ ففيه دعابة[١] وأحرى به أن يحملهم على طريق الحقّ. وإن ولّوا سعداً فأهلها هو، وإلا فليستعن به الوالي، فإنّي لم أعزله عن خيانةٍ ولا ضعف[٢].

ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، مدد رشيد، له من الله حافظ فاسمعوا منه[٣].

وفي رواية البلاذري كما هو عن ابن عباس، وقد أشار إلى طلحة قال: فأين الزهو والنخوة؟ قلت: فالزبير؟

قال: لقيس مؤمن الرضى، كافر الغضب، شحيحٌ، إنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لقويٍّ في غير عنف، رفيقٍ في غير ضعف، جوادٍ في غير سرف.

---

(١) وفي الانساب للبلاذرى ٥ / ١٦: فيه بطالة وفكاهة.

(٢) وفي رواية ابن عبّاس: أنّه ذاك صاحب مقنت وقتال لا يقوم بقرية لو حُمل أمرها، الأنساب ٥/ ١٦.

(٣) تأريخ الطبري ٣ / ٢٩٤، وفي الأنساب ٥ / ١٦ قال: هو رجل صالح على ضعف.

قلت: فأين أنت عن عثمان؟

قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه[١].

وعليه ـ بعد هذا التقويم ـ فلابدّ من تنفيذ الأمر. فما هي الأدوار في الشورى؟ ومن هم أبطالها؟

الشاهد: على مسيرة القوم في المشاورة هو عبدالرحمن بن عمر.

السيّاف: الذي يتولّى قتل من يخالف هو صهيب مولى عمر.

المشورة: تتمّ صورتها النهائيّة بطرفٍ ثالثٍ، وهو عبدالله بن عمر الذي لا يحسن طلاق امرأته كما صرّح به والده عمر...

مكان الشورى: دار المسوّر بن مخرمة، وهو ابن اخت عبدالرحمن بن عوف.

بطل الموقف في التحرّك السياسيّ والمنسّق بين هؤلاء: عبدالرحمن بن عوف، وهو صهر عثمان.

قرار الشورى يصنعه الخليفة الثاني بحدّ السيف!

قال عمر للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيتٍ حتّى يختاروا رجلاً منهم.

وقال لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثة أيّام وأدخل عليّاً وعثمان والزبير وسعداً وعبدالرحمن بن عوف وطلحة إنْ قدم. وأحضر عبدالله بن عمر، ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحداً فاشدخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف!

وإنْ اتّفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما.

---

(١) الأنساب ٥ / ١٦.

فإنْ رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكّموا عبدالله بن عمر، فأيّ الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم.

فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن ابن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس...[١].

لم يتأخّر صهيب في تنفيذ قرارات سيّده، كما أنّ عبدالرحمن بن عوف قام بالمهمّة في أحسن دور. فأوّل عملٍ قام به هو خلع نفسه من هذه الخلافة وأدلى برأيه إلى عثمان، وبعد هذا أخذ يلعب دور السفير بين الأطراف، فاتصل أوّلاً بالزبير، ثم بسعد، ثم بعليٍّ، ثم بعثمان، وأخيراً اتّصل بجمع الأنصار والمهاجرين وخطب فيهم، وحاول أن يكشف عن رغبات كبار الصحابة، فإستشارهم، فأشاروا عليه.

فهذا عمّار يصرّح أنّ عليّاً أولى القوم بالخلافة.

ويقوم المقداد ليؤكّد ذلك، ثم ينهض ابن أبي سرح فيشير إلى عثمان، ويقوم عبدالله ابن أبي ربيعة ليقف إلى صف ابن أبي سرح...ثم ينفجر الموقف بتشاجرٍ بين شيوخ بني هاشم وكبار بني اُميّة. ويحسم الموقف سعد ابن أبي وقّاص، فيشير إلى عبدالرحمن بقوله أفرغ قبل أن يفتتن الناس.

فما هي إلاّ دقائق حتّى يرقى ابن عفّان، وسيف صهيب يبرق على رؤوس الآخرين من أعضاء الشورى، وكادت أن تقع الفتنة لولا أن بايع الإمام، وكانت بيعته هنا كبيعته للأوّل[٢].

هكذا تمّت البيعة لعثمان بسيف عمر بن الخطّاب الذي سلّه مولاه صهيب على رؤوس الخمسة من أهل الشورى، والمعنيّ في التهديد هو عليّ لا

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٤.

(٢) لم ترد في مصادرنا الخاصة كيفية هذه البيعة، بل اجمعت مصادر الشيعة على أن الامام أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع لأبي‌بكر وعمر وعثمان، وما ورد انما هو من مصادر أهل السنة.

غير...

وهذه هي البيعة الثالثة تؤخذ بالقوة والغلبة، وكما اتّضح كسوابقها لم تكن بنصٍّ من القرآن ولا من سنّة النبي. إذاً هي خلاف الموازين الشرعيّة...

ثمّ لا يخفى عليك وأنت جدّ عليم أنّ الموازين الشرعيّة عندما تغيب عن الساحة السياسة، وتلعب الأهواء والميولات في عقول أهل الحلّ والعقد، وينطق السيف في كل وادٍ ونادٍ فلا عجب أن تخلق تلك الأجواء الموبوءة رجال سوءٍ وساسةً لهم في السلطة أطماع ومصالح، والذي حصل أن يتصدّى لإدارة شؤون المسلمين جملةٌ من الولاة والأُمراء الفسقة المنحرفين، الذين عرفوا بظلمهم وجحودهم وفسقهم وتجرّئهم على الله والرسول والمؤمنين.

ونحن لا نريد التعرّض لمساوئ وأفعال الخلفاء والقادة السياسيّين والقضاة وجباة الأموال، لكن يكفي أن نذكر سيّئةً واحدةً في المقام وهي تولية معاوية قيادة فلسطين والأُردن ثمّ الشام منذ عهد عمر بن الخطاب سنة (١٣) هجرية إلى وفاة معاوية سنة (٦٠) للهجرة.

وجرائم معاوية كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى، وعلى رأسها:

١ ـ مواجهته للإمام أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب (عليه السلام) وامتناعه من بيعته، وعصيانه في إمارة الشام، ثمّ إشعاله الفتنة، وحربه للإمام في صفين والخدعة التي استعملها في رفع المصاحف.

٢ ـ سبّه لأمير المؤمنين على منابر المسلمين في الشام ومصر والحجاز وبقيّة الأمصار.

٣ ـ سمّه للإمام الحسن السبط (عليه السلام).

٤ ـ قتله لحواريّ رسول الله وأمير المؤمنين، أمثال الصحابي: عمّار بن ياسر، ورشيد الهجريّ، وميثم التمّار، وحجر بن عديّ الكنديّ، وعمرو بن الحمق الخزاعيّ، وصيفي بن غسيل، وقبيصة بن ضبيعة العبسيّ، وعبدالله بن

خليفة الطائيّ، والأرقم بن عبدالله، وشريك بن شدّاد، وكريم بن عفيف، وعاصم ابن عوف، وورقاء بن سمّي، وكدام بن حيّان، وعبدالرحمن بن حسّان، ومحرز ابن شهاب، وعبدالله بن حويّة، ومالك الأشتر النخعي، ومحمد ابن أبي‌بكر وغيرهم.

٥ ـ بعثه بسر بن أرطاة في جيشٍ إلى المدينة واليمن وأمره بأن يقتل من يوالي عليّاً، ويروّع النساء ويُخيفهم، حتّى قتل ابني عبيدالله بن عبّاس، وهما: عبدالرحمن وقثم، وكانا طفلين صغيرين، فذهلت أُمّهما لمّا خبّروها بقتلهما حتى أخذت تطوف بين الناس في الحجيج وهو تقول:

يا من أحسّ بابنيَّ اللذين هما ... كالدرّتين تشظّى عنهما الصدفُ
يا من أحسّ بابنيَّ اللذين هما ... سمعي وقلبي فقلبي اليوم مردهفُ
يا من أحسّ بابنيَّ اللذين هما ... مخّ العظام فمخّي اليوم مختطف
نبّئت بُسراً وما صدّقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
انحى على ودجي ابنيّ مرهفة ... مشحوذة وكذاك الإفك يقترف
حتّى لقيت رجالاً من أرومته ... شمّ الأنوف لهم في قومهم شرفُ
فالآن ألعن بُسراً حقّ لعنته ... هذا لعمر أبي بسرٍ هو السَرَف
من دلّ والهةً حرّى مولّهةً ... على صبيّين ضلاّ إذ غدا السلفُ[1]

ومن جرائم معاوية الكبرى أخذه البيعة من المسلمين لابنه يزيد شارب الخمر ورأس الفسق والفجور.

---

(١) انظر هذه الحادثة في الأغاني لأبي فرج ١٥ / ٤٤، النزاع والتخاصم / ص ١٣، الكامل لابن الأثير ٣ / ١٦٢، تأريخ ابن كثير ٧ / ٣١٩، الاستيعاب ١ / ٦٥، تأريخ ابن عساكر ٣ / ٢٢٠.

كيفيّة البيعة ليزيد بن معاوية

تظافرت الأخبار من كتب الصحاح والمصادر المعتبرة عند أهل السنّة أنّ بيعة يزيد كانت على رغم أُنوف الصحابة والتابعين، والممتنع عنها كان جوابه حدّ السيف.

قال الخضريّ في محاضراته: (...ثمّ إنّ معاوية قال لضحّاك بن قيس الفهريّ لمّا اجتمعت الوفود عنده: إنّي متكلّم، فإذا سكتُّ فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثّني عليها، فلمّا جلس معاوية للناس تكلّم، فعظّم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحقّها، وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر. ثمّ ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض بيعته. فقام الضحّاك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنّه لابدّ للناس من والٍ بعدك، وقد بلونا الجماعة والأُلفة فوجدناهما أحقن...ثم تكلّم غيره بمثل كلامه)[1].

انظر، أيّ دهاءٍ قام به معاوية...وأيّ مكرٍ وخداعٍ خدع به الناس والرعيّة الذين لا علم لهم بما يدبّر من وراء الكواليس. إنّها مسرحية قامت بأدوار الخيانة والباطل والزور والكذب والبهتان، ولكن كما تعلم أنّ حبل الكذب قصير...

فقال معاوية للأحنف بن قيس: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسرّه وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله وللأُمّة رضاً فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوّده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنّما

---

(١) محاضرات في تاريخ الأُمم الاسلامية ٢ / ١١٨ ط ٤.

علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا...)[١].

هذه بعض فصول المؤامرة...!

ثم انظر إلى التهديد الذي استعلمه معاوية فيما بعد بحقّ جملةٍ من الصحابة، وممّن عارض بيعة يزيد حتّى أقام السيف على رؤوسهم إن رفضوا البيعة بأيّ شكلٍ من الأشكال.

قال الخضري: (وكان أُولئك النفر الثلاثة ـ الحسين بن عليّ وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير ـ قد تركوا المدينة إلى مكّة، فخرج معاوية إلى مكّة وقضى بها نسكه، ثمّ جمعهم ثلاثتهم وكانوا قد اتّفقوا على أن يكون الذي يخاطبه ابن الزبير، فقال لهم معاوية: قد علمتم سيرتي فيكم وصِلَتي لأرحامكم وحملي ما كان منكم، ويزيد أخوكم وابن عمّكم وأردت أن تقدّموه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تعزلون وتأمرون وتجبون المال وتقسّمونه، لا يعارضكم في شيء من ذلك.

فقال ابن الزبير: نخيّرك بين ثلاث خصال.

قال: أعرضهنّ؟

قال: تصنع كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قُبض ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبابكر.

قال معاوية: ليس فيكم مثل أبيبكر، فإنّه عهد إلى رجلٍ من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه.

وإن شئت صنعت كما صنع عمر جعل الأمر شورى في ستّة نفرٍ ليس فيهم أحد من ولده ولا بني أبيه.

قال معاوية: هل عندكم غير هذا؟

فقالوا: لا.

---

(١) محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية ٢ / ١١٧ ط ٤.

قال: فإنّي أحببت أن أتقدّم إليكم أنّه قد أُعذر من أنذر إني كنت أخطب فيكم فيقوم إليّ القائم منكم فيكذّبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك فأصفح، فإنّي قائم بمقالةٍ: فأُقسم بالله لئن ردّ عليّ أحد منكم كلمةً في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتّى يسبقها للسيف إلى رأسه، فلا يبقينّ رجل إلاّ على نفسه، ثمّ دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كلّ رجلٍ من هؤلاء رجلين مع كلّ أحدٍ سيف، فإن ذهب رجل منهم يردّ على كلمةٍ بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما. ثمّ خرج وخرجوا معه حتّى رقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبتز أمر دونهم، ولا يقضى إلاّ عن مشورتهم، وإنّهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله، فبايع الناس وكانوا يتربّصون بيعة هؤلاء النفر...)[١].

وأدهى من ذلك: أنّ المؤلّف الخضري الذي نقل النصّ الآنف الذكر يدّعي أن بيعة يزيد كانت بإجماع الأمّة وهي في أعناق المسلمين...! وإنهم بايعوا عن إيمانٍ وعقيدة...

أقول: فهل بعد قول معاوية ابن أبي سفيان ومكره وخداعه مكر غيره!!

إذن كيف يسوّد الخضري صفحاته فيقول: إنّ عامة الناس بايعوا عن إيمانٍ وعقيدة، فإيّ بيعةٍ هذه في أعناق المسلمين؟! فهذا عبدالرحمن بن أبيبكر يصرخ بمسمع من الناس بأنها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل مكانه[٢].

وأمّا عبدالله بن عمر فقد أختفى في بيته كي لا يبايع، وقد وجّه يزيد إليهما المال ليستميلهما؛ فقد أرسل إلى عبدالرحمن بن أبيبكر مائة ألف درهم يستعطفه بها، فردّها وقال: لا أبيع ديني بدنياي[٣].

---

(١) محاضرات في تاريخ الأُمم الاسلامية ٢ / ١١٨ ـ ١١٩ ط ٤.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٩٩.

(٣) تهذيب الأسماء للنووي ١ / ٢٩٠.

وأمّا الهاشميّون فذاك موقفهم كالشمس ساطعة بنورها ثم موقف سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي من مروان بن الحكم في شأن بيعة يزيد حيث قال سعيد لرسول مروان: يأمرني مروان أن أُبايع لقوم ضربتهم بسيفي حتى أسلموا والله ما أسلموا ولكن استسلموا[١].

بل أنكر بيعة يزيد حتى من كان هواه إلى بني أُميّة كزياد بن أبيه[٢] والأحنف بن قيس واضرابهم...

هذا هو النفاق بعينه والذي تسترّ به الخضري، لكنّ الحقيقة ساطعة لذي عينين، وجرائم معاوية عرفها القاصي والداني، وملأت بطون الكتب، ويكفيه خزياً عندما لعنه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عندما نظر إلى أبي سفيان راكباً ومعاوية يسوق ناقته ويزيد يقودها...!

وهناك روايات عديدة فيها لَعَنَ الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) معاوية ويزيد خاصّةً، وبني أُميّة عامّةً قد تقدّم ذكر بعضها وسيأتي ذكر طائفة أُخرى غيرها.

خلاصة ما تقدّم:

ـ يرى أهل السنّة: أنّ الصحابة كلّهم عدول، وأنّهم جميعاً مشتركون في العدالة وإن اختلفوا في درجتها.

ـ وإنّ من كفّر صحابياً فهو كافر، ومن فسّقه فهو فاسق.

ـ وإنّ من طعن في صحابيٍّ فكأنّما طعن على الرسول.

ـ ويرى جهابذة أهل السنّة أنه لا يجوز الخوض فيما جرى بين عليٍّ ومعاوية من أحداث ونزاع.

ـ وإنّ من الصحابة من أجتهد فأصاب، وهو علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومن نحا نحوه.

ـ وإنّ من الصحابة من أجتهد فأخطأ مثل معاوية وعائشة وأبيبكر.

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩.

- وفي نظرهم ينبغي الإمساك عن التعرّض لمثالب معاوية وبقيّة الصحابة. ونهوا عن سبّ معاوية باعتباره صحابياً، وشدّدوا النكير على من سبّ عائشة باعتبارها أُمّ المؤمنين، ومازاد على ذلك فينبغي تركه وعدم الخوض فيه، وإرجاء أمره إلى الله سبحانه...!

أمّا الشيعة الإماميّة:

فترى الناس جميعاً؛ صحابيّ كان أم غير صحابيٍّ سواءٌ، ولا أفضلية لبعضهم على البعض الآخر إلاّ بالتقوى وحسن السيرة والإخلاص في العمل وإيثار الغير على النفس.

وترى أنّ الصحبة لا تضفي على صاحبها منقبةً أو قدسيّةً إلاّ إذا كان الرجل أهلاً: لهذه المنقبة ولديه الاستعداد للسير وفق منهج صاحب الرسالة.

فالناس منهم المعصومون وهم الأئمة المنصوص عليهم، ومنهم العدول وهم أصحاب الأئمّة، ومنهم المجتهد المصيب، ومنهم المجتهد المخطئ، ومنهم الفاسق، ومنهم الزنديق ومنهم المنافق، ومنهم الكافر.

فالميزان الذي يقاس عليه الجميع هو ميزان العدالة، والايمان والتقوى والورع و...

قال الدكتور حامد حفني داود في مقدّمته على كتاب: «الصحابة في نظر الشيعة الامامية»:

(...وكان من جرّاء هذا أن جهل كثير من المسلمين في العالم الإسلامي حقيقة الشيعة فنسبوا إليهم ما هم بُراء منه من تقديسٍ لعليّ، ومن تكفيرٍ لشيوخ الصحابة، ومن اعتقادهم في الخزعبلات التي تتنافى مع العلم. وأقبح من ذلك أن يقع جماعة من الباحثين المحدّثين في فهم طوائف الشيعة فلم يفرّق بين الإمامية وهم المعتدلون من الشيعة وبين غيرهم...).


القسم الرابع
نبذة مختصرة عن حياة الإمام الحسين
(عليه السلام)
من ولادته إلى استشهاده



ولد الحسين بن عليٍّ (عليهما السلام) بالمدينة لخمس ليالٍ خلون من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة[١]. ولمّا ولد جاءت به أمّه فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فاستبشر به، وأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وحنّكه بريقه، وسمّاه حسيناً، وعقّ عنه كبشاً، وقال (صلى الله عليه وآله) فيه وفي الحسن: «إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة»[٢].

قال صاحب «أخبار الدول وآثار الأوَل»: لمّا ولد الحسين أخبر النبي به، فجاءه وأخذه، وأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، وجاء جبرئيل (عليه السلام) فأمره أن يسمّيه حسيناً كما جاء في الحسن كذلك[٣].

وهذا ممّا يدلّ على أن تسمية الحسن والحسين كان في السماء قبل الأرض ومن عندالله.

وفي بعض الروايات الأخرى: أنّ الله أمر جبرئيل أن ينزل على الرسول حين مولد الحسن (عليه السلام) ، وكذلك حين مولد الحسين ليبلغه سلام ربّه ويهنّئه بالمولود الجديد، وكذلك أن يسمّيه باسم ولد هارون وهما: شُبّر وشُبَير، وكان الرسول قد أخبر جبرئيل (عليه السلام) بأنّ لسانه عربيّ، فقال: سمّه «الحسن»، وعندما ولد له الحسين قال جبرئيل: بمثل مقالته الأولى: سمّه شبير، أي: الحسين[٤].

---

(١) كما في الارشاد للشيخ المفيد ١٩٨ وعليه جمع من أصحابنا، وقيل سنة ثلاث وهو قول الواقدي وطائفة معه، ثم قال لم يكن بين الحسن والحسين إلا طهر واحد وعليه ابن عبد البر في الاستيعاب ١ / ١٤٢ ط حيدر آباد.

(٢) انظر ذخائر العقبى ص١٢٩.

(٣) أخبار الدول وآثار الاول ص ١٧٠ ط بغداد.

(٤) روى ابن المغازلي أصل الحديث في مناقبه ص ٣٧٩ ط ٢، وكذلك رواه البخاري في التاريخ

أمّا عن إمامته فقد صرّح الرسول (صلى الله عليه وآله) في عدّة موارد:

منها: أنّه (صلى الله عليه وآله) قال: «ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»(١).

وكانت إمامة الحسين (عليه السلام) بعد استشهاد أخيه الحسن (عليه السلام)، وقد التزم الصمت والتقيّة بعد أخيه طيلة حكومة معاوية ابن أبي سفيان، ولمّا مات معاوية وتولّى يزيد الأمر آنذاك جهر بالدعوة ودعا لنفسه لإقامة الحقّ وردّ الظلم ودفع الحيف الذي أصاب المسلمين في فترة تولّي يزيد الأمور.

ولمّا تباشر الناس في العراق وبقيّة الأمصار بموت معاوية(٢) وجّهوا الكتب والرسائل إلى الحسين يطلبون منه القدوم إلى الكوفة؛ كي يقتدوا بإمامته وينتفضوا بوجه يزيد.

تلك الكتب والرسائل كانت حجّةً وداعيةً للحسين أن يشمّر ساعده للجهاد ويقاتل الطغاة، فتوجّه بولده واهل بيته من حرم الله وحرم الرسول من الحجاز قاصداً العراق للاستنصار بمن يثق بهم من الشيعة على يزيد ومن سامهم من بني أميّة.

ثمّ أخذت الكتب ورسائل أهل الكوفة تترى عليه، ممّا رأى أن يمهّد لهذه النهضة، فأرسل سفيره ومن يثق به من أهل بيته، وهو مسلم بن عقيل (عليه السلام).

أرسله أمامه ليأخذ البيعة له من أهل الكوفة، ويجمع العدّة والعدد ويُرتّب الأمور، ويستوثق البيعة من الناس؛ حتّى يقدم عليهم وكلّ شيءٍ قد وُضِع في محلّه. غير أنّ الأمور سرعان ما تغيّرت بدخول عبيدالله بن زياد الكوفة، واستعمال الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، ممّا جعل أهل الكوفه يتفرّقون

الكبير ١ / ١٤٧ وأخرجه المتّقي الهندي في كنز العمال ١٣ / ١٠٢.

(١) المستدرك ـ للحاكم النيسابوري ٤ / ٢٣٧ ط حيدر آباد، ووافقه صاحب أخبار الدول وآثار الاول ص ١٠٧، وكذلك الموفق بن أحمد في مقتل الحسين ص ١٤٤ ط الغري.

(٢) المصادف النصف من رجب سنة (٦٠ هـ).

عن مسلم إلى أن نكثوا بيعته وخذلوه، فما كان من مسلم (عليه السلام) إلاّ أن يسلّم نفسه للقدر المحتوم الذي قاده إلى الشهادة التي فاز بها. على أنّ الحسين ظلّ يواصل مسيره نحو العراق، حتّى نزل نينوى في اليوم الثاني من المحرّم لعام إحدى وستّين من الهجرة.

والجدير بالذكر أنّ يزيد بن معاوية كتب إلى الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان ـ وكان والياً على المدينة من قبل معاوية وثم يزيد ـ أن يأخذ البيعة له من الحسين وأن لا يتأخّر في ذلك.

فأرسل الوليد إلى الحسين ليلاً يستدعيه، فعرف الحسين (عليه السلام) مقصوده، فدعا جماعةً من إخوته وبني عمومته من بني هاشم، وأمرهم أن يتقلّدوا سيوفهم، وقال لهم: إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلّفني فيه أمراً لا أُجيب إليه وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت عليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عنّي...[1].

ثمّ دخل الحسين (عليه السلام) على الوليد، وكان مروان بن الحكم عنده جالساً، فنعى إليه الوليد معاوية، فاسترجع الحسين (عليه السلام)، ثمّ أخرج له كتاب يزيد بن معاوية الذي يأمره أن يأخذ البيعة له منه.

فقال الحسين (عليه السلام): إنّي لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتّى أُبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس. فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين (عليه السلام): فتصبح وترى رأيك في ذلك. فقال له الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس.

من هذه المحاورة يبدو أنّ الوليد كان يتجنّب الفتنة، ويحذر من عواقب الأمور، إلا أّن رجال السوء والفتنة لا ينعدمون في كلّ ظرف، فقام مروان وتكلّم مع الوليد بقوله: واللهِ لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت فيه على

---

(١) الإرشاد للمفيد / ص ٢٠٠.

مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، اجلس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين (عليه السلام) عند ذلك وقال: أنت يا ابن الزرقاء[1] تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت. ثمّ خرج الحسين وبنو هاشم يحفّون به عزيزاً مكرّماً، حتّى استطاع أن يخرج من المدينة ـ لليلتين بقيتا من شهر رجب ـ متّجهاً نحو مكّة بيت الله الحرام ومعه ولده وإخوته وبنو عقيل، وجمع من بني هاشم ونسائه، ولم يتخلّف منه إلاّ أخوه محمد بن الحنفيّة إذ كان مريضاً.

مراسلات بين الحسين (عليه السلام) وأهل الكوفة

ثمّ إنّ أهل الكوفة لمّا بلغهم موت معاوية ابن أبي سفيان وامتناع الحسين من مبايعة يزيد اجتمعوا في بيت سليمان بن صرد الخزاعي، فذكروا هلاك معاوية، فحمدوا الله وأثنوا عليه، فقال سليمان بن صرد الخزاعي: إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعة، وقد خرج إلى مكّة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدوا عدوّه وتُقْتَل أنفسنا دونه فاكتبوا إليه وأعلموه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغرّوا الرجل في نفسه.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه[2].

أقول: إنّ الكلمات المتقدّمة الذكر فيها من النصح والإرشاد ما لا يخفى،

---

(١) في الآداب السلطانيّة / ص ٨٨، وفي تذكرة الخواص لابن الجوزي / ص ٢٢٩: كانت جدّة مروان (الزرقاء بنت موهب) من المومسات ومن البغايا. وفي الكامل لابن الأثير ٤ / ٧٥: كان الناس يُعيّرون ولد عبدالملك بن مروان بالزرقاء؛ لأنّها كانت صاحبة عَلَم في الجاهلية.
انظر: تاريخ ابن عساكر ٧ / ٤٠٧، وتاريخ الطبري ٨ / ١٦، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥ / ١٢٩.

(٢) الارشاد ص ٢٠٢، منشورات بصيرتي، قم.

فإنّ سليمان بن صرد الخزاعيّ نصح القوم وحذّرهم من سوء المطّلع وخسران العاقبة. إنْ هم خذلوا الحسين أو توانوا عن نصرته، وكأنّما الرجل حدّس في نفوس البعض منهم أمارات الشرّ والفتنة.

ثمّ قال سليمان: فاكتبوا إليه، فكتبوا (الرسالة الأولى):

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليٍّ عليهما السلام.

من سليمان بن صرد والمسيّب بن نجبّة، ورفاعة بن شدّاد البجليّ، وحبيب بن مظاهر، وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.

سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الأمّة، فأنبزها أمرها وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضىً منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولةً بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود. إنّه ليس علينا إمام، فاقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ. والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعةٍ ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى.

ثمّ دفعوا الكتاب إلى عبدالله بن مسمع الهمدانيّ وعبدالله بن وال ليوصلوه إلى الحسين، فخرجا متّجهينِ إلى الحجاز، وقد دخلوها في العاشر من شهر رمضان، وسلّموا الكتاب إلى الحسين هناك.

بعد ذلك بدأت كتب أهل الكوفة تترى على الحسين (عليه السلام) ؛ فقد سار عمارة بن عبدالله السلوليّ، وقيس بن مسهّر الصيداويّ، وعبدالله وعبدالرحمان ابنا شدّاد الأرحبي وهم يحملون معهم زهاء مائةٍ وخمسين صحيفةً تناشد الحسين بالمجيء.

وبعد هذا بيومين سرّح أهل الكوفة هاني بن هاني السبيعيّ، وسعيد بن عبدالله الحنفيّ وكتبوا (الرسالة الثانية):

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ (عليهما السلام).

من شيعته من المؤمنين والمسلمين.

أمّا بعد، ...فحيّ هلاً، فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل، والسلام.

ثمّ أخذت الكتب ترد على الحسين ـ وهو في مكّة ـ جلّها من أهل الكوفة، فكان الرجل الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة يسألونه القدوم عليهم، حتّى تكاثرت عليه الكتب، وقد ورد عليه في يومٍ واحدٍ ستمائة كتابٍ، واجتمع عنده من نوب متفرّقةٍ اثنا عشر ألف كتابٍ، وفي كلّ ذلك يشدّدون الطلب، وهو (عليه السلام) لا يجيبهم.

وآخر كتابٍ ورد عليه: من شبث بن ربعي، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، وعُرْوة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج، ومحمد بن عمير بن عطارد، وفيه: أن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله، فقد اخضرّ الجناب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم إذا شئت، فإنّما تقدم على جندٍ لك مجنّدة.

ولمّا اجتمع عند الحسين من الكتب ما يعدّ بالآلاف حتّى ملأ منهما خرجين كبيرين. كتب إلى أهل الكوفة ومن والاها كتاباً واحداً، دفعه إلى هاني بن هاني السبيعيّي وسعيد بن عبدالله الحنفي، وكانا آخر الرسل، قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليٍّ إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين.

أمّا بعد، فإنّ هانئا وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي قصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وامرته أن يكتب إليّ بحالكم و أمركم ورأيكم، فإن كتب أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم أقدِم عليكم وشيكاً إن شاء الله فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله. والسلام.

ثمّ دفع الكتاب إلى مسلم بن عقيل، وقال له: إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامضِ ببركة الله وعونه، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها.

ثمّ سار مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهّر الصيداوي، وعمارة به عبدالله السلولي، وعبدالله وعبدالرحمان ابنا شدّاد الأرحبي، وقد أوصاه الحسين (عليه السلام) بالتقوى والكتمان، وإذا ما جاء الكوفة وأخذ البيعة من أهلها كتب له يعلمه الخبر وهوى شيعته فيه.

ولمّا وصل مسلم بايعَهُ من الكوفة ثمانية عشر ألفاً، وأخذ الناس يتوافدون عليه وهو في دار المختار ابن أبي عبيدة الثقفي، وبعدها في دار هاني بن عروة. عندها كتب مسلم للحسين (عليه السلام) يخبره الأمر ويستحثّه بالقدوم.

إلاّ أنّ ذلك لم يدم طويلاً، حتّى كتب عبدالله بن مسلم بن ربيعة الحضرميّ حليف بني أُميّة كتاباً إلى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل وأخذه بالبيعة من

أهل الكوفة للحسين، والتعريض بوالي الكوفة النعمان بن بشير الذي كان والياً من قبل معاوية وأقرّه يزيد عليها، وقد كتب إلى يزيد آخرون مثل عمر بن سعد ابن أبي وقّاص وعمارة بن عقبة.

لمّا وصلت كتب المنافقين وأهل الأطماع والشغب إلى يزيد في الشام صمّم أن يضمّ ولاية الكوفة إلى عبيدالله بن زياد واليه في البصرة، وأمره أن يقدم إلى الكوفة ليحسم الموقف لصالح يزيد والأمويّين. وفعلاً دخل عبيدالله الكوفة متنكّراً، ثمّ أخذ يبعث العيون والجواسيس فيأتونه بالأخبار عن مسلم وأصحابه إلى أن تمكّن بطريقة المكر والخداع والتهديد والوعيد أن يقبض على مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ويقتلهما وينكّل بهما أمام الملأ من الناس[١].

خروج الحسين (عليه السلام) للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

جملة من الكتّاب والمؤلّفين قد أساؤا الفهم عندما كانوا يبحثون عن النصوص المتعلّقة بنهضة سيّد الأحرار (عليه السلام) إن لم نقل إنّهم على نوايا سيّئةٍ من عملهم ذلك، فقد كان يحلو لهم أن يكتبوا عن سيّد الشهداء بدافع الثورية والحماس الحسينيّ والإباء العلويّ، حتّى أنّهم ادّعوا أنّ الحسين كان طالب رئاسةٍ، وما خروجه على يزيد إلاّ لإقامة دولةٍ وحكومة إسلامية. بمعنى آخر: أنّ هدف الحسين مطالبته بحقّه وحقّ أخيه المغتصب، ألا وهو الخلافة...

إلاّ أنّك تجد الأمر ليس كذلك، انظر إلى وصيّته التي كتبها في المدينة قبل خروجه منها، قال فيها:

---

(١) انظر الارشاد ص ٢٠٥ ـ ٢١٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية:

إنّ الحسين يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنة حقّ، والنار حقّ، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور.

وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي (صلى الله عليه وآله) أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين...[(١)].

قال الطبرانيّ في معجمه: حدّثنا عليّ بن عبدالعزيز، حدّثنا الزبير بن بكّار، حدّثنا محمد بن الحسن، قال: لمّا نزل عمر بن سعد بالحسين وأيقن أنّهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله ـ عزّوجلّ ـ وأثنى عليه، ثمّ قال:

قد نزل ما ترون من الأمر، وأنّ الدنيا تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها وانشمرت، حتّى لم يبقَ منها إلاّ كصبابة الإناء، إلاّ خسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحقّ لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادةً والحياة مع الظالمين إلاّ برماً[(٢)].

هذا وغيره من النصوص والشواهد تؤكّد على أنّ مسيرة الإمام الحسين كانت بالدرجة الأُولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعرية يزيد وبني أُميّة وأعمالهم السّيئة للملأ من المسلمين.

---

(١) المقتل للخوارزمي ٢ / ١٨٨ ومقتل العوالم / ص ٥٤.

(٢) الحسين والسنّة ص ١٣٣ وفي البحار جاءت الخطبة بإلفاظ أخرى ج ٤٤ / ٣١٦ و٣٩٣.

إخبار الرسول (صلى الله عليه وآله) بشهادة الحسين (عليه السلام)

لا نبالغ إذا قلنا: إنّ عشرات المصادر قد نصّت على شهادة الامام الحسين (عليه السلام) بتصريح من الرسول (صلى الله عليه وآله) والامام علي (عليه السلام) . إنّك تجد هذه الأخبار بطرقٍ مختلفةٍ وأسانيد متعدّدةٍ؛ وذلك قبل أن يخلق يزيد بن معاوية، والحسين لا زال يدرج في صباه.

ولا شكّ أنّ ما أخبر به الرسول (صلى الله عليه وآله) هو عن جبرئيل عن الله سبحانه. وإليك موجزاً عن أهمّ المصادر التي صرّح النبي (صلى الله عليه وآله) باستشهاد ولده الحسين(عليه السلام) .

أوّلاً: ما رواه أنس بن الحارث عن الرسول في خبر استشهاد الحسين (عليه السلام) .

ثانياً: ما رواه معاذ بن جبل عن الرسول في خبر استشهاد الحسين (عليه السلام)

ثالثاً: ما رواه ابن عبّاس عن الرسول؛ وذلك عندما كان الحسين جالساً في حجر النبي.

وفي رواية أُخرى: لمّا رجع الرسول من سفرٍ له خطب فأوجز، ثمّ ذكر مقتل الحسين.

وفي مكان ثالث عند وفاته (صلى الله عليه وآله) .

رابعاً: ما رواه أبو أُمامة عن الرسول، فهو يروي خبر الاستشهاد؛ وذلك لمّا خرج الرسول على قومه وفيهم أبوبكر وعمر.

خامساً: ما رواه أنس بن مالك عن الرسول؛ وذلك لمّا استأذن مَلَك المطر

أن يأتي النبي.

سادساً: ما رواه أبو الطفيل عن الرسول في خبر استشهاد الحسين (عليه السلام).

سابعاً: ما رواه المسوّر بن مخرمة عن الرسول في خبر الاستشهاد؛ وذلك لمّا استأذن أحد الملائكة ربّه بالنزول إلى الدنيا شوقاً إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

ثامناً: ما رواه خالد بن عرفطة في خبر الاستشهاد عن الرسول (صلى الله عليه وآله).

تاسعاً: ما رواه سعيد بن جمهان في خبر الاستشهاد عن الرسول (صلى الله عليه وآله).

عاشراً: ما روته أسماء بنت عميس عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهي تروي خبر الاستشهاد عندما ولد الحسين (عليه السلام).

الحادي عشر: ما روته زينب بنت جحش؛ وذلك لمّا صعد الحسين (عليه السلام) على بطن الرسول (صلى الله عليه وآله).

الثاني عشر: ما روته أمّ الفضل بنت الحارث في خبر الاستشهاد عن الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ وذلك لرؤيا رأتها.

الثالث عشر: ما روته أمّ سلمة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) أنها ذكرت الخبر بعدما استيقظ الرسول من نومه، حيث رأى في يده تربةً حمراء وهو يقبّلها، فسألته عنها، فأخبرها أنّها تربة يقتل فيها ولده الحسين (عليه السلام).

الرابع عشر: روى الطبرانيّ في معجمة قال: حدّثنا الحسن بن العبّاس الرازي، حدّثنا سلم[1] بن منصور بن عمّار، حدّثنا أبي، حدّثني، وحدّثنا أحمد ابن يحيى بن خالد بن حيّان الرقيّ، حدّثنا عمرو بن بكر بن بكّار القعينيّ، حدّثنا مجاشع بن عمرو، قالا: حدّثنا عبدالله بن لهيعة، عن أبي قبيل، حدّثني عبدالله بن عمرو بن العاص أن معاذ بن جبل أخبره قال: خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) متغيّر اللون، فقال: أنا محمد أُوتيت فواتح الكلام وخواتمه، فأطيعوني ما دمت بين أظهركم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عزوجلّ، أحلّوا حلاله وحرّموا

---

(١) في نسخة: سليم.

حرامه، أتتكم الوته، أتتكم بالروح والراحة، كتاب من الله سبق، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلّما ذهب رسل جاء رسل[١]، تناسخت النبوّة فصارت ملكاً، رحم الله من أخذ بحقّها وخرج منها كما دخلها، أمسك يا معاذ واحص. قال: فلمّا بلغت خمسة قال: يزيد لا تبارك الله في يزيد، ثمّ ذرفت عيناه (صلى الله عليه وآله) .

ثمّ قال: نعي إليّ الحسين، وأتيت بتربته، وأُخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قومٍ لا يمنعوه إلاّ خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلّط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً. ثمّ قال: واهاً لفراخ آل محمدٍ من خليفةٍ مستخلفٍ مترف يقتل خلفي وخلف الخلف.

أمسك يا معاذ، فلمّا بلغت عشرة قال: الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام يبوء بدمه رجل من أهل بيته يسل الله سيفه فلا غماد له، واختلف الناس وكانوا هكذا، وشبّك أصابعه.

ثمّ قال: بعد العشرين ومائةٍ موت سريع وقتل ذريع، ففيه هلاكهم، ويلي عليهم رجل من ولد العبّاس[٢].

الخامس عشر: ما روته عائشة بنت أبي‌بكر عن الرسول (صلى الله عليه وآله) لمّا كان يوحى إليه، إذْ دخل عليه الحسين (عليه السلام) وأخذ يلعب على ظهره الشريف.

السادس عشر: ما رواه الحسين (عليه السلام) ، عن جدّه (صلى الله عليه وآله) لمّا نظر إلى شمر بن ذي الجوشن.

السابع عشر: ما رواه الإمام علي (عليه السلام) ، عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ، إذْ ذكر خبر استشهاد الحسين (عليه السلام) وهو منطلق إلى صفّين.

روى الطبرانيّ في معجمه، قال: حدّثنا محمد بن عبدالله الحضرميّ، حدّثنا محمد بن يحيى ابن أبي سمينة، حدّثنا يحيى بن حمّاد، حدّثنا أبو عوّانة،

---

(١) هكذا في الأصل وربّما الصواب رسول في الموضعين.

(٢) المعجم الكبير للطبراني من كتاب الحسين والسنة ص ١٣٩.

عن عطاء بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن شيبان بن مخرم ـ وهو عثماني الهوى ـ قال: إني لمع عليٍّ (عليه السلام) إذ أتى كربلاء، فقال: يقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء الا شهداء بدر. فقلت: بعض كذباته! وثم رِجْل حمار ميّت فقلت لغلامي: خذ رِجل هذا الحمار فأوتدها في مقعده وغيّبها، فضرب الدهر ضربة، فلما قتل الحسين بن عليّ (عليه السلام) انطلقت ومعي أصحاب لي، فإذا جثّة الحسين بن عليّ (عليه السلام) على رِجل ذاك الحمار، وإذا أصحابه ربضة حوله[1].

أقول كلّ ذلك تجده بأسانيد معتبرة ومتعدّدة في كتب الخاصّ والعامّ.

وقد ذكرت كتب الجمهور تلك الأخبار والروايات في أكثر من ثلاثمائة موضع.

أقوال الرسول (ﷺ) في الحسين (عليه السلام) «حسين منّي وأنا من حسين»

عن ابن ماجة في سننه، بإسناده عن سعيد ابن أبي راشد أن يعلى بن مرّة حدّثهم: أنّهم خرجوا مع النبيّ (ﷺ) إلى طعامٍ دعوا له، فإذا حسين يلعب في السكّة، قال: فتقدّم النبي (ﷺ) أمام القوم وبسط يديه فجعل الغلام يفرّ هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأُخرى في فأس رأسه، فقبّله وقال: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط».

أقول: روى هذا الحديث الشريف أبرز علماء السُنّة وأشهرهم: كالإمام أحمد بن حنبل، والبخاريّ، وابن ماجة في كتبهم، وقد أخذوه من الصدر الأول

(١) الحسين والسنّه / ص ١٢٠.

من الصحابة والتابعين، وقد تجد رواته من طرق العامّة أكثر من طرق الخاصّة، وفي كتبهم الحديثيّة قديماً وحديثاً، حتّى تجاوز عدد تلك الكتب ثمانين كتاباً، وهي تعدّ اليوم ـ تلك المصادر ـ عندهم من أهمّ المراجع، ولا يسعنا هنا إلاّ أن نذكر بعضها؛ حتّى يقف المطالع على الحقيقة فينشرها للآخرين(١).

والحديث الآنف الذكر فيه أبعاد كثيرة، ولو أمعنّا النظر فيه لوجدنا أهمّ شيءٍ يقودنا إليه الحديث هو المنزلة التي يحتلها الحسين (عليه السلام) ، والموقع العظيم في قلب صاحب الرسالة.

إنّه من الرسول والرسول منه، فالحسين قطعة من فلذة كبد جدّه، فهو ابن بنته ودرج في حجره، وتغذّى من نمير خلقه. فإذا اردت مواطن الشَبَه ـ الجسمانية ـ بين الحسين وجدّه فذلك ما دلّت عليه الأخبار المتواترة الصحيحة. وإذا أردت مواطن الشبه من حيث الأخلاق والسلوك فلا شكّ أنّ الحسين صورة طبق الأصل لجدّه (صلى الله عليه وآله) .

وقول الرسول لأهل بيته: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالكم»(٢)

---

(١) انظر: «المسند» لأحمد بن حنبل ٤ / ١٧٢ ط الميمنية، مصر.البخاري محمد بن اسماعيل في «التأريخ الكبير» ٤ / ٤١٥ ط حيدر آباد الهند.الزمخشريّ في «الفائق» ٢ / ٨ ط دار إحياء الكتب العربية.والترمذيّ في «الصحيح» ١٣ / ١٩٥ ط الصادي، مصر. وابن الأثير في «البداية والنهاية» ٢ / ١٥٣ ط الخيرية، مصر. وابن منظور في «لسان العرب» ٧ / ٣١٠ ط بيروت. وابن الأثير في «أسد الغابة» ٢ / ١٩ مصر. والبغويّ في «مصابيح السنّة» ٢٠٨ ط الخيرية، مصر.والحافظ الكنجيّ في «كفاية الطالب» ٢٠٧ ط الخيرية، مصر. والذهبيّ في كل من «سير أعلام النبلاء» ٣ / ١٩٠ مصر. و«تلخيص المستدرك» المطبوع في ذيل المستدرك ٣ / ١٧٧، ط حيدر آباد. و«تاريخ الاسلام» ٣ / ٦ مصر. وابن حجر في «الصواعق المحرقة» ١٩٠ مصر. والعلاّمة الحاكم النيسابوري في «المستدرك» ٣ / ١٧٧ ط حيدر آباد. والطبري في «ذخائر العقبى» ١٣٣ ط مصر. والعلاّمة ابن الصبّان المصري في «اسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار ص ٢٠٦ مصر.

(٢) عن ابن المغازلي في مناقبه بإسناده عن أبي هريره قال: أبصر النبي(صلى الله عليه وآله) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال أنا حربٌ لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم. ص ٦٤ ط ٢ وكذلك أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢ / ٤٤٢ والخطيب البغدادي في تاريخه ٧ / ١٣٦ والعلامة ابن كثير الدمشقي

يكشف لنا موقع أهل بيته ومنزلتهم عنده، بل هي منزلتهم عندالله سبحانه، وهذا يعني: أنّهم عليهم السلام يلتقون مع الرسول في كلّ خطوةٍ خطاها النبي محمد (صلى الله عليه وآله). كما أن الرسول موافق لهم في كلّ خطوةٍ وضعوها بِدءً أو انتهاءً.

فالحديث المتقدّم يؤكّد لنا واحدةً من أهمّ الحقائق ألا وهي: أنّ الحقّ يدور مع أهل البيت عليهم السلام أينما وجدوا، كما كان يدور مع جدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أينما كان.

وبعد إقرار هذه الحقيقة نقول: لا ينبغي لأيّ فردٍ من الصحابة أو التابعين من السابقين أو اللاحقين مخالفة الحسين (عليه السلام) [1]؛ لأنّ مخالفتهُ ـ في الواقع ـ مخالفة لرسول الله، ومن خالف الرسول فقد خالف الله سبحانه وتعالى، أي: **﴿ليأذنوا بحربٍ من الله ورسوله﴾**...

فالحسين قوامه برسول الله فكراً ومبدأً وعقيدةً. كما أنّ الرسول ـورسالته ـ متقوّم بالحسين (عليه السلام)، حيث أرسى مبادئ العقيدة الإسلامية بجهاده وتضحياته يوم كربلاء. فالحسين امتداد لرسول الله (صلى الله عليه وآله). كما أنّ الرسول والاسلام خلودهما بالحسين، وهذا مصداق قوله سلام الله عليه: «وأنا من حسين».

والمحصّلة: أن عزّ الاسلام وخلوده كان بسبب نهضة الامام الحسين وجهاده وإلاّ أيّ عزٍّ، بل وأيّ خلودٍ للإسلام والمسلمين يبقى لولا المواقف

في البداية والنهاية ٨ / ٢٠٥ والعلامة الخوارزمي في مقتل الحسين ١ / ٤.

ومن طرقنا: رواه ابن بابويه القمي في عيون أخبار الرضا ٢ / ٥٩ وأغلب مصادر الحديث والسيرة والتاريخ ذكرته فليراجع.

(١) روى الخوارزمي في مقتله باسناده عن خيثمة عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بي انذرتم ثم بعلي بن أبي طالب اهتديتم، وقرأ **﴿انما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾** وبالحسن اعطيتم الإحسان، وبالحسين تسعدون وبه تشقون ألا وانّ الحسين باب من أبواب الجنة من عانده حرّم الله عليه رائحة الجنّة ١ / ١٤٥.

البطوليّة التي قدّمها أبو الفداء في العاشر من المحرّم، بل وهل تعتقد أنّ الاسلام كان يبقى له رسم لولا إقدام الحسين على الشهادة التي أعلنها لتقويض عرش الطغاة والظالمين؟ فجهاده عطاء ودروس للأجيال، والنهج في الخلود والسعادة. فإنّ شجرة الإسلام ارتوت من دمه الظاهر، وشهادته كانت الصرخة المدويّة بوجه العتاة المردة عبر التاريخ، ولهذا كان على الله سبحانه أن يرفعه في أعلى علّيين، ويجعله في مراتب الأنبياء والصدّيقين؛ لأنّ الحسين تاجر مع الله، فعقد صفقته المربحة مع خالقه، فوهبه كلّه، وسبحانه عوّضه الخلود كلّه.

ومن جملة الأبعاد المهمّة التي يجسّدها لنا الحديث المتقدّم ـ «حسين مني...أحبّ الله من أحبّ حسيناً» ـ هو البعد الروحيّ في القرب من ساحة القدس الإلهي، انظر إلى الواسطة بين الله والبشر بأيّ شخصٍ ارتبطت؟ وأيّ علاقةٍ هي...؟

الرسول (صلى الله عليه وآله) يصرّح ويعلن إلى الملأ من أمّته أنّ حبّ الحسين هو الوسيلة التي يتقرّب بها العبد إلى خالقه؛ لأنّ الحسين عشق الشهادة، بل إنّه عشق الله؛ ولأجله استشهد. وكيف يكون ذلك العشق بدون تضحيةٍ وفداء؟ وأيّ فداءٍ قدّمه الحسين (عليه السلام) ؟!

إنّه الكرم، بل السخاء والجود، بل هو غاية الجود عندما قدّم نفسه قرباناً لله تعالى وضحّى بدمه؛ حتّى يغذّي شجرة الإسلام؛ شجرة دين الله على الأرض.

إذن، حبّ الحسين يعني: السير في نهجه وهداه، وسلوك طريقه واقتفاء أثره، وهذا هو الذي ينشده الله من الناس، فما ذلك الحبّ إلاّ تجسيداً لتلك المثل والقيم، والحسين عزيز عندالله سبحانه وتعالى. وكذلك من أحبّ حسيناً وسلك نهجه ـ لأنّه قتيل العبرة، وصريع الدمعة ـ ذاب في الله وتفانى لأجله فوهبه نفسه وهو يتصوّر أنّ ذلك قليل في ساحة الله، أي تفاني ذاك؟ وأيّ إخلاصٍ؟ وأيّ عشق...؟ وعلى هذا فليعمل العاملون وقال تعالى: ﴿يَاأَيَّتُها النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ

ارجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرضِيَّةً فَادخُلِي فِي عِبَدِي وَادخُلِي جَنَّتِي﴾(١).

تحصّل لنا: أنّ الحسين حلقة وصلٍ بين العباد وقربهم من الجليل جلّ شأنه، بل إنّ قبول الأعمال به وبأهل بيته الأطهار، وقد أكّد هذا المعنى الإمام الرضا (عليه السلام) عندما قال في قبول الأعمال: «بشروطها وأنا من شروطها»(٢).

وهكذا الأخبار المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام، حيث قالوا: «لا تقبل الأعمال إلاّ بولايتنا أهل البيت»(٣).

فعليه، لابدّ أن تبصر الحقيقة أيّها المسلم، وتعمل بما منحك الله من عقلٍ ومعرفةٍ، وتقتدي بقول الرسول عندما قال وهو يقصد أهل بيته: «إنّني حرب لمن حاربكم»(٤)، وكم اليوم يحاربون الحسين بالسيف والقلم؟! فهل تجد يوم القيامة من شفيع يشفع لهم...؟!

والبعد الثالث في الحديث: «حسين سبط من الأسباط»، السبط هو ابن الولد أو ابن البنت، ذرّيّة كلّ رجلٍ من عقبه الذكور، إلاّ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) حيث ذرّيّته وعقبه من ابنته فاطمة عليها السلام، وقد صرّح بذلك في عدّة أحاديث:

عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: كنت أنا والعبّاس جالسين عند النبيّ (صلى الله عليه وآله) إذ دخل عليّ فسلّم، فردّ عليه النبي (صلى الله عليه وآله) السلام، وقام إليه وعانقه، وقبّل ما بين عينيه، وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحبّه؟ فقال: «يا عمّ، واللهِ، اللهُ أشدّ حبّاً له منّي، إنّ الله ـ عزوجلّ ـ جعل ذرّيّة كلّ نبيٍّ في صلبه، وجعل ذرّيّتي في صلب هذا»(٥).

---

(١) الفجر / ٢٧ ـ ٣٠.

(٢) حديث سلسلة الذهب، انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ / ١٣٥ الحديث ٤ من باب ٣٧.

(٣)

(٤)

(٥) رواه السيوطي في «الجامع الصغير» ١ / ٢٣٠، وكذلك رواه جمع من الصحابة بطرق إخواننا السنّة فقد رواه ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ٧٤، وكذلك العلامة القندوزي في «ينابيع

وروى العلامة ابن المغازليّ بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «إنّ الله جعل ذرّيّة كلّ نبيٍّ من صلبه، وإنّ الله ـ عزّ وعلا ـ جعل ذريّة محمدٍ من صلب علي بن أبي طالب»[1].

بل إنّ القرآن الكريم يدلّل على هذه الحقيقة؛ وذلك لمّا عابت قريش الرسول بقولها: «ابتر»[2] نزلت السورة المباركة: **﴿إِنَّا أَعطَيناكَ الكَوثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ﴾**.

وذكر المفسّرون بالكوثر عدّة معاني: أبرزها: الذّريّة الكثيرة.

ولا يخفى على كلّ ذي لبٍّ أنّ ذرّيّته ملأوا الشرق والغرب قديماً وحديثاً، وقارعوا الظلم والطغيان، فبعض حمل سيف الجهاد على عاتقه لإقامة الحقّ وإنكار المنكر، ورائدهم في ذلك سيّد الشهداء الحسين بن علي (عليهما السلام) . وبعض أتاحت له الظروف أن ينشر علوم آل محمدٍ بين جموع المسلمين، كما حصل للباقر والصادق (عليهما السلام) [3].

فأهل البيت جمعوا بين السيف والقلم، فهم حملة القرآن وهم الفرسان في الوغى، وهكذا بالنسبة لذرّيّتهم، فمنهم من تصدّى لتأسيس دولة تقارع سلطة بني العباس في بغداد، ألا وهي الدولة الفاطمية في مصر، وكذلك دولة الأدارسة في المغرب، وغيرها من الدول، وبعض تصدّى للعلم والإفتاء وما أكثرهم اليوم.

المودّة» ص ٢٦٦، وكذلك رواه العلاّمة الهيثميّ في «مجمع الزوائد» ٩ / ٢٧٢، وفي تاريخ بغداد يرويه الخطيب باسناده عن ابن عباس ١ / ٣١٦.

(١) رواه ابن المغازلي في «المناقب» ص ٤٩ ط ٢، ١٤٠٢ هـ.

(٢) الذي عاب الرسول هو وائل بن العاص.

(٣) إنّ الذين رووا عن الصادق عليه السلام من الثقات كانوا أربعة آلاف رجل، وابن عقدة ذكرهم في كتاب الرجال، وانظر المناقب ٤ / ٢٤٧ ط قم. وانظر كتاب المعتبر للمحقّق أبي القاسم جعفر بن سعيد الحلّي / ص ٥. وكذلك الوسائل ٢٠ / ٧٠ ط بيروت، وعلم الرجال نشوءه وتطوّره عند الشيعة، للمؤلّف (مخطوط).

الحسين خير الناس جدّاً وجدّةً وأباً وأُمّاً

ممّا قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) في حقّ الحسين (عليه السلام) : ما يرويه لنا العلاّمة الكنجيّ الشافعيّ في كتابه، بإسناده عن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي، عن ربيعة السعدي قال: لمّا اختلف الناس في التفضيل رحّلت راحلتي وأخذت زادي وخرجت حتّى دخلت المدينة، فدخلت على حذيفة بن اليمان، فقال لي: ممّن الرجل؟ قلت: من أهل العراق، فقال لي: من أيّ العراق؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، قال: مرحباً بكم أهل الكوفة، قال: قلت: اختلف الناس علينا في التفضيل فجئت لأسألك عن ذلك، فقال: على الخبير سقطت، أما إنّي لا أُحدّثك إلاّ ما سمعته أُذناي ووعاهُ قلبي وأبصرته عيناي، خرج علينا رسول الله(صلى الله عليه وآله) كأنّي أنظر إليه كما أنظر إليك الساعة، حامل الحسين بن عليّ (عليه السلام) على عاتقه، كأنّي أنظر إلى كفّه الطيّبة واضِعها على قدمه يلصقها إلى صدره، فقال: أيّها الناس، لأعرّفنّ ما اختلفتم فيه من الخيار بعدي.

هذا الحسين بن عليّ خير الناس جدّاً وجدّةً، جدّه محمد رسول الله سيّد النبيّين، وجدّته خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله.

هذا الحسين بن عليّ خير الناس أباً، وخير الناس أمّاً، أبوه عليّ بن أبي طالب أخو رسول الله ووزيره وابن عمّه وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله. وأمّه فاطمة بنت محمد سيّدة نساء العالمين.

هذا الحسين بن علي خير الناس عمّاً وخير الناس عمّةً؛ عمّه جعفر ابن أبي طالب المزيّن بالجناحين يطير بهما في الجنّة حيث يشاء، وعمّته أمّ هاني بنت أبي طالب.

هذا الحسين بن علي خير الناس خالاً وخير الناس خالةً، خاله القاسم بن محمد رسول الله، وخالته زينب بنت محمد.

ثمّ وضعه عن عاتقه، فدرج بين يديه وجثا، ثم قال: أيّها الناس، هذا الحسين بن علي جدّه وجدّته في الجنّة، وأبوه وأمّه في الجنّة، وعمّه وعمّته في الجنّة، وخاله وخالته في الجنّة، وهو وأخوه في الجنّة، إنّه لم يؤتَ أحد من ذرّيّة النبيّين ما أُوتي الحسين بن علي، ما خلاف يوسف بن يعقوب[1].

من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة فلينظر إلى الحسين (عليه السلام)

روى جمع كبير من أهل السيرة والتأريخ من العامّة وبطرقٍ مختلفةٍ، عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال عندما دخل الحسين المسجد: من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا ـ وأشار إلى الحسين (عليه السلام) ـ فأشهد لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقوله[2].

وكذلك رواه العلاّمة الخوارزميّ في مقتل الحسين بإسناده، عن

(١) كفاية الطالب / ص ٢٧٢ ط النجف.

وذكره العلاّمة القندوزي في ينابيع المودّة ص ٢٧٨، وكذلك رواه الزرنديّ في نظم درر السمطين ص ٢٠٧، ورواه العلاّمة ابن المغازليّ في مناقبه ص ١٤٦، وكذلك رواه ابن عساكر في تاريخه، بل جلّ علماء السنّة رووا هذا الحديث، فراجع.

(٢) ممّن روى الحديث: الذهبي في «تاريخ الاسلام» ٣ / ٨ ط مصر.وابن كثر الدمشقيّ في «البداية والنهاية» ٨ / ٢٠٦ ط مصر. والحافظ أبوبكر الهيثميّ في «مجمع الزوائد»، ثمّ قال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. ومحبّ الدين الطبريّ في «ذخائر العقبى» ١٢٩ ط القدسي، مصر. والذهبيّ في «سير أعلام النبلاء» ٣ / ١٩٠ ط مصر. وهناك عشرات المصادر من العامّة ـ ناهيك عن الخاصة ـ قد ذكرت الحديث بألفاظ مشابهة فراجع.

عبدالرحمان بن سابط قال: كنت مع جابر فدخل الحسين بن عليّ، فقال جابر: «الحديث...»[(١)].

أقول: لا يختلف اثنان في المآل والعاقبة التي صار إليها الحسين (عليه السلام) وهي الجنة حتّى أنّ أعدائه من بني اُميّة والذين حاربوا. وسفكوا دمه كانوا يعتقدون بتلك المنزلة العالية للحسين انظر إلى ما يرويه أهل السيرة والتاريخ، فهذا البلاذريّ في كتابه «أنساب الأشراف» قال: وأقبل سنان[(٢)] ـ بن أنس بن عمرو النخعيّ ـ حتّى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثمّ نادى بأعلى صوته:

أوقِر ركابي فضّةً أو ذهبا ... أنا قتلت الملك المحجّبا
قتلتُ خيرَ الناسِ اُمّاً وأباً ... وخيرهم إذ يُنسبون نسبا
وخيرهم في قومهم مركباً[(٣)]

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ص١٤٧ ط الغري.

(٢) قال البلاذري: وقالت زينب بنت عليّ لعمر بن سعد: يا عمر أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر؟! فبكى وانصرف بوجهه عنها.

ونادى شمر في الناس: ويلكم ما بالكم تحيدون عن هذا الرجل؟ ما تنتظرون؟ اقتلوه، ثكلتكم أمّهاتكم، فحملوا عليه من كلّ جانب، فضربه زرعة بن شريك التيميّ على كفّه اليسرى وضرب على عاتقه، ثمّ انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو.

وحمل عليه وهو في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعيّ فطعنه بالرّمح فوقع، ثمّ قال لخوليّ بن يزيد الأصبحيّ: احتزّ رأسه، فأراد أن يفعل، فضعف وأرعد، فقال له سنان: فَتّ الله في عضدك وأبان يدك ونزل إليه فذبحه، ثم دفع رأسه إلى خوليّ. أنساب الأشراف للبلاذري، كما في الحسين والسنّة ص ٨٦.

(٣) ذكر البيتين البلاذري وجمع من أرباب السيرة والمقاتل. أما في مقتل الخوارزمي ٢ / ٦١ فيذكر في حديثٍ بسنده عن سهل بن سعد فيقول: ـ وهو عند ورود السبايا إلى الشام ـ: فدخلت ـ سهل بن سعد ـ معهم، وكان يزيد جالساً على السرير، وعلى رأسه تاج مكلّل بالدرّ والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش فدخل صاحب الرأس ودنا منه، وقال:

أوقِر ركابي فضّة أوْ ذهبا ... فقد قتلت السيّد المحجّبا
قتلت أزكى الناس أمّاً وأبا ... وخيرهم إذ يذكرون النسبا

فسنان بن أنس ـ قاتل الحسين المباشر ـ يعترف أنّه قتل أفضل الناس وخيّرهم أمّاً وأباً، بل هو الملك المقدّس.

إذن، ما الذي يريده الرسول (صلى الله عليه وآله) من الحديث المتقدّم «مَن سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة فلينظر إلى الحسين»؟

الكل يعرف منزلة الحسين من جدّه وأمّه وأبيه، بل الكلّ يعرف أنّ الحسين عظيم عند الله، فهو سيّد شباب أهل الجنّة كما سمعوه من نبيّهم مراراً...، وقول الرسول ذاك وتأكيده على منزلة الحسين إنّما كان تحذيراً للأمّة من الولوغ في دماء أهل بيته، وبالخصوص الحسين (عليه السلام).

غير أن القوم شأنهم شأن الحرباء في التلوّن؛ ففي حياته كانوا يقدّمون له آيات الولاء والمحبّة والطاعة، وفي غيابه ـ بعد مماته ـ تواصوا فيما بينهم على هضم حقوق أهل بيته وغصب الخلافة منهم، بل اخرجوا كل الأحقاد والضغائن ثأراً لأشياخهم الذين سقطوا في جبهات الكفر؛ في بدر وأحد وحنين.

إنّ الإنسان ليعجب من أولئك القوم، حيث لسانهم في المدح والثناء وقفاً على الرسول. أمّا قلوبهم فهي وعرة سوداء ناقعة في بحر اللؤم والبغضاء، وأبناؤهم أشدّ منهم لؤماً وخساسة، إذْ شهروا سيوفهم ـ أحياءً للجاهلية الأولى ـ بوجه ابن بنت الرسول، ومن قبل موقفهم الدنيء مع الوصي المرتضى، حيث غصبوا حقّه وأقصوه عن الخلافة طيلة ربع قرن من الزمان، ولمّا آل الأمر إليه جرّعوه غصص الموت وألوان الحيف، حتّى أردوه قتيلاً في محراب العبادة.

فقال يزيد: إذا علمت أنه خير الناس لِمَ قتلته؟ قال: رجوت الجائزة. فأمر بضرب عنقه، فحزّ رأسه.

شدّة حبّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) للحسين (عليه السلام) اللّهمّ إنّي أُحبّه فأُحبّه وأُحبّ من يحبّه

أيّ عذرٍ يتبجّح به بعض المسلمين من الصدر الأول من الصحابة والتابعين من نصب العداء لأهل بيت النبيّ؟ وأي عذرٍ لأُولئك الذين يجعلون حرب يزيد حرباً مشروعةً، وأنّ يزيد قام بتكليفٍ شرعيٍّ ونهض بواجبٍ ملقىً على عاتقه، وهو جهاد من خرج على حاكم زمانه...؟! أيّ سذاجةٍ لأُولئك؟ بل أيّ مطمعٍ لهم وأيّ مغمز...؟!

إنّهم والله أرادوا التحكّم في رقاب الناس، أرادوها هرقليّةً أو كسرويّة، والناس عبيد لهم، ويسوقون ذراريهم سوق الإماء، كما فعلته الأُمم السالفة: كقوم فرعون مع بني إسرائيل؛ إنّهم كانوا ﴿**يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم**﴾...

فالرسول (صلى الله عليه وآله) وضع للأُمّة معادلةً لا يمكن جهلها أو ردّها، بل لابدّ من التمسّك بها، فهو (صلى الله عليه وآله) يقول في الحسين (عليه السلام): «اللّهمّ إنّي أُحبّه، فأحبّه وأحبّ من يحبّه»[1].

فماذا يعنّي حبّ النبي للحسين...؟ وماذا يعنّي حبّ النبيّ لمن يحبّ الحسين...؟

---

(١) رواه الذهبي في «تلخيص المستدرك» على الهامش ٣ / ١٧٧ ط حيدر آباد. والمتقي الهندي في «كنز العمال» ١٣ / ١١١ ط حيدر آباد. وبلفظ مقارب رواه الصبّان في «اسعاف الراغبين» بهامش «نور الأبصار» ص ٢٠٦ ط مصر. والخوارزميّ في «مقتل الحسين عليه السلام» ص ١٤٩ ط الغري، نجف. والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٣ / ٢١٢ ط مصر؛ رواه عن زيد بن أرقم عن الرسول. والمناوي في «الكواكب الدرية» ١ / ٥٤ ط الأزهرية، مصر. وابن المغازلي في «مناقبه» عن أُسامة بن زيد عن الرسول بلفظ آخر ٣٧٤ ط ٢، ١٤٠٢. وابن الصبّاغ المالكي عن البراء بن عازب في الفصول المهمّة ١٥٣ ط الغري.

إنّه التأكيد على عظمة هذا الإمام وهو محي الشريعة، وهو قربان الإسلام، وهو فداء العقيدة والمبدأ، ولولاه لما خلد الاسلام. والدم الطاهر الزكيّ إذا أُريق ولّد أثراً خالداً وبناءً شامخاً لا يمكن هدمه مهما تتابعت أيدي الظلم والبغي...

فالحديث المتقدّم رواه جمع من أهل الحديث والسيرة، بل إنّ كتب الجمهور تروي لنا عشرات الأحاديث الصحيحة المتواترة بهذا المضمون وبأسانيد صحيحةٍ معتبرةٍ وبطرقٍ مختلفة، ونحن نذكر واحدةً منها:

عن الحاكم النيسابوريّ في المستدرك، بإسناده عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو حامل الحسين بن عليّ وهو يقول: «اللهمّ إنّي أحبّه فأَحبّه». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[١].

النكتة في
التكبيرات السبع في صلاة العيدين

يؤمّ الرسول (صلى الله عليه وآله) المسلمين لصلاة العيد، فيقف ليكبّر، وإذا بالحسين (عليه السلام) يقف خلفه ليتابع جدّه الأكرم في الصلاة، وما أن كبّر النبي حتّى كبّر الحسين (عليه السلام)، فأعاد النبي تكبيرته ـ فرحاً بتكبيرة الحسين ـ والحسين يتابعه في الإعادة، وهكذا حتّى بلغ ما كبّره الحسين سبعاً، ممّا أصبحت سنّةً في صلاة العيدين.

وعن ابن المغازلي ـ قوله: إنّ سبب ذلك هو الحسن ـ بإسناده عن جابر عن أبيه قال: كان الحسن بن عليّ عليهما السلام بطأً لسانه، فصلّى خلف النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: الله أكبر، فقال الحسن بن علي: الله أكبر، فسرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقال

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١٧٧ ط حيدر آباد.

رسول الله: الله أكبر، فقال الحسن: الله أكبر، حتّى كبّر سبعاً، فسكت الحسن، فقرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثمّ قام في الثانية فقال: الله أكبر، فقال الحسن: الله أكبر، حتى كبّر خمساً، فسكت الحسن، فقرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأصل التكبير في العيدين ذلك[١].

الرسول (صلى الله عليه وآله) يقبّل الحسين (عليه السلام)

من مظاهر محبّة الرسول لولده الحسين (عليه السلام) عدّة أُمور، وقد أوضحنا بعضها سابقاً وسنأتي على بعضها هنا وفيما بعد.

فمن تلك الموارد هو: تقبيل النبيّ (صلى الله عليه وآله) للحسين (عليه السلام)؛ ولا يخفى أنّ الحبّ كثيراً ما يجسّده كلمة أو قُبلة، وخاصّةً إذا كان الحبّ بين ذوي الأرحام وأفراد العائلة الواحدة، وهذا العمل صدر من الرسول في عدّة مناسباتٍ مع أهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص مع الحسين حيث كان (صلى الله عليه وآله) يكثر من تقبيله في أماكنٍ مختلفة من بدنه الشريف فمرّةً كان يقبّله في فيه، وثانيةً في شفتيه وثناياه، وثالثةً كان يقبّله في سرّته...

روى العلاّمة محبّ الدين الطبريّ في ذخائر العقبى، بسنده عن يعلى بن مرّة: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ الحسين وقنّع رأسه ووضع فاه على فيه فقبّله[٢].

وروى العلاّمة سبط ابن الجوزيّ في التذكرة قال: قال ابن عبّاس: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحبّه ـ أي: الحسين ـ ويحمله على كتفيه ويقبّل شفتيه وثناياه، قال: ودخل عليه يوماً جبرئيل وهو يقبّله، قال: أتحبّه؟ قال: نعم، قال: إنّ أُمّتك

---

(١) مقتل الخوارزمي ص ٦٢، ط ٢.

(٢) أخرجه أبو حاتم وسعيد بن منصور ص ١٢٥ ط القدسي، مصر. ورواه العلامة القندوزي في ينابيع المودّة ص ٢٢٢ ط اسلامبول.

ستقتله[١].

وقال الخوارزمي في روايةٍ مفصّلةٍ عن حمّاد في شأن تزويج الحسين (عليه السلام)؛ ننقل موطن الحاجة: ...عن حماد عن عليّ بن زيد: أنّ هنداً شاورت أبا هريرة، فقال أبو هريرة: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقبّل فاه، فإن استطعتِ أن تقبّلي مُقبّلَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فافعلي[٢].

وفيه أيضاً: عن أبي محمد عمير بن اسحاق: أنّ أبا هريرة قال للحسين (عليه السلام): ارفع قميصك عن بطنك حتّى أُقبّل حيث رأيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) يقبّل، فرفع ثوبه (قميصه) فقبّل سرّته[٣].

فداء النبيّ حسيناً بابنه إبراهيم (عليهما السلام)

من آيات المحبّة الخالصة والفداء المحض الذي ليس له مثيل هو فداء النبي حسيناً بولده إبراهيم، ولو تتبّع الباحث تاريخ البشرية لما وجد لهذا من نظير، وقد لا تصدّق لوجاء الأمر من إنسان ما، ولكنّه من فعل رسولٍ كريم. وقد علّل النبيّ فعله ذلك لأن موت ابراهيم كان باعث حزنٍ له فقط. أمّا موت الحسين (عليه السلام) فيكون باعث حزن وغمّ لأُمّه وأبيه وجدّه...

وقد روى العلاّمة الحنبليّ في «غاية السؤول» بإسناده عن ابن عباس قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى فخذه الأيمن الحسين وعلى فخذه الأيسر ابنه ابراهيم، وهو يقبّل هذا تارةً وذاك تارةً أُخرى، إذ هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا

(١) التذكرة ص ٢٤٣ ط الغري، نجف.

(٢) مقتل الخوارزمي ص ١٥١ ط الغري.

(٣) رواه أيضاً الحافظ نور الدين في مجمع الزوائد ٩ / ١٨٦ بلفظٍ مقاربٍ عن ابن عبّاس، وقال: رواه الطبرانيّ وإسناده حسن. ورواه أيضاً محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى ص١٢٧ ط القدسي، مصر.

محمد، إنّ الله يقرأ عليك السلام وهو يقول: لست أجمعها لك، فافدِ أحدهما بصاحبه، فنظر النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى ابنه ابراهيم فبكى، فنظر إلى الحسين وبكى، ثم قال: إنّ إبراهيم أنّه إذا مات لم يحزن عليه غيري، وأمّ الحسين فاطمة وأبوه علي بن أبي طالب وابن عمّي ولحمي ودمي، ومتى مات حزنت عليه ابنتي وحزن ابن عمّي وحزنت أنا. أُوْثر حزني على حزنهما، فقبض ابراهيم بعد ثلاث. وكان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا رأى الحسين مقبلاً قبّله وضمّه إلى صدره وشفّ ثناياه، وقال: فديته من فديته بابني إبراهيم[١].

بكاء الحسين يؤذي النبيّ (صلى الله عليه وآله)

من الأدلة البارزة التي تكشف لنا حبّ النبي (صلى الله عليه وآله) للحسين، هو تأذّيه(صلى الله عليه وآله) عندما يسمع الحسين يبكي، وفي مناسباتٍ عديدةٍ أظهر ذلك وأشار بالتوبيخ أو التقريع أو التنبيه إلى من معه؛ كي يظهر منزلة الحسين عنده وحنوّه عليه...

قال الطبرانيّ في معجمه: حدّثنا عليّ بن عبدالعزيز، حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا عبدالسلام بن حرب، عن يزيد ابن أبي زياد قال: خرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة، فسمع حسيناً(عليه السلام) يبكي، فقال: ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني[٢].

وفي الطبقات، قال ابن سعد: أخبرنا عبدالله بن بكر بن حبيب السهمي، حدّثنا حاتم ابن أبي صفيرة، عن سماك بن حرب أنّ أمّ الفضل ـ امرأة العباس ابن عبدالمطّلب ـ قالت: يا رسول الله، رأيت فيما يرى النائم كأنّ عضواً من

---

(١) غاية السؤول، وروى الحديث عدة من إخواننا السنّة، راجع إحقاق الحقّ ١١ / ٣١٥.

(٢) معجم الطبراني / ص ١٤٣ ط مصر، والذهبيّ في «سير أعلام النبلاء» ٣ / ١٩١ ط مصر، والحافظ نور الدين في «مجمع الزوائد» ٩ / ٢٠١ ط مكتبة القدسي، مصر، والقندوزيّ في «ينابيع المودّة» ص ٢٢٥ ط اسلامبول، ومحب الدين الطبري في «ذخائر العقبى» نقلاً عن الطبراني.

أعضائك في بيتي، قال: خيراً رأيتِ، تلد فاطمة غلاماً وترضعيه بلبان ابنك قثم، قـال: فـولدت ـ فـاطمة ـ الحسـين فكـفّلته أمّ الفـضل، قـالت: فأتـيت بـه رسول‌الله (صلى الله عليه وآله) فهو ينزّيه ويقبّله، إذْ بال على رسول الله فقال: يـا أمّ الفـضل أمسكي ابني فقد بال عليّ، قالت: فأخذته فقرصته قرصة بكـى مـنها، وقـلت: آذيت رسول الله بلت عليه، فلمّا بكى الصبي قال الرسول: يا أمّ الفضل، آذيتني في بنيّ أبكيته، ثم دعا بماءٍ فحدره عليه حدراً، ثم قال: إذا كان غلاماً فأحدروه حدراً وإذا كان جارية فاغسلوه غسلاً[١].

إنّي قاتل بالحسين سبعين ألفاً وسبعين ألفاً

منزلة الحسين (عليه السلام) كبيرة جدّاً عند الله سبحانه، بحيث تضاهي منزلة العديد من الأنبياء[٢]، وذلك ليس غريباً على ذوي العقول والنابهين من الناس، والأسباب واضحة.

منها: للعطاء الذي قدّمه الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء من جهة.

ولأنّه ابن بنت نبيّ وليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره.

وهو بقيّة الله في أرضه، وأبو الأئمة التسعة الذين هم من صلبه من جهةٍ ثالثةٍ.

ومن جهة رابعةٍ خلّد الإسلام بدروسٍ وعبرٍ كانت هي الأساس لمن يريد الخلود في الحياة الأبديّة التي لا يجوع ولا يظمأ فيها ولا يعرى...

وكتب التاريخ والسيرة تذكر: بأن الله سبحانه قتل بيحيى بن زكريا سبعين

---

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٢٧٨ ط بيروت، دار صادر، وسبط ابن الجوزي في «التذكرة» بلفظ مقارب، ص ٢٤٣ ط الغري، نجف.

(٢) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٦٢ و٢٨٤.

ألفاً، وهو من الأخبار الواردة في كتب العامّة والخاصّة.

إذن، فلا عجب عندما نقرأ في تلك الكتب أيضاً بأنّ الله سبحانه يقتل بالحسين سبعين ألفاً وسبعين ألفاً...

وفي هذا الباب روى العلامة النيسابوريّ بإسناده، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: أوصى الله تعالى إلى محمد (صلى الله عليه وآله): إنّي قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإنّي قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً[1].

وقال الحاكم ـ فيما يرويه من حديث القاضي أبي بكر بن كامل ـ: هذا حديث صحيح الإسناد[2].

عذاب قاتلي الحسين (عليه السلام) ومن اشترك في قتله

يطول الحديث عن عاقبة اُولئك الذين اشتركوا في حرب الحسين(عليه السلام)، فجهّزوا الجيوش كيزيد بن معاوية، وألّبوا عليه وهيّأوا العدّة والعدد، كعبيد الله بن زياد، وساقوا الجند نحو كربلاء لحربه (عليه السلام)، كعمر بن سعد، والذين باشروا الرمي والطعن والضرب والقتل، كشمر بن ذي الجوشن، وسنان بن انس، وخولّى بن يزيد الأصبحي، وحرملة بن كاهل الأسدي وشبث

(١ و٢) المستدرك ٣ / ١٧٨ ط حيدر آباد، الهند، وذكر هذا الحديث جمع غفير من علماء الخاصة والعامة نخصّ بالذكر من كتب الجمهور: الذهبي في «التذكرة ١ / ٧٣ ط حيدر آباد. والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١٤١ ط السعادة، مصر. ومحب الدين الطبري في «ذخائر العقبى» ١٥٠ ط مصر. وابن حجر العسقلاني في «الصواعق المحرقة» ١٩٧ ط الميمنيّة، مصر. وفي «تهذيب التهذيب» ٢ / ٣٥٣ ط حيدر آباد. وسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» ٢٩٠ ط الغري.والخوارزمي في «مقتل الحسين» ٢ / ٩٦ ط الغري، والذهبي في «ميزان الاعتدال» ٢ / ٣٣٧ ط القاهرة، وابن كثير الدمشقي في «البداية والنهاية» ٨ / ٢٠٠ ط مصر.

وهناك عشرات المصادر نقلت الحديث كما رواه الحاكم في المستدرك متناً وسنداً، وفي بعض المصادر ذكر الحديث بلفظ مقارب لما ذكرناه، فليراجع.

إبن ربعي، وغيرهم...

نعم، نذكر من تلك الأخبار بعضها، ولتكن من كتب العامّة:

روى العلاّمة الخطيب الخوارزميّ في مقتله، بإسناده عن أبي خالد، عن زيد بن لهيعة، قال: كنت أطوف بالبيت، إذ أنا برجلٍ يقول: اللهمّ اغفر لي وما أراك فاعلاً، فقلت له: يا عبدالله، اتّقِ الله، لا تقل مثل هذا، فإنّ ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار واستغفرت الله غفرها لك فإنّه غفور رحيم، فقال لي: تعال أُخبرك بقصّتي، فأتيته، فقال: اعلم، أنّا كنّا خمسين نفراً حين قتل الحسين بن علي، وسلّم إلينا رأسه لنحمله إلى يزيد بالشام، فكنّا إذا أمسينا نزلنا وادياً ووضعنا الرأس في تابوت، وشربنا الخمور حوالي التابوت إلى الصباح، فشرب أصحابي ليلةً حتّى سكروا ولم أشرب معهم، فلمّا جنّ الليل سمعت رعداً وبرقاً، وإذا أبواب السماء قد فتحت، فنزل آدم ونوح وابراهيم واسحاق واسماعيل ونبيّنا محمد (عليهم السلام) ، ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرئيل من التابوت فأخرج الرأس وقبّله وضمّه، ثم فعل الأنبياء كذلك، ثمّ بكى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على رأس الحسين، فعزّاه الأنبياء وقال له جبرئيل: يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أُطيعك في أمّتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : لا يا جبرئيل، فإنّ لهم معي موقفاً بين يدي الله ـ عزوجلّ ـ يوم القيامة، قال: ثم صلّوا عليه، ثمّ أتى قوم من الملائكة فقالوا: إنّ الله تعالى أمرنا بقتل الخمسين، فقال لهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) : شأنكم بهم، قال: فجعلوا يضربونهم بالحربات، وقصدني واحد منهم بحربته ليضربني فصحت: الأمان الأمان يا رسول الله، فقال لي: اذهب فلا غفر الله لك، قال: فلمّا أصبحت رأيت أصحابي جاثمين رماداً...الخبر[1].

---

(١) هناك رواية اخرى يذكرها العلاّمة الشبلنجي في نور الأبصار، شطر منها تشبه الرواية المتقدّمة، وفي شطرها الآخر تفصيل.

وفي مالك بن النسير الكندي يذكر البلاذريّ في عقوبته: أنّه شُلّت يداه، ولم يزل فقيراً إلى آخر عمره؛ فقال: ومكث الحسين طويلاً كلّما انتهى إليه رجل فأمكنه قتله انصرف عنه كراهة أن يتولّى قتله.

ثمّ إنّ رجلاً يقال له: مالك بن النسير الكندي ـ وكان فاتكاً لا يبالي بما أقدم ـ أتاه فضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس، فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدماه حتّى امتلأ البرنس دماً، فألقى البرنس ودعا بقلنسوةٍ فلبسها، وقال للرجل: لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين، وأخذ الكنديّ البرنس، فيقال: إنّه لم يزل فقيراً وشلّت يداه[1].

وقال الخوارزميّ: رُئي رجل بلا يدين ولا رجلين وهو أعمى يقول: ربّي نجّني من النار، فقيل له: لَم تبقَ عليك عقوبة وأنت تسأل النجاة من النار؟ قال: إنّي كنت فيمن قاتل الحسين بن عليّ في كربلاء، فلمّا قتل رأيت عليه سراويل وتكّةً حسنةً ـ وذلك بعدما سلبه الناس ـ فأردت أن أنتزع التكّة فرفع يده اليمنى ووضعها على التكّة فلم أقدر على دفعها، فقطعت يمينه، ثمّ أردت انتزاع التكّة فرفع شماله ووضعها على التكّة فلم أقدر على دفعها، فقطعت شماله، ثمّ هممت بنزع السراويل فسمعت زلزلةً فخفت وتركته، فألقى الله عليّ النوم فنمت بين القتلى، فرأيت كأنّ النبيّ محمداً (صلى الله عليه وآله) أقبل ومعه عليّ وفاطمة والحسن (عليهم السلام) ، فأخذوا رأس الحسين فقبّلته فاطمة، وقالت: يا بنيّ، قتلوك قتلهم الله، وكأنّه يقول: ذبحني شمر وقطع يدي هذا النائم وأشار إليّ، فقالت فاطمة: قطع الله يديك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك النار، فانتبهت وأنا لا

وتقدم هذا الخبر مفصّلاً في موضوع كفر يزيد وردّنا على مقدمة الشيباني فراجع.
أما الخبر الآنف الذكر فمصدره مقتل الخوارزمي ٢ / ٨٧ ط الغري، النجف.

(١) أنساب الأشراف ٣ / ٢٢.

أبصر شيئاً، ثمّ سقطت يداي ورجلاي منّي، فلم يبق من دعائها إلاّ النّار[(١)].

وقال الطبريّ في تاريخه بإسناده عن عبدالجبّار بن وائل الحضرمي، عن أخيه مسروق بن وائل قال: كنت في أوائل الخيل ممّن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أُصيب رأس الحسين فأُصيب به منزلةً عند عبيد الله بن زياد، قال: فلمّا انتهينا إلى الحسين تقدّم رجلٍ من القوم يقال له: «ابن حوزة» فقال: أفيكم حسين؟ قال: فسكت الحسين، فقالها ثانيةً فسكت حتّى إذا كانت الثالثة، قال: قولوا له: نعم، هذا حسين فما حاجتك؟ قال: يا حسين، أبشِر بالنار! قال: كذبت، بل أقدم على ربٍّ غفورٍ وشفيعٍ مطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حوزة، قال: فرفع الحسين يديه حتّى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب، ثمّ قال: اللهمّ حُزهُ إلى النار، قال فغضب ابن حوزة فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه نهر، قال: فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها، قال: فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقى جانبه الآخر متعلّقاً بالركاب، قال: فرجع مسروق وترك الخيل وراءه، قال: فسألته؟ فقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أُقاتلهم أبداً[(٢)].

وقال ابن حجر العسقلانيّ برواية الزهري: لم يبقَ ممّن قتله إلاّ من عوقب في الدنيا: إمّا بقتلٍ، أو عميً، أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدّةٍ يسيرة[(٣)]. وذكر هذا الخبر أكثر من واحدٍ من مؤرّخي أهل السّنة.

وروى العلاّمة الحافظ أبوبكر بن محمد المعروف بـ«ابن أبي الدنيا» المتوفّى سنة (٢٨١ هـ) في «مجابي الدعوة»، عن العبّاس بن هشام بن محمد الكوفي، عن أبيه، عن جدّه، قال: كان رجل من بني دارم يقال له: «زرعة بن شريك التميميّ» شهد قتل الحسين، فرمى الحسين بسهم فأصاب حنكه، فجعل

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ١٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٧ ط الاستقامة، مصر، وذكره البلاذريّ في أنساب الأشراف ٣ / ٢٠٠.

(٣) الصواعق المحرقة / ١٩٣.

يتلقّى الدم، ثمّ يقول: هكذا إلى السماء[١]. ودعا الحسين بماءٍ ليشرب، إذ رماه فحال بينه وبين الماء، فقال: اللهمّ أظمئه، اللهمّ أظمئه. قال فحدّثني من شهد وهو يموت وهو يصيح من الحرّ في بطنه والبرد في ظهره وبين يديه المراوح والثلج وخلفه الكانون وهو يقول: أسقوني أهلكني العطش! فيؤتى بعسٍّ عظيم فيه السويق أو الماء أو اللبن لو شربه خمسة لكفاهم، قال: فيشربه ثمّ يعود: أسقوني أهلكني العطش، قال: فانقدّت بطنه كانقداد البعير[٢].

وهكذا يروي في حقّ رجلٍ من كليبٍ: أنّه لم يرتوِ من الماء حتّى ألقى بنفسه في الفرات، فشرب منه حتّى امتلأ فمات[٣].

وقال البلاذري: لما بقي الحسين في ثلاثة نفرٍ أو أربعةٍ دعا بسراويل محشوّةً فلبسها، فذكروا: أن بحر بن كعب التميميّ سلبه إيّاه حين قتل، فكانت يداه في الشتاء تنضحان الماء، وفي الصيف تيبسان فكأنّهما عودان[٤].

وذكر ابن كثير في تأريخه خبر موت عمرو بن الحجّاج، وكان سببه العطش؛ لأنّه منع الحسين (عليه السلام) من شرب الماء[٥].

وكذلك يروي ابن الاثير في حقّ عبدالله بن أبي الحصين الأزديّ: أنّه مات بالعطش لذلك السبب. ذكره في تأريخه[٦].

وأمّا عقوبة سنان بن أنس: فكانت أن اختلّ لسانه، فاعتقل، وذهب عقله، حتّى أنّه كان يأكل ويُحدِث في مكانه. وسنان هذا اشترك في قتل الحسين، وقد افتخر بذلك عند الحجّاج بن يوسف الثقفي. ورواه جمع من العامّة وكثير من

---

(١) كناية عن الدعاء.

(٢) مجابي الدعوة / ٣٨ ط الهند، وفي الصواعق رواية مؤدّاها ما تقدّم ص ١٩٥.

(٣) ذخائر العقبى / ١٤٤.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ٣ / ٢٢٠.

(٥) البداية والنهاية ٨ / ١٧٤.

(٦) الكامل في التاريخ ٣ / ٢٨٣.

الخاصّة[١].

وممّن عُوقب في الدنيا قبل الآخرة. بحير بن عمرو الجرمي، حيث سلبه سراويله، فصار بعد ذلك مقعداً لمرضٍ أصابه في بدنه.

وكذلك جابر بن يزيد الأزدي أصبح يشكو الجذام، وهو الذي سلب عمامة الحسين (عليه السلام).

وأمّا مالك بن نسر الكنديّ فصار معتوهاً؛ لأنّه سلب درع الحسين (عليه السلام)

وأمّا اسحاق بن حُويّة الحضرميّ: فقد أصابه البرص؛ لأنّه سلب قميص الحسين (عليه السلام)[٢].

وأمّا الذين أمروا بحرب الحسين وقادوا الجيوش وأعدّوا العدّة والسلاح: كيزيد بن معاوية، وعبيدالله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وحرملة بن كاهل، وشبث بن ربعيّ، وحكيم بن الطفيل وأضرابهم فإنّ عقوبتهم أشدّ، وأنّ موتتهم كانت شرّ موتةٍ، وانقلبوا إلى أسوء عاقبة وكتب التاريخ مليئة بأخبارهم ومثالبهم[٣]، فمن أراد المزيد فليطلبها في مظانّها.

---

(١) وقال البلاذري: قال هشام بن محمد الكلبي: قال لي أبي محمد بن السائب: أنا رأيته ـ أي: سنان ـ وهو يُحدث في ثوبه.

(٢) مقتل الحسين ـ الخوارزمي ـ ٢ / ٣٧.

وفي الأنساب للبلاذري ان الذي سلب الحسين سراويله هو بحر بن كعب التيمي، ثمّ صار بعد ذلك معلولاً، فكانت يداه في الشتاء تنضحان الماء وفي الصيف تيبسان فكأنّهما عودان.

(٣) انظر البحار ٤٥ / ٥٧ وسنذكر بعض تلك الأخبار في محلّها المناسب إن شاء تعالى.

عظمة الحسين (عليه السلام) عند الله تعالى

روى محبّ الدين الطبريّ، بإسناده عن عليّ بن موسى الرضا قال: سئل جعفر بن محمد عن زيارة قبر الحسين (عليه السلام) ؟ فقال: أخبرني أبي: أنّ من زار قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقّه كتب الله له في علّيين، وقال: إنّ حول قبر الحسين سبعين ألف ملكٍ شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة[١].

وروى ابن المغازليّ بإسناده عن فضيل بن يسار، قال: قيل لأبي عبدالله (عليه السلام) : أيّ قبور الشهداء أفضل؟ قال: أو ليس أفضل الشهداء عندك الحسين (عليه السلام)

فو الذي نفسي بيده إنّ حول قبره أربعين ألف ملكٍ شعثاً غُبْرا يبكون عليه إلى يوم القيامة[٢].

---

(١) ذخائر العقبى / ص ١٥١ ط مكتبة القدسي، مصر.

(٢) مناقب ابن المغازلي / ص ٣٩٧، ورواه ابن بابويه، أبو القاسم القمّي في كامل الزيارات ص ١٠٩ و١٥٩.


القسم الخامس
الحسين سنام القرآن
وترجمانه



الآية الأولى:

قوله تعالى..

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١)

ما المقصود بالتوبة في هذه الآية الكريمة؟

وهل عصى آدم حقّاً ـ كما يظهر من الآية الشريف: **﴿وعصى آدم ربّه فغوى﴾**(٢) ـ حتّى استوجب العقاب من الله سبحانه فأخرجه من الجنان واسكنه الأرض.

لابدّ من الإشارة إلى بعض الآيات ذات العلاقة بموضوع الآية المذكورة في صدر البحث، وتوضيح بعض الدلالات التي لها صلة في قضيّة توبة آدم وما جرى له من ذِكْرٍ في القرآن الكريم بهذا الصدد.

فمن خلال القرآن الكريم عرفنا أنّ آدم (عليه السلام) وزوجه كانا في الجنة ومكثا فيها زمناً لا نعلمه على وجه التحديد. أما كيفيّة المكوث وما حدث له فنعرف إجمالاً بعض الشيء من خلال الآيات الكريمة:

منها: قوله تعالى: **﴿وَقُلْنَا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّةَ وكُلا مِنهَا رَغَداً حَيثُ شِئتُمَا ولا تَقْرَبا هَذهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**(٣).

فهذه الآية الشريفة وما بعدها وغيرها في مواطن أُخرى من القرآن العزيز

---

(١) البقرة / ٣٧.

(٢) طه / ٢١.

(٣) البقرة / ٣٥.

تكشف لنا صوراً متعدّدةً لآدم وهو في الجنّة، والمراحل التي مرّ بها.

انظر إلى مقاطع الآية وكذا ما بعدها، إذْ الخطاب موجّه من الجليل لآدم بصورة أمرٍ ﴿**ولا تَقْرَبا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...**﴾.

ثـمّ بـعد ذلك حـذّره مـن الظـلم، فـقال جـلّ شأنـه: ﴿**فَـتَكُونَا مِـنَ الظَّالِمِينَ...**﴾.

ثمّ مرحلة أخرى في قوله تعالى: ﴿**فأزلّهما الشيطان...**﴾[١].

ثمّ مرحلة التوبة بعد اعترافهما بالظلم: ﴿**قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين**﴾[٢].

ثمّ مرحلة الإخراج والخروج من الجنّة: ﴿**قلنا اهبطوا منها...**﴾[٣].

وبعد إخراجه من الجنّة وهبوطه إلى الأرض تلقّى كـلماتٍ فـيها تـوبته وخلاصُه...: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ...**﴾[٤].

من خلال هذا العرض السريع لبعض الآيات سوف نواجه مجموعةً من الأسئلة منها:

س ١: ما المراد بالنهي في الآية الكريمة ﴿**ولا تَقْرَبا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...**﴾؟

س ٢: كيف عصى آدم ربّه؟ وما هي الغواية هنا؟

س ٣: ما المراد بالظلم في الآية الشريفة...؟[٥]

س ٤: لماذا نُسب الإزلال والإخراج إلى الشيطان؟[٦]

س ٥: هل كان خروج آدم من الجنّة عقوبةً له؟

---

(١) البقرة / ٣٦.

(٢) البقرة / ٣٦.

(٣) الاعراف / ٢٣.

(٤) البقرة / ٣٧.

(٥) ﴿**قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا...**﴾ الأعراف / ٢٣.

(٦) ﴿**فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما ممّا كانا فيه...**﴾ البقرة / ٣٦.

س ٦: إذا لم يعصِ آدم فَلِمَ تاب وما معنى توبته؟

هذه الفقرات من الأسئلة تستحقّ الجواب، لكنّني لا أُريد أن أبحث عن هذه العناوين وأدخل في تفاصيلها بقدر ما أُريد الإشارة إليها وحسب؛ وذلك لضرورةٍ حتّمها سياق الموضوع من جهةٍ، ولحاجة ثلةٍ من الناس من جهةٍ أُخرى؛ لذا نريد بذلك دفع وهم حاصلٍ عند البعض من أبناء الطائفة.

والذي يُحزُّ في النفس أنّ معارف وعلوم أهل البيت عليهم السلام لم تزل محجوبةً عن أبناء الإسلام؛ بسبب تقصير بعض أهل العلم من المبلّغين والكتّاب، ومَنْ حُمّلوا عِبء الأمانة التي تمثّلت مِن بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار بالعلماء ثمّ الكتّاب، ومن بعدهم الخطباء والمبلّغين.

وقد وجدت هذا التقصير عندما كنت في النجف الأشرف وأنا أستمع محاضرةً لأحد الخطباء اللامعين، إذْ تعرّض لسورة يوسف وهو يلوّح إلى وقوع يوسف (عليه السلام) في المعصية، مدّعياً أنّ القرآن صريح في عبارته، وقد قال بالحرف الواحد: (إنّ القرآن يقول: ﴿**همّت به وهمّ بها**﴾، أي: جاذبته أطراف الحُبّ، فطلبت منه الاقتراب ليقضي معها وطراً، وقد استجاب ﴿**لولا أن رأى برهان ربّه...**﴾ فلا حاجة إلى تأويل الآية والقول بأن يوسف همّ بها أي: ليضربها).

كان هذا الحديث في أوائل السبعينات، وعلى مستوى محاضرٍ في التاريخ وفي النجف الأشرف معقل العلم والعلماء...!!

واليوم أيضاً نسمع ما يصبّ في تلك القناة.

نعم، كان الحديث ليس عن يوسف (عليه السلام) فحسب؛ بل شمل الحديث ـ عند البعض ـ جميع الأنبياء، وادّعى أُولئك أنّهم غير معصومين، لا قبل ولا بعد النبوّة...!!

يا أسفي على رجال الدين والتبليغ اين مضوا.

والآن يجدر بنا أن نجيب عن الفقرات المتقدّمة بنوعٍ من الإيجاز:

جواب الفقرة الأُولى:

لا يخفى أن الأمر في اللغة ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أمر واجب ـ وعلى المكلّف ـ الإتيان به كما لو قيل: صُم رمضان، أو: لا تغتبْ مؤمنا.

والآخر: أمرٌ لا يدلّ على الوجوب، كما لو قيل: لا تعبث بأصابعك في الصلاة، أو: لا تأكلْ في الطرقات، فهذا لا يدلّ على وجوب عدم الأكل، وإنّما يُحمل على الكراهية، ولو فعلته لم تستحقّ العقوبة، بل المقصود أنّك لا تستحقّ الثواب الكامل، كما هو الحال بالنسبة للعبث في الصلاة.

أمّا النهي في الآية الكريمة: ﴿**ولا تَقْرَبا هَذهِ الشَّجَرَةَ...**﴾ فإنّه لا يراد به على وجه الإلزام أو التحريم، بل هو نهيٌ تنزيهيّ، أي: أنّ عدم امتثال آدم لهذا النهي يعني: أنّه ترك الأولى الذي كان يستحقّ عليه الثواب العظيم، علماً بأنّ الأصل في الأشياء هو الإباحة، لذا كان النهي بمثابة ترجيح ترك الفعل على الإتيان به، وإلاّ إذا كان النهي تحريميّاً فمعنى الإتيان بالمنهيّ عنه معصية كبيرة يستحقّ فاعلها الذمّ والعقوبة، وهذا ما يقرّه العقلاء، وفي إطار الناس العاديّين، فكيف لو كان بين محيط الأنبياء الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالاته وحمّلهم ثقل النبوّة؟!

ولو سلّمنا أنّ النهي في الآية التحريم وليس نهيّا تنزيهياً، وأنّ آدم ارتكب الشيء المحرّم ـ المنهيّ عنه ـ إذن ما الفرق بين النبيّ والإنسان العادي؟ وَلِمَ خُصّ آدم بالنبوّة؟

وخلاصة ذلك: أنّ النهي في الآية هو نهي تنزيهيّ، وليس نهياً مولويّاً؛ لأنّ آدم (عليه السلام) عندما كان في الجنّة لم يكلَّف بالأحكام، لذا عدم الالتزام أو ارتكاب

المنهيّ عنه لا يعني ارتكاب المعصية أو الكبيرة كالتي نفهمها نحن.

وما ارتكبه آدم (عليه السلام) لم يكن ذنباً كما تصوّره علماء أهل السنّة؛ لأنّه خلاف منطق العقل. كما أنّ هذا التصوّر مُشِين بساحة الأنبياء، وغير لائق بهم(١).

وكلّ ما يمكن أن يقال في حقّ آدم: إنّه ترك الأولى الذي يستحقّ عليه كامل الأجر والثواب.

وربّ سائلٍ يسأل: لِمَ أكل آدم من الشجرة، مع أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمره بعدم الاقتراب منها؟

فالجواب يتّضح من خلال بيان أُمور:

أوّلاً: أنّ النهي في الآية ربّما لم يكن مرتكزاً في ذهن آدم (عليه السلام) حال الأكل، بدليل الآية الكريمة: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾(٢).

وهذا النسيان لم يكن بعيداً عن علم الله، ولا مستوراً ممّا ترتّبت عليه أُمور ومصالح إلهيّة فيها انتظم الكون وتدرّجت الحياة، مروراً بمراحل عديدةٍ منذ بدئها بأبسط صورها وإلى يومنا هذا، والتي تمثّلت المدنيّة فيها وارتقت إلى ذروتها العليا.

ثانياً: أنّ إبليس ـ عليه اللعنة ـ حلف لآدم وحوّاء، فقال لهما: إنّ الله ما نهاكما عن هذه الشجرة إلاّ لتكونا ملكين أو من المخلّدين، وقطعاً أنّ إبليس كان كاذباً في قسمه هذا، انظر إلى الآيات الكريمة: ﴿**ويَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ**

---

(١) روى الشيخ الصدوق في الخصال بسنده عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال: «إنّ أيّوب النبيّ عليه السلام ابتلي سبع سنين من غير ذنب، وإنّ الأنبياء لا يذنبون؛ لأنّهم معصومون مطهّرون لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً، صغيراً وكبيراً». وانظر مجمع البيان ١ / ٨٩.

(٢) طه / ١١٥.

الظَّالِمينَ * فَوَسوَسَ لَهُما الشَّيطَانُ لِيُبديَ لَهُمَا ما وُرِي عَنهُمَا مِنْ سوآتِهِما وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا ربُّكُما عن هَذِهِ الشَّجَرَةَ إلاّ أن تَكُونَا مَلَكين أَو تَكُونَا مِن الخَالِدين * وقاسَمَهُما إنّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِين﴾[١].

ثالثاً: إنّ إبليس ـ عليه اللعنة ـ قد أجهد نفسه غاية الجهد من خلال حسده لآدم أن يوقع به، أي: يوقعه في الخطأ، ومن ثمّ حرمانه من المنزلة التي كان يتمتّع بها آدم وقربه من ساحة الله سبحانه وتعالى، انظر إلى الآية الكريمة: **﴿فدلاّهما بغرور...﴾**[٢]. إنّ التغرير الذي استعمله إبليس لآدم هو ذلك الإصرار والقسم الكاذب. انظر إلى الآيات البيّنات السابقة أنفاً[٣] وإلى قوله تعالى: **﴿فوسوسَ إليه الشيطانُ قال يا آدم هل أدُلُّك على شجرةِ الخُلدِ ومُلكٍ لا يَبلى...﴾**[٤].

فأيّ تغريرٍ بعد هذا؟! أضف إلى ذلك أنّ إبليس لم يكشف عن كذبه. كما أنّ آدم (عليه السلام) لم يطّلع على هذا الكذب، بل ما كان يعرف للكذب معنى.

أمّا نسيان آدم أمر ربّه فهناك احتمالان:

الأول: يحتمل أن آدم (عليه السلام) نسي النهي الموجّه إليه، كحقيقةٍ دالّةٍ على النهي، لذا أكل من جميع الأشجار بضمنها الشجرة المنهيّ عنها الأكل.

الثاني: أنّ آدم نسي فقط نوع الشجرة المنهيّ عنها الأكل، وهذا النسيان كان السبب المهمّ في مخاطبة إبليس لآدم وحواء، والذي دلّهما على نفس تلك الشجرة ورغّبهما في الأكل منها، وأقسم أنّه من الناصحين لهما. وغرض إبليس من هذا الدفع والإصرار هو: إيقاع آدم وحواء في الخطأ؛ كي يُحرَما من تلك

---

(١) الاعراف / ١٩ ـ ٢١.
(٢) الأعراف / ٢٢.
(٣) الأعراف / ١٩ ـ ٢٢.
(٤) طه / ١٢٠.

المنزلة وذلك القرب الإلهيّ اللذين كانا يتمتّعان بهما.

ولا يخفى أنّ هذه الأحداث كانت مقدّرةً في علم الله سبحانه وتعالى، وأنّ حكمته شاءت ذلك، فكانت الأمور تجريّ بأسبابها.

ولكن هذا الاحتمال كسابقه في الضعف.

أقول: الاحتمال الأوّل وارد في المقام. وأمّا الاحتمال الثاني فيمكن مناقشته، وهو: أنّ القول: بأن آدم وحوّاء نسيا نوع الشجرة المنهيّ عنها قد يكون مردوداً بقوله تعالى: حكايةً عن إبليس: **﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إلاّ أن تَكُونَا مَلَكَينِ﴾** مما يشير إلى مفروغية النهي لدى آدم وحوّاء عن هذا النوع من الشجر، ولم يبق لنا اختيار سوى أن نقول بأنّ النسي لم يكن منصبّاً على نوع الشجرة، وإنّما كان منصبّاً على ذات الشجرة؛ هل كانت هذه أم تلك أم غيرهما؟ وبمعنى آخر: تعدد مصاديق النوع المنهيّ عنه في الخارج، وقد استفاد إبليس من هذه الشبهة فأقسم لهما ـ كاذباً ـ بأنّ الشجرة المنهيّ عنها ليست هذه بعينها، بل شجرة أُخرى غيرها وإن كانت هذه تطابق تلك في الاسم والشكل.

وعلى أيٍّ، استعمل إبليس أُسلوب المغالطة في الاحتجاج، وأوقع آدم وحوّاء (عليهما السلام) في الخطأ من خلال القسم الكاذب والتغرير بهما.

جواب الفقره الثانية:

﴿وعصى آدم ربّه فغوى...﴾. يقع الكلام أوّلاً في أصل المعصية، وهل هي جائزة على الأنبياء وبضمنهم المعصومين، أم غير جائزة؟ لذا حريّ بنّا أن نتعرّض إلى عصمة الأنبياء بإيجاز.

فنقول: اختلف المسلمون في عصمة الأنبياء اختلافاً كبيراً، والكلام عن عصمتهم (عليهم السلام) يقع في أقسام:

القسم الأول: في اعتقاد الأنبياء.

القسم الثاني: في التبليغ.

القسم الثالث: في الأحكام والفتيا.

القسم الرابع: في السيرة والأفعال المختصّة بهم (عليهم السلام) .

أمّا القسم الأول: فقد أجمعت الأمّة على أنّ الأنبياء موحّدون، ولا يقع الكفر والشرك منهم، بإستثناء فرقةٍ واحدةٍ من الخوارج، وهم الفضليّة، قالت بوقوع الذنب من الأنبياء. والذنب عند الفضليّة كفر وشرك، لذا لا يبعد وقوع الكفر منهم...، وهذا أمر عجيب جدّاً، قاتلهم الله أنّى يأفكون!!

وأمّا القسم الثاني: فأيضاً أجمعت الأُمّة على أنّه لا يقع من الأنبياء الخطأ في التبليغ ونشر الرسالة، لا عمداً ولا سهواً، خلا بعض الناس، إذْ جوّزوه سهواً.

وأمّا القسم الثالث: فكذا أجمعت الأُمّة على أنّه لا يجوز خطأهم في الفتيا عمداً، أمّا سهواً فبعضهم جوّزه، وآخرون أبوه.

وأمّا القسم الرابع: حيث الاختلاف فيه كثير، وملخّصه يقع في طِوائف ثلاث:

الطائفة الأُولى: الشيعة الإماميّة الاثنا عشريّة لا تجوّز على الأنبياء ارتكاب الذنب مطلقاً، سواء كان الذنب من الكبائر أم من الصغائر، عمداً كان أم سهواً، قبل النبوّة أم بعدها؛ فهم معصومون من حين الولادة، وهذا ما يوافق حقيقة معنى النبوّة والرسالة، ولذا فالنبيّ لابدّ أن يكون مُختاراً من بين عامّة الناس، ولابدّ أن يمتاز بصفاتٍ لا يتمتّع بها غيره، وله استعداد خاصّ، ومؤهّلات ينفرد بها من بين سائر المجتمع الذي يعيش فيه ذلك النبيّ وبهذه المناسبة تجد نعوتاً كثيرةً قد أطلقها القرآن الكريم بحقّهم:

منها: أنّهم الهادون، وهم المهديّون، وهم المقرّبون، وهم المطهّرون، وكذا بقيّة الصفات التي أشار إليها القرآن: كالمنقذ، والمرشد، والإمام، والأمين،

والمصطفى والمجتبى، والمقرّب...

هذه النعوت والمواصفات تؤكّد على أفضلية الأنبياء على أُممهم، وأنّهم القدوة والنموذج الأمثل الذي يجب الاقتداء به والاستنان بسنّته...

الطائفة الثانية: وهم أهل الحديث والحشويّة، وقد اختلفوا إلى أربعة مذاهب:

١ ـ بعضهم جوّز على الأنبياء فعل الكبائر قبل النبوّة، وهذا ممّا ذهب إليه جماعة، منهم: الفخر الرازي.

٢ ـ والبعض الآخر جوّزها حال النبوّة، عدا الكذب الذي يتعلّق بأداء الرسالة.

٣ ـ وقسم ثالث جوّزها حال النبوّة، بشرط الإسرار دون الإعلان بها.

٤ ـ وقسم رابع قال بجواز ارتكابها ـ الكبيرة ـ عمداً قبل وبعد النبوّة، وهو رأي أكثر الحشويّة، وسيأتي ردّنا عليهم ـ إن شاء الله ـ بعد قليل، فتأمّل.

الطائفة الثالثة: المعتزلة، وأشهر فرقهم أربع:

١ ـ فرقة منهم منعت ارتكاب الصغيرة على الأنبياء عى سبيل العمد، وإنّما إذا حصل فهو على سبيل التأويل، وهذا ما ذهب إليه أبو عليٍّ الجبائيّ، وربّما هو أقرب مذاهب المعتزلة إلينا من حيث توجيه تلك الآيات الكريمة.

٢ ـ فرقة ثانية منعت ارتكاب الذنب على الأنبياء عمداً، وإذا حصل منهم ذلك فهو إنّما على سبيل السهو والخطأ والغفلة، إلاّ أنّهم محاسبون عليه لما يمتلكون من معرفةٍ وقدرةٍ تميّزهم عن سائر الناس، وهذا المذهب محكيّ عن النظّام، وجعفر بن مبشّر، وآخرين.

٣ ـ فرقة ثالثة من المعتزلة منعت الكبائر والصغائر المستخفّة من الأنبياء، قبل وبعد النبوّة. أمّا الذنوب غير المستخفّة فربّما حصلت منهم...!

٤ ـ فرقة رابعة، والتي عليها أكثر المعتزلة، وتعتقد هذه الفرقة بجواز

ارتكاب الصغيرة دون الكبيرة عمداً.

هذه لمحة وجيزة للفرق البارزة عند تلك المذاهب من المسلمين، ولكن لا تخلو من مناقشة، حيث إنّ العقل والمنطق السليم يأبيان تلك الآراء، بل هي قابلة للردّ، عملاً بالأدلّة النقليّة والعقليّة.

والردّ يكون موجّهاً لكافّة الفرق المتقدّمة التي جوّزت على الأنبياء فعل المعصية، كبيرها أو صغيرها، عمداً أو سهواً، قبل النبوّة أو بعدها.

وإليك ردّنا مفصّلاً فنقول:

الردّ على الفضليّة يتمثّل في ما يلي:

١ ـ لابدّ من فهم معنى الذنب، وهل يراد به الخروج عن حدّ الإيمان والتوحيد؟ وإذا لم يكن كذلك فكيف يعقل أن نفسّر الخطأ الواقع عمداً أو سهواً أنّه كفر؟

أوَ لَم يكن الكفر هو جحود الخالق وعدم الإيمان به؛ أي: عدم الاعتقاد بوجوده؟!

أين هذا المعنى من ذاك الذي عليه الأنبياء والمرسلين من توحيد الله خالق الكائنات، والإقرار بربوبيّته، وعدم الإشراك به...؟

وعلى هذا، فإنّ الفضليّة كفرت بقولهم ذاك؛ إذ جعلوا الذنب كفراً بتجويزهم على الأنبياء ارتكاب الذنب. إذن وقوع الكفر ـ على حدّ قولهم ـ من الأنبياء جائز.

فهؤلاء الفضليّة جعلوا جزء السبب علّةً تامّةً والتي رتّبوا عليها كفر الأنبياء معاذ الله.

وهذا واضح بطلانه، حيث إنّك لا تستطيع أن تطلق تسمية شيءٍ ما من خلال جزئه. فمثلاً: جزء الاسم لا يعطي معنى الاسم أو على جزء معناه، كما أنّك لا تسطيع أن تطلق كلمة إنسان من خلال أحد أجزاء بدنه...

وحاصل الكلام في هذا القسم: أنّ الأنبياء مبرّأون عن الخطأ في اعتقادهم(عليهم السلام) مطلقاً.

٢ ـ أمّا من جوّز خطأهم في مرحلة التبليغ فهو مردود بأدنى إشارة؛ لأنّك تعلم أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد اصطفى أنبياءه من بين الناس وجعلهم قدوةً لأممهم، وهم الهُداة المهديّون، وقد اختارهم الله لهذه المهمّة، وجعل قلوبهم أوعيةَ وحيه، وسدّدهم بتوفيقٍ منه، وإنّه حافظ لوحيه بصريح قوله جلّ ثناؤه: **﴿إنّا نحن نزّلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون﴾**، فكيف يسهو النبيّ في تبليغ رسالة ربّه؟

٣ ـ أمّا بالنسبة إلى من جوّز الخطأ في الأحكام والفتيا سهواً، كأنّما غاب عن ذهنه: أنّ الشرائع السماويّة ما نزلت إلاّ لتهذيب السلوك الإنسانيّ عن طريق الأمر الإلهيّ والنهي الإلهي، وهذا كلّه متمثّل بأقواله سبحانه وتعالى، وآياته الحقّة المُنزلة على أنبيائه؛ وما مهمّة الأنبياء والرسل إلاّ توضيح تلك الآيات للناس لعلّهم يعقلون، فمراد الجليل يصل إلى الناس بواسطة الأنبياء والرسل.

إذن، الأنبياء هم الأمناء في أداء الرسالة بما فيها من أحكامٍ وقوانين. فالمشرّع الوحيد للأحكام هو الله جلّ شأنه، وهو باعث الانبياء والرسل، وهو الحافظ لدينه ورسالاته، وما على الأنبياء إلاّ إيصال تلك الأحكام والمفاهيم إلى أُممهم. وما يصحّ دليلاً في القسم المتقدّم يصحّ هنا أيضاً **﴿إنّا نحن نزّلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون﴾**.

٤ ـ وأمّا الردّ على مذاهب الطائفتين الثانية والثالثة من القسم الرابع؛ الذين جوّزوا وقوع الذنب من الأنبياء بأي صورةٍ كانت فهذا غريب جدّاً، وأي فرقٍ بين هذا القسم والأقسام الثلاثة المتقدّمة؟

أليس أقوال الأنبياء والرسل وأفعالهم وتقاريرهم هي جزء من التبليغ الذي كُلِّفوا به، وصورة من صوره؟

أضف إلى ذلك أنّ الأحكام الشرعيّة: إمّا أن توجد صريحةً أو تستنبط، واستنباط الأحكام: إمّا أن يكون من القرآن أو من السنّة، لذا فإنّ كثيراً من الأحكام كانت تستنبط من أقوال الرسول أو أفعاله أو تقريراته؛ لأنّها الجزء الآخر لاستنباط الأحكام الشرعية وغيرها. فالسنّة النبويّة هي المرحلة المتّممة لعملية التشريع، ولا فرق في ذلك ـ كما يظهر ـ بين جميع الشرايع.

٥ ـ إنّ تجويز ارتكاب الذنب عند المعتزلة ممّا يقدح بغرض البعثة من القبول والامتثال، وإذا كانت الذنوب الصغيرة جائزةً الوقوع منهم عمداً فمن بابٍ أولى جواز وقوع بقيّة المخالفات منهم كالصغائر من الذنوب، بل مطلق الذنب: كالكذب والغشّ والبهتان والافتراء والغيبة سهواً. الخ. إضافةً إلى ما أسلفناه سابقاً: من أنّه يقدح بساحة النبوّة والأنبياء، ومشين لهم، فهو ـ ارتكاب الذنب ـ ممّا ينفّر الناس عن قبول التعاليم السماوية، بل لا يحصل منهم الانقياد ولا الطاعة لأنبيائهم، هذا على أقلّ التقادير.

والسبب في ذلك جليّ؛ لأنّ طبائع الناس تنقاد في الحالات الطبيعيّة إلى النفوس المهذّبة؛ وتسكن إليها عندما تجدها طاهرةً زكيّةً قد خَلُصَت من دَرن المعاصي والآثام، وهذه الميزات لا تحصل في الإنسان العاديّ الذي جُبِلَ على المعصية، بل لابدّ أن تكون مجتمعةً في فردٍ عصمه الله تعالى من الذنب والزلل، حتّى يأخذ بمجامع القلوب، فيكون قوله وعمله ووعظه وإرشاده ممّا تسكن إليه النفس وتطمع إليه البشريّة في الخلاص؛ لأنّ احتمال وقوع الذنب منهم مستحيل.

٦ ـ المعاصي عندنا كلّها كبائر، فمن جوّز على الأنبياء الصغائر فردُّه كما سبق؛ لأنّ المعصية واحدة، وإنّما سمّيت صغيرةً بإضافتها إلى ما هو أكبر عقاباً منها. فجميع المعاصي والذنوب تكون منفّرة، وهذا خلاف من ادّعى أن الصغائر من الذنوب حكمها كمن ترك نفلاً فلا يستحقّ الثواب وعلوّ المنزلة؛ لأنّ

الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها تُعدّ من القبائح، وكل قبيح يستحقّ فاعله الذمّ والعقوبة. وإذا سلّمنا بأنّ الأنبياء لا تجوز عليهم العقوبةً ولا الذمّ صحّ ما قلناه آنفاً: من أنّهم منزّهون عن المعصية بأيّ شكلٍ من الأشكال؛ وذلك لطهارة نفوسهم وصفاء سريرتهم من جهةٍ، وللتسديد الربّانيّ من جهةٍ اخرى.

أمّا ترك النفل فالنبيّ مندوب له، وليس فيه أمرٌ على وجه الإلزام والوجوب، بل حظّه منه هو الزيادة في الثواب والرقيّ في الرتبة والمنزلة. وترك النفل أو الندب لا يترتّب عليه أيّ عقوبةٍ ولا ذمٌ ولا هو منفّر، وكلّ ما يقال فيه هو تنقيص الثواب.

٧ ـ أمّا ما ذهب إليه النظّام ومن تبعه في تجويز الخطأ على الأنبياء، وأنّه يحصل من باب السهو والغفلة فإنّهم محاسبون عليه وما ذهبوا إليه فهو باطل وقد دلّل على هذا البطلان نفسه ـ صاحب المذهب ـ من غير أن يشعر به.

اعلم: أنّ المحاسبة والمؤاخذة لا تقع إلاّ من حيث وجود التكليف وبقائه مع كونه موجّها للمكلّف، أمّا إذا ارتفع ذلك التكليف في حالٍ من الأحوال فلا يؤاخذ عليه المكلّف؛ لأنّ لا تكليف عليه، فأيّ معنى للمؤاخذة؟

كما أنّ السهو والغفلة أو النسيان في الواقع منشؤه ارتفاع التكليف، لكن في آنٍ ما بسببٍ قهريٍّ غير اختياري، فكيف يؤاخذ النبيّ على شيءٍ ليس محض إرادته ولا من اختياره؟ بل إذا حصل السهو ـ على تقدير القائل ـ فهو إنّما بتقدير المولى ومقتضى حكمته، وإلاّ يكون حسابهم وعقوبتهم ظلم من الله، والظلم قبيح، والله جلّ شأنه لا يفعل القبيح، وبهذه المناسبة ارتفع التكليف عن المغمى عليه والنائم والمجنون.

٨ ـ إضافة إلى ما تقدّم كيف يحصل للناس الوثوق بالأنبياء في أداء الرسالة والتبليغ إذا لم ينزّهوا عن الخطأ العمدي في سيرتهم وأفعالهم؟ علماً بأنّ ارتكاب المعصية عمداً من الفرد العاديّ يوجب نفرة الآخرين منه ويعرّضه إلى

السقوط، فكيف لو حصلت المعصية من الأنبياء؟

إذن، لابدّ من القول بعصمتهم جميعاً من دون استثناء، بل إنّ عصمتهم معجزة أُخرى إضافة إلى معاجزهم التي ظهرت على أيديهم بإذن الله، وإلاّ كيف يحصل لهم الإنقياد من قبل الناس ما لم يكونوا مثالاً للاستقامة في القول والعمل؟

وإذا لم تحصل لهم الاستقامة فما الفرق بينهم وبين عامّة الناس؟

ولِمَ خصّهم الله دون غيرهم لتحمّل الوحي وتبليغ الرسالة وحمل الأمانة...؟!

٩ ـ لا فرق في بطلان قول من قال بحصول المعصية حال النبوّة أو قبلها وإن تاب منها؛ لأنّ الجميع يتعلق بساحة المعصية التي تكدّر النفس والقلب، وبها تهبط الروح إلى التسافل والقذارة، وكما أسلفنا فإنّ ذلك ينفرّ الناس ويصدّهم عن الإيمان برسالة الأنبياء؛ لأنّ المرشد أو المبلّغ إذا انكشفت لك قبائح فعاله ومعاصيه الماضية مع علمك أنّه قد أقلع عنها الآن وتاب سوف لا يؤثّر فيك كما لو كان معصوماً من الزلل ومبرّءاً من الدنس والذنب، والعلّة في ذلك لِمَا في ذهنك من صورةٍ قبيحةٍ عن سلوك ذلك المبلّغ النبي، فلا تطمئنّ النفس إلى أقواله أو سلوكه الجديد؛ لأنّك ترى في حقّ هذا النبيّ أنّ مقارفته للذنب ثانيةً محتملة طالما كانت له سابقة غير مرضيّة...

أمّا المبلّغ ـ النبيّ ـ الذي عرفت طهارته ونزاهته وعصمته منذ ولادته إلى حين وفاته فتأثيره في النفوس والانقياد إليه شيء مسلّم، بخلاف من تقدّم؛ لأنّ طبائع البشر تنقاد لسحرِ الفضلية، وللقلوب الطاهرة، وللعصمة المتمثّلة في الأنبياء، وهكذا. فالناس منقادة إلى عيّناتٍ خالصةٍ من الإثم، نقيةٍ من الزلل، معصومةٍ عن الخطأ، وهذه العيّنات والجواهر هم الأنبياء والرسل (عليهم السلام) .

كلّ ما تقدم من الاستدال كما هو ينطبق على الأنبياء كذلك ينطبق على

المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) في تنزيههم عن المعاصي والدنس؛ وذلك بصريح الآية الكريمة: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾**[1].

هذه جملة من الإيرادات والردود التي أردنا ذكرها، وتركنا التفصيل إلى مجالٍ آخر إذا شاء الله سبحانه، آملاً أن ينتفع بها القارئ، وعند الله الصواب، وإليه المآب. ونعود إلى ما أشرنا إليه في أوّل البحث:

إنّ المعصية التي ذكرها القرآن الكريم بالنسبة لآدم (عليه السلام) ـ كما يظهر ـ أنّه ترك الأولى المندوب إليه، والاستعمال هنا يحمل على المجاز، ولا يمكن القياس عليه.

وَمن يدقّق النظر في القرآن الكريم يجد آياتٍ كثيرةٍ في هذا الخصوص لذا تُحمل المعصية هنا على المعنى الواسع الذي يدخل فيه المجاز، هذا، والله العالم.

أمّا الغواية: فيراد بها: الخيبة من حصول الثواب؛ لأنّه (عليه السلام) ترك المندوب إليه الذي يستحقّ بفعله ـ المندوب ـ الثواب الكامل، والله أدرى بحقائق الأمور.

جواب الفقرة الثالثة:

اتّضح ممّا سبق: أنّ آدم (عليه السلام) ترك الاولى؛ أي: الشيء المندوب إليه، وبهذا الفعل فوّت على نفسه الثواب والمنزلة العظيمة التي تمثّلت بوجوده في الجنّة وقربه من الله عزّوجلّ، وارتفاع التكليف وعناء الحياة عنه...الخ. فدعاؤهما: **﴿ربّنا ظلمنا أنفسنا...﴾** يَعْني: أنّنا حرمنا أنفسنا من ذلك الثواب المرجوّ لنا، فالظلم هنا يراد به النقص؛ وهذا شأن من فوّت على نفسه جملةً من

---

(١) الأحزاب / ٣٣.

المنافع والامتيازات بتركه الإرشادات والتوصيات فيصف نفسه ـ حينئذٍ ـ أنّه ظلمها لذهاب تلك المنافع من عنده.

ويحتمل هناك قول آخر في كلمة ﴿**ظلمنا أنفسنا**﴾، حيث قيل: ظلمنا أنفسنا بالنزول إلى الأرض، ومفارقة العيش الرغد، كما حكاه الطبرسي[١].

جواب الفقرة الرابعة:

نُسب الإزلال إلى الشيطان لأنّه كان سبباً في حمل آدم (عليه السلام) على الأكل من الشجرة، عن طريق الإغواء والوسوسة والقَسَم الكاذب والإغراء، وإلى غير ذلك من الأساليب التي جاء بها إبليس عليه اللعنة، وهذا الأسلوب حمل آدم وحوّاء عليهما السلام على الزلّة، وهو الأكل.

أمّا سبب ذلك الإغواء هو: لما في نفس إبليس من عداوةٍ وبغضاء وحسدٍ لآدم، والقرآن الكريم يبيّن لنا هذه العداوة في قوله تعالى: ﴿**وإذ قُلْنَا لِلمَلاَئِكَةِ اسجُدُوا لآدمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبلِيسَ أبَى * فَقُلنَا يا آدَمُ إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ ولِزَوجِكَ فَلاَ يُخرِجَنَّكُمَا مِن الجَنَّةِ فَتَشقَى...**﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿**ونَادَاهُما رَبُّهُما أَلَم أَنهَكُمَا عن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وأَقُل لَّكُمَا إنّ الشَّيطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[٣].

وهكذا قل بالنسبة للإخراج، حيث نسبه تعالى إلى إبليس؛ لأنّه كان سبباً له.

---

(١) انظر مجمع البيان، في تفسير الآية.

(٢) طه / ١١٦ ـ ١١٧.

(٣) الأعراف / ٢٢.

جواب الفقرة الخامسة:

لم يكن إخراج آدم وحوّاء (عليهما السلام) من الجنّة على سبيل العقوبة، بل هو أمر تكوينيّ ناتج عن مصلحة.

والمصلحة اختلفت باختلاف الأحوال، أي: كانت المصلحة ببقاء آدم وحوّاء في الجنّة، لكن بشرط الطاعة وامتثال أوامر الله سبحانه وتعالى التي منها: عدم الاقتراب من الشجرة، أو عدم الأكل منها. ولمّا أكلا منها تغيّرت المصلحة تلك وتبدّلت وأصبح هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض هو الغرض فيما بعد، وهذه مصلحة أُخرى، لذا كان الأمر تكوينياً؛ أي: أن هبوطهما كان نتيجة الأكل، كما أنّ النار يتبعها الإحراق والرماد، وأنّ تناول السمّ يتبعه القتل. إذن، ليس بين هذه الأمور ونتائجها تلازم في التشريع، بل تلازم في التكوين، ولمثل هذا قل في شأن آدم وهبوطه إلى الأرض.

وكما يتّضح من الآيات الكريمة: أنّ آدم خُلق لأن يعيش ويحيا في الأرض لا في السماء، انظر إلى آية الكريمة: **﴿وإذْ قَالَ رَبُّكَ للملائِكَةِ إنّي جاعِلٌ فِي الأرضِ خَلِيفَةً...﴾**[1] يا ترى من هو الخليفة؟

هو آدم وذرّيّته من بعده، ومثل ذلك نقرأ في سورة يونس: **﴿ثمّ جعلناكم خلائق في الأرض...﴾**[2]، وكذا في سورة النمل: **﴿ويجعلكم خلفاءَ الأرض﴾**[3]، فالمراد هنا: عموم الخلافة التي مثّلها الإنسان.

فالحكمة الإلهيّة اقتضت ـ بعد أكل آدم من الشجرة ـ الهبوط إلى الأرض، مع تدارك الرحمة لهذا الانسان الضعيف الذي حمل الأمانة التي أبت الملائكة

---

(١) البقرة / ٣٠.

(٢) يونس / ١٤.

(٣) النمل / ٦٢.

والسماوات والأرض أن تحملها، وقد حملها الإنسان وهو ظلوم جهول[١]، أي: نصب نفسه للتعب والعناء والمشقّة والكدّ والكدح. ومع كلّ ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى أحاطه برحمةٍ منه وشفقةٍ، وتجاوز عنه بمنّه وإحسانه، فعلّمه التوبة آنذاك في مقام الخروج عن العبوديّة له، وتقبّل منه تلك التوبة بعدما أناب إليه واستغفر لذنبه.

لذا خروج آدم من الجنّة لم يكن عقاباً له؛ لأنّنا قلنا سابقاً: لا يصحّ من الأنبياء وقوع الذنب والمعصية في الأمر المولويّ الموجّه لهم.

وإذا سلّمنا ـ جدلاً ـ وقوع المعصية من آدم وحوّاء فإنّ توبتهما واستغفارهما يجعلهما كمن لا ذنب له، وحينئذٍ فلابدّ من إعادة المنزلة لهما وعودهما إلى القرب الذي كانا عليه، وكلّ ذلك متمثّل بالجنّة التي سكنها آدم وحواء، ومع ذلك لم يُعدْ آدم وزوجه إلى الجنّة ثانيةً.

إذن، المعصية لم تصدر من آدم على الوجه الذي يدّعيه أكثريّة علماء أهل السنّة. كما لابدّ أن يكون النهي في الآية: ﴿**لا تقربا الشجرة...**﴾ نهياً تنزيهيّاً.

ولمّا أكلا من الشجرة بمعنى أنّهما تركا الأولى المندوب إليه، والهبوط إنّما كان لأنّه أمرٌ ملازم للأكل كنتيجةٍ، وليس كعقوبة؛ لأنّ العقوبة أعمّ من الضرب، فتمشل كلّ ألم نفسانيٍّ، فمنه الطرد والبعد والصدّ والإعراض...الخ الواقع على سبيل الإهانةً والاستخفاف، وما حصل لآدم لم يكن على هذا السبيل، بل إنّه كان من المقرّبين المصطفين عندالله بصريح القرآن الكريم حيث قوله تعالى: ﴿**إنّ اللهَ اصطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إبَراهِيمَ وآلَ عِمرَانَ على العَالمِين**﴾[٢]، وكذا قوله تعالى: ﴿**ثمّ اجتباه ربّه فتاب وهدى**﴾[٣].

---

(١) ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾. الأحزاب / ٧٢.

(٢) آل عمران / ٣٣.

(٣) طه / ١٢٢.

وهذه الرحمة لم تقتصر على آدم وحده (عليه السلام)، بل شملت أبناءه وذرّيّته طول التاريخ، وقوله تعالى في ذلك: **﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات...﴾**[1].

إضافةً إلى ما تقدّم، لدينا روايات كثيرة معتبرة عن طريق أهل البيت عليهم السلام تدلّل على أنّ آدم ما خلق للجنّة بل خلق للأرض، وأن يعيش فيها ويحيا على أديمها ويأكل من نباتها...

فمن هذه الروايات: ما في تفسير العياشي والبرهان وغيرهما محكيّاً عن زرارة، قال: دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) فقال: أيّ شيءٍ عندك من أحاديث الشيعة؟ فقلت: إنّ عندي منها شيئاً كثيراً، فقد هممت أن أوقد لها ناراً فأحرقها، فقال (عليه السلام): وارها تنس ما أنكرت منها، فخطر على بالي الآدميّون، فقال: ما كان علم الملائكة حيث قالوا: **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾** قال: وكان يقول أبو عبدالله (عليه السلام): إذا حدّث بهذا الحديث هو كَسْرٌ على القدرية، ثم قال أبو عبدالله (عليه السلام): إنّ آدم (عليه السلام) كان له في السماء خليل من الملائكة فلمّا هبط آدم من السماء إلى الأرض استوحش الملك وشكا إلى الله تعالى، وسأله أن يأذن له، فأذن له، فهبط عليه فوجده قاعداً في قفرةٍ من الأرض، فلمّا رآه آدم وضع يده على رأسه وصاح صيحةً، قال أبو عبدالله (عليه السلام): يروون: أنّه أسمع عامّة الخلق، فقال له الملك: يا آدم، ما أراك إلاّ وقد عصيت ربّك وحملت على نفسك ما لا تطيق، أتدري ما قال لنا الله فيك فرددنا عليه؟ قال: لا، قال: قال: **﴿إنّي جاعلك في الأرض خليفة﴾** قلنا: **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾** فهو خلقك أن تكون في الأرض. أيستقيم أن تكون في

---

(١) الاسراء / ٧٠.

السماء؟ قال أبو عبدالله (عليه السلام): والله عزّى بها آدم ثلاثاً[١].

جواب الفقرة السادسة:

اعلم: أنّ التوبة بحدّ ذاتها لا تُسقِط العقاب، وإنّما يُسقِطه الله تعالى تفضّلاً ولطفاً منه. أمّا ما توجبه التوبة فهو استحقاق الثواب.

وقبول التوبة من العبد هو ضمان الثواب له عليها، لذا كانت التوبة من آدم على هذا الوجه.

أضف إلى ذلك: أنّ توبة الأنبياء لا توصف بتوبة سائر العباد؛ لأنّ منزلة الأنبياء ومعرفتهم لعظمة الله وقدرته وجبروته وسلطانه غير معرفة البشر، لذا يستعظمون من أنفسهم الزلل اليسير ولو كان على سبيل ترك الأولى؛ فيُديمون التوبة والاستغفار مدى وجودهم في الدنيا، وهذا هو الانقطاع إلى الله سبحانه والرجوع إليه في كلّ آنٍ؛ وذلك ممّا يثاب عليه العبد ويؤجر.

(١) انظر تفسير العياشي ١ / ٣٢، وتفسير البرهان ١ / ٧٥، والبحار ١١ / ٢١١ ـ ٢١٢.

فصل في التوبة

التوبة والإنابة والإقلاع في اللغة نظائر، وضدّ التوبة الإصرار، وأصل التوبة: هو الرجوع عمّا سلف، والندم على ما فرّط، والانقطاع إلى الله. والتوب: مصدر للفعل تاب، واسم فاعله تائب، ومن صِيغ المبالغة لاسم الفاعل هو فعّال، توّاب، بمعنى: كثير التوب، وكثير الندم والانقطاع، وهذا ما يصدق على العبد.

وقد وصف الله نفسه بأنّه توّاب رحيم فهل يراد به المعنى السابق...؟

كلا؛ لأنّ المعنى المتقدّم يختصّ بمن ارتكب الذنب، وهو العبد. اذن، لابدّ من معنىً آخر، وهذا المعنى الآخر هو: أنّه يقبل التوبة من عباده فالله تائب على العبد بقبول توبته، والعبد تائب إلى الله تعالى بندمه على معصيته.

وقبول التوبة ليس واجباً على الله تعالى، وانّما قبولها من باب اللطف الربّانيّ والإحسان الدائم. إذن، هو سبحانه متفضّل علينا بقبول التوبة.

وممّا يؤكّد هذا المعنى: خاتمه الآية التي في صدر البحث، إذْ خُتمت بكملة «الرحيم»، وهذه الصفة دلّت على أنّ قبول التوبة هي رحمة إلهيّة، ونعمة أنعمها الله على عبادة.

ثمّ كلمة توّاب التي جاءت على صيغة الكثرة تأكيد آخر على قبول التوبة؛ وإلاّ كان يقول: هو التائب على صيغة اسم فاعل، ومعلوم أنّ هذه الصيغة لا تعطي معنى الاهتمام للتوبة، فهي أقلّ بلاغةً من سابقتها.

فالتوبة ـ كما عرفت ـ من العبد هو: رجوع العبد إلى الله بالطاعة والانقياد بعدما عصى وطغى، والتوبة من الله تعالى: هو رجوعه بالعطف على عبده بإلهامه التوبة أوّلاً، ثمّ قبوله إيّاها من العبد ثانيةً، لذا فإنّ لله توبتين، وللعبد واحدة بين

التوبتين، قال تعالى: **﴿ثم تـاب الله عـليهم لـيتوبوا﴾**[١]، بـمعنى: وفّـقهم، أو ألهمهم التوبة ليرجعوا، ثمّ إذا رجعوا قَبِل توبتهم؛ لأنّه هو التوّاب الرحيم.

شروط التوبة:

من أهمّ شروط التوبة هو: الندم على ما مضى من القبيح وارتكاب الذنب، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح.

وقد أجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها، واختلفوا فيما عداها، ولا يقتصر الندم على ترك القبيح الذي أمرنا الشارع بتركه، بل يشمل أيضاً الندم على ترك المندوب حتّى لا يغفل الإنسان عن طاعة ربّه، ولا يبتعد عن ساحة لطفه ورحمته، بل إنّ ترك المندوب ربّما يكون مقدّمةً لارتكاب المكـروه، أو الوقوع في المحذور.

وقد حثّنا الله ـ عزوجلّ ـ على التوبة من الذنب، والإقدام على الطـاعة، والاستغفار في كلّ لحظة، وضمن لنا المغفرة وقـبول التـوبة، وانـزال الرحـمة والرضوان، وفي ذلك شواهد كثيرة في القرآن:

منها: قوله تعالى: **﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصـلح فـإنّ اللهَ يـتوب عليه﴾**[٢].

وقوله تعالى: **﴿وإنّـي لغـفّار لمـن تـاب وآمـن وعـمل صـالحاً ثـمّ اهتدى﴾**[٣].

وقوله تعالى: **﴿والذّين عملوا السّيئات ثمّ تابوا من بعدها وآمـنوا إنّ**

---

(١) التوبة / ١١٨.

(٢) المائدة / ٣٩.

(٣) طه / ٨٢.

ربّك من بعدها لغفور رحيم﴾[١].

وقوله تعالى: **﴿إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين﴾**[٢].

وقوله تعالى: **﴿يا أيّها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً﴾**[٣].

وقوله تعالى: **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيُّهَ المؤمنون لعلّكم تفلحون﴾**[٤].

إلى ماشاء الله من الآيات الكريمة التي تقدّر بأكثر من (٤٠) آيةً وردت فيها كلمة التوب ومشتقاتها.

ولا يخفى أنّ التوبة: هي عبادة رغّب إليها الجليل على أنّها واجبة من العبد[٥]، وهي تكشف لنا حقيقة عبودية الإنسان لله سبحانه من جهةٍ، واحتياج الإنسان إلى الله الغنيّ في كلّ الأمور والأحوال من جهةٍ أُخرى.

ولا فرق في أن تكون التوبة من المعاصي والكبائر، أو أن تكون من الصغائر واللِمم.

وخلاصة الموضوع نقول: التوبة شأنها شأن المريض الذي يطلب الشفاء فيَصِفَ له الطبيب نوعين من الدواء: الأوّل يسمّى بالتنقية، والثاني يسمى بالتقوية؛ فالأوّل سلبيّ، والثاني إيجابي. ويندرج تحت القسم الأوّل مراتب أربع هي: تفريق ونقض وترك ورفض. والتفريق هو الفصل بين الشيئين، والنقض رفع الأشياء المستحقرة عن الشيء الأصل؛ موضع القذارة عن الملابس. والترك هو الانقطاع عن الشيء. والرفض هو الترك مع إهمالٍ وعدم مبالاة.

---

(١) الأعراف / ١٥٣.

(٢) البقرة / ٢٢٢.

(٣) التحريم / ٨.

(٤) النور / ٣١.

(٥) البحار ١١ / ٢١٢.

تأويل الآية بالدليل الروائي

في البحار محكيّاً عن الدرّ الثمين: أنّ آدم (عليه السلام) رأى ساق العرش وأسماء النبيّ (صلى الله عليه وآله) والأئمّة (عليهم السلام) فلقّنه جبرئيل دعاءً: قل: يا حميد بحقّ محمد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلمّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل، في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي، قال جبرئيل: ولدك هذا يُصاب بمصيبةٍ تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي، وما هي؟ قال: يُقتل عطشاناً وحيداً غريباً فريداً، ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: وا عطشاه، وا قلّة ناصراه، حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد إلاّ بالسيوف وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحلَه أعداؤه، وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النساء كذلك، سبق في علم الواحد المنّان، فبكى آدم (عليه السلام) وجبرئيل بكاء الثكلى»[١].

أقول: لا يستبعد أن تكون الكلمات التي تلقّاها آدم (عليه السلام) من ربّه قد تضمّنت بعض المضامين المخصوصة لإصلاح الفاسد من الأمور، ولا شكّ أنّ معصية آدم التي ذكرت في القرآن كان إصلاحها التوبة والاستغفار والدعاء، وقد أشارت الأخبار المتضافرة من أهل البيت (عليهم السلام) : أنّ هذه الكلمات هي: النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) وعليّ وفاطمة والحسين والحسين عليهم السلام، لذا دعا بها آدم (عليه السلام) ربّه فتاب عليه، والله العالم بحقائق الأمور[٢].

وفي تفسير البرهان بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال سألت

---

(١) البحار ٤٤ / ٤٥ نقلاً عن كتاب الدرّ الثمين.

(٢) انظر تفسير العيّاشي ١ / ٤١.

النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه؟ قال: سأله بحقّ محمدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ فتاب عليه[١]. وفيه سبعة عشر حديثاً بطرقٍ مختلفةٍ تفسر الكلمات بالخمسة المعصومين (عليهم السلام) بألفاظ متقاربة فراجع.

وكذا أخرجه ابن النجّار عن ابن عبّاس. وذكره السيوطيّ في الدرّ المنثور[٢].

وفي مناقب ابن المغازلي: عن أحمد بن محمد بن عبد الوهّاب إجازةً، أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبيدالله بن شَوْذَب، حدّثنا محمد بن عثمان، قال: حدّثني محمد بن سليمان بن الحارث، حدّثنا محمد بن عليّ بن خَلَف العطار، حدّثنا حسين الأشْعر، حدّثنا عمرو ابن أبي المقدام، عن أبيه، عن سعيد بن جُبير، عن عبدالله بن عبّاس قال: سئل النبي (صلى الله عليه وآله) عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه؟ قال: سأله «بحقّ محمدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تُبْتَ عليَّ» فتاب عليه[٣].

(١) تفسير البرهان ١ / ٨٧ ط، طهران.

(٢) الدرّ المنثور ١ / ٦٠.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٦٣ ط الاسلامية طهران. وكذا نقل منه العلامة القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص ٩٧. وكذا في تفسير اللوامع ج ١ / ٢١٩.

الآية الثانية:

قوله تعالى..

﴿وإذْ نجّيناكم من آلِ فرعونَ يسومونكم سوءَ العـذابِ يُـذبِّحون أبـناءكم ويستحيون نساءَكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربِّكم عظيم﴾(١)

نجيّناكم بمعنى: أنقذناكم وخلّصناكم، ومنه سمّي المكان المرتفع: نجوة؛ لأنّه يخلّص مَنْ التجأ إليه، فهو بمنزلة الحصن والمأوى للهاربين.

والآل تستعمل لخاصّة الرجل. أما الأهل فهم خاصّة الشيء فتقول مثلاً: أهل مكّة، ولا تقول آل مكّة.

وفرعون صفة لملك العمالقة، كما يتّضح من تسمية ملك اليمين (تبّع)، وملك الحبشة (النجاشيّ)، وملك الروم (قيصر)، وملك الترك (خاقان)؛ فهذه صفات لأولئك الملوك.

وذهب آخرون إلى أنّه اسم لكلٍّ مِن: ملِك القبط ومصر(٢).

واسم فرعون ـ كما قيل ـ: مصعب بن الريّان. وبعضهم قال: هو الوليد بن مصعب، وآخرون قالوا: اسمه قابوس، وكان من القبط.

وكيف ما كان، فإنّ فرعون موسى غير فرعون يوسف؛ لأنّ الفاصل الزمنيّ بين دخول يوسف (عليه السلام) مصر وبين دخول موسى (عليه السلام) لها أكثر من أربعمائة سنة.

وإذا كان عزيز مصر المقصود منه هو فرعون موسى، وأنّ فرعون طغى في الأرض وقال: **﴿أنا ربّكم الأعلى﴾** فكيف يصحّ لنبيّ الله يوسف (عليه السلام) أن يدخل في ملك الكافر ويكون أميناً على خزائنه ويعمل لصالح سلطنته؟!

مع العلم أنّ عزيز مصر آمن بيوسف (عليه السلام) ومات في حياته...

---

(١) البقرة / ٤٩.

(٢) كما ذهب إليه السُهيلي.

ولذا فقول ابن وهب ـ في جعل فرعون يوسف هو فرعون موسى ـ مردود وغير صحيح.

والسوم: هو الطلب والابتغاء، ﴿**يسومونكم سوء العذاب**﴾ أي: يكلّفونكم بممارسة الأعمال الشاقّة والمتبذّلة التي فيها الإهانة والازدراء والمنقصة.

فكلمة سوء العذاب التي استعملت في أشدّ العذاب وأفضعه بيان لكيفيّة السوم والتكليف(١).

وهذا واضح عندما يتحكّم الطاغوت في رقاب الضعفاء من الرعيّة فإنّه يُقهرهم على ممارسة الأعمال بشتّى صورها وألوانها التي تخالف الفطرة والعدالة الإنسانية.

وهذا تذكير لبني إسرائيل الذين عاصروا الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والرسالة الإسلامية، ثمّ إعادتهم إلى مشهد الكرب العظيم الذي مارسه بحقّهم فرعون موسى، فصوّرت لهم الآية مشاهد العذاب والإهانة؛ لذا استخدمت الآية الكريمة كلمة (السوم) التي بمعنى: الطلب والابتغاء، وفي الأصل تستعمل للماشية عندما تترك للرعي دائماً، فكأنّما العذاب والهوان كان الغذاء الدائم المقدّم لهم من قبل طاغيتهم فرعون.

وليس من العبث أن يُذكِّرهم القرآن الكريم بشأن أسلافهم الماضين؛ لأنّ هؤلاء أبناء القوم، وهم ﴿**على آثارهم مقتفون**﴾، فالقرآن المجيد يريد أن يصوّر ذلّتهم بالتبعيّة، وذلّة آبائهم في الأصل، وكلّ ذلك إنّما كان لأنّه امتحان وابتلاء؛ كي يفيق العبد من سكرته وغفلته الطويلة، وفي الامتحان يتدارك الإنسان جملةً من المواقف، فيكسبها لصالحه، ويتّعظ بما فرّط وبما حلّ به من البلاء، وينهض للجدّ والاستقامة فالتجربة المؤلمة تزيد الإنسان ثباتاً، وتصقل آراءه، وتهذّب عقيدته، وتأخذ بيده إلى الطريق السوي.

---

(١) حمل البعض (سوء العذاب) فقط على التكاليف الشاقه دون الذبح. انظرهامش رقم (٢) من الصفحة الآتية

هذا إذا كان المرء يستلهم المعرفة والخبرة من تلك الابتلاءات والآلام التي صادفته، فيزداد صبراً وتضرّعاً لله، وثباتاً في انتظار الفرج، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله سبحانه، بل يحثّ نفسه على التقوى والعبادة والإخلاص أكثر من ذي قبل. وإذا لم يعتبر المرء بالابتلاءات والمحن التي تمر عليه فلا نصيب له من النجاة بشيء.

ثمّ تلوّح الآية لهم مشهد النجاة والطمأنينة بقبولهم الإسلام والدخول فيه، والعمل لصالح الدين الجديد ومن يستظلّ بظلّه، وهذا المعنى يتأكد أكثر في الآية التي بعدها(١).

والنتيجة: أنّ الآية الكريمة جعلت اليهود في حالة تذكّرٍ دائم بما فعله فرعون مع اسلافهم، حيث كان يسخّرهم في عمل الطين، ونحت الجّبال، ورفع الأثقال والحجر والقمامة. كما فرض على البعض منهم دفع الجزية. ولم يكتف بهذا، بل زادهم مع ذلك الهوان وذلك العناء أن قيّدهم لئلاّ يهربوا، وربّما سقط أحدهم من السلالم فيكون الموت حليفه.

ومن جملة سوء العذاب: هو قتل الأبناء(٢)، واستحياء النساء؛ أي: إستبقاءهنّ للاسترقاق والخدمة، وربّما افترشوهنّ كالإماء، وهذا هو البلاء العظيم، كما وصفته الآية الكريمة.

---

(١) أي: في الآية / ٥٠ من سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾.

(٢) حمل البعض (سوء العذاب) فقط على التكاليف الشاقّة دون الذبح. أمّا الأبناء فيراد بهم: الأطفال الذكور منهم دون الإناث؛ لأنّ فرعون استعلم من المنجّمين أنّ ذهاب ملكه سيكون على يد مولودٍ من بني إسرائيل، لذا وكّل القوابل على النساء حتّى يضعن، فإن كان المولود ذكراً قتلوه، وإن كان أنثى تركوها.

وفي بعض الأخبار: أنّ فرعون قتل أربعين ألف صبيّ، وفي أخبارٍ أخرى: أنّه كان يقتل الرجال، وإذا صدقت عليهم كلمة الأبناء إنّما هو من باب المجاز باعتبار ما كانوا وهذا شبيه قوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم...﴾.

تأويل الآية والدليل الروائيّ من باب الجري

نظير ذلك الأمر في هذه الأمّة: ما نزل بالحسين (عليه السلام) وعترته الطاهرة، وكأنّه (عليه السلام) أشار إلى الآية الكريمة، حيث قال ـ حين وداعه لأهل بيته ـ في جوابه لأخته زينب لمّا قالت ردّنا إلى حرم جدّنا، قال: وكأنّي أراكم غير بعيدٍ كالعبيد، يسوقونكم أمام الركاب، ويسومونكم سوء العذاب.

وفي البحار: عن تفسير القمّي، عن الصادق (عليه السلام) قال: لقي المنهال بن عمرو الإمام عليَّ بن الحسين (عليهما السلام) فقال له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال (عليه السلام) ويحك، أما تعلم كيف أصبحت؟ أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبّحون أبناءَنا ويستحيون نساءنا.

وفي رواية السيّد الأمين: خرج زين العابدين (عليه السلام) يوماً يمشي في أسواق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو، فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ قال: أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. يا منهال، أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمداً عربي، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشرّدون **﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾** ممّا أمسينا فيه يا منهال[1].

أقول: ما أوردناه في هذا الدليل هو من باب الجري، بمعنى: أنّ من مصاديق الآية الكريمة هم ذرّيّة الرسول الذين لاقوا شتّى ألوان العذاب من بني أُميّة، كما لاقى بنو إسرائيل هناك ألواناً من العذاب لمّا كانوا تحت سطوة فرعون وحكمه الغاشم، لكنّ فعل بني أُميّة كان أشدّ قسوةً من فرعون؛ لأنّ فرعون

(١) البحار ٤٥ / ٨٤ و١٤٣، المجالس للسيد الأمين ص ١٤١.

مارس في حقّ بني إسرائيل القتل والتشريد وإذلال النـاس واسـتحياء النسـاء، وغير ذلك من وسائل التعذيب والازدراء، إلاّ أنّه مع الفارق بالنسبة إلى بني أُميّة وما فعلوه بالحسين وأهل بيته عليهم السلام؛ وذلك أنّ ما حصل لبني إسرائيل أقلّ هواناً، حيث ما كان من بين هؤلاء المقتولين أو المعذّبين أو المشرّدين معصوم، وما كان من بينهم أحد ينتسب إلى ذرّيّة نبيّهم.

ثمّ إنّ فرعون لم يكن مؤمناً بربّ السماء، وما كان مذعناً لموسى ولا مؤمناً بنبوّته أو غير ذلك؛ فهما على طرفي نقيضٍ من حيث الكفر والإيمان والعقيدة.

أمّا بنو أُميّة فظاهراً كانوا يدّعون الإسلام ويزعمون أنّهم مـوحّدون وإن خالف عملهم قولهم، سعياً وراء الحياة الدنيا وزخـرفها الاّ أن هـذا الإدعـاء لا ينفعهم إذ في عدّة أماكن ومواقف خرج منهم قولاً وعملاً ما يستدلّ به عـلى كفرهم وجحودهم وانكارهم لضرورات الدين[1] فاتّبعوا الباطل وتركوا الحقّ والهدى وراء ظهورهم. هذا من جهة.

ومن جهة أُخرى: فإن يزيد وبني أُميّة لم يحاربوا إنساناً عاديّاً أو جرمقاً من جرامقة الكوفة أو صعلوكاً من صعاليك البادية، بل أقدموا وجـهّزوا العُـدّة والعدد لمحاربة حجّة الله في أرضه، وهو ابن بنت نبيّهم المفترض الطاعة، الذي ليس على وجه الأرض غيره، فهذا ممّا يهوّل المصاب ويجعله عظيماً بحيث تتصاغر المصائب والوقائع تجاهها، ويقلّ الخطب دونها، وأيّ رزيةٍ أعظم من رزية الحسين (عليه السلام) ؟ وأيّ فادحةٍ أكبر من فادحة يوم الطفّ...؟!

أضـف إلى مـا تـقدّم، أنّ يـزيد وأتـباعه الذيـن إشـتركوا فـي حـرب الحسين(عليه السلام) لم يكتفوا بالحسين وحده، بل ذبّحوا أبناءَه وقتلوا إخوته وأهل

---

(١) سنُوقف القارئ الكريم في المكان المناسب ـ إن شاء الله ـ على بعض تلك الشواهد التي صدرت عن خلفاء بني أُميّة والتي لا يمكن تأويلها، بل صراحة فيها الإنكار والجحود لكثيرٍ من ضرورات الدين.

بيته الذين جلّهم من السلالة الطاهرة لبيت النبي، ثم من بعد القتل مثّلوا بأجسادهم وقطّعوا أوصالهم ورفعوا رؤوسهم على الرماح يتهادونها فيما بينهم، يتنقّلون بهم فرحين من بلدٍ إلى آخر.

وأضف إلى ذلك، أنّ من بين المعذّبين والمشرّدين كان الإمام زين العابدين والامام محمد الباقر صغيراً وهذا من هوان الدنيا على أُمّة محمدٍ أن ترى أئمّتها أسرى قد انتهكت حرماتهم، يقاسون شتّى ألوان العذاب من طاغية عصرهم يزيد وأتباعه من بني أُميّة وسائر العرب.

الآية الثالثة:

قوله تعالى..

﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظةً للمتّقين﴾(١)

يراد بالاعتداء هنا: التجاوز على أمر الله، إذ حصل منهم التجاوز بالاصطياد في يوم السبت. والسبت هو أحد أيام الأسبوع، وسمي ذلك اليوم سبتاً لأنّ اليهود كانوا يسبتون فيه، أي: يقطعون فيه الأعمال. وربّما قيل: هو يوم الراحة؛ لأنّ أصل السبت هو السكون والراحة كما ذكره القرآن الكريم **﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾**(٢). والخاسئ المطرود والمبعد.

روي عن ابن عباس: أنّ الذين اعتدوا في السبت كانوا في زمان داود(عليه السلام)، يستقرّون على ساحل البحر بين المدينة والشام بـ«أيلة»، وهو مكان من البحر، يجتمع الحيتان فيه من كلّ مكانٍ في شهرٍ من السنّة، وفي غير ذلك الشهر في كل سبتٍ خاصّة، كما في قوله تعالى: **﴿تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم...﴾**(٣).

أمّا كيفيّة الاعتداء فكانوا يحبسونها يوم السبت ويصطادونها في الأحد.

وروي: أنّهم اصطادوا يوم السبت مستحلّين بعدما نهوا عنه، وقد ذكر القرآن الكريم القرية التي كانت تمنعهم من الاصطياد في قوله تعالى: **﴿وَسْئَلْهُم**

---

(١) البقرة / ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) النبأ / ٩.

(٣) الأعراف / ١٦٣.

عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذْ يعدون في السبت﴾[(١)]. ولفعلهم ذاك استحقّوا المسخ من صورة إنسانٍ إلى صورة حيوانٍ على هيئة القرد المعهود.

وقد اختلف المفسّرون في معنى المسخ، فمنهم قال: مسخ قلوبهم، بمعنى الطبع والختم، وهذا بعيد عن ظاهر الآية التي أفادت التغيير في الخلقه. وقد صرّح القرآن الكريم في موطنٍ آخر تحذيراً لأهل الكتاب الذين يصدّون عن ذكر الله، فقال عزّ من قائل: **﴿يا أيّها الذين أُوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا مصدّقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها...﴾**[(٢)]، فالطمس: هو التغيير وتحويل الوجه إلى الخلف، وهذا تغيير في الخلقة.

وروي عن مجاهد: أنّهم لم يمسخوا قردةً، وإنّما هو مَثَل ضربه الله؛ كما في قوله تعالى: **﴿مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراة ثُم لم يحمِلُوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً...﴾**[(٣)]. وهذا القول أيضاً لا يساعد عليه السياق[(٤)].

ثمّ هل أنّ القردة اليوم هي من نسل أُولئك الذين مُسخوا؟

روي عن ابن عبّاس: أنّ الذين مُسخوا بقوا ثلاثة أيّامٍ لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، ثمّ أهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبّت عليهم فقذفتهم في البحر.

وفي الآية إشارة إلى أحد معاجز الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ، حيث أخبره الوحي عن قصص وأفعال اليهود في زمن موسى (عليه السلام) . وكما عرفت أنّ الخطاب في الآية الشريفة موجّه إلى اليهود الذين كانوا على عهد الرسول(صلى الله عليه وآله) . لذا ففي الآية تحذير لهؤلاء؛ فكأنّه قال لهم: أما تخافون أن

(١) الأعراف / ١٦٣.

(٢) النساء / ٤٧.

(٣) الجمعة / ٥.

(٤) انظر تفسير مجاهد ١ / ٧٧.

ينزّل عليكم العذاب ـ بسبب تمرّدكم ونقضكم المواعيد والعهود ـ كما نـزل بأسلافكم لأنّهم اعتدوا في السبت؟

أمّا تقريب ألفاظ الآية ﴿**ولقد علمتم الذين اعتدوا**﴾ أي: عرفتم أعيان المعتدين؛ لأنّهم أبناء بلدٍ واحدٍ وأُمّةٍ واحدة، لا سيّما أنّ لحـمة النسب كـانت بينهم.

وربما يقال: ﴿**ولقد علمتم**﴾ أي: علمتم أحكام المعتدين في السبت.

﴿**منكم**﴾ يحتمل إرادة حال المعتدين، وهم بعض الأمّة أو طائفة منها.

﴿**فقلنا لهم كونوا قردة**﴾، الأمر فيها يحمل على المجاز؛ لأنّ صيرورتهم إلى ما آلوا إليه ليس فيه تكسّب ونفع يذكر لهم، بل هم عاجزون عن هذا الفعل، وغير قادرين على قلب أعيانهم وذواتهم من الصورة الإنسـانيّة المـعهودة إلى صور حيوانيّة، لذا يحمل الأمر في الآية على سرعة التكوين والانقلاب من حالٍ إلى حالٍ أدون؛ لأنّ استعداد الأشياء وتقبّلها للأوامر ليس منوطاً بذواتـها، بـل ـحقيقة ـ منوطة بخالقها، ومن هنا أنّ الله إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، من دون لبث أو تخلّف.

وليس غريباً أن يستحيلوا قردةً بأبدانهم طالما انتكسوا إلى عالم الحيوان بأفكارهم وإراداتهم وأرواحهم.

﴿**خـاسئين**﴾، خسأ يـخسأ ـ الكـلب ـ إذا بَـعُد، والرجـل إذا طُـرِدَ وَبعُد. فالخاسئ الصاغر المبعد المطرود، وفي الآية ما يقرب من هذا المـعنى، فهم ـ المعتدون ـ مطرودون من رحمة الله التي وسعت كلّ شيء، وسبب ذلك الطرد ـ كما عرفت ـ هو تماديهم في البغي والاعتداء.

﴿**فجعلناها نكالاً**﴾، أي: صيرورتهم إلى أعيان القردة بالمسخ؛ وجعلنا ذلك عبرةً لغيرهم من اليهود والأمم اللاحقة.

ونكل به، أي: فعل به، وغايته: العقوبة والانتقام في ما يعتبر به غيره.

﴿**لما بين يديها وما خلفها**﴾، أي: لمعاصريهم ومن جاء بعدهم، وقيل غير ذلك. واستعمال «ما» بدلاً من الموصول «مَن» هو من البلاغة بمكان،حيث إنّ الآية ناظرة: إمّا إلى تحقير هؤلاء الذين اعتدوا بعد عظمتهم وكبريائهم وشموخ أُنوفهم، وإمّا للحالة التي صاروا إليها وهم قردة، ففي كلا الحالتين استعمل «ما» عوض «مَن»؛ لأنّ «ما» لغير العاقل و«مَن» للعاقل، وعلى تقدير المعنى الأوّل فإنّهم متلبّسون بالحيوانية من جهة أرواحهم وأفكارهم وخسّتهم النفسيّة، وعلى تقدير المعنى الثاني فهم قردة حقّاً.

﴿**وموعظة للمتّقين**﴾، الموعظة: ما ينبّه الضمير، ويذكّر العقل، ويلين القلب، والموعظة تكون في الترهيب والترغيب.

و«المتّقين» قيل: كل متّقٍ من كلّ أمّة.

وقيل: المتّقي من أُمّة محمدٍ (صلى الله عليه وآله) ، وقيل غير ذلك.

هذه تذكرة لليهود في زمن الرسول بشكلٍ خاصٍّ، وللبشريّة بشكلٍ عامٍّ، وتخويف وتحذير لكلّ أُمّةٍ تنحاز عن طريق الهدى والصواب إلى طريق العمى والضلال، فإنّ الله تعالى يأخذهم ـ كالذين سبقوهم ـ بشتّى أنواع العذاب والبلاء، فهل من متّعظ...؟

تأويل الآية والدليل الروائي

في تفسير الإمام العسكريّ: عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليهم السلام كان يذكر حال من مسخهم الله قردةً من بني إسرائيل، ويحكي قصّتهم، فلمّا بلغ آخرهم قال: إنّ الله تعالى مسخ هؤلاء القوم لاصطيادهم السمك، فكيف ترى عند الله ـ عزّوجلّ ـ يكون حال من قتل أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهتك حريمه؟

إنّ الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فإنّ المعدّ لهم من عذاب الآخرة

أضعاف أضعاف عذاب المسخ. فقيل: يا ابن رسول الله، فإنّا قد سمعنا مثل هذا الحديث، فقال: لنا بعض النُصّاب، فإن كان قتل الحسين باطلاً فهو أعظم من صيد السمك في السبت فما كان يغضب على قاتليه كما غضب على صيّادي السمك؟

قال عليّ بن الحسين: قُل لهؤلاء النُصّاب. فإن كان إبليس معاصيه أعظم مِنْ معاصي مَنْ كفر بإغوائه فأهلك الله مَنْ شاء منهم: كقوم نوح يغرقون، فَلِمَ لَمْ يهلك إبليس ـ لعنه الله ـ وهو أولى بالهلاك؟

فما بالهُ أهلكَ هؤلاء الذين قصروا عن إبليس في عمل الموبقات وأمهل إبليس مع إيثارهِ لكشف المخزيات؟ ألاّ كان ربّنا ـ عزّوجلّ ـ حكيماً بتدبيره وحكمه فيمن أهلك وفيمن استبقى، فكذلك هؤلاء الصائدون في السبت وهؤلاء القاتلون للحسين (عليه السلام) يفعل في الفريقين ما يعلم أنه أولى بالصواب والحكمة، ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون[1].

وفي البحار: عن كامل الزيارات بسنده، عن حسين ابن أبي العلاء قال: قال: والذي رفع إليه العرش لقد حدّثني أبوك بأصحاب الحسين (عليه السلام) لا ينقصون رجلاً ولا يزيدون رجلاً، تعتدي بهم هذه الأُمّة كما اعتدت بنو إسرائيل يوم السبت، وقيل: يوم السبت يوم عاشوراء.

قال المجلسيّ: هكذا وجدنا الخبر ولعلّه سقط منه شيء[2].

وفي الزيارة المشهورة: وأشهد أنّ الذين سفكوا دمك واستحلّوا حرمتك ملعونون على لسان داود وعيسى بن مريم؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون...

---

(١) رواه الطبرسي في الاحتجاج ص ١٦٠ بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام.
وانظر: تفسير البرهان ١ / ١٠٧، البحار ٤٥ / ٢٩٥، الاحتجاج / ٤٠ ط أُخرى.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه / ص ٧٣.

الآية الرابعة:

قوله تعالى..

﴿وإذْ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءَكم ولا تُخرجون أنفسَكم من ديارِكم ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون﴾(١)

كلمة «الميثاق» هنا وفي الآية التي قبلها في قوله تعالى: **﴿وإذْ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامىٰ والمساكين وقولوا للناس حُسنا وأقيموا الصّلوٰة وآتوا الزكوٰة ثمّ تولَّيتم إلا قليلاً مّنكم وأنتم مّعرضون﴾**(٢). وكذا في الآية: **﴿وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطورَ...﴾**(٣)، بمعنىً واحدٍ ـ كما يتّضح ـ وهو العهد. وربّما أُريد به الأدّلة من جهة العقل والشرع، كما لا ينافي فيما لو قيل: هو مواثيق الأنبياء على أممهم.

فهذه الآية والتي قبلها ـ المشار إليها ـ أكّدتا على عشرة أُمورٍ كُلّف بها الإنسان، وإن كان الخطاب موجّهاً بالخصوص إلى بني إسرائيل إلاّ أنّ جلّها خطاب عامّ لكافّة البشر، وهذه التكاليف العشرة في الآيتين هي:

أوّلها: توحيد الله سبحانه وتعالى، وعدم الإشراك به.

ثانيها: الاحسان إلى الوالدين.

ثالثها: الإحسان إلى ذوي القربى.

رابعها: الإحسان إلى اليتيم.

---

(١) البقرة / ٨٤.

(٢) البقرة / ٨٣.

(٣) البقرة / ٦٣.

خامسها: الإحسان إلى المسكين.

سادسها: مخاطبة الناس ومعاشرتهم بالقول الجميل والفعل الحسن.

سابعها: إقامة الصلاة.

ثامنها: إيتاء الزكاة.

تاسعها: عدم سفك الدماء بقتل بعضكم بعضاً.

وعاشرها: لا تقدِموا على أشياء إن فعلتموها تستحقّون بها الإخراج من دياركم وإبعادكم منها.

وربما قيل: لا يُخرج بعضكم بعضاً من ديارهم على سبيل الغلبة والغصب والاعتداء.

﴿**ثمّ أقررتم**﴾، الإقرار هو الرضا بالشيء والصبر عليه.

﴿**وأنتم تشهدون**﴾، أي: تشهدون على أنفسكم بالإقرار. وهناك معانٍ أُخر تُطلب في مضانّها، فراجع.

ثمّ اعلم: أنّ هذه الآية والتي قبلها هي من النعم التي خصّ الله سبحانه بها اليهود، إلاّ أنّهم ضيّعوها ومارعوها، حيث جمعت أهمّ التكاليف التي أوجبها الله عليهم.

كما أنّ امتثال أوامر الله موصل إلى أعظم النعم وأرقاها وهي الجنّة.

تأويل الآية والدليل الروائي

في تفسير البرهان، يرفعه إلى الرسول، قال (صلى الله عليه وآله): لمّا نزلت هذه الآية: ﴿**وإذْ أخذنا ميثاقكم...**﴾[1] في اليهود، هؤلاء اليهود نقضوا عهد الله وكذّبوا رسل الله، وقتلوا أولياء الله، أفلا أُنبئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الأُمّة؟! قالوا:

---

(١) البقرة / ٦٣، ٨٤، ٩٣.

بلى يا رسول الله، قال: قوم من اُمّتي ينتحلون بأنّهم من أهل ملّتي، يقتلون أفاضل ذرّيّتي وأطائب أرومتي، ويبدّلون شريعتي وسنّتي، ويقتلون ولديّ الحسن والحسين، كما قتل أسلاف اليهود ـ وهؤلاء ـ زكريّا ويحيى.

ألا وإنّ الله يلعنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهديّاً من ولد الحسين المظلوم (عليه السلام)، يجرفهم بسيوف أوليائه إلى نار جهنّم.

ألا ولعن الله قتلة الحسين ومحبّيهم وناصريهم والساكتين عن لعنهم من غير تقيّة تسكتهم.

ألا وصلّى الله على الباكين على الحسين بن عليّ رحمةً وشفقةً، واللاعنين لأعدائهم، والممتلين عليهم غيظاً وحنقاً.

ألا وإنّ الراضين بقتل الحسين (عليه السلام) شركاء قتلته.

ألا وإنّ قَتَلَتَهم وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم بُرآء من دين الله.

ألا وإنّ الله ليأمر ملائكته المقرّبين أن يتلقّوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين إلى الخزّان في الجنان، فيمزجونها بماء الحَيوان، فتزيد في عذوبتها وطيبها ألف ضعفٍ ضعفها.

وإنّ الملائكة ليتلقّون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين (عليه السلام) ويلقونها في الهاوية، ويخرجونها بحميمها وصديدها وغسّاقها وغسلينها، فيزيد في شدّة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها، يشدّد بها على المنقولين إليها من أعداء آل محمدٍ عذابهم[1].

(١) تفسير البرهان ١ / ١٢٣ ـ ١٢٤، تفسير الامام ١٨٤، البحار ٤٤ / ٣٠٤.

الآية الخامسة:

قوله تعالى..

﴿قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيّون من ربّهم لا نُفرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾(١)

﴿قولوا آمنّا بالله﴾، الخطاب في الآية الكريمة موجّه للمسلمين كافّة، وقد احتمل بعضهم انّ النبي داخل في الخطاب أيضاً.

أمّا وجه اختصاص ذكر الإيمان بالله إنّما كان لأنّ الإيمان بالله فطريّ لا يحتاج إلى دليلٍ أو معجز، أمّا نبوّة الأنبياء وكتبهم لا يمكن الاذعان لها ما لم تكن هناك معجزة باهرة تذعن لها العقول.

كما أنّ مَنْ طلب الاعتقاد بصحّة دعواه لابدّ من دليلٍ وبرهانٍ يتقوّى به ويستند عليه، وهذا بديهيّ في مجال السلوك البشريّ والتكوين النفسيّ للأفراد.

وكما عرفت فإنّ الخطاب للمسلمين، أمّا من قال بشموله الكافرين أيضاً فالنصّ بعيد عن ذلك؛ لما فيه من التكلف.

ولا يبعد أن تكون جملة «قولوا» بيانيّةً لقوله السابق على هذه الآية: **﴿بل ملّة إبراهيم﴾**؛ لأنّ ملّة إبراهيم قائمة على التوحيد، واتّباع ملّة إبراهيم يشمل جملةً من الأمور، منها: الإيمان بالله سبحانه.

﴿وما أُنزل إلينا﴾، أي: القرآن الكريم؛ نؤمن به وبما فيه من أمرٍ ونهيٍ وأحكامٍ ومواعظ...، فهو الحقّ ويجب اتّباعه والتصديق به...

﴿وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب﴾، أي: الصحف، أو الإيمان بتلك الشرائع وبأولئك الأنبياء؛ لأنهم كانوا يدعون إلى الإيمان بالله

---

(١) البقرة / ٣٦.

وتوحيده، وعدم الإشراك به. كما أنّهم كانوا جميعاً مسلمين، غير أنّ البدع والأهواء أُلصقت باليهوديّة وبالنصرانيّة من خلال تحريف علماء اليهود والنصارى كتبهم، لذا كلّ فريقٍ قال: اتّبعوا ملّتنا تهتدوا، فردّهم الله تعالى بقوله: **﴿بل ملّة إبراهيمَ حنيفاً وما كان من المشركين﴾**(١). وقوله تعالى: **﴿ما كان إبراهيم يهوديّاً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً...﴾**(٢).

ثمّ إنّ إبراهيم (عليه السلام) هو الذي سمّانا بالمسلمين، كما في قوله تعالى: **﴿ملّة أبيكم هو سمّاكم المسلمين من قبل...﴾**(٣).

وقوله تعالى في دعاء ابراهيم (عليه السلام): **﴿ربّنا واجعلنا مسلمَيْن لك ومن ذرِّيّتِنا أُمّةً مسلمةً لك...﴾**(٤).

وقوله تعالى يحكي وصيّة إبراهيم، وكذا يعقوب لبنيه: **﴿ووصّى بها إبراهيمَ بنيه ويعقوبَ يا بَنِيَّ إنّ اللهَ اصطفى لكم الدينَ فلا تموتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداءَ إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبدُ إلهَكَ وإلهَ آبائِك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾**(٥).

وهناك آيات أُخر تدلّل على أنّ الأنبياء الذين جاؤا بعد إبراهيم كانت شرائعهم هي شريعة الإسلام، إلاّ أنّ أقوامهم انحرفوا وأدخلوا البدع في أديانهم، فضلّوا وأضلّوا، وهذا ديدن الحياة كلّما ابتعد الزمن عن بدء الرسالة وزمن الرسول ابتعدت الأمّة عن المفاهيم والتعاليم السماويّة، حتّى برزت الأهواء والأحزاب والبدع والخرافات، فأصبحوا فرقاً شتّى ومذاهب عدّةً، ولا يخفى ما لهذا من أثر.

---

(١) البقرة / ١٣٥.

(٢) آل عمران / ٦٧.

(٣) الحجّ / ٧٨.

(٤) البقرة / ١٢٨.

(٥) البقرة / ١٣٢ ـ ١٣٣.

فهؤلاء الذين استأثروا الحياة الدنيا على الآخرة وأظهروا البدع وحرّفوا الكلمات عن مواضعها قد مزّقوا وحدة الأمّة، وشقّوا صفوف الناس، وأدخلوا ما ليس من الدين في الدين، وأخرجوا ما كان منه، وهذا ديدن اليهود، بل وحتى النصارى، وهكذا قُل بالنسبة لعدّة طوائف من المسلمين؛ فما تجد من مذهبٍ إلاّ وينادي بملء فيه بصحّة مذهبه وعقيدته، وما دون ذلك ـ بزعمه ـ باطل، وكأنّ الذي عنده هو عين القرآن، والذي عليه هو الحقّ، وما سواه في ضلالٍ وكفر.

وليت شعري هل بقي للحق من ينتصر له؟

وكلٌّ يدّعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقرّ لهم بذاكا

«والأسباط» جمع، مفردها سبط، وهو في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب.

وربّما يقال للحافد: سبط، والسبط شجرة كثيرة الأغصان، فكأنّما سمّوا الأولاد بالأسباط لكثرتهم.

وسبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين (عليهما السلام)، وبعده سمّوا ابن البنت سبطاً؛ لأنّه إليه تنتسب الذرّيّة إلى الجدّ من جهة الأمّ لذا ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) من فاطمة (عليها السلام) الحسن والحسين وأبنائهما.

والأسباط هم أبناء إسرائيل، أي: أبناء يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم، وكانوا اثني عشر سبطاً، واختلفوا في أولاد يعقوب هل كانوا أنبياء؟

يبدو من خلال القرائن والأخبار أنّهم لم يكونوا جميعاً أنبياء؛ لما صدر منهم بحقّ يوسف (عليه السلام) من الغدر و الظلم، وممّا يؤيّد ذلك المروي عن الامام الباقر (عليه السلام) (١).

﴿وما أُوتي موسى وعيسى﴾ من التوراة والإنجيل؛ لكون التحريف

---

(١) عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قلت له أكان ولد يعقوب أنبياء؟ قال: لا، ولكنهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلاّ سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا...

مجمع البيان ١ / ٢١٧، بيروت دار احياء التراث العربي.

حاصلاً في هذه الكتاب من قبل اليهود والنصارى؛ وبما أنّ المسلمين ينكرون هذا التحريف فقد اهتمّ القرآن بهذا الشأن، وأفرد لهما الذكر عن بقيّة الأنبياء؛ لأنّ شأنهم خطير بالنسبة لمجرى السلوك البشري، فقال: ﴿**وما أُوتي موسى وعيسى**﴾، والإيتاء لهم أبلغ من التنزيل؛ لما فيه من المناولة والعطاء والتمليك.

﴿**وما أُوتي النبيّون من ربّهم**﴾، وهي الكتب والشرائع والأحكام والمعجزات.

وهذه الجملة من الآية الكريمة أعمّ من سابقتها، أي: أنّه سبحانه ذكر العامّ بعد الخاصّ.

﴿**لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون**﴾، أي: لا نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ كما فعل اليهود والنصارى، ومن يفعل ذلك فهو كافر بنبوّة الأنبياء؛ لأنّ الله سبحانه أمرنا أن نؤمن بهم جميعاً على أنّهم أنبياء ورسل من لدنه، فلا فرق ـ بين أحدٍ منهم ـ في إيماننا بهم.

تأويل الآية والدليل الروائي

الآية مؤوّلة بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذريّة الحسين (عليهم السلام)، كما ورد عن الامام الباقر (عليه السلام):

في تفسير العيّاشي: عن سلام، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿**آمنّا باللهِ وما أُنزلَ إلينا**﴾ قال: إنّما عنى بذلك عليّاً والحسن والحسين وفاطمة، وجرت بعدهم في الأئمّة. قال: ثمّ يرجع القول من الله في الناس، فقال: ﴿**فإن آمنوا**﴾ ـ يعني: الناس ـ ﴿**بمثل ما آمنتم به**﴾ يعني: عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم ـ ﴿**فقد اهتدوا وإن تولّوا فإنّما هم في شقاق**﴾[1].

---

(١) تفسير العيّاشي ١ / ٦٢.

الآية السادسة:

قوله تعالى..

﴿ولا تَقُولُوا لمن يُقتلُ فِي سَبِيل اللهِ أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون﴾[١]

روي عن ابن عباس قال: إنّها نزلت في قتلى بدر، وكان قتلى المسلمين آنذاك أربعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار، وستّة من المهاجرين[٢].

والآية وإن كانت نازلةً بقتلى بدر إلاّ أنّها عامّة في الحكم، فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، لذا توهّم من خصّها بقتلى بدر فقط؛ لأنّها تتعدّاهم إلى غيرهم.

وجملة القول: أنّ الآية الكريمة تحكي عن حقيقة الشهداء ومنزلتهم عندالله تعالى.

ثمّ في الآية دليل على الحياة البرزخيّة، وسؤال القبر، وإثابة المؤمن، وإكرام الشهيد...

والحديث يقع في مَنْ قتل في ساحات الجهاد، لماذا يبقى حيّاً؟

ثمّ إنّ الآية نهت عن أن يسمّى المقتول ميّتاً، بل حيّ، ولكن لا تشعرون. وفي آل عمران: **﴿عند ربّهم يرزقون﴾**[٣].

إنّ هناك فرقاً بين الموت والقتل، فالموت: من مات حتف أنفه، والقتل: من خرجت روحه بالضرب، أو أُزهقت نفسه وروحه بحدّ السيف أو ما شابهه. والموت ما إذا وقع الأجل عليه، أمّا القتل ما إذا كان الإنسان قادماً على الأجل ولا

---

(١) البقرة / ١٥٤.

(٢) مجمع البيان ١ / ٢٣٦.

(٣) آل عمران / ١٦٩.

يبالي بازهاق روحه، ولا يعبأ بذهاب حياته والارتحال من الدنيا، طالما وعدَه الله سبحانه مرضاته وما أعدّ له من ميّزاتٍ اختصّ بها الشهيد دون سائر الناس.

فالشهيد أكرم مَن في الناس؛ لأنّه وهب حياته لله، وليس وراء ذلك من كرمٍ يتباهى به أحد...

فالآية تأبى أن يكون الشهداء أمواتاً، بل هم أحياءٌ؛ إذن، فما هي الحياة التي يتمتع بها الشهداء؟

في ذلك أقوال؛ أصحّها: أنّ الحياة التي ذكرتها الآية الكريمة هي الحياة الحقيقة بالروح والجسد في عالم وسطٍ بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، الا وهو عالم البرزخ(١) الذي يصير إليه الإنسان بعد الموت، فهو عالم، بل هو حياة يتمتّع بها الشهداء، إلاّ أنّنا بحواسّنا البشريّة القاصرة لا ندركها، ولا نعلم ما بعدها؛ لأنّ وظائف الحواسّ المودعة في الإنسان إنّما هي للأمور المادّيّة، حيث ينتقل الإنسان بها من المحسوس إلى اللامحسوس، نتيجة التعقل والإيمان بما جاء به القرآن الكريم والرسول (صلى الله عليه وآله)(٢). فنسلّم ونصدّق بما وعدنا الله سبحانه،

---

(١) سيأتي الحديث عن البرزخ ـ إن شاء الله ـ في الآيات اللاحقة، فتتبّع.

(٢) روى القمي في تفسيره عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال:

إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا، وأوّل يوم من الآخرة مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك لحريصاً شحيحاً، فمالي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك، ثم يلتفت إلى ولده فيقول: والله إني كنت لكم لمحبّاً، وإني كنت عليكم لحامياً، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك ونواريك فيها، ثم يلتفت إلى عمله فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً، وإنك كنت عليّ لثقيلاً، فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم حشرك، حتى أعرض أنا وأنت على ربك.

فإن كان وليا أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً، وأزينهم رياشاً، فيقول أبشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم، قد قدمت خير مقدم، فيقول: من أنت؟ فيقول أنا عملك الصالح، ارتحل من الدنيا إلى الجنّة، وإنه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يعجله. فإذا دخل قبره أتاه ملكان، وهما فتّانا القبر يجبران أشعارهما، ويحبران الأرض بأنيابهما، وأصواتهما كالرّعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربّك؟ ومن نبيّك؟ وما دينك؟ فيقول: الله ربّي، ومحمد نبي،

ونذعن لأوامره وأقواله جملةً وتفصيلاً، والتي منها: الأُمور الغيبيّة وكلّ ما خفي علينا، إذْ قال ـ عزّ من قائلٍ ـ يصف المؤمنين المتّقين: ﴿**ذلك الكتاب لا ريب فيه * هدىً للمتّقينَ * الذينَ يؤمنون بالغيبِ ويُقيمونَ الصَّلاةَ وممّا رزقناهم يُنفقون * والذين يؤمنونَ بما أُنزلَ إليكَ وما أُنزل من قبلِك وبالآخرةِ هُم يوقنون * أُولئك على هدىً من ربِّهم وأُولئك هم المفلحون**﴾[1].

فالعلّة في أنّ المجاهد المقتول في سبيل الله يبقى حيّاً ـ كما عرفت ـ هو الإخلاص والتفاني في حبّ الله، وهو إيثار بقاء الدين والحقّ، وديمومة الرسالة على الحياة الجسديّة والتي قوامها المادّة الزائلة الفانية.

فالحياة الدنيوية اتّسمت بالفاعليه والأمتداد المادّي، اتّسمت بالتوقيت والتحديد، والموت هو الوقت المحدّد الذي به ينتهي كلّ شيء، وينهي كلّ صاحب علاقةٍ علاقته، وتبدأ مرحلة جديدة لا علاقة بالماضي حيث يقف الموت حائلاً دون تحقيق الطموحات التي كان يسعى لإنجازها قبل مماته،

والإسلام ديني، فيقولان ثبّتك الله فيما تحبّ وترضى، وهو قول الله: ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا...﴾ الآية، فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويفتحان له باباً إلى الجنّة، ويقولان: نَمْ قرير العين نوم الشاب الناعم، وهو قوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذٍ خيرٌ مستقرّاً وأحسن مقيلا﴾.

وإذا كان لربّه عدوّاً فإنّه يأتيه أقبح خلق الله رياشاً، وأنتنه ريحاً، فيقول له أبشر بنزل من حميم، وتصلية جحيم، وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يحبسه، فإذا أدخل قبره أتيا ممتحناً القبر، فألقيا عنه أكفانه ثم قالا له، من ربّك؟ ومن نبيّك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقولان له: ما دريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة إلاّ وتذعر لها ما خلا الثقلان، ثم يفتحان له باباً إلى النار، ثم يقولان له: نم بشرٍّ حال، فيبوء من الضيق مثل ما فيه القنا من الزّج، حتى أن دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامّها تنهشه حتى يبعثه الله من قبره، وأنه ليتمنّى قيام الساعة مما هو فيه من الشرّ.

انظر تفسير القمي وتسلية الفؤاد / ص ٨٨.

(١) البقرة / ١ ـ ٤.

وهذا هو الجانب السلبيّ والاندثار.

أمّا الشهيد فلا يخضع لذلك القانون الذي تساوى فيه الناس جميعاً، بل له قانون ديناميكيّ دائم الحركة، يولّد الشعور ويحرّك الضمير، ويصرخ بوجه التاريخ في كلّ لحظة، ويستنهض الهمم في النفوس لنصرة الدين في كلّ وقت، وهذا نوع من الحياة لكن ليس كلّه.

فالشهيد وقود لا ينضب، وشعلة متأججة، ملتهبة تستصرخ الآخرين وتنير الطريق لهم. فالعقيدة التي من أجلها قتل الشهيد قد ارتوت من دمه ودماء الشهداء، لذا فإنّ دماء الشهداء لها فاعلية مؤثّرة في بقاء العقيدة واستمرارية الرسالة. وأيّ شيءٍ أعظم من ذلك عندالله؟!

هذا هو «الإحياء» عند الناس. أما أحياءٌ عندالله فهو ما يزال مجهولاً عند البشر، ولا نستطيع أن ندرك كنهه وأبعاده...، أحياء ولكن لا تشعرون.

انظر إلى من مات فإنّه يغسّل. ويكفّن أمّا الشهيد فهو طاهر لا يغسّل إنّه حيّ فلا يكفّن، بل يُدفن بأثوابه التي زهت بدمه الطاهر؛ حتّى يلقى ربّه بهذه الكيفية التي سقط فيها صريعاً على الأرض، ابتغاء وجه الله، واعلاءً لدينه وسنّة نبيّه، لذا فهم مكرّمون عندالله مقرّبون منه...

فقبال ذلك الجود والإيثار من قبل الشهيد ترى ذلك العطاء الربّانيّ الدائم إنّه عطاء غير مجذود، ترى الحياة الأبديّة الخالدة لهم.

ثم ان آثار الشهداء باقية لم تزل كآثار العلماء، ففي العلماء يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : «هلك خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وامثالهم[1] في القلوب موجودة»[2].

وشأن المجاهدين الذين قتلوا في سبيل الله كذلك؛ أعيانهم مفقودة

---

(١) وفي مجمع البيان ١ / ٢٣٦ آثارهم.

(٢) نهج البلاغة: من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد، قسم الحِكَم رقم ١٤٧.

وآثارهم في القلوب موجودة. إنّهم أحياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء.

فلقد ورد في أخبار كتب الشيعة والسنّة: أنّ أرواح الشهداء تكون في حواصل طيور خضرٍ أو بيض...الخ. وسيأتي تفصيله في مقامٍ آخر في بحث الآية (١٦٩) من سورة آل عمران إن شاء الله.

وروي عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «يؤتى بالرجل من أهل الجنّة، فيقول الله له: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي ربِّ خير منزل، فيقول: سَلْ وتمنّه، فيقول: وما أسألك وأتمنّى؟ أسألك أن تردّني إلى الدنيا فأُقتل في سبيل الله عشر مرّاتٍ؛ لما يرى من فضل الشهادة»[١].

هذه هي حياة الشهيد، بل وحتّى المؤمن يعيش حياةً طيّبةً خالدةً في جنّات عدن؛ لأنّه (رضي الله عنه) بما قدم من الطاعات، ورضي هو عن ربّه، لأنّه أكرمه ووجد ما وعدَه. ﴿**هذا ما وعدنا الرحمن وصدق المرسلون**﴾[٢]؛ كما أنّ الآخرة هي دار القرار، ﴿**وأنّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**﴾[٣].

تأويل الآية والدليل الروائي

انظر الآية الكريمة: ﴿**ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله...**﴾[٤]

تجد التفصيل هناك؛ لاتّحاد مضمون الآيتين.

---

(١) انظر: جامع أحاديث الشيعة ج ١٣ / ١٧ كتاب الجهاد، باب ١ ح ٤٥ و٤٦.

(٢) يس / ٥٢.

(٣) العنكبوت / ٦٤.

(٤) آل عمران / ١٦٩ ـ ١٧٠.

الآية السابعة:

قوله تعالى..

﴿ولنبلونّكم بشيءٍ من الخوفِ والجُوعِ ونَقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمرات وبشِّر الصابرينَ الّذينَ إذا أصابَتهم مصيبةٌ قالوا إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعون * أُولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون﴾(١)

البلاء والابتلاء ـ في الأصل ـ الامتحان، وحقيقته لتحصيل العلم.

والبلاء في الآية الكريمة: الاختبار والامتحان، وإنْ كان الاختبار يكون بالخير والشرّ إلاّ أن الآية الكريمة بيّنت ذلك الاختبار، فقالت: **﴿بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات...﴾**.

الخطاب قد يكون لأصحاب النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، وقد يكون لجميع المؤمنين في مختلف العصور، وهو الأظهر. والقول بأنّه لأهل مكّة ضعيف ما لم يثبت بقرينة.

ولمّا كان البلاء بمعنى الإمتحان، وحقيقته لتحصيل العلم، فهو على الله تعالى محال، وما ينسب إليه سبحانه هو مجاز. وإذا ما نُسِب إليه فيراد منه ما يجرى مجراه مع العباد على المشهور، وهذا المعنى يتصوّر على أقسامٍ ثلاثة:

الأوّل: قد يكون الابتلاء للإنسان بما يسرّه، لذاعليه الشكر.

الثاني: قد يكون الابتلاء بما يضرّه ويحزنه فعليه الصبر.

الثالث: قد يكون بهما معاً، فعليه أن يرغب في الطاعة ويرهب في

---

(١) البقرة / ١٥٥ ـ ١٥٧.

المعصية.

فإن حُمِل الابتلاء على الإشارة في المعنى الأوّل فالمراد به النعمة.

وإن حُمِل على المعنى الثاني فالمراد به المحنة.

وإن حُمِل على المعنى الثالث فالمراد به القدر المشترك كالامتحان الشائع...

ولمّا عرفت أنّ الابتلاء بمعنى تحصيل العلم وهو محال على الله سبحانه، إذن لابدّ من حمل الكلمة على معناها المجازي، وإذا كان كذلك فتحصّل المعنى، وهو: أننا نعاملكم معاملة المبتلي، ومعامله الممتحن المختبر، لذا فكلمة الابتلاء غالباً ما يراد بها التكليف، وأنت تعلم أنّما كلّف الإنسان في الدنيا، أمّا في الآخرة فلا تكليف عليه بل هي حياة مبنيّة على المُجازاة والمكافأة؛ **﴿فمن اتّقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون...﴾**[1].

فكلّ تكليفٍ هو ابتلاء في الأصل وامتحان، كما أنّ نتيجة التكليف هي نفسها في الابتلاء، وفائدة هذا التكليف والامتحان واحدة، وهي: جعل الإنسان في إطاره الحقيقي، فيكشف عمّا انطوت عليه نفسه؛ ليحتلّ المنزلة التي اختارها بعمله في الدنيا وما قدّمت يداه هناك.

فتخلّص ممّا تقدّم: أنّ الابتلاء الذي بمعنى: التكليف والامتحان هو في الدنيا فقط. ومعلوم أنّ بلاء الدنيا يسير غير مؤبّدٍ قياساً على ما يصادفه الإنسان في الحياة الآخرة؛ فإن كان ما يصادفه خيراً فهو خير دائم ومخلّد فيه، وإن كان شرّاً وعقوبةً فهو كذلك لا يقاس بشرّ الدنيا وآلامها المؤقّتة الزائلة.

وخير دليلٍ ما يقال هنا: هو في دعاء كميل بن زياد (ﷺ): «...وأنت تعلم ضعفي عن قليلٍ من بلاء الدنيا وعقوباتها، وما يجري فيها من المكاره على

---

(١) الأعراف / ٣٥ ـ ٣٦.

أهلها، على أنّ ذلك بلاء ومكروه، قليل مكثه يسير بقاؤه، قصيرٌ مدّته، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة وجليل وقوع المكارهِ فيها؟ وهو بلاء تطول مدّته، ويدوم مقامه، ولا يخفف عن أهله؛ لأنّه لا يكون إلاّ عن غضبك...»[١].

والذي يؤكّد عدم ديمومة ذلك البلاء في الدنيا: كلمة ﴿**بشيء من...**﴾.

أمّا «الخوف» فربّما هو المقدّر لهم من الله تعالى من المكاره والمصائب التي تخيفهم: كالحرق والغرق والدمار، فيكون الإنسان في هذه البلايا خائفاً متحيّراً.

وربّما أُريد بالخوف ما كان من أمر المشركين الذين أضمروا للمسلمين العداء والحقد والقتال؛ كالخوف الذي حصل في واقعة الأحزاب، كما في قوله تعالى: ﴿**هنالك اُبتلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديدا...**﴾[٢].

أمّا «الجوع» فهو لتشاغلهم بالحرب والجهاد في سبيل الله عن المعاش، واحتياجهم إلى البذل والإنفاق في تلك الأيّام. وربما قيل: شحّة المواد والغذاء والقحط الذي أصابهم.

و«نقص من الأموال» ربّما أُريد به هلاك المواش من الإبل والغنم والبقر، أو كلّ ما يطلق عليه مال، سواء كان قابلاً للنقل أو لا.

و«الأنفس»: الموت، سواء كان بعامل الجهاد والقتل، أو بسبب الأمراض الفتّاكة، أو بسبب الفتنة في قتل بعضهم البعض، وإنْ كان هذا بعيداً ما لم تكن قرينة تخصّصه.

و«الثمرات» فيه أقوال: ربّما أُريد بها الأولاد؛ لأنّ الحرب إذا نشبت بين القوم فسوف تأكل الرجال كما تأكل النار الحطب، وهذا مدعاة للنقص في الإنجاب بموت الرجال الذين هم العامل المؤثّر في عملية التناسل، وهذا الوجه

---

(١) مفاتيح الجنان: مقطع من دعاء كميل بن زياد.

(٢) الأحزاب / ١١.

هو أصلح الوجوه كما يظهر.

وربما قيل: نقص الثمرات، أي: ثمرة الأشجار والنخيل؛ وذلك لاشتغالهم بالجهاد عن حراثة الأرض وعمارة البساتين.

ووجه ثالث كما حكاه الفخر الرازيّ: أن يكون النقص بالإنفاق على ما يرد على رسول الله (ﷺ) من الوفود[1]، وهو بعيد.

وللشافعيّ تفسير آخر في هذه الأقسام الخمسة المارّة الذكر ـ كما حاكه الآلوسي ـ فقال: الخوف يراد منه: خوف الله، والجوع بمعنى: صوم رمضان، ونقص من الأموال: الزكوات والصدقات، والأنفس: الأمراض، والثمرات: موت الأولاد...

أقول: ما أورده في الأقسام الأربعة الأولى بعيد عن متناول الآية وظهورها. كما أن القرائن من الآيات الأخرى تخرج هذا الذي ذكره الشافعي.

وعلّة ذلك: أنّ الخوف ملازم للإنسان في كلّ الحالات إذا أُريد به خوف الله، ولا يقتصر على زمنٍ من الأزمان حتّى نقيّده «بشيء». والابتلاء في الآية بعضيٌّ غير دائم كما عرفت قبل قليل.

ثمّ الآية بصدد الامتحان والاختبار، لذا كان الخوف والجوع و... كلّ ذلك لفترةٍ ما، قصيرةً كانت أم طويلة.

أمّا خوف الله فلا يعقل أن يتحدّد بزمن؛ لأنّ ذلك يعني: أن الإنسان في غير ذلك الزمن المحدّد سوف يركن إلى قوّته وقدرته الزائلة الضعيفة، دون أن يركن إلى الله أو يتمسّك بحبله المتين. بمعنى آخر: سوف يأمن غضب الله ولا يخشاه بدافع الرجاء المطلق دون الخوف.

وهذا باطل بأدنى التفاتٍ؛ لأنّ العبد متأرجح بين الخوف والرجاء، فلا يئس مطلق، ولا أمان مطلق، بل العبد بين الخوف والرجاء.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازيّ.

أمّا «الجوع» حيث فسّره بصوم رمضان، فهذا اختبار دوريّ، وتكليف سنويّ قد اعتاد عليه المسلمون دون أن يروا فيه الحرج والضيق، ثمّ ليس فيه الجوع الذي تصوّره الشافعي؛ لأنّ الصائم يعلم أنّ موعد الإفطار ملاقيه لا محالة، فسوف يملأ جوفه بما يشتهيه من ألوان الأطعمة والمأكولات.

إذن، ليس هناك ما يسمّى بالجوع طالما وقت الإمساك ساعات محدودة، ومن ثمّ الافطار.

أمّا الجوع الذي تنظر إليه الآية غير معلومٍ مدّته، وكم يستغرق من الزمن؟ ولا يعرف كيفيّته، سوى أنّه جوع شامل ربّما شمل كافّة أبناء الأمّة، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم كالأطفال.

أمّا صوم رمضان فلا يحسّ الأطفال بألم الجوع؛ لأن الصيام لم يفرض عليهم.

وبعد كلّ ذلك يظهر: أنّ الآية نزلت قبل فريضة الصوم والزكاة، فكيف نفسرها بصوم رمضان...؟

أمّا ما قاله في «نقصٍ من الأموال»: أنّه الزكوات والصدقات فهذا أيضاً غير لائق؛ لأنّ الزكاة هو طهارة للمال ونماء له. وكذا الصدقات أنّها تُربي الأموال، قوله تعالى: ﴿**يَمحَقُ الله الرِبا ويُربي الصدقات...**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقةً تطهّرهم وتزكّيهم بها وصلِّ عليهم...**﴾[2].

أمّا ما قاله في «الأنفس» تعني: الأمراض فلا وجه له؛ لأنّ الكلمة معطوفة على ﴿**نقصٍ من الأموال**﴾، فالتقدير القريب في ﴿**ونقص من الأنفس**﴾، يعني: قلّة العدد، أي: المنظور هو الكمّ وليس الكيف.

نعم، لو أُريد حالة النفس وكيفيّتها أمكن حمل الأنفس على الأمراض،

---

(١) البقرة / ٢٧٦.

(٢) التوبة / ١٠٣.

ولكن هذا تكلّف واضح سقمه.

﴿**وبشّر الصابرين**﴾: خطاب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) لنقل البشارة إلى الذين صبروا على البأساء والضرّاء.

فالصبر منزلته عظيمة جدّاً، كمنزلة الرأس من الجسد. وقد ورد في الأخبار: «أنّ الصبر نصف الإيمان». وكما نقل عن الإمام (عليه السلام) : «الإيمان هو الصبر».

واعلم: أن الصبر هو مجاهدة النفس وثباتها، وعدم اضطرابها في المصائب والمحن، ثمّ الزهد عن كثيرٍ من الشهوات. ويبدو من خلال القرآن الكريم: أنّ الصبر من أفضل العبادات وأشرفها؛ لأنّه وعاء الإيمان، وكثير من الصفات التي مدحها القرآن الكريم وأكّد عليها الشارع المقدّس هي داخلة في الصبر: كالزهد والقناعة والحلم وسعة الصدر والعفّة وكظم الغيظ والعفو والسماحة والكرم والشجاعة...الخ. فالصبر عبادة يتقرّب بها العبد إلى الله تعالى؛ لأنّه مقام من مقامات الموحّدين، وقد أكّد القرآن المجيد على الصبر حتّى ورد في أكثر من ثمانين موضعاً منه.

والصبر على ثلاثة أقسام: الصبر عند المصيبة، والصبر على الطّاعة، والصبر عن المعصية.

وإنّ الصابر على المصيبة يؤجر مرّتين: مرّة على مصابه، وثانية على صبره لِما نزل به من بلاء، ﴿**أُولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**ولنجزينّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون...**﴾(٢).

---

(١) القصص / ٥٤.

(٢) النحل / ٩٦.

وقوله تعالى: ﴿**إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾[١].

ولا يخفى أنّ الصبر نوعان: أحدهما جسمانيّ، وهو تحمّل المشقّات في ممارسة الأعمال والحرف التي تحتاج إلى بذل الجهد العضلي، أو الصبر على تحمّل الضرب والألم الشديد.

والنوع الآخر: الصبر النفساني، وربّما أُريد بـه مـنع النـفس مـن التـمتّع بالشهوات، بل تعطيل هذه الرغبة والنفس التواقه عن الملاذ زهداً فيها، أو رجاءً في طلب المثوبة بتركها.

وعلماء الأخلاق يقسّمون هذا الصبر على عدّة أقسام، ولكلّ قسم عنوان أو تسمية خاصّة. مثلاً: الصبر في كظم الغيظ يسمّى حلماً، والصبر في كتمان السرّ أو الكلام يسمى كتمان النفس، والصبر عن شهوة الأكل والنكاح يسمّى عفّة، والصبر في النزال والمقاتلة يسمّى شجاعة...الخ.

ولا نريد الإطالة في موضوع الصبر، سوى أن نقول باختصارٍ: أنّه جامع لكلّ الفضائل، وهو أعلى مراتب الإيمان، وللفائدة والاطّلاع فعليك بمراجـعة كتب الأخلاق وتهذيب النفس والتفاسير...

رُوي عن أبي حمزة الثماليّ قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عـن قـول الله: ﴿**لنبلونّكم بشيءٍ من الخوف والجوع...**﴾؟ قال: ذلك جوع خـاصّ وجـوع عامّ، فأمّا بالشام فإنّه عامّ، وأمّا الخاص بالكوفة يخصّ ولا يعمّ، ولكنه يخصّ بالكوفة أعداء آل محمدٍ (صلى الله عليه وآله)، فيهلكهم الله بالجوع. وأمّا الخوف فإنّه عامّ بالشام، وذلك الخوف إذا قام القائم (عليه السلام). وأمّا الجوع فقبل قيام القائم (عليه السلام)، وذلك قوله: ﴿**لبنلونّكم بشيءٍ من الخوف والجوع**﴾[٢].

﴿**الذين إذا أصابتهم مصيبة**﴾، أي: نازلة أو بلاء أو نكبة في النفس أو

(١) الزمر / ١٠.

(٢) تفسير البرهان ١ / ١٦٨ ونور الثقلين ١ / ١٤٢، والعياشي ١ / ٦٧.

المال فصبروا عليها احتساباً للأجر والثواب، ثمّ قالوا: ﴿إنّا لله﴾ فهذا إقرار منّا لله بالعبودية، وأنّه هو المالك وحده لا شريك له، وكذا تعطي معنى الرضا بكلّ ما نزل بالعبد في الحال من أنواع البلاء.

﴿وإنّا إليه راجعون﴾ إقرار على أنفسنا بالهلاك، ثمّ الإقرار بالبعث والنشور، وهذا المعنى مستفاد من كلام سيّد العارفين أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكذا فيها: أنّ العبد في الحال راضياً بكلّ ما سينزل به بعد ذلك من بلاءٍ فهو بعين الله وبرضاه واليه المصير، فلابدّ من تفويض الأمور إليه لأنّه سبحانه وتعالى أعدّ من الأجر ما لا يعلم العبد. في الحديث الشريف: **﴿من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحاً يرضاه﴾**[1].

ثمّ هؤلاء الذين صبروا **﴿عليهم صلواتٌ من ربّهم﴾**، أي: التزكية والمغفرة والرحمة واللطف والإحسان والثواب الكبير.

وربما قيل: الصلاة من الله: هو الثناء، أو التعظيم، ولا منافاة.

﴿ورحمة﴾، أي: لهم النِعَمُ التي أنزلها الله تعالى عاجلاً أو آجلاً؛ لتغمر نفوس المؤمنين الصابرين.

﴿وأُولئك هم المهتدون﴾، أي: المصيبون في اتبّاعهم ذلك الطريق، أو المهتدون إلى الجنّة، وربّما قيل: الفائزون بالثواب والعطية، والله العالم.

لقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول والأئمة الأطهار عليهم السلام في فضل هذه الآية الشريفة، وبالذات قوله تعالى: **﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾**.

فقد روي عن عليّ بن إبراهيم، عن ابن أبي عمير، عن داود بن رزين، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «من ذكر مصيبةً ولو بعد حينٍ فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، اللهمّ آجرني على مصيبتي واخلف عليّ

---

(١) مجمع البيان ٢ / ٢٣٨.

أفضل منها كان له من الأجر مثل ما كان عند أوّل صدمة»[١].

وفي الكافي ونور الثقلين بإسنادهما، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «ما من عبدٍ يصاب بمصيبةٍ فيسترجع عند ذكره المصيبة، والصبر حين تفجئه إلاّ غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، وكلّما ذكر مصيبةً فاسترجع عند ذكر المصيبة غفر الله له كلّ ذنبٍ فيما بينهما»[٢]. ويقرب من هذا المعنى في الدر المنثور[٣].

وروي عن ابن عبّاس قال: قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): «أُعطيت أُمّتي شيئاً لم يُعطه أحد من الأمم: أن يقولوا عند المصيبة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون»[٤].

ومثل ذلك ترى في تفسير الآلوسيّ[٥]، وغيرها من تفاسير علماء الطائفتين.

---

(١) نور الثقلين ١ / ١٤٤.

(٢) نفس المصدر السابق ١ / ١٤٤.

(٣) الدر المنثور ١ / ١٥٦.

(٤) الدر المنثور ١ / ١٥٦.

(٥) روح المعاني تفسير آية ١٥٦ من سورة البقرة.

تأويل الآية والدليل الروائي

اعلم: أن الحسين (عليه السلام) استرجع مرّات عديدةً، وربّما على الكثرة لا تحصى.

منها: استرجع عندما سمع بمقتل مسلم بن عقيل (عليه السلام) .

ففي الإرشاد بإسناده عن عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديّان قالا: لمّا قضينا حجّنا لم تكن لنا همّة إلاّ اللحاق بالحسين (عليه السلام) في الطريق؛ لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل[1]. بنا ناقتانا مسرعين حتّى لحقناه بزرود[2]، فلمّا دنونا منه إذا نحن برجلٍ من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين (عليه السلام) فوقف الحسين كأنّه يريده، ثمّ تركه ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: إذهب بنا إلى هذا لنسأله فإنّ عنده خبر الكوفة، فمضينا حتّى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك، فقال: وعليكم السلام، قلنا: ممّن الرجل؟ قال: أسديّ، قلنا له: ونحن أسديّان، فمَن أنت؟ قال: أنا بكر بن فلان، وانتسبنا له، ثمّ قلنا له: أخبرنا عن الناس وراءَك، قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتّى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، ورأيتهما يجرّان بأرجلهما في السوق، فأقبلنا حتّى لحقنا الحسين (عليه السلام) ، فسايرناه حتّى نزل الثعلبيّة ممسياً، فجئناه حين نزل، فسلّمنا عليه، فردّ علينا السلام، فقلنا له: رحمك الله، إنّ عندنا خبراً إن شئت حدّ ثناك علانية، وإن شئت سرّاً، فنظر إلينا وإلى أصحابه ثمّ قال: ما دون هؤلاء ستر. فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلته عشيّ أمسٍ؟ قال: نعم،

(١) أَرْقَلَت الناقةُ (إرقالاً) وهو ضربٌ سريع مِن السَّير. المصباح المنير، مادة: رَقَلَ.

(٢) زرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، وهي دون الخزيمية بميل وفيها وقعة يقال لها يوم زرود. انظر: معجم ما استعجم ٢ / ٦٩٦.

وقد أردت مساءلته، فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منّا ذو رأيٍ وصدقٍ وعقلٍ، وأنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتّى قتل مسلم وهاني ورآهما يجرّان في السوق بأرجلهما، فقال: **﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾** رحمة الله عليهما، يردّد ذلك مراراً[١].

في البحار قال المجلسي: ...فارتحل ـ الحسين ـ من قصر بني مقاتل، فقال عقبة بن سمعان: فسرنا معه ساعةً فخفق (عليه السلام) وهو على ظهر فرسه خفقةً، ثمّ انتبه وهو يقول: **﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين﴾**، ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين ـ علي الأكبر ـ فقال: مِمّ حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني، إنّي خفقت خفقةً فعنّ لي فارس على فرسه وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تصير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا...، فقال ـ علي الأكبر ـ له: يا أبةِ لا أراك الله سوءً ألسنا على الحقّ؟! فقال ـ الحسين (عليه السلام) ـ: بلى، والذي إليه مرجع العباد، فقال: فإنّنا إذاً لا نبالي أن نموت محقّين، فقال له الحسين (عليه السلام) : جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده[٢].

أقول: لم يُبتلَ أحدٌ كما ابتُلي الحسين (عليه السلام) ، فإنّ البلايا والرزايا التي نزلت به كانت عظيمةً، ولا مبالغة لو قلنا: إنّ محنته ومصابه فاقت محن الأنبياء والرسل. فصبره (عليه السلام) على تلك الرزايا والمحن لم يطقه أحد؛ لأنه أمر صعب، بل لشدّته تزول منه الجبال الراسيات، ومن هنا كان ثواب صبره وتجلّده هو ما ادّخره الله له بحيث يغبطه جميع الملائكة والأنبياء والأوصياء؛ لأن البلاء على قدر الإيمان، والأجر على قد البلاء.

ومما يؤيّد ذلك: ما في الكافي، عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال: ذُكر

---

(١) الارشاد للمفيد / ٢٢٢ والمجالس ٦٣ والبحار ٤٤ / ٣٧٣.

(٢) الإرشاد / ٢٦٦، والبحار ٤٤ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

عند أبي عبدالله البلاء وما يخصّ الله به المؤمن، فقال: «سُئِل رسول الله (صلى الله عليه وآله) : مَن أشدُّ الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيّون، ثم الأمثل فالأمثل، ويُبتلى المؤمن بعدُ على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صحّ إيمانه وحَسُنَ عمله اشتدّ بلاؤه، ومن سخف إيمانه وضعف عملهُ قلّ بلاؤه»(١).

وقد استرجع الحسين (عليه السلام) صبيحة عاشوراء عندما وقف أمام جموع الكوفة خطيباً فيهم، مرشداً لهم، محتجّاً عليهم، ومبيّناً منزلته من رسول‌الله(صلى الله عليه وآله) ، فمما قاله: «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفةً بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور مَن غرّته، والشقيّ من فتنته، فلا تغرّنّكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيّب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله) .

ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذرّيّته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم لما تريدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون...»(٢).

إضافةً إلى ما تقدّم فإنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) استرجع كذلك بهذه الآية؛ وذلك عندما لقيه المنهال في الشام(٣).

وقد استرجع أيضاً الإمام زين العابدين (عليه السلام) عندما وصل المدينة بعد الأسر، قال (عليه السلام) : «نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور، وألم الفجائع ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظعة الكاظّة الفادحة

---

(١) الكافي ج ٢ / ٢٥٢ باب شدّة ابتلاء المؤمن ح ٢.

(٢) المجالس السنيّة للعاملي / ص ٨٥.

(٣) راجع البحث والدليل الروائي للآية ٤٩ / البقرة من هذا الكتاب.

الجائحة، أيّها الناس، إنّ الله ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلةٍ وثلمةٍ في الإسلام عظيمةٍ، قُتل أبو عبدالله وعترته، وسُبي نساؤه، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السِنان، وهذه الرزيّة التي لا مثلها رَزيّة...إلى أن قال (عليه السلام): فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبةٍ ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكضّها وأنظّها وأمّرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أ صابنا وما بلغ بنا، إنّه عزيز ذو انتقام»[١].

إذن، فالآية الكريمة تحكي عمّا جرى على الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمين من الخوف ونقص في الأموال والأنفس وما سيجري على أهل بيت العصمة(عليهم السلام) من بعده. فحادثة كربلاء والمصائب التي نزلت بالحسين وأهل بيته وأصحابه هي من مصاديق الآية، بل هي من أبرز المصاديق.

---

(١) المجالس للعاملي / ١٤٥.

الآية الثامنة:

قوله تعالى..

﴿وقَاتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتنَةٌ ويَكُونَ الدِينُ للهِ فإنِ انتَهَوا فَلاَ عُـدوَانَ إلاَّ عَلَى الظَّالِمِين﴾(١)

قيل: إنّ الآية ناسخة لقوله تعالى: **﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتّى يقاتلوكم فيه...﴾**، كما ذهب إليه الجبائيّ وآخرون، ويبدو ـ والله العالم ـ أنّها ليست كذلك، بل هي مؤكّدة لها.

فهذه الآية: **﴿ولا تـقاتلوهم عـند المسـجد الحـرام...﴾** والتـي قـبلها **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم...﴾** -إلى قوله تعالى ـ: **﴿وأنفقوا في سبيل الله ولاَ تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إنّ الله يحبُّ المحسنين﴾** ستّ آياتٍ كلّها نزلت دفعةً واحدةً كما يظهر؛ لبيان غرضٍ مشترك؛ وهو بـدء تشريع القتال مع مشركي مكّة.

لقد بيّن سبحانه وتعالى غاية وجوب القتال؛ كما بيّن تـعالى للـمؤمنين كيفيّة قتال الكافرين في الآيات السابقة، ثمّ نهاهم عن قتالهم في الأشهر الحرم ما لم يبدأ وهم بقتال؛ فإن بادر الكفّار إلى القتال وانـتهاك حـرمة الأشـهر الحـرم وحرمة البيت فلابدّ من صدّهم، كما يجب على المسلمين مقاتلة المعتدين منهم دون تجاوزٍ في الحدود...

وقد وردت كلمة «الفتنة» هنا وهناك، وهي تشير إلى الشرك أو الكفر، كما ورد عن ابن عبّاس، وكذا عن الإمام الصادق (عليه السلام) (٢).

و«حتّى» هي غائيّة؛ لأنّ محاربة المشركين يؤدّي إلى قتلهم، أو قل على

---

(١) البقرة / ١٩٣.

(٢) تفسير مجاهد ١ / ٩٨.

أقلّ تقدير إرهابهم وإنزال الضربات بهم حتّى يضعفوا عن القتال، أو يكفّوا عن إيذاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأصحابه، ثمّ إنّ إخراجهم من مكّة هو الذي يجعل المؤمنين في مأمنٍ واستقرار، فالشرك والكفر عين الفتنة، والفتنه تؤدي إلى الهلاك.

وأيّ فتنةٍ أكبر من فتنة المشركين الذين يتربّصون الدوائر ويتحيّنون الفرص كي يوقعوا بالمسلمين ويمنعونهم من ممارسة عقائدهم وشعائرهم الدينية بحرية وأمان؟

إنّ الشرك أينما وجد وفي أي زمنٍ كان إنّما هو عقبة كبيرة أمام سعادة البشرية. إنّه حاجز كبير يمنع العقيدة المثلى من وصولها إلى النفوس الطاهرة والفطرة السليمة.

فالشرك يفتن الناس بأساليبه ودعاياته المضلّلة فيزرع الشكّ في ضعاف القلوب ويصدّهم عن السعادة الأبديّة، فهذه قوة ظالمة مخرّبة مهلكة لابدّ من الوقوف ضدّها، ولابدّ من مقاتلة مريديها، لابدّ من استئصال الشرك حتّى يبقى الأمن والأمان، فيمارس الإنسان حرّيّة التديّن بالإسلام، وامتثال أوامره، والانتهاج بنهجه، لذا شرّع الجهاد منذ اللحظة الأولى التي عاش فيها الإسلام في شبه الجزيرة العربية وهو مهدّد بخطر المشركين واعتداءاتهم المستمرّة، فما كان من المسلمين إلاّ أن يواجهوا هذا الخطر بالقتال والتضحية بالأنفس والأموال؛ حتى يبقى الإسلام عزيزاً مكرّماً خالداً بخلود الزمان، وهذا المعنى ـ الجهاد ـ لا يقتصر على صدر الإسلام وما قام به الرسول (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الكرام، بل يمتدّ إلى كلّ الأعصر والأزمنة، حتّى تُزال قوى الظلم عن الوجود، وتكون الكلمة الخالصة لله.

﴿**ويكون الدين كلّه لله**﴾، أي: لابد أن تقاتلوهم حتّى تزول كلمة الكفر ويستقرّ الإسلام، ويكون المعبود هو الله وحده لا شريك له، ولا دين إلاّ الاسلام؛ وقد ورد عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»[1].

(١) نور الثقلين ١ / ١٧٨.

﴿فإن انتهوا﴾، أي: رجعوا إلى صوابهم ورشدهم، وتركوا الكفر، وأذعنوا للإسلام فبها ونعمت.

﴿فلا عدوان إلاّ على الظالمين﴾، أي: لا قتال عليهم، ولا شيء يسوؤهم، ولا عقوبة تمسّهم، سوى من أصرّ على الكفر أو القتال.

وعن قتادة: أنّ الظالم الذي أبى أن يقول لا إله إلاّ الله يقاتل حتى يقول: لا إله إلاّ الله. كما حكاه الدرّ المنثور عنه(١).

كما عرفت أنّ هذه الآية من ضمن الآيات التي نزلت في تشريع الجهاد بعدما كان المسلمون غير مأذونين بحرب أعدائهم من المشركين والكفار من قريش وسائر العرب وأهل الكتاب، قال تعالى: **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهلِ الكِتَابِ لو يَرُدّونَكُم مِّن بَعدِ إِيمَانِكم كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِندِ أَنفُسِهم مِّنْ بَعدِ مَا تَبَيّن لَهُمُ الحَقُّ فَاعفُوا واصفَحُوا حتّى يَأتِي اللهُ بأمرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ...﴾**(٢).

فالآية الكريمة هنا تأمر المسلمين بالعفو والصفح **﴿حتّى يَأتِي اللهُ بأمرِهِ...﴾**.

إذاً، الحرب في بدء الدعوة لم تكن مشرّعةً، ولكن بعدما قويت شوكة المسلمين اذِنَ اللهُ لهم بالقتال؛ حتّى تكون كلمة «لا إله إلاّ الله» هي العليا؛ لأنّها رمز التوحيد، وغاية عزّ المسلمين.

ومتى ما تقاعس المسلمون عن الجهاد وحرب الأعداء سلّط الله عليهم البلاء، وتحكّم فيهم الطغاة، وتسلّط الظالمون على الرقاب، فآنذاك تعيش الأمّة حياة الذلّ والهواه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أمّا بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنّة فمن

---

(١) الدر المنثور والميزان ٢ / ٧٢.

(٢) البقرة / ١٠٩.

تركه رغبة عنه ألبسه الله الذلّ وسيم الخسفا[١].

واعلم: أنّ الجهاد أوّله جهاد النفس، ثم يأتي بعد ذلك جهاد أعداء الدين، وهم المشركون والكفّار، وهؤلاء أيضاء على أقسام:

القسم الأوّل: مجاهدة مشركي مكّة ومن انطوى تحت لوائهم. وهناك آيات عديدة منها: ﴿**وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله فإن انتهوا فان الله بما تعملون بصير وإن تولّوا فاعلموا أنّ الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير**﴾[٢].

القسم الثاني: مجاهدة أهل الكتاب ومحاربتهم؛ لأنّ هؤلاء وإن أظهروا التوحيد إلاّ أنهم أشركوا بالله، كاليهود والنصارى، كما قال تعالى: ﴿**وقالت اليهود عُزيرٌ ابن اللهِ وقَالت النصارى المسيحُ ابن الله...**﴾[٣]. وكذا قوله تعالى: ﴿**اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاّ هو سبحانه عمّا يشركون**﴾[٤].

وقد أمر الله المسلمين بمحاربة هؤلاء كما في قوله تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقِّ من الذين أوتوا الكتاب حتّى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**﴾[٥].

القسم الثالث: محاربة المشكرين كافّةً، كما قالت الآية الكريمة: ﴿**وقاتلوا المشركين كافّةً كما يقاتلونكم كافّةً واعلموا أنّ الله مع المتّقين**﴾[٦].

---

(١) وسائل الشيعة باب: ١ من أبواب جهاد العدو، ح: ٢٥ و١١ / ١١.

(٢) الأنفال / ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) التوبة / ٣٠.

(٤) التوبة / ٣١.

(٥) التوبة: ٢٩.

(٦) التوبة / ٣٦.

وهؤلاء المشركون هم غير أهل الكتاب، لذا كانت محاربتهم أينما وجدوا، قال تعالى: **﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصَدٍ فإن تابوا وأقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ فخلّوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم﴾**(١).

القسم الرابع: محاربة الكفّار جميعاً، كما في قوله تعالى: **﴿يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلُونَكم من الكفّار وليجدوا فيكم غلظة﴾**(٢).

ثمّ اعلم: أنّ الجهاد ما شُرّع إلاّ لإعادة الإنسان إلى فطرته الأولى؛ لأنّ الكفر والشرك حالات غير طبيعيّةٍ، تدخل في تفكير الفرد السقيم الذي ابتعد عن صفاء النفس والروح، والتجأ إلى الظلم والإجرام بحقّ نفسه أو بحقّ الآخرين، وهذا انفلات عن الضوابط الإنسانيّة، والارتماء في أحضان الفساد والرذيلة. أمّا الدين الإسلاميّ فهو دين الفطرة والإنسانية والعدالة، جاء كي ينقذ البشر من الظلم والضلال ويدخلهم في النور والهداية. لذا كان بدء الرسالة دعوة الناس إلى الله تعالى وتوحيده بأسلوبٍ هادئٍ وجميلٍ وحسنٍ، كما في قوله تعالى: **﴿ادعوا إلى سبيل ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة...﴾**(٣).

وهذا يلتقي مع فطرة الناس وصفائهم. أمّا مَن أبى واستكبر: كالكفّار والمشركين فلابدّ من إرجاعهم إلى الحقّ والصواب بأيّ وسيلةٍ كانت، ومنها: المحاربة والقتال؛ لأنّ وجود هؤلاء فتنة، ومع بقائهم صدمة للدين وموت للمسلمين، وبعكسه حياة وسعادة للمسلمين وللبشرية، قال تعالى: **﴿يا أيّها الذين آمنوا استجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لما يحييكم...﴾**(٤)، فإنّ دعوة الرسول إلى الجهاد هي دعوة لإعادة الحياة إلى الإنسانية.

---

(١) التوبة / ٥.

(٢) التوبة / ١٢٣.

(٣) النحل / ١٢٥.

(٤) الأنفال / ٢٤.

تأول الآية والدليل الروائي

في كامل الزيارات: قال: حدّثني محمد بن جعفر الرزّاز، عن محمد بن الحسين، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله تبارك وتعالى: ﴿**لا عدوان إلاّ على الظالمين**﴾[1] قال: أولاد قتلة الحسين (عليه السلام)[2].

وفي العلل وتفسير العيّاشيّ بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن عليّ بن موسى الرضا(عليهما السلام): يا ابن رسول الله ماتقول في حديثٍ روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين (عليه السلام) بفعال آبائها، فقال: هو كذلك، قلت: يقول الله عزوجلّ: ﴿**ولا تزرُ وازرة وزر أُخرى**﴾ ما معناه؟ فقال: صدق الله في جميع أقواله، لكنّ ذراري قتلة الحسين (عليه السلام) يرضون بأفعال آبائهم ويفترخون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قُتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عندالله ـ عزوجلّ ـ شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم»[3].

وفي حديث مناجاة موسى (عليه السلام) الذي ذكر فيه قصّة الحسين (عليه السلام) قال موسى: «برئت إليك اللهم منهم وممن رضي بفعالهم»[4].

وتجد هذا المعنى في كثير من الزيارات المأثورة: لعن الله من قتلك أو

---

(١) بعض آية؛ البقرة / ١٩٣.

(٢) كامل الزيارات ٦٤ باب ١٨.

(٣) تفسير البرهان ١ / ١٩١، وعلل الشرايع ٢٢٩.

(٤) البحار ٤٤ / ٣٠٨ ونور الثقلين ١ / ١٧٨.

شرك في دمك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به.

كما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنّ الراضي بفعل قومٍ كالداخل فيه أو معهم».

وعن السجاد (عليه السلام): «أنّ مخاطبة الله تعالى لليهود الذين كانوا في عصر النبيّ (صلى الله عليه وآله) بفعال آبائهم من الخير والشرّ، أو بما بهم فعل إنما هي من جهة أنّ الأخلاق راضون بما فعل الأسلاف أو فعلوه. وقد نزل القرآن بلغة العرب، وهم يخاطبون بمثل ذلك، يقول الرجل للتميميّ الذي أغارقومه على بلدةٍ وقتلوا من فيها: أغرتم على بلدة كذا، أو فعلتم كذا، أو قتلتم أهلها وإن لم يكن هو معهم.

والسرّ إلاّ نهي في ذلك: أنّ الراضين يكونون في سنخ الفاعلين بحسب الطينة الأصلية والحقيقة الذاتية بحيث لو قدروا على ما قدر عليه أُولئك لفعلوا ما فعلوا.

في تفسير العياشي: عن الحسن بيّاع الهرويّ، يرفعه عن أحدهما في قوله: «لا عدوان إلاّ على الظالمين» قال: إلاّ على ذريّة قتلة الحسين (عليه السلام)»[1].

وكذا فيه، عن إبراهيم قال: أخبرني من رواه، عن أحدهما قال: قلت: «فلا عدوان إلاّ على الظالمين» قال: لا يعتدي الله على أحدٍ إلاّ على نسل قتلة الحسين (عليه السلام)»[2].

---

(١) تفسير العياشي ١ / ٨٦ والوسائل ٢ باب ٥ وتفسير الصافي ١ / ١٧٢ وتفسير البرهان ١ / ١٩٠ ونور الثقلين ١ / ١٧٨.

(٢) تفسير العيّاشي ١ / ٨٧ وتفسير البرهان ١ / ١٩٢.

الآية التاسعة:

قوله تعالى..

﴿وأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ولاَ تُلقُوا بِأيدِيكُم إِلى التَهلُكَة وَأَحسِنُوا إِنّ اللهَ يُحِبّ المُحسِنِين﴾(١)

مفهوم الإنفاق في الآية الكريمة يشمل جميع صوره التي ألِفها المجتمع البشري: كالصدقات، وصلة الأرحام والحقوق الواجبة. والعطاء الذاتيّ: كبذل النفس وتقديمها لله في مواطن الجهاد، وبذل الأموال في الخير والمعروف والطاعة، إلاّ أنّ أصدق هذه المفاهيم وأقربها للآية الكريمة هو الجهاد في سبيل الله سواء كان ببذل المال أو ببذل النفس.

وشرط قبول الإنفاق يجب أن يكون خالصاً لله، خالياً من كلّ ضميمةٍ مبطلةٍ له كالمنّة، والرياء وغيرهما.

وقد يترتب على الإنفاق بعض المضارّ الدنيويّة: كفقد المال أو الجاه أو الحياة، فهل ذلك جائز؟ وما دليله؟ وكيف نوفّق ـ إذا قلنا بالجواز ـ مع الآية الكريمة: **﴿ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾**؟

لو تأمّل الإنسان المؤمن الفطن في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ـ وهما أصلان رئيسيّان للأحكام، ومنبعان خالصان للتشريع الإسلامي ـ لوجد أنّ الشريعة الإسلامية قد أباحت الضرر اليسير أو الضرر الدنيويّ لو ترتّب عليه مصلحة إسلامية، سواء كانت هذه المصلحة خاصّةً ـ كأن تعود للفرد وحده ـ أم عامّةً تعود للمجتمع الإسلاميّ بصورةٍ ما.

ومن هنا أوجب الله الجهاد على الأمم السالفة واللاحقة بضمنها أُمّة

---

(١) البقرة / ١٩٥.

محمد(ﷺ) إعلاءً لكلمة الله، وهي كلمة التوحيد ضدّ الكفر والشرك.

وعلى هذا كان الجهاد من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، وقد فتح الله بابه للخاصّةٍ من عباده وأصفيائه.

والإنفاق ـ هنا ـ أُريد به مقدّمةً للجهاد، فكما أنّ الجهاد واجب فمقدّمته كذلك واجبة.

﴿ولاَ تُلقُوا بِأيدِيكُم إلى التَهلُكَة﴾، الإلقاء: هو الدفع والطرح، والأصل من لقي الشيء استقبله وواجهه. ويستعمل في الشرّ أكثر منه في الخير، والفعل يتعدّى بنفسه، وقد جاءت «الباء» مع المفعول لتوكيد النهي.

و«الأيدي»: الأنفس مجازاً؛ لأن اليد سبب لإظهار كثيرٍ من الأفعال. و«التهلكة»، أي: الهلاك والإهلاك والفناء.

مفاد الآية: لا تتركوا الغزو والإنفاق فيه، وتركهما يفضي إلى الهلاك والخسران. فالنهي عامّ، إلاّ أنّ جملة **﴿ولاَ تُلقُوا بِأيدِيكُم إلى التَهلُكَة﴾** معطوفة على جملة **﴿وأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ﴾** فممّا يظهر: أنّ النهي أُريد به جانبي الإفراط والتفريط من جهة الإنفاق، لأنّه إن كان تقتيراً وبخلاً في الإنفاق فذلك ممّا يفوّت الفرصة على المسلمين، فحينئذٍ يتمكّن العدوّ منهم، ويخسر المسلمون آنذاك الحرب، وهذا منهيّ عنه.

وكذا الإسراف في الإنفاق والتبذير فهو إضاعة للمال، ممّا يوجب الفقر والعوز، وهذا أيضاً يؤدّي إلى نكد العيش والذلّ.

وممّن اختار هذا المعنى من العامّة الجبائي، وكذا روى البيهقيّ في الشعب، عن الحسن في معنى التهلكة: أنها البخل، لأنّه يؤدّي إلى الهلاك المؤبّد، فيكون النهي مؤكّداً للأمر السابق(١).

وقد أيّد الآلوسيّ المعنى المتقدّم بالخبر الوارد عن أبي عمران، قال: كنّا

---

(١) تفسير روح المعاني ٢ / ٧٨، وكذا تفسير مجاهد ١ / ٩٩.

بالقسطنطينيّة فخرج صف عظيم من الروم، فحمل رجل من المسلمين حتّى دخل فيهم، فقال الناس: ألقى بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيّوب الأنصاريّ فقال: أيّها الناس، إنّكم تؤوّلون هذه الآية هذا التأويل، وإنّما نزلت فينا معاشر الأنصار، إنّا لمّا أعزّ الله تعالى دينه وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول‌الله(صلى الله عليه وآله) : إنّ أموالنا قد ضاعت، وإنّ الله تعالى قد أعزّ الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه(صلى الله عليه وآله) ما يرد علينا ما قلنا ﴿**وأنفقوا...**﴾، فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وترك الغزو...[١].

وفي التهلكة معنى آخر نسبه بعض مفسري العامة إلى البراء بن عازب قال: أي المعنى لا تقتحموا في الحرب بحيث لا ترجون النفع ولا يكون لكم فيه إلاّ قتل أنفسكم، فإنّ ذلك لا يحلّ، وإنّما يجب أن يقتحم إذا طمع في النكاية وإن خاف القتل، وإلاّ فمع كونه آيساً من النكاية وظنّه المغلوبيّة فليس له أن يقدم عليه[٢].

أقول: هذا ما نقله الفخر الرازيّ في تفسيره، إلاّ أنّني وجدت ما يخالف ذلك في تفسير الآلوسي، ولا بأس بنقل العبارة، قال: وأخرج سفيان بن عيينة وجماعة، عن البرّاء بن عازب: أنّه قيل له: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ هو الرجل يلقى العدو فيقاتل حتّى يقتل، قال: لا، ولكن هو الرجل يذنب الذنب فيلقي بيديه، فيقول: لا يغفر الله تعالى لي أبداً...[٣].

يتّضح من النصّ: أنّ هناك سائلاً قد سأل البرّاء بن عازب في شأن التهلكة، والسؤال كان يحوي جوانباً، إلاّ أنّ مدى صحّة ذلك الجواب غير

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٧٧.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٥ / ١٥٠.

(٣) روح المعاني ٢ / ٧٨، والدر المنثور ١ / ٢٠٨.

معلوم، والبرّاء نفى ذلك الجواب بجوابٍ آخر، وهو: الرجل يذنب الذنب...الخ.

وكيفما كان؛ فالخبران من حيث المتن فيهما تناقض واختلاف كبير؛ ونحن نردّ على هذا وأمثاله من مفسّري العامّة الذين يقرّون ذلك المعنى الذي ذكره الرازي، ولا يخفى أنّ البعض منهم يذهب أكثر من ذلك، فيقول: إنّما استحقّ الحسين القتل من يزيد؛ لأنّه خرج على إمام زمانه، وقد عرّض نفسه للتهلكة، ويزيد معذور في قتله...!!

تأمّل أيّها القارئ، كيف أعمى الله قلوب هؤلاء النفر حتّى قالوا ببراءة يزيد، وأنّه معذور أمام الله...!!

ولم تقف الأيدي الأثيمة والأقلام المأجورة عند هذا الحدّ، بل أخذ تجّار الباطل والتزوير في طمس الحقائق، وقلب المفاهيم، وتشويه معالم التاريخ، فقد أودعوا في كتبهم الكذب والافتراء وتحريف الكَلِم عن مواضعه...، ولم يكتفوا بذلك، بل يخادعون الناس بقولهم: إنّهم يبحثون عن الحقيقة...ويبغون من عملهم ذاك تنقيح التاريخ الإسلامي وتحقيقه...!!

لكن لو اطّلعت على ما كتبوه لوجدت الكذب والافتراء والتحريف أوضح من شمس النهار، فتبّاً لهم ولما يصنعون؛ ﴿**والذين يمكرون السّيئاتِ لهم عذاب شديد ومكر أُولئك هو يبور...**﴾[1].

بين فترةٍ وأُخرى ينفجر بركان الحقد والحسد، متّخذاً صور الدفاع عن يزيد وبني أُميّة الذين تلطّخت أيديهم بدماء الابرياء من المؤمنين والصحابة والعترة الطاهرة من آل الرسول (صلى الله عليه وآله) في واقعة كربلاء، وقتلهم الحسين (عليه السلام) ظلماً وعدواناً، وكم علت صرخات الباطل من هؤلاء المسعورين؛ كي يعيدوا المجد لآل أبي سفيان، الذي ما انعقدت راية ضدّ الإسلام ـ آنذاك ـ إلاّ وأبو سفيان قائدها.

---

(١) فاطر / ١٠.

وهكذا بالنسبة إلى سلالة هـذا العـمود الخبيث الذي تـوالت النكـبات والمصائب على المسلمين باغتصابهم الخلافة من أهلها الشرعيّين من جـهة، وأنّهم طمسوا معالم الإسلام، وغيّروا السّنن، وحرّفوا الكـتاب، بـل مـزّقوه[1]، وأظهروا أحقادهم ونزعاتهم الجاهليّة، وركنوا إلى العصبية التي نهى عنها الدين الحنيف من جهةٍ أخرى.

﴿وأحسِنوا﴾، الإحسان له وجوه كثيرة، ولا يبعد أن يحمل في الآية على أن يحسن الفرد في الإنفاق في الجهات المعدّة له: كالإنفاق في الحرب، والبذل على المجاهدين، وتهيئة العدّة والسلاح للمقاتلين الذين يفتقرون إلى أجهزة القتال وآلاته، على أن لا يكون في الإنفاق تقتير أو تبذير.

ويمكن أن يراد بالإحسان من حيث الفعل الحسن؛ أي: القتال في مورد القتال، والكفّ فـي مـورد الكـفّ، وإلى غـير ذلك مـن الكـرّ والفـرّ اللائـقين بالمصلحة العامّة التي تفرضها الحرب وسير المعركة.

واعلم: أنّ الإقدام على الجهاد والذبّ عن حِمى الإسلام واجب بأمرٍ من الله والرسـول؛ فـالشارع المـقدّس أوجـبه لدرء الخـطر المـحيط بـالإسلام والمسلمين، والذي يتجدّد هذا الخطر كلّما قام للشرك دور يباغت فيه حصن

---

(١) لقد استفتح الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان ذات يومٍ في القرآن فقرأ الآية ﴿ واسـتفتحوا وخاب كلّ جبّارٍ عنيد من ورائه جهنّم ويُسقى من ماءٍ صديد﴾ فدعا بالمصحف فنصبه غـرضاً للنشّاب، وأقبل يرميه وهو يقول:

أتـــوعدُ كـــلّ جـــبّارٍ عـــنيدٍ ... فـــها أنـــا ذاك جـــبارٌ عـــنيدُ
إذا مـــا جـــئت ربّك يـــوم حشـــرٍ ... فـــقل يـــا ربّ خـــرّقني الوليـــدُ!!

وذكر محمد بن يزيد المبرّد النحوي أن الوليد ألحد في شعرٍ له، ذكر فيه النبيﷺ، وذكر أنّ الوحي لم يأتِه عن ربّه ـ كذب أخزاه الله ـ من ذلك الشعر يقول:

تـــلعّبَ بـــالخلافة هـــاشميّ ... بـــلا وحـــيٍ أتـــاه ولا كـــتاب
فـــقل لله يـــمنعني طـــعامي ... وقـــل لله يـــمنعني شـــرابـــي!!

انظر مروّج الذهب، للمسعودي ٣ / ٢١٦.

الإسلام.

فالجهاد واجب وإن لم يحقّق نصراً أو نفعاً في الحال، وواضح أنّ الفوائد المترتّبة على ذلك كثيرة، أقلّ ما يقال هنا: هو إبراز وحدة المسلمين تجاه الشرك، وإظهار تفاني أهل التوحيد لغرض إعلاء كلمة الله سبحانه وإعزاز دينه، أضف إلى ذلك إرهاب الشرك والوقوف ضدّ مخطّطاته الخبيثة.

ومن هنا ترى غزوات الرسول (ﷺ) تلاحق قوى الشرك والكفر في الجزيرة العربية وخارجها، عندما قويت شوكة المسلمين، وفي الوقت نفسه تجد بعض الغزوات لم يحقّق المسلمون فيها نصراً على أعدائهم...، وإلاّ كان الاقتحام في الهلكة واضحاً على رأي من يرى أنّه هلاك للنفس.

﴿إنّ الله يحبّ المحسنين﴾، الجملة واضحة الدلالة؛ فإنّ المحسن في جميع وجوه الإنفاق ينال رضى الله سبحانه وثناءه؛ لأنّ الله يحبّ وجوه الخير، والإحسان أحد وجوهه.

تأويل الآية والدليل الروائي من باب الجري

لقد عرفت قبل قليل: أنّ الجهاد في سبيل الله من الفرائض التي سنّها الإسلام، وهي الفريضة المقدّسة التي أعطت للإسلام عزّة، وللمسلمين الهيبة والسؤدد. فمن خلال الحديث الذي ذكره الآلوسيّ: عن أبي عمران، قال: كنّا بالقسطنطينية فخرج صف عظيم من الروم...الخ[1]. ومن أحاديث أُخرى نستدلّ بها على أنّ التهلكة المقصودة لا تكون في الإقدام على الجهاد، بل إنّما التهلكة في الإعراض عنه والجنوح الى الأهل والملذات، والركون إلى الدنيا. فمن أعرض عن أمر الشارع المقدّس كان تهلكةً لنفسه وللغير، لذا نهت الآية الكريمة عن ذلك.

ولا يخفى أنّ الحسين (عليه السلام) قد أنفق جلّ ما يملكه وأعزّ شيء، وهو: بذل النفس، وذلك أقصى غاية الجود، حيث قدّم نفسه قرباناً لله بعدما قدّم أولاده وإخوته وبني عمومته، ولم يسلم منهم حتّى الطفل الرضيع، وكلّ ذلك كان قد أعلنه ـ مسبقاً ـ لأهل بيته وأصحابه بما تؤول إليه الحرب؛ من قتلٍ وسبيٍ وتشريدٍ...الخ، لكنّ نتيجة الحرب هذه هو الفتح والنصر؛ حيث قال (عليه السلام): عند خروجه من الحجاز: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح[2].

وأيّ فتحٍ أراده الحسين (عليه السلام) غير إعلاء كلمة الله والإسلام، كما أنّ الحرب ضدّ الكفر والشرك ـ شرك يزيد وأتباعه ـ هو تعرية لنظام الأمويين

---

(١) راجع تفسير روح المعاني للآلوسي ٢ / ٧٧، والتفسير الكبير للرازي ٥ / ١٥٠، وتفسير الميزان ٢ / ٧٣.

(٢) كامل الزيارات ص ٧٥.

وإظهار حقيقة الإسلام، وأنه يأبى الضيم والخنوع...

قال السيّد ابن طاووس: والذي تحقّقناه: أن الحسين (عليه السلام) كان عالماً بما انتهت حاله إليه، وكان تكليفه ما اعتمد عليه، ...إلى أن قال: ولعلّ بعض من لا يعرف حقائق شرف السعادة بالشهادة يعتقد أنّ الله تعالى لا يقبل بمثل هذه الحالة. أمَا سمع في القرآن الصادق المقال أنّه تعبّد قوماً بقتل أنفسهم فقال تعالى: ﴿**فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم**﴾ ولعله يعتقد أنّ معنى قوله تعالى: ﴿**ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ أنّه هو القتل، وليس الأمر كذلك، وإنّما التعبّد به من أبلغ درجات العبادة[1].

---

(١) اللهوف في قتل الطفوف

الآية العاشرة:

قوله تعالى..

﴿ومِنَ النَّاسِ مَن يَشرِي نَفْسَهُ ابتِغَاءَ مَرضَاتِ اللهِ واللهُ رَؤوفٌ بِالعِبَادِ﴾[(١)]

اختلف المفسّرون في سبب نزول الآية، لكنّ المشهور عندنا وعند بعض العامّة: أنّها نزلت في الإمام عليٍّ (عليه السلام)، عند مبيته على فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله) لمّا خرج إلى الغار متستّراً عن قريش لمّا أجمعت على قتل النبيّ (صلى الله عليه وآله).

فقد نقل الفخر الرازيّ في تفسيره الكبير: أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عندما بات على فراش الرسول ليلة خروجه إلى الغار[(٢)].

وفي تفسير الثعلبيّ ـ وغيره ـ بإسناده إلى ابن عبّاس، وطرق أُخرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل أني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر أخاه على الحياة فكلاهما كرها الموت، فاوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل وليّي عليّ بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد نبيّي، فآثره بالحياة على نفسه، ثمّ أرقده على فراشه يقيه بمهجته، إهبطا إلى الأرض جميعاً واحفظاه من عدوّه، فهبط جبرائيل فجلس عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجعل جبرائيل يقول: بخٍّ بخٍّ، من مثلك يا ابن أبي طالب والله يباهي بك الملائكة، فأنزل الله **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاتِ الله...﴾**[(٣)].

في غاية المرام: عن طريق العامّة، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: إنّ أوّل

---

(١) البقرة / ٢٠٧.

(٢) التفسير الكبير ٥ / ٢٢٣.

(٣) تفسير البرهان ١ / ٢٠٧، ومجمع البيان ١ / ٣٠١.

من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى عليّ بن أبي طالب[١].

وفي روح المعاني أقوال عديدة في سبب نزول الآية: منها: قال: وقال الإماميّة وبعضٌ منّا: إنّها نزلت في عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ حين استخلفه النبيّ (صلى الله عليه وآله) على فراشه بمكّة لمّا خرج إلى الغارّ...[٢].

وفي المناقب لابن شهر آشوب ـ وغيره ـ قال: نزل قوله: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاتِ الله والله رؤف بالعباد**﴾ في عليٍّ حين بات على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ورواه العيّاشي أيضاً، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: وأما قوله: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاتِ الله واللهُ رؤف بالعباد**﴾ فإنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) حين بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما طلبته كفّار قريش[٣].

وفي المجمع ـ بعدما ذكر سبب نزول الآية ـ عن السديّ، عن ابن عبّاس،

---

(١) غاية المرام ٣٤٤ الباب ٤٥ ط حجرية.

وقد ذكر البحراني طرقاً عديدةً من أبناء العامّة تربو على العشرة في نزول الآية في عليّ بن أبي طالب؛ من تلك الطرق عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، منها عن أبي المؤيد موفق بن أحمد، منها عن طريق تفسير الثعلبي، منها عن محمد بن عبدالله القاييني، منها عن أبي نعيم الحافظ، منها عن ابراهيم بن محمد الحمويني وكذا المالكيّ في كتاب الفصول المهمّة قال: أورَدَ الإمام حجّة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزاليّ رحمه الله في كتابه «إحياء علوم الدين»: أن الليلة التي بات عليّ بن أبي طالب على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله أوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل: أنّي آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيّكما يؤثر صاحبه الحياة...الخ الحديث.

راجع في ذلك تفسير الثعلبي ج ١ تفسير الآية، وابن الفارسي في روضة الواعظين، والشيباني في تفسيره نهج البيان، وابن عقبة في ملحمته، وأبو السعادات في فضائل العشرة، والغزاليّ في الأخبار، وفضائل الصحابة عن عبدالملك العكبريّ، وعن ابن المظفر السمعاني، ...أما طرق الامامية فهي كثيرة فراجع.

(٢) تفسير روح المعاني ٢ / ٨٣.

(٣) تفسير القمي ١ / ٧١، تفسير العياشي ١ / ١٠١، تفسير البرهان ١ / ٢٠٦.

أنها نزلت في عليّ بن أبي طالب. وذكر قولاً آخر عن عكرمة: أنّها نزلت في أبي ذرّ الغفاريّ جندب بن السكن، وصهيب بن سنان...، ثم قال: وروي عن عليٍّ وابن العبّاس: أنّ المراد بالآية: الرجل الذي يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال قتادة نزلت في المهاجرين والأنصار.

وقال الحسن هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله[(١)].

هذه بعض المصادر والأقوال التي أكّدت على أنّ نزول الآية في الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، ولولا الإطالة لذكرنا عشرات المصادر من طرق الشيعة وأهل السنّة، لكنّا اكتفينا ببعضها، وأشرنا إلى بعضٍ منها في الهامش.

غير أنّ العجيب في الأمر: أنّ بعض المفسّرين لا يروق لهم أن تكون للإمام عليّ (عليه السلام) تلك الفضائل والمناقب بحيث ينزل الذكر الحكيم بمدحه والثناء عليه، لذا فإنّ هؤلاء غضّوا الطرف عن ذكر تلك الروايات التي تنصّ وتخصّص نزول تلكم الآيات البيّنات بحقّ الامام عليّ (عليه السلام) . فقد أسدلوا الستار على الكثير منها بُغضاً منهم له، وأنّ محبّيه كتموا فضائله خوفاً من أعدائهم، ومع ذلك فما تراه قد ملأ الخافقين كالمسك يعطي رائحةً وإن أخفيته.

فهذا السيوطي يؤكّد على أنّ نزول الآية في صهيب، وصاحب الظلال لا يعبء أن يذكر رواية في حقّ عليٍّ، وهكذا آخرون...[(٢)].

و﴿**الشراء**﴾ في الآية الكريمة بمعنى: البيع؛ لأنّ الجهاد هو بذل النفس، وباذلها هو الإنسان، والغاية: هو مرضاة خالقها، والمشتري هو الله جلّ ثناؤه،

---

(١) مجمع البيان ٢ / ٣٠١.

(٢) الدرّ المنثور ١ / ٢٣٩، وفي ظلال القرآن ٢ / ٢٩٧ ط ٥.

ذكر الحديث جمع من الصحابة، مثل: أنس بن مالك، وأبي زيد الأنصاري، وابن عباس، وجابر الأنصاري، وأبي ذر الغفاري، وأبي رافع، وهند ابن أبي هالة، وعمّار بن ياسر؛ وهناك طرق عديدة تنتهي إلى عليّ بن الحسين، وبعضها تنتهض إلى الإمام عليٍّ (عليه السلام).

فكأنّما في الآية تصوير نوعٍ من المعاملات، وهي معنويّة لا مادّية. فهناك طرفا العقد: البائع والمشتري، وهناك ثمن ومثمن.

أمّا البائع: فهو الإنسان الذي أخلص لعقيدته ودينه. وأمّا المشتري: هو الله سبحانه وتعالى وإن كان بدءً منح الحياة للإنسان فجعلها عزيزةً غاليةً لا يمكن أن يتفادى بها المرء، لذا رغّب الناس على الجهاد، ووعدهم الجنّة خالدين فيها.

أمّا الثمن: فهو بذل النفس والروح في جهاد أعداء الله، والذّب عن بيضة الدين، والانتصار لإعلاء كلمة التوحيد.

أمّا الثمنك فهو الجنّة التي تجري من تحتها الأنهار...

هذا هو الشراء الذي معناه: البيع، ويدلّ عليه قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿**وشروه بثمنٍ بخس...**﴾ أي باعوه بثمن بخس.

فالذي يبذل نفسه كالبائع، والله تعالى شأنه كالمشتري. قال تعالى: ﴿**إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة...**﴾[1].

وقد سمّى الله تعالى ذلك تجارةً، بدليل قوله عزّ ذكره: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم...**﴾[2].

---

(١) التوبة / ١١١.

(٢) الصف / ١٠ ـ ١١.

تأويل الآية والدليل الراوئي من باب الجري

ذكرنافي الصفحات السابقة عن المجمع، عن أمير المـؤمنين (عليه السلام) أن المراد بالآية: الرجل يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

أقول: من ابرز مصاديق هذه الآيه: الحسين بن عليّ (عليه السلام) ، إذ لم يخرج على يزيد إلاّ ليأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويقيم حدود الله.

لكن ماذا أقول لمن ذاب في حبّ بني أُميّة، وعلّق مصير عـاقبته بـهم، فذهبت به النزعة الأُمويّة والعصبية الجاهلية كلّ مذهب ... فهذا الشيخ محمد الخضريّ في كتابه «محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية» يقول:

(... فإنّ الحسين أخطأخطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جرّ على الأُمّة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد أُلفتها الى يومنا هذا، وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلاّ أن تشتعل النيران في القلوب فيشتدّ تباعدها، غاية ما في الأمر: أنّ الرجل طلب أمراً لم يتهيّأ له، ولم يعدّ له عدّته، فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه، وقبل ذلك قتل أبوه، فلم يجد من أقلام الكاتبين ومن يتّبع أمر قتله ويزيد به نار العداوة تأجيجاً، وقد ذهب الجميع الى ربّهم يحاسبهم على ما فعلوا؟ والتاريخ يأخذ من ذلك عبرةً، وهي: أنه لا ينبغي لمن يريد عظائم الأمور أن يسير إليها بغير عدّتها الطبيعيّة، فلا يرفع سيفه إلاّ إذا كان معه من القوّة ما يكفل النجاح، أو يقرب من ذلك كما أنّه لابدّ أن تكون هناك أسباب حقيقية لمصلحة الأمّة، بأن يكون هناك جور ظاهر لايحتمل، وعسفٌ شديد ينوء الناس بحمله، أمّا الحسين فإنّه خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر منه ذلك الجور، ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف)[١].

---

(١) محاضرات في تاريخ الأُمم الإسلاميّة ١٢٩/٢ ـ ١٣٠، طـ ع سنة ١٣٥٤ هـ م الاستقامة المحاضرة الرابعة والثلاثون.

أقول: هل نسي الخضريّ أم غفل عن آيات الجهاد التي يزخر بها القرآن الكريم؟

أم أنّه ينكر الأحاديث النبويّة الشريفة الّتي تؤكّد على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضرورة الوقوف بوجه الحاكم الجائر والسلطان الظالم المتعسّف المتحكم برقاب الناس؟!

أم يعتقد الخضري ـ كمايعتقده سلفه من علماء المادّة وتجّار الدين وأرباب المصالح والنزوات ـ أنّ طاعة الرعيّة للخليفة واجبة، وإن كان الخليفة ظالماً جائراً، فاسقاً، ينتهك الحرمات، ويسفك الدماء ...الخ؟

فأيّ دينٍ هذا الذي يجور فيه الحاكم، ويسرق فيه الوالي، ويزني فيه الأمير أو القائد، ثم الخليفة يسفك الدماء ويحرّم حلال الله، ويحلّل حرام الله ...الخ؟

كأنّما هؤلاء السلف ومن تبعهم من المعاصرين ـ من كتّاب وعلماء ـ نسوا كتاب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب الإمارة والإمامة وغيرها من أبواب الفقه تجدها في جميع مصادر العامة الشيعة والسنّة وفيهما مئات الأحاديث الصادرة من صاحب الرسالة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ... والّذي تبيّن أهميّة الجهاد وفضله وسننه ومواقعه وطرقه وكل ما يتعلق به، وعدم إطاعة الحاكم الظالم فهل ينكرون تلك الأحاديث، أم أنهم عميت أبصارهم وبصيرتهم....؟

ولمّا وجدنا أنّ هذا الأُسلوب من التفكير عند هذه الطائفة في الوقت الحاضر يحذو حذو السلف من غير رويّةٍ ولا تفكيرٍ، بل حذو النعل بالنعل فقد كان لزاماً علينا أن تذكر بعض تلك الأحاديث الشريفة الّتي تنصّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم إطاعة الحاكم الجائر، بل التأكيد على الجهاد بكلّ صوره، وأن لا بيعة ولا طاعة إلاّ في معروف ...

نصوص من كتب السنّة في الوقوف بوجه الحاكم الظالم

١ ـ في مستدرك الصحيحين ٣٥٧/٣ في ذكر مناقب عبادة بن الصامت، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «سيلي أُموركم من بعدي رجال يعرّفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تعتبوا أنفسكم، فو الذي فنسي بيده إنّ معاوية من أُولئك ...».

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ٣٢٥/٥ و٨٤/٣ و١٦١/٢، وسنن البيهقيّ ١٦٩/٨ و١٥٩، والاستيعاب لابن عبدالبرّ ٣٩٦/٢.

٢ ـ في كنز العمّال ٦٧/٦: قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «لا طاعة لمن لم يُطع الله» حديث ١٤٨٧٢.

٣ ـ في كنز العمال ٦٧/٦: قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه». حديث ١٤٨٧٣.

٤ ـ المصدر السابق: قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «سيكون عليكم أئمّة يملكون أرزاقكم، يحدّثونكم فيكذبونكم، ويعملون فيسيئون العمل، لا يرضون منكم حتى تحسّنوا قبيحهم وتصدّقوا كِذْبهم، فأعطوهم الحقّ ما رضوا به، فاذا تجاوزوا فمن قُتل على ذلك فهو شهيد». حديث ١٤٨٧٦. كنز العمال ٦٧/٦ ذيل الحديث الشريف فيه تصريح بمجاهدة الحكّام الظالمين والوقوف بوجه أُولئك، لردعهم عن الفساد والمنكر والبدع، حتىٰ ولو كلّف ذلك إزهاق الروح وسفك الدم، ومن قُتل على هذا السبيل فهو شهيد.

٥ ـ المصدر السابق قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «طاعة الإمام حقّ على المرء المسلم ما لم يأمر بمعصية الله، فاذا أمر بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة». ٦٨/٦.

٦ ـ المصدر السابق، قال الرسول (صلى الله عليه وآله) : «إنّما الطاعة في معروف». أخرجه مسلم في صحيحه. الكنز ٥٠/٦ وهو مروي عن أُبي.

ويفهم من الحديث أنّ لا طاعة في منكر.

٧ ـ المصدر السابق، عن ثوبان قال الرسول (صلى الله عليه وآله) : «استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإن لم يستقيموا لكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثمّ أبيدوا خضراءهم». الكنز ٦٨/٦.

٨ ـ المصدر السابق، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلاّ وله حواريّون فيمكث بين أظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة نبيّه، فإذا انقرضوا كان من بعدهم أمراء يركبون رؤوس المنابر يقولون ما تعرفون، ويعملون ما تنكرون، فاذا رأيتم أُولئك فحقّ على كلّ مؤمنٍ يجاهدهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك إسلام».

ألفاظ الحديث صريحة في مجاهدة كلّ حاكمٍ أو أميرٍ أو خليفةٍ إذا عمل بالجور والظلم والمنكر كنز العمال ٧٣/٦.

٩ ـ «إنّ التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مؤمناً بالقرآن ولابي». كنز العمال ٦٥/٣.

١٠ ـ في كنز العمال، عن ابن مسعود قال: قال الرسول (صلى الله عليه وآله) : «تقرّبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وألقوهم بوجوهٍ مكفهرّةٍ، والتسموا رضا الله بسخطهم، وتقرّبوا الى الله بالتباعد منهم» ٦٥/٣.

١١ ـ عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثمّ تدعونه فلا يستجيب لكم». كنز العمال ٦٨/٣ و ٧٤ الحديث ٥٥٦٢ وأخرجه الترمذي.

١٢ ـ عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ) : «سيّد الشهداء حمزة ورجل قام الى سلطانٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله». رواه الحاكم.

١٣ ـ عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله (ﷺ) : «إنّ من أعظم الجهاد كلمة عدلٍ عند سلطانٍ جائر».

أخرجه أبوداود والترمذيّ والحاكم في المستدرك ٦٢٦/٣. وكنز العمّال ٦٤/٣ و٦٥ و٧٨ الحديث ٥٥٧٦ و٥٥١٤ و٥٥١٠ و٥٥١١ و٥٥١٢.

١٤ ـ وعن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله (ﷺ) : «ستكون أُمراء يظلمون ويكذبون وتغشاهم غواشٍ، أو قال: حواش من الناس، فمن أعانهم على ظلمهم وصدّقهم بكذبهم فليس منّي ولا أنا منه، ومن لم يصدّقهم بكذبهم ولم يعينهم على ظلمهم فهو منّي وأنا منه». كنز العمال ٣١٤/١١ الحديث ٣١٦١٣ طبعة حلب ١٩٧٤.

١٥ ـ وهناك أحاديث كثيرة تنصّ على مجاهدة السلطان الجائر، على سبيل المثال انظر أنساب الاشراف للبلاذري ١٧١/٣ والكامل في التاريخ ٢٨٠/٣. وكذلك احاديث في استحقاق الوالي الغاش لرعيته النارَ انظر في هذا: صحيح مسلم الكتاب الأوّل حديث ٢٢٩ ومسند احمد الكتاب الثاني ص ٤٢٥ و٤٣١ و٤٧٩ و٥٢١ والكتاب الرابع ص ٢٣١ والكتاب الخامس ص ٣٢٥ و٢٧.

هذه جملة من الأحاديث الشريفة الصادرة من صاحب الرسالة، والصادع بأمر الله، خاتم الأنبياء، الرسول محمد (ﷺ) الّتي نصّت على مجاهدة الطغاة والحكّام وولاة الجور وأُمراء الباطل والفساد والفجور وأهل البدع، لذا كان على المسلمين مناهضة أُولئك وإعلان الجهاد والحرب ضدّهم والوقوف بوجههم، ولابدّ للأُمّة أن تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر بشتّىٰ الوسائل وبمختلف السُبُل، وإن كلّف ذلك أرواحهم.

ولا شكّ أنّ حكّام بني أُميّة كانوا غاصبين للخلافة، واستعملوا الإرهاب

والسيف والنار في كمّ الأفواه، وعلاوةً على ذلك ارتكبوا الموبقات والزوائل، وأشاعوا الفساد بين الناس، وعاقروا الخمرة، وتجاهروا بالفسق والفجور، وهذا ما نصّت عليه كُتُب التاريخ.

ذكر الطبريّ في تاريخه لأحداث سنة (٢٨٤هـ) عندما سرد كتاب المأمون الذي أمر بإنشائه بلعن معاوية، وقد أراد المعتضد بالله أن يؤدّي نفس المهمّة، فأمر بإخراج الكتاب من الديوان، وهو كتاب مفصّل فيه مثالب أبي سفيان ومعاوية ويزيد وما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) في ذمّهم ونحن نقطف بعضه:

«... وكان ممّن عانده ونابذه وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر والسواد الأعظم، يتلقّونه بالتكذيب والتثريب، ويقصدونه بالأذيّة والتخويف، ويبارزونه بالعدواة وينصبون له المحاربة؛ ويصدّون عنه من قصده، وينالون بالتعذيب من اتّبعه، وأشدّهم في ذلك عداوةً وأعظمهم له مخالفة، وأوّلهم في كلّ حربٍ ومناصبةٍ، لا يرفع على الإسلام رايةً إلاّ كان صاحبها وقائدهاورئيسها في كلّ مواطن الحرب من بدرٍ وأُحُدٍ والخندق والفتح: أبوسيفان بن حرب وأشياعه من بني أُميّة الملعونين في كتاب الله، ثمّ الملعونين على السان رسول الله في عدّة مواطن وعدّة مواضع، لما في علم الله فيه وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم فحارب مجاهداً، ودافع مكابداً، وأقام منابذاً حتّىٰ قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون.

فتقوّل بالإسلام غير منطو عليه، واسرّ الكفر غير مقطع عنه، فعرفه بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمون، وميّز له المؤلّفة قلوبهم فقبلهُ، وولده على علمٍ منه.

فمّما لعنهم الله به على لسان نبيّه ـ صلى الله عليه وسلّم ـ وأنزل به كتاباً قوله: «**والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً**»، ولا اختلاف بين أحدٍ أنّه أراد بها: بني أُميّة.

ومنه: قول الرسول (ﷺ) ـ وقد رآه مقبلا على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: «لعن الله القائد والراكب والسائق».

ومنه: ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد منافٍ تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جنّة ولا نار، وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله، كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسىٰ بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

ومنه: ما يروون من وقوفه على ثنيّة أُحُد بعد ذهاب بصره، وقوله لقائده: هاهنا ذببنا محمّداً وأصحابه.

ومنه: الرؤيا التي رآها النبيﷺ فوجم لها، فما رُؤي ضاحكاً بعدها، فأنزل الله: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس**﴾، فذكروا: أنّه رأىٰ نفراً من بني أُميّة ينزون علىٰ منبره.

ومنه طرد رسول اللهﷺ الحكم ابن أبي العاص لحكايته إيّاه وألحقه الله بدعوة رسوله آيةً باقيةً حين رآه يتخلّج فقال له: كن كما أنت فبقي على ذلك سائر عمره، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أوّل فتنةٍ كانت في الإسلام واحتقابه لكلّ دمٍ حرامٍ سفك فيها، أو أُريق بعدها.

ومنه: ما أنزل الله على نبيّه في سورة القدر «ليلة القدر خير من ألف شهر» من ملك بني أُميّة.

ومنه: أنّ رسول اللهﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه، فدافع بأمره واعتلّ بطعامه، فقال النبي: لا أشبع الله بطنه، فبقي لا يشبع، ويقول: والله ما أنزل الطعام شبعاً ولكن أعيأ.

ومنه: أنّ رسول اللهﷺ قال: يطلع من هذا الفجّ رجل من أمّتي يحشر على غير ملّتي، فطلع معاوية.

ومنه: أنّ رسول اللهﷺ قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه».

ومنه: الحديث المرفوع المشهور: أنه قال: إنّ معاوية في تابوت من نارٍ في أسفل دركٍ منها، ينادي يا حنّان يا منّان الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين.

ومنه: انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم اليه سبقاً، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً، علي بن أبي طالب ينازعه حقّه بباطل، ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه، «**ويأبىٰ الله إلاّ أن يُتمّ نوره ولو كره المشركون**» يستهوي أهل الغباوة ويموّه على أهل الجهالة بمكره وبغيه الذين قدّم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ الخبر عنهما، فقال لعمار: تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنّة ويدعونك الى النار، مؤثراً للعاجلة، كافراً بالآجلة، خارجاً من ربقة الإسلام، مستحلاًّ للدم الحرام حتّىٰ سفك في فتنته وعلى سبيل ضلالته مالا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابّين عن دين الله، والناصرين لحقّه، مجاهداً لله، مجتهداً في أن يعصى الله فلا يطاع وتبطل أحكامه فلا تقاوم، ويخالف دينه فلا يدان، وأن تعلو كلمة الضلالة، وترتفع دعوة الباطل، وكلمة الله هي العليا، ودينه المنصور، وحكمه المتّبع النافذ، وأمره الغالب، وكيد من حادّه المغلوب الداحض، حتّىٰ احتمل أوزار تلك الحروب وما أتبعها، وتطوّق تلك الدماء وما سُفك بعدها، وسنّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة، وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع حقوق أهلها، واغتره الإملاء، وساتدرجه الإمهال، والله له بالمرصاد.

ثمّ مما أوجب الله له به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة، مثل: عمرو بن الحَمِق، وحجر بن عدي، فمن قتل أمثالهم في أن يكون له العزّة والملك والغلبة، ولله العزة والملك والقدرة، والله عزوجل يقول: «**ومن يَقْتُل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها**

وغضِبَ عليه ولعنهُ وأعدّ له عذاباً عظيماً».

وممّا استحقّ به اللعنة من الله ورسوله: ادّعاؤه زياد بن سميّة جرأة على الله، والله يقول: «أدعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله». ورسوله صلى الله عليه وسلّم يقول: «ملعون من ادّعي الى غير أبيه، وانتمىٰ الى غير مواليه». ويقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فخالف حكم الله عزوجل وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم جهارا. وجعل الولد لغير الفراش والعاهر لا يضرّه عهره فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أمّ حبيبة زوجة النبي (ﷺ) وفي غيرها من سفور ووجوهٍ ما قد حرّمه الله وأثبت بها قربىً قد باعدها الله وأباح بها ما قد حظره الله، ممّا لم يدخل على الإسلام خلل مثله، ولم ينل الدين تبديل شبهةٍ.

ومنه: إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله الى ابنه يزيد المتكبّر الخمير صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة، وهو يعلم سفهه، ويطّلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره ...)[١].

هذه مجموعة من مثالب بني أُميّة، وبالخصوص معاوية ابن أبي سفيان باعتراف أحد حكّام بنى العبّاس، وهو: المأمون العبّاسي، واقتضى اثره وأكّد قوله الخليفة المعتضد بالله العباسي، والذي أراد أن يلعن معاوية ابن أبي سفيان في صلاة الجمعة على المنابر.

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد قال: (وقد اشفقت المعتزله على أن أُمراء بني أُميّة كانوا فجّاراً، عدا عثمان وعمر بن عبدالعزيز ويزيد بن الوليد). شرح نهج البلاغة ٢١٥/١ طـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

والأحاديث الواردة عن الرسول (ﷺ) ـ في لعن وذمّ بني أُميّة وبالذات معاوية وأبيه وابنه فهي كثيرة جداً أكثر من أن تحصىٰ، ونحن نذكر بعضها على

---

(١) تاريخ الطبري ١٨٧/٨ طـع، بيروت مؤسسة الأعلمي ١٩٨٣ م.

سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ عن حمران بن جابر قال: سمعت الرسول (ﷺ) يقول: «ويلٌ لبني أُميّة» ثلاث مرّات. كنز العمال ٣٦٣/١١ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٩ م.

٢ ـ وقال (ﷺ) : «إنّ لكلّ دينٍ آفةً وآفة هذا الدين بنو أُميّة». كنز العمال ٣٦٤/١١ بيروت ١٩٧٩.

٣ ـ في تفسير الآية: «**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً ..**» بني اسرائيل /٦٠ نقل المفسّرون وأهل السيرة والحديث والتراجم والرجال: أنّ سبب نزولها هي الرؤيا التي رآها الرسول (ﷺ) : أنّ بني أُميّة ينزون على منبره نزو القرد، وكذا بنو العاص. انظر كنز العمال ١٦٥/١١ ط مؤسّسة الرسالة بيروت، والدرّ المنثور في ذيل الآية ومن عدّة طرق، وصحيح الترمذي ٣٥/٢ في باب ما جاء في الخلافة. وتهذيب التهذيب: ٢٩٨/٢، والاستيعاب لابن عبدالبرّ ٢٥٤/١.

٤ ـ قال الرسول (ﷺ) : «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه». كنوز الحقائق للمنّاوي ص٩، وميزان الاعتدال ١٢٩/٢، وتهذيب التهذيب ١١٠/٥، ٣٢٤/٧، ٧٤/٨، وسير أعلام النبلاء ٩٩/٣، وشرح النهج ٣٤٨.

٥ ـ عن أبي ذرٍّ قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إذا بلغت بنو أُميّة أربعين اتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً».

مستدرك الصحيحين ٤٧٩/٤ و٤٨٠ وكنز العمال ١٦٥/١١ حديث ٣١٠٥٨، والهيثمي في مجمعه ٧١/١٠، وحلية الأولياء لابي نعيم ٢٩٣/٦.

٦ ـ روى الحاكم (ت ٤٠٥)، عن عبدالرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحدٍ مولود إلاّ أتىٰ به النبي (ﷺ) فدعا له، فأُدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون». قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد. حياة الحيوان ٣٦٩/٢.

ومستدرك الصحيحين ٤٧٩/٤ حيدر آباد الدكن ١٣٤٢ م دائرة المعارف

النظاميّة.

٧ ـ وفي كنز العمال: قال الرسول (صلى الله عليه وآله) : «لا يزال أمر أُمّتي قائماً بالقسط حتّىٰ يكون أوّل من يثلمه رجل من بني أُميّة يقال له: يزيد».

١١/١٦٨، ومجمع الزوائد كما رواه ابن حجر ٥/٢٤١.

هذه جملة من الأحاديث الشريفة الّتي نصّت على لعن بني أُميّة، وعلى رأسهم معاوية، ويزيد، ومروان بن الحم، كما نزل به الكتاب الكريم، حيث وسمهم سبحانه بالشجرة الملعونة، والخبيثة، وقد جرىٰ السلف الصالح من علماء السّنة بلعن أُولئك طالما لعنهم الله والرسول من قبل، والتشهير بأفعالهم القبيحة وذمّهم.

وأوّل من ذمّهم هو معاوية بن يزيد بن معاوية، وذلك لمّا بويع للخلافة، فخطب في الناس، ثمّ ذمّ في خطبته جدّه معاوية ابن أبي سفيان، وأباه يزيد بن معاوية، واعترف أنّهما سلبا حقّ العترة الطاهرة. انظر الصواعق المحرقة ص١٣٤.

وممّن أجاز لعن يزيد: احمد بن حنبل. انظر التذكرة ص٢٥٧.

وقد ذكر سبط ابن الجوزي أنّ جدّه ألّف كتاباً أسماه «الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد». تذكرة الخواصّ ٢٥٧.

وإنّ القاضي أبا يعلىٰ صنّف كتاباً ذكر فيه من يستحقّ اللعن، وذكر منهم: يزيد.

وهناك عدّة شواهد يطول ذكرها في استحقاق يزيد وابيه اللعن، لفجورهم وظلمهم، لذا خرج الحسين (عليه السلام) ـ ليقف أمام ذلك الباطل والمنكر الّذي اسّسه معاوية وابنه بعدما علمتَ مِن الصفحات السابقة أنّ بيعة معاوية ويزيد كانت كرهاً وقهراً على المسلمين.

ثمّ يدّعي الخضريّ: أنّ خروج الحسين (عليه السلام) كان سبباً في تزعزع الأُلفة التي كانت زمن يزيد بن معاوية، وقبله زمن معاوية الى يومنا هذا ...!!

أقول: أي اُلفةٍ كانت في زمن يزيد بن معاوية وزمن الذين سبقوه من الخلفاء الى يومنا هذا حتّىٰ يكون الحسين (عليه السلام) سبباً في تزعزع تلك الأُلفة ويكون سبباً في الفرقة ؟!

هل نسي الخضريّ يوم السقيفة، وما أقدم عليه البعض حين شقّ عصا المسلمين وأبعدهم عن المنهل العذب والينبوع الصافي والشراب الهني؟

فما اجتماع البعض في سقيفة بني ساعدة إلاّ مؤامرة دبّروها لإقصاء الإمام عليٍّ (عليه السلام) عن سدّة الحكم.

وهذا الاجتماع أوّل خيانةٍ لأمانة الله ورسوله ،وأوّل ضربةٍ للإسلام، وأوّل اغتصابٍ يسجلّه تاريخ المسلمين، وإلاّ هل يُعقل أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي يؤكّد على صغائر الأعمال وجزئيّات العبادات والمعاملات وحتّى السنن، فهل يعقل أن يترك الأمّة الإسلامية الجديدة العهد بدينها من دون راع يرعاها؟ على أنّ الأمر ذو خطرٍ وذو أهمّيّةٍ كبرىٰ، فأيّ عاقلٍ يتصوّر ذلك؟ أمّ كان الرسول(صلى الله عليه وآله) غافلاً عن نوايا بعض أصحابه الذين دخلوا في الإسلام كرهاً، بل دخلوا الإسلام لمّا انكسرت شوكتهم وتفرّق شملهم، وبالمقابل قويت شوكة المسلمين وانتشر الإسلام في البلدان والأصقاع البعيدة؟ فما كان لهم ـ لأولئك النفر ـ إلاّ أن يدخلوا الإسلام حفظاً لمصالحهم، وحقناً وصيانةً لدمائهم، وإلاّ من مِنّا لا يعرف عداء بني أُميّة لبني هاشم، بل عدائهم للإسلام، وما من رايةٍ كانت قد رفعت لحرب الرسول والملسمين إلاّ وكان رأس المشركين ـ أبو سفيان ـ رافعها وقائدها الى العمىٰ ...!!

فهل هناك شكٌ في علي بن أبي طالب حتّىٰ أقدم القوم في سقيفتهم للتآمر على الإسلام، والرسول (صلى الله عليه وآله) مسجّىً في بيته بعدُ لم يُغسّل ولم يُجهز؟ بل إنّهم اتّبعوا هوىٰ النفس وخطوات الشيطان لمّا تبيّن لهم أنّ الإمام عليّ(عليه السلام) أخذ في تجهيز الرسول وتكفينه ...

لكن ربّ سائل يسأل: ألم يكن من الواجب على أُولئك الّذين اجتمعوا

في السقيفة المشؤومة أن ينتهوا عن تآمرهم حتى ـ على أقلّ تقديرٍ ـ ينتهوا من دفن نبيّهم (صلى الله عليه وآله) ، وآنذاك ليفعلوا ما يجدونه صواباً فيما بعد ...؟!

فان قلتم: ما ذنب الخليفتين حيث إنّ بعض المسلمين من المهاجرين والأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لتنصيب سعد بن عبادة، ولمّا علم الخليفتان استدركا الموقف فأسرعا الى المكان واستعملا ذكاءهما وسياستهما وممّا أوتيا من حكمةٍ وقوّةٍ وشدّةٍ حتّىٰ حسما الموقف لصالحهما؟

قلنا: ألم يعلما مكانة الإمام عليٍّ (عليه السلام) من الله ومن الرسول ومواقفه في الإسلام وجهاده بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) واشتراكه في كلّ الحروب والغزوات؟! ألم يعلما منزلته العلمية وتقواه وزهده وورعه و... و..؟! فلماذا لم يحسما الموقف لصالح الإمام عليّ (عليه السلام) ..؟

ثمّ نقول: ألم يستطع كلٌّ من الخليفة الأوّل والثاني أن يستعملا ذكاءهما بل ومالديهمامن قوةٍ وسياسةٍ وحنكةٍ لفضّ النزاع وتأجيله الى وقتٍ آخر؛ كي يشترك الجميع في مراسيم تجهيز نبيّهم (صلى الله عليه وآله) حتّى يحافظوا على وحدة المسلمين وألفتهم وجمعهم على كلمةٍ واحدةٍ في غدهم القريب، وفي مسجد نبيّهم،وهو دار الحكومة والعبادة في آن واحدٍ، وعلى مرأىً ومسمعٍ من كلّ المسلمين ينتخبون خليفتهم؟!

فلماذا إذن هذا الإصرار على أن تكون البيعة خاصّةً في بيتٍ منزوٍ ضمن أفرادٍ من المسلمين عُرفوا بجاهليّتهم القريبة ونزواتهم النفسيّه وأطماعهم، والرسول (صلى الله عليه وآله) مسجّىً بين أيديهم ؟

فأيّ عذرٍ في هذا أو في ذاك وهو خليفته الحقّ عليّ بن أبى طالب؟ بل لماذا أقصوه عن حقّه ومنصبه ...؟

ألم يسمعوا من الرسول (صلى الله عليه وآله) مراراً وتكراراً، وأخيرها في حجّة الوداع حيث إنه يقول: «عليّ خليفتي، ويؤدّي عنّي ...» و«مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاده، وانصر من نصره واخذل من

خذله»...؟!

علماً بأنّ الّذين اشتركوا في الحجّ مع الرسول في حجّة الوداع من المسلمين كان عددهم على أقلّ التقادير الواردة في الروايات أكثر من عشرة آلاف من أصحاب الرسول، وكلّهم شهدوا الرسول في كلّ منازله في الحجّ، وكذا لمّا رجع قافلاً منه، والكلّ شهدوا موقفه في الجُحفه في غدير «خم»، والكلّ شهدوا له بالإمارة والخلافة وبايعوه عليها، وأحدهم يقول له: بخٍّ بخٍّ لك يا عليّ، اليوم أصبحت مولىٰ كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ...

ثمّ ألم يسمعوا من الرسول (صلّى الله عليه وآله) وهو يخاطب عليّ بن أبي طالب: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي...»؟

ألم يقل فيه الرسول : «أنت أخي ووصيّ وخليفتي بعدي...»؟!

ألم يقل فيه الرسول: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ...الخ»؟! الى مئاتٍ من الأحاديث الّتي تبيّن فضل الإمام عليّ (عليه السلام) وسابقته في الإسلام، وفضله في الجهاد والعلم والإسلام والتقوى والزهد والورع، ولياقته لإمرة المسلمين ...[1].

---

(١) انظر مصادر إخواننا أهل السنّة تجدها مليئة بالأحاديث الصحيحة المعتبرة التي رووها عن طرقهم في حقّ الإمام علي (عليه السلام) ، ونحن نذكر لك على سبيل المثال لا الحصر:

في حديث «الولاية» انظر: مجمع الزوائد للعلاّمة الهيثمي ١٦٣/٩، الدرّ المنثور للسيوطي ٦٠/٢، صحيح الترمذي ٢٠٠/١٣، جامع الأصول لأبن الأثير ١٨٧/١، ذخائر العقبىٰ ص١٥، تفسير الخازن للبغدادي ٤/١، أُسد الغابة لابن الأثير ١٤٧/٣ المناقب لابن المغازلي، أرجح المطالب للأمر تسري ٢٣٥، سنن الدارمي ٤٣١/٢.

وفي حديث: المنزلة» انظر:

كفاية الطالب للحافظ الكنجي ١٤٨، نور الأبصار للشبلنجي ٧٤، كنز العمّال للمتّقي الهندي ١٥٢/٦، شواهد التنزيل للحسكاني ١٤٩/١، تلخيص المستدرك للذهبي ١٣٤/٣، الإصابة لابن حجر العسقلاني ٢٧٠/٤، ينابيع المودّة للقندوزي ٤٩.

وفي حديث: «أنت أخي ووصيّ وخليفتي» انظر:

الرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ١٧٨/٢ و٢٣٤، سمط النجوم ٤٨٧/٢ تهذيب التهذيب للعسقلاني ١٠٦/٣، ميزان الاعتدال للذهبي ١٢٧/٤، المحاسن والمساوي للبيهقي ٣١، الصواعق

ثمّ أيّ أُلفة ـ أيّها الخضري ـ كانت بعدما آلت الخلافة لأبي بكر؟

ألم يمتنع جلّ الصحابة وكبار المسلمين عن مبايعة أبي بكر؟!

ثمّ ألم تذكروا جملةً من المسلمين وطائفة من الصحابة وقسماً كبيراً من القبائل أنّها امتنعت من أداء الحقوق والصدقات لأبي بكر، لأنهم لا يرونه للخلافة أهلاً، ولعدم اعترافهم به ممن سُميّت منهم بالمرتدّين، وقد وجّه اليهم الخليفة من يقاتلهم، وسمّيتم تلك الوقائع بحروب الردّة ...؟!

ثمّ ألم يقل أبوبكر: أقيلوني ...، أقيلوني، فلست بخيرّكم ؟!(١).

ألم يقل عمر بن الخطّاب بعدما تولّىٰ الخلافة بوصيّةِ صاحبه الأوّل: كانت

المحرقة لابن حجر ٧٥، كنوز الحقائق للمنّاوي ٩٨، الجامع الصغير ١٤١/٢، أسنىٰ المطّالب للبيروتي ١٣٧، مناقب الخوارزمي ٣٩.

وفي حديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» انظر:

تاريخ بغداد للحفاظ البغدادي ٣٧٧/٢، تاريخ جرجان ٢٤، الأنساب للسمعاني ١١٨٢، تذكرة الحفّاظ للذهبي ٢٨/٤، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ١١٣، المقاصد الحسنه للسخاوي ٩٧، الدرر المنتثره ٤٢، تمييز الطيب من الخبيث للشيباني الشافعي ٤١، المستدرك للحاكم النيشابوري ١٢٧/٣، الجامع الصغير للسيوطي ٣٦٤/١ الاستيعاب لابن عبدالبر ١١٠٢/٣، تاريخ ابن عساكر.

وإذا اردت التفصيل في شأن الوقوف على مصادر القوم راجع كتابنا ملامح شخصيّة الإمام علي من كتب الجمهور، طـ١ سنة ١٩٨٨ مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، بيروت.

(١) وقوله لما احتُضِرَ: ما آسَى على شئٍ إلا على ثلاث فعلتها وددت أني تركتها، وثلاث تركتها وددت أني فعلتها، وثلاث وددت أني سألت رسول الله (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عنها، فأما الثلاث التي فعلتها ووددت أني تركتها فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحا أو قتلته صريحاً، ووددت أني يوم سيقفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق احد الرجلين فكان اميراً وكنت وزيراً ... الخ مروج الذهب سللمسعودي ٣١٠/٢، تاريخ الطبري ٥٢/٤ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١٨/١ والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢٥٤/٢ أي خطأ بعد هذا دخولهم على بيت فاطمة «عليها السلام» وحرق بيتها واسقاط جنينها وكسر ضلعها وغصب حقّها و...و... فهل يليق لمثل هؤلاء ان يملكوا رقاب الناس ويتصدّروا للخلافة ...!!؟

بيعة أبي بكر فلتةً وقانا الله عثرتها[١].

ثمّ أي أُلفةٍ تزعمها ـ أيّها الخضريّ ـ وأيّام حكومة عثمان كلّها في هرج ومرج، وذلك بعد انتهاكه للشريعة الغرّاء، وابتعاده عن سنّة نبيّه، إذ آوىٰ اليه طريدَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) مروان بن الحكم، وأكثر من ذلك اقتطع أموال وصدقات مصر وجعلها لمروان، لأنّه أحد أبناء جلدته، ورأس من رؤوس بني أُميّة الّذي ينتسب اليه الخليفة الثالث، ونفيه للصحابيّ الجليل أبي ذرّ الغفاري، واقتطاع الضياع والهبات والصلات ودفعها الى قوم من بيت مال المسلمين وحرمان الآخرين منها ...، فقد أثرىٰ كلاً من الزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد ابن أبي وقّاص، وسعيد بن المسيّب، ومروان بن الحكم، ومعاوية ابن أبي سفيان إذ أقرّه على بلاد الشام!

ثمّ لو فتّشت تاريخ الخليفة الثالث من مصادر القوم لوجدت المصيبة تتبعها المصائب والبليّة تتبعها البلايا، فلو نظرت الى عمّاله وولاته لوجدتهم في الغالب هم من بني عمومته وأقربائه، وهم بنو أُميّة، بل إنّه سلّط الفجّار وشاربي الخمور على الناس. فهذا الوليد بن عقبة ـ والي عثمان على الكوفة ـ كان يشرب الخمر مع ندمائه ومغنّيه من أوّل الليل إلى الصباح، فلمّا آذنه المؤذّن بالصلاة خرج متفضّلاً في غلائله فتقدّم الى المحراب في صلاة الصبح، فصلّىٰ بهم أربعاً، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟

وقيل: إنّه قال في سجوده وقد أطال: إشرب واسقنى»، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأوّل: ما تزيد لا زادك الله من الخير؟ واللهِ لا أعجب إلاّ ممن بعثك الينا والياً وعلينا أميراً، وكان هذا القائل عتّاب بن عيلان الثقفي[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٤٤٦/٢.

(٢) انظر: الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ١٧٨/٤، ومروج الذهب للمسعودي ٣٣٥/٢، والكامل لابن الأثير ٤٢/٣، واسد الغابة ٩١/٥، والسنن للبيهقي ٣١٨/٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٤، والسيرة الحلبية ٣١٤/٢، وتاريخ اليعقوبي ١٤٢/٢، وتاريخ ابي الفداء ١٧٦، والاصابة ٦٣٨/٣.

وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنّح ويتمثّل بأبيات تأبّط شرّاً:

ولست بعيداً عن مدام وقينةٍ وبصفا صلدٍ عن الخير معزل
ولكنّني أروي من الخمر هامتي وأمشي المَلا بالساحب المتسلسل

وفي ذلك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقىٰ ربّه أنّ الوليد أحَقُّ بالعذر
نادىٰ وقد تمّت صلاتهم أأزيدكم ثملاً وما يدري
ليزيدهم أُخرىٰ، ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك في الصلاة، ولو خَلّوا عنانك لم تزل تجري[1]

وفي الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني أبيات أُخرىٰ للحطيئة غير تلك:

تكلّمَ في الصلاة وزاد فيها علانيةً وجاهرَ بالنِّفاقِ
وحجّ الخمر في سنن المصلّىٰ ونادىٰ والجميع الى افتراقِ
أزيدُكُمُ؟ على أن تحمدوني فمالكُمُ ومالي من خلاقِ

فكم من جنايةٍ وجنايةٍ على الإسلام والمسلمين قد ارتكبها الخليفة الثالث، ممّا كثر القيل والقال، وانتفض المسلمون لإقامة العوج،حتّىٰ طعنوا في خلافته، وانكروا عليه اعمالاً كثيرةً:

منها: ما كان بينه وبين عبدالله بن مسعود في مسألة تصرّفه ببيت المال.

وإعطاؤه الأموال لمروان خيانةً للمسلمين.

واستقراض الوليد بن عقبة وعدم إرجاعها لبيت المال، وطلب عثمان من عبيدالله بن مسعود ان يسكت عنها.

وقد أنكر المسلمون على عثمان فعل الوليد بن عقبة من شربه للخمر، وصلاته بالمسلمين في الكوفة سكراناً.

ونفيه للصحابيّ الجليل أبي ذرّ الغفاري الى الربذة، وقد أمر الناس أن

---

(١) الأغاني لأبى الفرج : ١٧٨/٤.

يتجافوه في مسيره الى الربذة، وتسلّط بني أُميّة على رقاب المسلمين ... الخ.

لهذه ولغيرها اشتدّ الطعن على عثمان، واستمرّت صرخات المسلمين عليه، وكثرت الاعتراضات، ولمّا لم يجد المسلمون بُدّاً من تغيير الخليفة من سلوكه وإساءته وعدم مساواته بين المسلمين، بل تعدّيه على حقوقهم وإذلال البعض منهم، ونفي البعض الآخر ممّا رفضوا خلافته. حتّىٰ أقدمت عليه الوفود تترىٰ من كلّ صقع وبلادٍ حتّىٰ ألحقوه بالواحد القهّار؛ كي ينال هناك جزاءه.

ثمّ نقول: أيَّ أُلفةٍ تدّعيها ـ أيّها الخضريّ ـ وذاك معاوية ربيب عثمان في العصيان، إذ أشعل الحرب، وأعاد الجاهلية الثانية الى الناس، وقد تمرّد على وليّ الأمر وخليفته عليّ بن أبي طالب، إمام زمانه وخليفة عصره، ورابع الخلفاء الراشدين كما تزعمون.

ألم تقولوا: من خرج على إمام زمانه فهو كافر؟![(١)]. فكيف تبرّرون أعمال معاوية ابن ابي سفيان وتلتمسون المعاذير والتخريجات لتمرّده على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بل وعداؤه المستمرّ له ولبنيه، بل ابتدع البدع وجعلها سنّةً حسنةً في الأجيال، كسبّ الإمام عليّ في كلّ جمعةٍ وجماعةٍ وعلى منابر المسلمين ...؟

---

(١) قال ابن المغازلي في مناقبه ص٤٥ بسنده عن الرسول (صلّى الله عليه وآله) قال: من ناصب علياً الخلافة فهو كافر.

أقول ولا شك ان معاويةناصب علياً في الخلافة وعقد لها راية الحرب وناصبه العداء الى آخر لحظة من عمره.

وقال (صلّى الله عليه وآله) : من آذى عليا بعث يوم القيامة يهوديا أو نصرانيا. انظر مناقب ابن المغازلي ص٥٢.

أقول: ولا يخفىٰ ان معاوية قد آذى علياً وولديه الحسنين.

واحاديث كثيرة في ذلك فليراجع.

الآية الحادية عشرة:

قوله تعالى..

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى الْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

الاصطفاء معناه: الاختيار والانتخاب أي: جعلهم الله سبحانه الصفوة المختارة من خلقه، حيث أوكل إليهم وكلّفهم بتبليغها لعباده، والصفوة، أي: الشيء الخالص النّقي من كلّ كدرةٍ أو شائبةٍ.

وقد اصطفى الله سبحانه من البشر الأول آدم (عليه السلام)، ثمّ نوحاً، وبعد ذلك أجمل الخطاب بكلمة «آل» لابراهيم، و«آل» لذرّية عمران بن يصهر بن قاهث.

فمن ذرّية إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم من الأنبياء، بضمنهم خاتم الأنبياء وسيّدهم نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار، وهم الأئمّة المعصومون الاثنا عشر «عليهم السلام».

ومن ذرّية عمران: موسىٰ وهارون ابنا عمران، الّذي ينتهي نسبهما الى لاوي بن يعقوب (عليه السلام) وكذا عيسىٰ بن مريم (عليه السلام) الذي ينتهي نسب اُمّه السببيّ الى يهوذا بن يعقوب.

وعلى هذا، فإنّ الاصطفاء يعطي معنىٰ التفضيل أيضاً، وفي المقام ينبغي التنبيه على اُمور:

الأمر الأوّل: لا يخفىٰ أنّ المخلوقات: منها المكلّفة، ومنها غير المكلّفة، والقسم الأوّل أفضل من الثاني، لأنّه وعاء لامتثال الأوامر وتقبّل الطاعات والعبادات، فهو المقصود بالتكليف، وهو المنزجر بالنواهي، لذا فالثواب والعقاب موضوعهما البشر وما يقدّمه لنفسه من عملٍ صالحٍ أو سيّىءٍ.

---

(١) آل عمران: ٣٣.

والمكلّفون أربعة أقسام: الملائكة، والبشر، والجنّ، والشياطين، وقد ثبت التلكيف على الجميع بالأدلّة المشهورة من الكتاب والسنّة والعقل والإجماع، ولا حاجة الى البسط في الكلام خوف الإطالة.

الأمر الثاني: وقع الكلام بين علماء المسلمين في أنّ أي الأقسام هو الأفضل؟ فقالوا ـ ولا شك ـ أن البشر افضل من الجن والشياطين، واختلفوا في أن البشر افضل ام الملائكة؟

والجواب هو كما قرّر القرآن الكريم بأنّ البشر أفضل من الملائكة، قال تعالىٰ: **﴿وإذ قال ربُّك للملائكةِ إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا أتجعلُ فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبِّح بحمدك ونقدِّس لك قال إنّي أعلم ما لا تعلمون﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿وإذْ قال ربُّك للملائكة إنّي خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمأٍ مسنونٍ فاذا سوّيتُهُ ونفختُ فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين فسجد الملائكةُ كلُّهم أجمعون إلاّ إبليسَ أبىٰ أن يكونَ مع الساجدين ....﴾**[2].

وكذا آيات أُخر في معنى سجود الملائكة لآدم[3].

يتّضح من الآيات المذكورة آنفاً، أن آدم أفضل من الملائكة، وذلك لقربه ومكانته من الحقّ المتعال، وما سجود الملائكة المأمورين بالسجود له إلاّ دليل علىٰ أفضليّته وعلوّ شأنه، بل إنّ الملائكة صارت خدماً له وللأنبياء من ذرّيّته، لأنّهم رسل الله سبحانه الى العباد والطريق الى توحيده، ولشرفِ الرسالة وعظيم خطرها وفضلها تحمّل الأنبياء المشقّة والعناء وأصناف العذاب؛ لغرض أداء الرسالة بأحسن أداء، حتّىٰ أنّهم لاقوا من الهوان والعذاب والأذىٰ من أهل العناد ما يزلزل الجبال ..، وكلّ ذلك من أجل هداية البشر الضالّ، والأخذ بيده الى

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الحجر /٢٨ ـ ٣١.

(٣) انظر البقرة /٣٤، والأعراف /١١، والأسراء /٦١.

طريق الحقّ وتوحيد الله والإيمان به وبرسله وكتبه؛ فأيّ مشقّةٍ كانت للملائكة قبال ما كان قد حصل للأنبياء والرّسل؟ وأي امتحانٍ وابتلاءٍ كان لهم حتّىٰ نقيس مكانتهم مع مكانة آدم والأنبياء من أبنائه، وكذا الأوصياء والأولياء منهم؟

فإذا لم يكن لآدم والأنبياء من ذرّيّته والصالحين منهم أفضليّة على الملائكة فبماذا تفسّر ذلك السجود ـ سجود الملائكة ـ لآدم عندما أمرهم الله بذلك؟

نعم، إنّ الذي فسّر ذلك السجود هو الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) : فقد روي عن الإمام موسى الكاظم، عن آبائه، عن الإمام عليّ (عليه السلام) من كلامٍ له طويلٍ مع اليهوديّ الّذي سأله فقال: هذا آدم أسجدَ الله له الملائكة فهل فعل بمحمّدٍ شيئاً من هذا؟

فقال له عليّ (عليه السلام) : لقد كان كذلك، ولئن أسجد الله لآدم ملائكته فإن سجودهم لم يكن سجود طاعةٍ إنّهم عبدوا آدم دون الله عزّوجلّ، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمةٍ من الله له ... الخ[1].

ثمّ أصرح من ذلك الآية الشريفة من سورة الإسراء التي تبيّن هذه الأفضليّة للبشر على سائر المخلوقات، من قوله تعالى: ﴿**ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً**﴾[2] ولا شك أنّ الملائكة بعض من «ممّن خلقنا».

وربّما تكون العلّة في أفضليته البشر على الملائكة لِعِظم الابتلاء الذي سوف يبتليه الله، وأن الدنيا دار فتنةٍ وامتحان، ولا ينجو من الفتن إلاّ من خلص إيمانه لله تعالىٰ،والبشر يختلفون عن الملائكة من هذا الوجه.

ومن خلال روايات أهل البيت عليهم السلام ـ فإنّ الله عزّوجلّ ـ ركّب العقل في

---

(١) نور الثقلين ٥٧/١، وقد اقتطعنا من الحديث ما يفي بالغرض.

(٢) الإسراء/٧٠. لقد ورد في صدر الكتاب حديث يثبت افضلية الحسين والأئمة الاطهار على الملائكة وهكذا شيعتهم.

الملائكة، وركب العقل والشهوة في الإنسان[١]، فانظر أي امتحانٍ سوف يمتحن به البشر، والله قد عَلِمَ أنّ الإنسان ظلوم جهول، كما عبّر في كتابه المجيد: ﴿**إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرضِ والجبالِ فأبينَ أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً**﴾[٢].

فليس عجيباً أن يكون البشر أفضل من الملائكة، والعلّة كما عرفت: إنّه حُمِّلَ أمانةً كبيرةً قد عجز وصغر من هو دونه من الملائكة والسماوات والأرضين والجبال عن حملها، وإنّه خليفة الله في أرضه، وإنّ له عدوّاً يغويه في كلّ آن؛ ﴿**إنّ الشيطان للإنسان عدوّ مبين**﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿**إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً**﴾.

وإنّه لمفتون بالمال والبنين ... الى غير ذلك، وهذه كلّها محطّ امتحان البشر دون الملائكة، لذا كان الثواب والجزاء لمن آمن واتّقى أعلى درجات الخلد، بل هو من المقرّبين بحيث إنّ الملائكة تصبح في خدمة العبد طالما العبد كان في طاعة الله تعالى.

الأمر الثالث: إنّ الأنبياء الذين وصفتهم الآية بالإصطفاء على العالمين إنّما كان الأصطفاء لهم بالنسبة الى أقوامهم من جهة، والى زمان كلّ واحدٍ منهم من جهةٍ أخرى.

وبعبارةٍ أُخرىٰ: أنّ كلّ نبيّ منهم مفضّل على عالم زمانه بما فضّله الله، أو بما خصّه من ميزاتٍ انفرد بها ذلك النبيّ دون غيره، على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام.

فمثلاً، آدم اصطفاه الله سبحانه إذ جعله أباً للبشر، ومنه بدأ التناسل والتكاثر، وهو أوّل خليفةٍ في الأرض، وهو الذي أسجد الله له الملائكة، وكان محلّه ابتداءً في الجنّة..

---

(١) في الحديث القدسي: انظر المواعظ والأدب لشرف الدين ص٧ والكافي ٢/ ١٠ ح١ و٢٦ و٣٢.
(٢) الأحزاب /٧٢.

أما نوح (عليه السلام) : فهو أوّل نبيٍّ خصّه الله بكتابٍ وجعله صاحب شريعةٍ، وكان أوّل أنبياء أُولي العزم، وقد خصّه الله بطول العمر فهو شيخ الأنبياء لسنّه، ثم أُمر بصنع السفينة، ثم أنجاه الله من قومه بالطوفان ..

وأمّا آل إبراهيم (عليه السلام) : وآل عمران فيبدو ـ والله أعلم ـ أنّ الاصطفاء هو الخاصّة من الذرّية، والتي يراد بها: الأنبياء والأوصياء منهم، ويبعد كلام من قال: كافّة الذرّيّة وجميع الأبناء، لأنّ الاصطفاء لا يكون إلاّ من خصّه الله تعالى بكرامة القرب والأفضليّة.

ونحن نعلم: أنّ الأُمم التي تتّصل بإبراهيم (عليه السلام) ليست كلّها مؤمنةً بالله، فكيف يصطفى الله سبحانه جميع الذرّية من آل إبراهيم، أو جميع الذرّية من آل عمران: قال تعالى يخاطب إبراهيم: ﴿**إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ في الوقت الذى يبّين القرآن الكريم لنوح: أنّ ابنك ليس من أهلك، وإنّ الآل والأهل بينهما عموم وخصوص من وجه، فإن أُريد جميع الآل والأهل لوقع التناقض مع قوله تعالى: ﴿**ونادىٰ نوح ربّه فقال ربِّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدَك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنّه ليس من أهلك إنّه عملٌ غير صالح ...**﴾[1] .

فكما وقع الكفر من ابن نوح فكذلك وقع الكفر من غيره ممّن يتّصل نسبه عبر الأجيال بإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء «عليهم السلام»، بدليل قوله تعالى يصف ذريّة إبراهيم (عليه السلام) : ﴿**وباركنا عليه وعلىٰ إسحاق ومن ذرّيتهما محسن وظالم لنفسه مبين**﴾[2].

ومما يؤيّد أن الاصطفاء هو لخاصّة الأبناء ـ أي: بعض الذرّيّة ـ قوله تعالى ﴿**ذرّية بعضها من بعض**﴾[3].

---

(١) هود /٤٥ ـ ٤٦.

(٢) الصافات /١١٣.

(٣) آل عمران /٣٣.

فالأنبياء الذين هم من ولد إسماعيل أو من ولد إسحاق أو من ولد يعقوب أبوهم السببي هو إبراهيم (عليه السلام) ، وإبراهيم أبوه الأوّل آدم (عليه السلام) ، وهذا يظهر من خلال التسلسل في ذكر الأنبياء في الآية الشريفة، حيث كان البدء بآدم، ثمّ نوح، ثمّ آل إبراهيم، ثمّ آل عمران. لذا فإنّ الاصطفاء متّصل في السلسلة المباركة، ومنهم: الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) ، الذين يدخلون في تأويل هذه الآية الشريفة: ﴿**ذرّيّة بعضها من بعض**﴾.

كما ورد عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) وكذا عن الإمام الرضا (عليه السلام) في علل الشرائع والعيون، واكمال الدين وغيرها: عن عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «ما خلق الله خلقاً أفضل منّي، ولا أكرم عليه منّي، فقلت: يا رسول الله، فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال: يا عليّ، إنّ الله فضّل أنبياء المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل من بعدي لك يا عليّ، وللائمة من بعدك، وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا، يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا،يا عليّ، لولا نحن ما خلق الله آدم، ولا حواء، ولا الجنّة، ولا النار، ولا السماء، ولا الأرض، فكيف لا تكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم الى معرفة ربّنا وتسبيحه وتقديسه؟ فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبّحنا لِتَعلمَ الملائكة، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا»(١).

ثمّ الذرّية تطلق على الواحد وعلى الجمع، أي: بعضهم متولّد من بعضٍ، وقد يكون أنّ مآل الجميع ينتهي الى أبي البشر، وهو آدم (عليه السلام) ، حيث إنّ الجميع عيال لآدم، وآدم أبوهم السببي وإن بعدت السلسلة بينهم.

---

(١) انظر: علل الشرائع ٥/١ ح١ وعيون أخبار الرضا ٥٨/٢ ح٢١٩ وفي البحار ٢٠/٢٥ ح٣١ ورد بالفاظ مقاربة .

تأويل الآية والدليل الروائي

في مدينة المعاجز، وفي تفسير الصافي: عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال محمد بن الأشعث بن قيس الكنديّ «لع» للحسين (عليه السلام) : يا حسين بن فاطمة، أيّ حرمةٍ لك من رسول الله ليست لغيرك؟ فتلى الحسين (عليه السلام) هذه الآية: **﴿إنّ الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيمَ وآل عمرانَ على العالمين ذرّيّةً بعضها من بعض﴾**، ثمّ قال: والله إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمد (صلى الله عليه وآله) [1].

وفي البحار ـ والمنتخب ـ قال: إنّ الحسين (عليه السلام) دعا وقال: اللّهم إنّا أهل بيت نبيّك وذرّيته وقرابته، فأقصم من ظلمنا وغصبنا حقّنا إنك سميع قريب، فقال محمد بن الأشعث، وأيّ قرابةٍ بينك وبين محمد؟ فقرأ الحسين (عليه السلام) : **﴿إن الله اصطفىٰ آدمَ ونوحاً ...الآية﴾** ثم قال: ـ أي الحسين (عليه السلام) : أرني فيه في هذا اليوم ذلاً عاجلاً فبرز ابن الأشعث للحاجة فلسعته عقرب على ذكره، فسقط وهو يستغيث ويتقلّب على حدثه[2].

وفي البحار: «... رفع الحسين سبّابته نحو السماء وقال: اللهمّ اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز اليهم أشبه الناس خلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك، كنّا إذا اشتقنا الى نبيّك نظرناالى وجهه، اللهمّ امنعهم بركاتِ الأرض، وفرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قِدداً، ولا تُرضِ الولاةَ عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا ثمّ عدوا علينا يقاتلوننا. ثم صاح الحسين (عليه السلام) بعمر بن سعد: مالك؟ قطع الله رحمك، ولا بارك الله لك في أمرك، وسلّط عليك من يذبحك بعدي

---

(١) مدينة المعاجز ٢٤١، والبحار نقلا عن مناقب ابن شهر آشوب ـ ج٣٠٢/٤٥.

(٢) البحار: ٣٠٢/٤٥ و٣١٧/٤٤، تفسير الصافي م١/ ح٢٥٦/٢، طهران ١٣٨٤.

على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ثـم رفع الحسين (عليه السلام) صوته وتلا[١]: **﴿إنّ الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآلَ إبراهيم وآل عمرانَ على العالمين ذرّيّةً بعضها من بعض ... الآية﴾**.

وفي المجالس[٢]: ذكر أنّ الحسين (عليه السلام) : لمّا أقبل ولده علي الأكبر الى قتال القوم رفع صوته وتلا هذه الآية: **﴿إنّ الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيمَ ... الآية﴾**.

---

(١) البحار: ٤٣/٤٥.

(٢) المجالس السنية للعاملي ١٠١.

الآية الثانية عشرة:

قوله تعالى..

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(١).

للآية ارتباط بالّتي قبلها، وهي: **﴿إن مثل عيسىٰ عندالله كمثل آدمَ خلقه من ترابٍ ثمّ قال له كن فيكون﴾**(٢).

الآيتان متحدّثان في السياق في ردّ النصارىٰ الذين جاؤا لمحاججة الرسول (ﷺ) في شأن عيسىٰ، إذ سألوا من أبوه؟ فنزلت الآية: **﴿إنّ مثل عيسى عندالله كمثل آدم ... الآية﴾**.

ثمّ ردّهم الله تعالى بآية المباهلة؛ لأنّهم لم يقبلوا من الرسول ما نزل عليه من القرآن في خصوص عيسىٰ؛ لأنّهم أصرّوا على أن المسيح ابن الله ...

فما شأن المعاند إلاّ أن تدعوه إلى الابتهال والملاعنة، **﴿فقل تعالوا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسَنا وأنفسكم ...الآية﴾**(٣).

لقد دعا الرسول أهل بيته، وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام» للابتهال مع وفد نجران، والرجل المحقّ لا يبتهل إلاّ بخاصّته من أهله، لذا لم يدعُ الرسول (ﷺ) غيرهم، في الوقت نفسه لديه من الأزواج ما شاء الله، ومن بني عمومته كذلك، وإن كانت الآية ذكرت هذه الأصناف ـ أعني: الأبناء والنساء والأنفس بصيغة الجمع ـ مع أنّ الداخلين من النساء فاطمة فقط، ومن

---

(١) و(٣) آل عمران: ٦١.

(٢) آل عمران /٥٩.

الأنفس عليّ فقط، فكيف صحّ أن يطلق لفظ الجمع على المفرد؟

لايخفىٰ جوابه: أنّ العرب كانت تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم، والقرآن نزل بلغة العرب. ثمّ إنّ الآية أرادت تعظيم هؤلاء الخمسة «عليهم السلام»؛ لما لهم من منزلةٍ وشرفٍ كبيرين عندالله، وقد طهّرهم الله بصريح قوله تعالى: ﴿**إنّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّركُم تطهيراً ...**﴾[1].

فأي تعظيم بعد هذا وأي شرف فوق ذاك ؟!!

لقد أجمع أهل التفسير والحديث وأرباب التواريخ، من العامّة والخاصّة على أنّ الآية نزلت في هؤلاء الخمسة أهل العباء عليهم السلام دون غيرهم.

ومن قال: جيءَ بهم على سبيل الأُنموذج للأبناء والنساء والأنفس فقد توهّم.

روي عن ابن طاووس في سعد السعود: أنّه رأىٰ في تفسير محمد بن العباس بن مروان: أنّه روي خبر المباهلة من واحدٍوخمسين طريقاً من الصحابة وغيرهم، وكذا رواه جمع غفير من العامّة في تفاسيرهم وتواريخهم وكتب أحاديثهم، كالثعلبيّ في تفسيره، والفخر الرازيّ في التفسير الكبير، والمالكيّ في الفصول المهمّة، ومسلم في صحيحه، وأبي نعيم في الحلية، والسيوطيّ في الدرّ المنثور، والبيهقيّ في الدلائل، والحمونيّ في فرائد السمطين، والزمخشري في الكشّاف، وابن المغازليّ في مناقبه، والترمذيّ في صحيحه، والنسائي في الخصائص ... الىٰ غير ذلك من المصادر قديماً وحديثاً ، فراجع.

أمّا المرجّفون الذين ترتعد فرائصهم من ذكر عليٍّ وفاطمة والحسنين (عليهم السلام) فقل لهم: موتوا بغيضكم هذا.

فهذا محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا ينقل عنه في تفسيره المنار، قال: قال الأُستاذ الإمام ـ محمد عبده ـ الروايات متّفقة علىٰ أنّ النبيّ اختار

---

(١) الأحزاب /٣٣.

للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديهما، ويحملون كلمة نساءنا على فاطمة، وكلمة أنفسنا على عليٍّ فقط. ومصادر هذه الروايات الشيعة، ومقصدهم منها معروف. وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا، حتّىٰ راجت على كثيرٍ من أهل السنّة، ولكنّ واضيعها لم يحسنوا تطبيقها على الآية ...)[١].

أقول: أيّ المصادر الشيعيّة تعنيها؟

أمنهاج السنّة لابن تيمية، أم المسند لابن حنبل، أم البداية والنهاية لابن كثير، أم كِتاب المغازي، أم الدرّ المنثور للسيوطي، أم حلية الأولياء لأبي نعيم، أم الكشاف للزمخشري، أم الدلائل للبيهقي، أم التفسير للثعلبي، أم الفصول المهمّة للمالكي، أم الخصائص للنسائي، أم المناقب لابن المغازلي، أم التفسير الكبير للفخر الرازي، أم كتب الصحاح للترمذيّ، ومسلم، وغيره، أم ... أم ماذا؟[٢].

أم تعتقد أنّ الصحابة الذين رووا الحديث هم من الشيعة؟

فما بالك ممّن رواه: كعثمان بن عفّان، وطلحة، وأنس بن مالك، والزبير، وسعد ابن ابي وقّاص، وأبي رافع مولىٰ النبي، والبرّاء بن عازب، وعبدالرحمان ابن عوف، وغيرهم، مما يطول الكلام فيما لو اردنا استقصائهم ...؟

أما كفاكم إساءة الصدر الأوّل لآل الرسول حتى جئتم لتزيدوا في الكيل، الصاع الواحد بشعرة، إلى أن حدىٰ بكم الهوىٰ والضلال أن تسدلوا الاستار على كل فضيلةٍ أو منقبةٍ للعترة الطاهرة، بعد ما تظافرت كتب التفسير والحديث والتاريخ والمناقب في إماطة اللثام عن تلك الفضائل. أليس حريّاً بالمسلمين أن

---

(١) تفسير المنار ٣٢٢/٣.

(٢) لقد ذكر السيد الشهيد العلامة نور الله الحسيني التستري اكثر من مائة وعشرين مورداً الذي يؤكد نزول الآية في حق المعصومين الخمسة اهل العباء فراجع احقاق الحق ج٣/٤٦ ـ ٦٢ وج٩/٧٠ ـ ٩١.

يتّبعوا الحقّ والهدىٰ كي ينعموا في الدارين ..؟!

فإلأمَ تنكرون هذه الأخبار المعتبرة والأحاديث المتواترة التي ملأت الآفاق؟

أفي العين قذىٰ، أمْ في العين عوار، أمْ أصابها العمىٰ من شدة الضلال والظلمة التي أنتم عليها ...؟ **﴿فهل عسيتم إن تولّيتم أن تُفسدوا في الأرض ...﴾**(١) **﴿ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون﴾**(٢) بلى، إنّه **﴿يعلم ما تكسب كلّ نفس، وسيعلم الكفّار لمن عقبىٰ الدار ...﴾**(٣) **﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلاً﴾**(٤).

فالأبناء في الآية الكريمة ناظرة الى الحسن والحسين، وقد استدلّ الفخر الرازي أن ابن البنت يسمّىٰ إبناً، قال: (هذه الآية دالّة على أنّ الحسن والحسين(عليهما السلام) كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وَعَد أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا إبنيه، وممّا يؤكد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام: **﴿ومن ذرّيته داود وسليمان﴾** الى قوله: **﴿وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ﴾**. ومعلوم أن عيسىٰ (عليه السلام) إنّما انتسب إلى إبراهيم (عليه السلام) بالأم، لا بالأب، فثبت أنّ ابن البنت قد يسمّىٰ ابناً)(٥).

أمّا **﴿نساءنا ونساءكم﴾** فقد عرفت آنفاً: أنّ الرسول دعا فاطمة (عليها السلام) فقط، ولم يدعُ أزواجه(٦).

---

(١) محمد (ص)/ ٢٢.

(٢) فصّلت/٢٢.

(٣) الرعد/٤٢.

(٤) الفرقان/ ٤٢.

(٥) التفسير الكبير ٨٦/٨.

(٦) قال السيوطي في الدر المنثور، في خبر شرحبيل لما أتىٰ النبي (صلى الله عليه وآله) ، فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وآله الغد بعدما اخبرهم الخبر اقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميلة له وفاطمة تمشي

أمّا ﴿أنفسنا وأنفسكم..﴾: فقصد بالنفس: عليّاً (عليه السلام) ، وإلاّ لا يصحّ أن يكون المقصود هو نفس الرسول (صلى الله عليه وآله) ، لأنّ الرسول هو الذي دعاهم للابتهال واللعن، فلابدّ أن يكون غيره، وهو الامام علي (عليه السلام) ، وإن كان نفس عليّ نفسه (صلى الله عليه وآله) ؛ لأنّهما خلقا من شجرةٍ واحدةٍ، وأنّ علينا من الرسول بمنزلة هارون من موسى ...، الىٰ غير ذلك من الروايات المتّفق عليها عند المسلمين.

وأما الابتهال: فهو الاجتهاد في الدعاء بالهلاك، أو يراد به: الالتعان قولهم بهله الله، أي: لعنه الله فالبهل كاللعن، وهو الطرد والمباعدة عن رحمة الله.

﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين ...﴾ أي: ندعو بالهلاك واللعنة على الكاذب منّا، وفي الآية دلالة علىٰ صحّة نبوّة محمّد (صلى الله عليه وآله) من جهة، وإن وفد نجران علموا أنّ الحقّ مع النبي، لذا تركوا المباهلة، وعقدوا الصلح والهدنة مع الرسول بدفع الجزية في كلّ عامٍ من جهةٍ أُخرىٰ.

الدليل الروائي

شملت الآية: الرسول والإمام عليّاً وفاطمةَ والحسن والحسين (عليهم السلام) ، وذلك عندما باهل فيهم الرسول النصارىٰ، وفيما بعد باهل بهم اليهود، كما تدلّ عليه الأخبار.

ففي تفسير العيّاشي، عن حريز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) : قال: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) سئل عن فضائله؟ فذكر بعضها، ثمّ قالوا له: زدنا، فقال: إنّ

خلف ظهره للملاعنة وله يومئذٍ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبه اني أرىٰ امراً مقبلا ان كان هذا الرجل نبيا مرسل فلاعنّاه لا يبقىٰ على وجه الأرض من شعر ولا ظفر الاهلك ... الدر المنثور ٣٨/٢.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاه حبران من أحبار النصارىٰ من أهل نجران، فتكلّما في أمر عيسىٰ، فأنزل الله هذه الآية: **﴿إنّ مثل عيسىٰ عندالله كمثل آدم ... الآية﴾** فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذ بيد عليٍّ والحسن والحسين وفاطمة، ثم خرج ورفع كفّه الى السماء، وفرّج بين أصابعه، ودعاهم الى المباهلة. قال: وقال أبوجفعر (عليه السلام) : وكذلك المباهلة يشبّك يده في يده ويرفعهما الى السماء، فلمّا رآه الحبران قال أحدهما لصاحبه: واللهِ لئن كان نبيّاً لنهلكنّ، وإن كان غير نبيٍّ كفانا قومه، فكفّا وانصرفا[(١)].

وكذا فيه، عن محمد بن سعيد الأزدي، عن موسى بن محمد بن الرضا، عن أخيه أبي الحسن (عليه السلام) أنه قال في هذه الآية: **﴿قل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾**: ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبون للمباهلة، وقد علم أنّ نبيّه مؤدٍّ عنه رسالاته، وما هو من الكاذبين[(٢)].

وكذا فيه، عن عامر بن سعد قال: قال معاوية لأبي: مايمنعك أن تسبّ أبا تراب؟ قال لثلاثٍ رويتهنّ عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، لمّا نزلت آية المباهلة **﴿تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم... الآية﴾** أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيد عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، قال: هؤلاء أهلي[(٣)].

وفي تفسير الرازي: روي أنه (عليه السلام) لمّا أورد الدلائل علىٰ نصارىٰ نجران، ثم إنّهم أصرّوا على جهلهم فقال (عليه السلام) : إنّ الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أبهلكم، فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا، ثمّ نأتيك، فلمّا رجعوا، قالوا للعاقب: وكان ذا رأيهم، يا عبدالمسيح، ما ترىٰ؟ فقال: والله فقد

---

(١) تفسير العياشي ١٧٦/١، تفسير البرهان ٢٨٩/١.

(٢) تفسير العياشي ١٧٦/١، تفسير البرهان ٢٨٩/١.

(٣) تفسير العياشي ١٧٧/١، تفسير البرهان ٢٨٦/١ ـ ٢٩١.

عرفتم يا معشر النصارى، إنّ محمداً نبيٌّ مرسلٌ، ولقد جاءكم بالكلام الحقّ في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيّاً قطّ فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لكان الاستئصال، فإن أبيتم إلاّ الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الىٰ بلادكم. وكان رسول الله (ﷺ)خرج وعليه مرط من شعرٍ أسود، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ ـ عليه السلام ـ خلفهما وهو يقول: «إذا دعوت فأمّنوا» فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي لأرىٰ وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقىٰ على وجه الأرض نصرانيّ الى يوم القيامة، ثم قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك ...)[١].

أقول: لقد عرفت ان ابن البنت يسمّىٰ ابناً، وقد مرّ في الصفحات السابقة استدلال الفخر الرازيّ في تفسيره، فقال: هذه الآية دالّة على أن الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا ابني رسول الله (ﷺ) ...[٢].

فإذا كان كذلك فهناك أحاديث كثيرة من النبيّ (صلى الله عليه وآله) أكّد فيها على أنّ أمّته ستقتل ولديه الحسن والحسين، كما صرّح باسم القاتل في بعضها، وفي بعض الأحاديث الأخرى صرّح باسم كربلاء.

انظر الى مقتل الخوارزمي حيث يقول ـ نقلاً عن المسوّر بن مخرمة ـ (ولقد أتىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) ملك من ملائكة الصفيح الأعلىٰ لم ينزل الى الأرض منذ خلق الله الدنيا، وإنّما استأذن ذلك الملك ربّه ونزل شوقاً منه الى

---

(١) التفسير الكبير ٨٥/٨، الدر المنثور ٣٨/٢، تفسير القمّي ١٠٤/١، الخصال في احتجاج علي مع ابي بكر.

(٢) عن ام الفضل في حديث قالت: ... فدخلت يوماً الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوضعته في حجره ثم حانت مني إلتفاتة فاذا عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) تهريقان من الدموع قالت فقلت يا نبي الله بأبي انت وامي مالك؟ قال اتاني جبرائيل (عليه السلام) فاخبرني أن امّتي ستقتل ابني هذا ... مستدرك الصحيحين للحاكم ١٧٧/٣.

رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فلمّا نزل الى الأرض أوحىٰ الله عزّوجلّ اليه: أيّها الملك، أخبر محمداً بأنّ رجلاً من أُمّته يقال له: يزيد يقتل فرخك الطاهر وابن الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، فقال الملك: إلهي وسيّدي، لقد نزلت وأنا مسرور بنزولي الى نبيّك فكيف أُخبره بهذا الخبر؟! ليتني لم انزل عليه، فنودي الملك من فوق رأسه: أن أمضي لِما أُمرت، فجاء وقد نشر أجنحته حتّىٰ وقف بين يديه، فقال: السلام عليك يا حبيب الله، إنّي استأذنت ربّي في النزول اليك، فليت ربّي دقّ جناحي ولم آتك بهذا الخبر، ولكنّي مأمور يا نبيّ الله، اعلم: أنّ رجلاً من أُمتك يقال له: يزيد يقتل فرخك الطاهر ابن فرختك الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران ولم يمتّع من بعد ولدك، وسيأخذه الله معافصةً على سوء عمله، فيكون من أصحاب النار، قال: ولمّا أتت على الحسين من مولده سنتان كاملتان خرج النبيّ في سفرٍ، فلمّاكان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك؟ فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرضٍ بشاطئ الفرات يقال لها: كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة، فقيل: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال له: يزيد، لابارك الله في نفسه، وكأني أنظر الى مصرعه ومدفنه بها، وقد أُهدي رأسه، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلاّ خالف الله بين قلبه ولسانه ...)[١].

وكذا رواه الطبراني في المعجم الكبير مقارب[٢].

وكذا ما يقاربه في كتاب «مفتاح النجا في مناقب آل العبا» للبدخشي[٣].

هذه بعض الطرق التي عند الأصحاب. أما طرقنا فهي كثيرة، فليراجع في مضانّها.

---

(١) مقتل الحسين ـ الخوارزمي ١/١٦٢ طـ الغري.

(٢) المعجم الكبير ص١٤٧.

(٣) مفتاح النجا ص١٣٦.

الآية الثالثة عشرة:

قوله تعالى..

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ، وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾(١).

الآية وما قبلها في سياقٍ واحد، والآيات السابقة قسّمت الناس الى قسمين: قسم منهم وجوههم مبيضّة وقسم آخر وجوههم مسودّة ثم علّق جزاء كلّ قسم حسب عملهم في الدنيا، فقال عزّ من قائل: **﴿يوم تبيضّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ فأمّا الّذين اسودّت وجوهُهُم أكفرتم بعد إيمانكم فَذُوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»**(٢).

ثمّ بعدها يصف تعالى حال المؤمنين الّذين صدّقوا في هذه الدنيا الرسول واتّبعوه، فهم مبيّضة وجوههم، وفي رحمة الله منّعمون، فقال سبحانه وتعالى في حقّهم: **﴿وأمّا الذين ابيضّت وجوهُهُم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾**(٣).

على أنّ هـٰذين القسمين المذكورين هنا في هذه السّورة المباركة انّما أوضحت مآلهما في يوم القيامة، إلاّ أنّه سبحانه وتعالى قد ذكر قبل الآيتين ما يذكّر به عباده ويعلّمهم طريق الحقّ والخير والهدى، بل يحذّرهم من مفارقتهم الحياة الدنيا وهم على دينٍ غير الإسلام، فقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله**

---

(١) آل عمران /١١٠.

(٢) آل عمران /١٠٦.

(٣) آل عمران /١٠٧.

حقّ تُقاته ولا تموتُنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾[١] بل إنّه سبحانه وتعالى يأمرهم بالتمسّك بحبل الله، وينهاهم عن التفرقة ويطلب جلّ شأنه ـ منهم أن يتذكّروا النعم الّتي وهبها إيّاهم، وما حباهم من الفضل والاحسان، قوله تعالى في ذلك: **﴿واعتصموا بحبل اللهِ جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمت اللهِ عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها ...﴾**[٢].

ثمّ بعد ذلك يأمرهم سبحانه وتعالى بأن يكونوا الدعاة الى الخير ويناهضوا الشرّ، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، إذْ قال عزّ من قائل: **﴿ولتكن منكم أُمّة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأُولئك هم المفلحون﴾**[٣].

الخطاب في هذه الآية المباركة **﴿ولتكن منكم أُمّة ...﴾** موجّه لجميع المسلمين فهو تكليف عامّ، لكنّه يسقط بقيام البعض، فهو من باب الواجب الكفائي، ولذا فيستظهر فيها أن معنى «من» للتبعيض، وما يقوّي ذلك قوله تعالى في آخر الآية: **﴿وأُولئك هم المفلحون﴾**. إذن، الخطاب بصدد الجماعة التي اتّخذت على عاتقها رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان التكليف قبل التصدّي للامتثال عامّاً إلاّ أنّه سقط بقيام البعض به.

وربّما قيل: إنّ معنى «من» للبيان، أي: لتكونوا وفق اجتماعكم أُمّةً تدعون الى الخير والصلاح.

وعلى أيّ فكما هو معلوم في باب الفقه أنّ العبادات تنقسم الى: تكاليف عينيّة: كالصلاة والصوم والحج والخمس والزكاة وهو متعيّن على كلّ مكلّف

---

(١) آل عمران /١٠٢.

(٢) آل عمران: ١٠٣

(٣) آل عمران /١٠٤.

أداؤها وأُخرىٰ كفائيّة، فلو قام البعض بها سقط عن الباقي، أي: المسؤول بها كلّ الأُمّة، ويكون العقاب على الجميع مع تركهم للامتثال بلا عذر، ولو تصدّىٰ البعض لها كان المُثاب هم، دون غيرهم.

أمّا الآية الّتي نحن بصددها ﴿**كنتم خيرَ أُمّةٍ أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ...**﴾ فهو تقرير لحالة تلك الأُمّة التي أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر ومن جاء ذكرها في الآيات السابقة، وإن كان حصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن بعض تلك الأُمّة، ولا ضير فيما لو حصل الغرض من ذلك البعض لسقط عن الآخرين، فكان الخطاب والإطراء على الكلّ لمّا حصل منهم امتثال الأمر، وهذا خطاب مألوف عند العرب، تخاطب الفرد بلفظ الجماعة، أو تخاطب البعض بلفظ الكلّ، كما لو قلت: «أكرمت قبيلة الأوس» و«زارتني قبيلة الخزرج»، ومرادك بعض الأوس وبعض الخزرج...

وكيفما كان، الملفحون من الناس من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، والأُمّة قائمة على الخير والهدىٰ طالما أُولئك المفلحون بين ظهرانيهم، بل وطالما هناك تواصٍ بين أفراد الأُمّة بالحقّ، ومن جملته: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله ورسوله (صلّى الله عليه وآله) ، وماجاء به من شريعةٍ سمحاء من قبل الله سبحانه.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى عدّة نكات:

النكتة الأُولىٰ: ما المراد بـ«كان» في قوله تعالى: ﴿**وكنتم خير أُمّة ...**﴾؟

ذهب النحاة والمفسرّون الى عدّة أقوال:

أوّلاً: أنّها تامّة، ومعناها: «وُجدتم وخُلقتم خيرَ أمّة»، وهنا اشعار بالحدوث بقرينة «أُخرجت للناس»، إذ أنّ الأمّة لم تكن، ثمّ كانت، وعلى هذا

يتعين أنّ «خير أمّة» هي بمعنى الحال، وهذا ما ذهب اليه جمع من المفسّرين[(١)].

ثانياً: أنّهاناقصة، وللمفسّرين من هنا أقوال في تحديد المعنىٰ:

١ ـ كنتم خيرَ أمةٍ، أي: في علم الله.

٢ ـ كنتم، أي: في اللوح المحفوظ، ووافق هذا الفرّاء والزّجاج.

٣ ـ كنتم، أي: في الأمم السابقة مذكورين بأنّكم خيرُ أمّة.

٤ ـ كنتم، أي:في دُنياكم خيرَ أُمّة.

٥ ـ كنتم، أي: مذ آمنتم بالله خيرَ أمّة.

٦ ـ كنتم، بمعنى: أنتم، عن الحسن.

٧ ـ كنتم، بمعنى: قوم مخصوصين معيّنين من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) وهم السابقون الأوّلون[(٢)].

ثالثاً: أنّها بمعنى: صار، أي: صرتم خيرَ أمّةٍ أُخرجت للناس بسبب كونكم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ومؤمنين بالله.

رابعاً: أنّها زائدة.

أقول: وليس موافقاً من قال بزيادتها؛ لأن زيادة كان: إمّا في وسط الكلام، أو في آخره، ثمّ إذا قلنا بزيادتها بمعنىٰ: أنّها ملغاة عن العمل، وهذا لا يتأتىٰ في أوّل الكلام.

واعلم: أنّ مسألة الزيادة في كلام العرب إنّما كان من تحقيق علماء النحو واللغة، حيث قصرت نظرتهم في تخريج تلك الموارد: كزيادة ما بعد إذا، وزيادة كان ...

وقد جرى الكلام فتعدّى من اللغة والنحو الى القرآن الكريم، فقالوا بمثل

---

(١) مجمع البيان ج٤٨٦/٢ طـ بيروت، واعراب القرآن لمحيي الدين درويش ١٩/٢ طـ ٣، ١٩٩٢ والتفسير الكبير للفخر الرازي ١٩٣/٨.

(٢) انظر مجمع البيان ٤٨٦/٢ وتفسير الفخر الرازي ١٩٣/٨.

ذلك، والمتيقّن عندنا: أنّ ليس في القرآن، في حروفه وكلماته، أي: معنىً من معاني الزيادة، بل ليس لها محلّ، بل إنّ من أسرار القرآن الكريم هي تلك الحروف التي جهلنا حقيقتها ومعانيها فليس من العدل والإنصاف كلّ ما غاب عن إدراكنا ننسبه الى الزيادة، كما قيل في الحروف المتقطّعة من أوائل بعض السور أنها زائدة...، بل إنّ الجميع من الأمور الغيبيّة والأسرار الخفيّة التي لا يعلمها إلاّ الله والراسخون في العلم من آل محمد (صلى الله عليه وآله) .

أضف الى ذلك أنّه ليس كلّ ما جاء في كتب التفاسير مطبق على صحّته ومسلّم فيه، بل غاية ما هناك: أنْ نعدّه من باب تقريب المعنىٰ الظاهري، وأمّا باطن الآيات أو تأويلها أو ما يريده الله سبحانه فليس لنا فيه حديث إلاّ ما جاء به النبيّ وأهل بيت العصمة (عليهم السلام) ، وماعدا ذلك فمنهيّ عنه أن نعمل آراء نافيه، وقد دلّت الأخبار الصحيحة من العامة والخاصّة على نهي النبيّ عن تفسير القرآن بالرأي، فراجع.

النكتة الثانية: ﴿كنتم خيرَ أُمّةٍ﴾ بأيّ وجه أصبحت هذه الأمّة ـ الإسلاميّة ـ خيراً من غيرها من الأمم السابقة؟

قلنا: أصبحت هذه الأمّة أخير ممّا سبقها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله حقّاً، مما رفعها وجعلها أفضل الأمم.

وربّ سائلٍ يقول: ألم تكن تلك الأمم أيضاً تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر وتؤمن بالله ..؟!

فما الفرق بين عمل هذه الأمّة وعمل أُولئك الذين سبقوهم من أمّة عيسى وموسى وابراهيم عليهم السلام ؟

قلنا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له مراتب ودرجات. فمنه ما يكون بالقلب وهو أضعف الإيمان، ومنه ما يكون باللسان، ومنه ما يكون باليد، أي: بالقوّة والجهاد بالنفس دونه.

وإنّما كانت هذه الأمّة أفضل وخيراً من غيرها لأنّها حرصت في أداء الحق من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة الى الإيمان بالله بكلّ الوسائل والطرق المناسبة، حتّىٰ أنّها أقامت مع الرسول في حروبه وغزواتها للصدّ عن الكفر والمنكر والأمر بالمعروف، وهكذا في زمن الخلفاء الأربعة وبعدها نشرت الإسلام في الشرق والغرب سعياً وراء نشر كلمة «لا إله الا الله» التي هي رمز الحقّ والعدل والمعروف والهدىٰ.

فقد استرخصت كلّ شيءٍ، وجادت حتىٰ في بذل النفس، وهو أقصى غاية الجود، لإقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فأين هذه الأمّة من الأمم الأخرىٰ، فهذه أمّة موسىٰ (عليه السلام) التي قالت لنبيها، عندما أمرها بقتال عدوّها: ﴿**إذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هـٰهنا قاعدون ...**﴾[1].

بل إنّهم ـ اليهود ـ حاولوا قتل نبيّهم هارون (عليه السلام) عندما ذهب موسىٰ لموعد ﴿**ميقات**﴾ ربّه ليجلب الألواح لهم والتي فيها من كلّ شيء موعظةً، وقد خلّف على قومه أخاه هارون (عليه السلام)، قال تعالى يحكي على لسان هارون: ﴿**إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ...**﴾[2].

بل وصريح القرآن الكريم يذكر قوم موسى (عليه السلام) إنّهم لن يستجيبوا لنداء الله في جهاد أنفسهم منهم، حيث قال: وعزّ من قائل: ﴿**ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلاّ قليلٌ منهم ...**﴾[3].

وقول تعالى: ﴿**... إذْ قالوا لنبيّ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عَسَيْتم إنْ كُتِبَ عليكم القتالُ ألاّ تقاتِلوا قالوا وما لنا ألاّ نُقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائِنا فلمّا كتب عليهم القتال تولّوا إلاّ**

(١) المائدة /٢٤.

(٢) الأعراف /١٥٠.

(٣) النساء /٦٦.

قليلاً منهم ...»[١].

وهكذا بقية الأمم ما كانت تعشق القتال في سبيل الله .

أمّا المسلمون: فقد عشقوا الشهادة والقتل في سبيل الله، دراً للمنكر والفساد المتأتّي عنه، والآيات الكريمة شاهدة على ذلك، بغضّ النظر عن أُولئك المنافقين الذين نزلت في حقّهم آيات بيّنات تكشف عن نواياهم وسوء سريرتهم وخبثهم وكيدهم للإسلام والمسلمين... فلا تغفل.

وتلخّص ممّا تقدّم: الظهور في أفضليّة هذه الأمّة، وأنّة أخير من غيرها، لأنّها تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن: المنكر بكل الوجوه وآكدها: القتل، وهو إلقاء النفس في خطرها، ولهذا اصبح الجهاد من أعظم العبادات وهو عندنا في الإسلام أقوى منه في سائر المذاهب والأديان.

النكتة الثالثة:تعيّن من جملة **﴿كنتم خير أُمّةٍ أُخرجت للناس﴾** أنّ المسلمين أفضل وأخير من اليهود والنصارىٰ وسائر الأمم، لذا وجب على الأمم أن تُدين بالإسلام وتقتدي بالمسلمين، وهذا تأييد لما ورد في الآيات الأخرى من القرآن الكريم في أحقيّة الدين الإسلاميّ ووجوب اعتناقه قوله تعالى: **﴿إنّ الدينَ عندالله الإسلام﴾**[٢].

وقوله تعالى: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين...﴾**[٣] وقوله تعالى: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ..﴾**[٤].

وقوله تعالى: **﴿...إنّ الله اصطفىٰ لكم الدين فلا تموتنّ إلاّ وأنتم**

---

(١) البقرة /٢٤٦.

(٢) آل عمران /١٩.

(٣) آل عمران /٨٥.

(٤) الأنعام /١٢٥.

مسلمون﴾[١].

وقوله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[٢]، الى غيرها من الآيات.

النكتة الرابعة: نستظهر من لفظة «للناس» أي: عامة البشر في السابق واللاحق، وأنّ هذه الأمّة ـ المسلمة ـ هي الأخرىٰ أخير الأمم وأفضلها في الماضي والحاضر، لهذا أُخرجت للناس حتّىٰ تكون مثالاً يقتدىٰ بها سعياً وراء الكمال والخلاص.

النكة الخامسة: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

استعمال الفعل المضارع في هذه الألفاظ الثلاثة «تأمرون، تنهون، تؤمنون، يدلّل على حركيّة هذه الأمّة وفعّاليّتها واستمراريّتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، أي: أنّ الأمر بالمعروف ما كان موقوفاً على الصدر الأوّل من المسلمين، وكذلك النهي عن المنكر فلم يختصّ بمن خوطبوا بهذه الآية الكريمة.

وكما تعلم أن العبرة بعموم اللفظ، لابخصوص السبب، وهذه الاستمراريّة في الصفات والعمل بها جعل هذه الأمّة المباركة خيراً من غيرها، وأخرجها للناس حتّىٰ يختم بهم، ويكونوا حجّةً على غيرهم.

كما أنّ هذه العبارة تعليل للنصّ المتقدّم «كنتم خير أُمة»، وهذا ممّا تعارف عليه أهل اللغة والبلاغة: أنّ ذكر الحكم المقرون بالوصف المناسب له يدلّ على أنّ هذا الوصف علّة لذلك الحكم، لكن لا يمكن القول بأنّها علّة تامّة، فربما كانت جزءَ العلّة، والله اعلم.

---

(١) البقرة /١٣٢.

(٢) المائدة /٣.

النكتة السادسة: في الآية الشريفة تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله، وهو قوله سبحانه: ﴿**تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾، وهذا التقديم ربّما يلاحظ فيه هذا السؤال، ألم يكن الإيمان بالله أوّل الطاعات المخاطب بها الإنسان؟

أُجيب عنه: أنّ شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الإيمان بالله، وإنّما هذه الطاعات الأُخرىٰ هي فرع تلك الطاعة، بل هي أثر لذلك المؤثّر الحقيقي، فإنّ الكلام من أصل الإيمان مفروغ عنه.

كما أنّ الإيمان بالله أمر مشترك بين سائر الأمم الموحّدة، فلا يعقل ـ والخطاب لمن آمن به ـ أن يكون الإيمان هو سبب التفضيل، وقد علمت أنّه صفة مشتركة بين الموحّدين في سائر الأديان.

النكة السابعة: قوله تعالى: ﴿**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم**﴾ ترغيب منه سبحانه وتعالى لأهل الكتاب بالإسلام، وقد كانوا يجدون في كتبهم الحقّة المنزّلة أن خاتم النّبوات على يد النبي محمّد (صلى الله عليه وآله)، وأنّ صفة النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) مسطورة في كتبهم وقد استعلمتها أنفسهم، لكن جحدت بها إبقاءً على مطامعهم، وحبّاً لتسلّطهم على رقاب الناس والمستضعفين منهم بالخصوص. فلو آمنوا لأصابهم خير الدنيا ونعيم الآخرة والخلود فيهما، فهم يجمعون الى ما يصبون اليه من هذه الدنيا خير الآخرة، لكن بما أنهم جحدوا بآيات الله وأصرّوا على كفرهم وطغيانهم ممّا سلبهم الله سبحانه كلّ ما يرجونه، وهذا هو الخسران المبين، وأن عذاب ربّك لأشدّ وأخزى.

وهذا لا يعني استعمال كلمة «خيراً لهم» أنها من باب التفضيل حتّىٰ تُعطي لهم مشروعيّة التعبّد بالدين الذي هم عليه، وقد عرفت سابقاً: أنّ كلّ دينٍ لا يجوز التعبّد به عدا الإسلام، وأنّ الشريعة الإسلامية ناسخة لكلّ الشرائع، لذا قال سبحانه وتعالى: ﴿**ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة**

من الخاسرين﴾(١).

نعم، إنّما الآية ناظرة الى ما بأيديهم من نعيم زائلٍ قبال النعيم الخالد، وهو نعيم الإيمان بالله في الدنيا، وهو من أكبر النعم وأفضلها، ونعيم الآخرة الذي هو جزاء المحسنين، والمؤمن إنّما هو محسن لنفسه بإيمانه من دون أي شكّ ...

قوله تعالى: **﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾**(٢).

منهم، أي: من أهل الكتاب ـ و«من» هنا أفادت التبعيض ـ وهم جماعة من أهل الكتاب آمنوا بما وجدوه في كتبهم من صفة النبيّ المُرسل آخر الزمان، وهو محمّد (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء، والألف واللام في «المؤمنون» للعهديّة، وليس للاستغراق، أي: أُولئك النفر المعترفون بما دلّت عليه كتبهم من صفات النبيّ المبعوث في جزيرة العرب والبشارة به، أمثال: عبدالله بن سلاّم وأصحابه من اليهود، والنجاشيّ وأصحابه من النصارىٰ.

﴿وأكثرهم الفاسقون﴾، أي: الجاحدون المنكرون لما أوجبه كتابهم من الإقرار بنبوّة الرسول (صلى الله عليه وآله) واتّباعه.

والخطاب في هذه الآية مختلف فيه، وأهم الآراء هي:

١ ـ قيل: أُريد به: المهاجرون خاصّةً، عن ابن عبّاس والسدّي.

٢ ـ وقيل: أُريد به: ثلّة من الصحابة، وهم: ابن مسعود، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولىٰ أبي حذيفة، عن عكرمة.

٣ ـ وقيل: أُريد به: جميع أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) عن الضحّاك.

٤ ـ وقيل: إنّه خطاب للصحابة، ولكن يعمّ سائر الأمّة(٣).

ثمّ بيّنت الآية الشريفة ـ كما عرفت ـ بعض خصوصيّات هذه الأمّة من

---

(١) آل عمران /٨٥.

(٢) آل عمران /١١٠.

(٣) الدرّ المنثور ٦٣/٢ ومجمع البيان ٤٨٦/٢ ط بيروت.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

ففي تفسير العيّاشي، عن أبي عمرو الزبيريّ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله: ﴿**كنتم خيرَ أُمّةٍ أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾ قال: يعني: الأمّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم (عليه السلام) فهم الأمّة التي بعث الله فيها ومنها واليها، وهم الأمّة الوسطىٰ، وهم خير أمّةٍ أُخرجت للناس[١].

وفيه أيضاً: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّما نزلت هذه الآية على محمّد (صلى الله عليه وآله) فيه وفي الأوصياء خاصّة، فقال: ﴿**كنتم خيرَ أئمّةٍ أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾، هكذا واللهِ نزل بها جبرئيل، وما عنىٰ بها إلاّ محمّداً وأوصياءه صلوات الله عليهم[٢].

وفيه أيضاً: عن حمّاد بن عيسىٰ عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: في قراءة عليّ (عليه السلام) ﴿**كنتم خير أئمةٍ أُخرجت للناس**﴾ قال: هم آل محمّد «ص»[٣].

وفي الدرّ المنثور قال السيوطي: أخرج ابن ابي حاتم، عن أبي جعفر ﴿**كنتم خير أُمّة أخرجت للناس**﴾ قال: أهل بيت النبي[٤].

---

(١) تفسير العيّاشي ١٩٥/١.

(٢) تفسير العياشي ١٩٥/١، إثبات الهداة ٤٦/٣، تفسير الصافي ٢٨٩/١ البرهان ٣٠٨/١.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) الدرّ المنثور ٦٤/٢.

الدليل الروائي

عن ابن سنان قال: قُرئَت عند أبي عبدالله (عليه السلام) : **﴿كنتم خير أُمّةٍ أُخرجت للناس﴾**، فقال أبو عبدالله (عليه السلام) «خير أُمة» يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام). فقال القارئ: جعلت فداك كيف نزلت؟

قال نزلت: **﴿كنتم خير أئمة أُخرجت للناس﴾**، ألا ترىٰ مدح الله لهم: **﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[1].

وذكرت كتب التاريخ والسيرة: أنّ الحسين (عليه السلام) لما أراد الخروج من الحجاز وقف عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) يناجي ربّه قائلاً: اللّهمّ إنّ هذا قبر نبيّك محمدٍ (صلى الله عليه وآله) ، وأنا ابن بنت نبيّك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهم إني أحبّ المعروف وأُنكر المنكر، وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومَنْ فيه إلاّ أخترت لي ما هو لك رضىً ولرسولك (صلى الله عليه وآله) [2].

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم، عن الباقر (عليه السلام) قال: فهذه ـ الآية ـ لآل محمدٍ ومن تابعهم، يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[3].

ولا يخفى عليك أنّ الحسين (عليه السلام) لم يقتل إلاّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو (عليه السلام) من أشهر مصاديق هذه الآية الكريمة، وقد كتب في وصيّته لأخيه محمّد بن الحنفيّة عندما أراد الخروج من المدينة:

---

(١) تفسير علي بن ابراهيم القمي ١/١١٠.

(٢) مقتل الخوارزمي ١/١٨٦.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ١/١١١.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصىٰ به الحسين بن عليّ بن أبي طالب الى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية:

أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ الجنة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأنيّ لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي (صلى الله عليه وآله) ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، فمن قبلني بقول الحقّ فالله أولىٰ بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّىٰ يقضيَ الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين، وهذه وصيّتي يا أخي إليك، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب»[١].

وفي الزيارة المشهورة: «أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله ورسوله، وجاهدت في سبيله حتّىٰ أتاك اليقين ...»[٢].

وقد رُوي عنه (عليه السلام) : أنّه كان يحبّ الجهاد ويسعىٰ لأجله، ويقارع الظلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال (عليه السلام) : «حبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة حدود الله»[٣].

---

(١) البحار ٣٢٩/٤٤، مقتل الخوارزمي ج ١٨٨/١، مقتل العوالم ٥٤.

(٢) مقطع من الزيارة السادسة المطلقة او المشهورة. انظر مفاتيح الجنان.

(٣)

الآية الرابعة عشرة:

قوله تعالى..

﴿...وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ...﴾(١).

تمام الآية **﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**.

الآية وما قبلها، قيل: نزلتا في رؤساء اليهود مثل: كعب، وأبي ياسر، وابن صوريا، وأبي رافع، وكنانة الذين عمدوا الى مؤمنيهم، كعبدالله بن سلاّم وأصحابه، فأنبّوهم لإسلامهم، فنزلت الآية، وهو مروي عن مقاتل(٢).

للضرب هنا أحد معنيين:

الأوّل .. بمعنى: اللصق والإلصاق كالشيء يضرب على الشيء فيلصق به، فيكون معنى الآية: جعلت الذّلة ملصقةً بهم، ومنه كان تسمية الخراج ضريبة، لأنه لازم وملصق بصاحبه لابد من دفعه.

الثاني .. بمعنى: البناء والاثبات المحيط بالشيء، كالقباب والخيام المضروبة المحيطة على ساكنيها، فهو نوع استعارة، وهذا لا يختلف عن المعنى الأوّل في لزوم الذلّة لليهود.

«**أينما ثُقفوا**» بمعنى: أينما وجدوا.

و«**الذلّة**» فيها عدّة معانٍ:

---

(١) آل عمران /١١٢.

(٢) مجمع البيان ٢/٤٨٧.

الأوّل: الذلّة بمعنىٰ الجزية، فهم يدفعونها عن يدٍ وهم صاغرون ، وهو قوله تعالى: ﴿**حتّىٰ يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**﴾[1].

الثاني: أو بمعنى: لا أمان لهم ولا قرار، وهذا ما يشعرون به في قرارة أنفسهم.

الثالث: أو ليس فيهم عزيز أو محترم، بل جميعهم في نظر آخرين من الناس محتقرون.

الرابع: أو المراد: أن يُحاربوا ويُقتلوا وتُسبىٰ ذراريهم، وتغنم أموالهم، وتملك أراضيهم.

الخامس: الذلّة لفظ مشترك يجمع كلّ ألوان الاستصغار والهوان والذلّ، فلو ارتفع بعض مصاديق هذا اللفظ كالقتل والسبي فلا يرتفع باقي المصاديق بسبب من الأسباب لذا فإنّ الذل والهوان لازم لهم بدليل ﴿**أينما ثُقِفُوا**﴾ قرينة لازمة في ذلك.

ثم لا يخفىٰ أنّ الأصل في اليهود كونهم مهدوري الدم والعرض والمال، أي: لابدّ من محاربتهم، وإذا كان كذلك فدمهم مباح، وكذلك نساءهم وأموالهم مباحة للمسلمين بصريح الآية الكريمة: ﴿**اقتلوهم حيث ثقفتموهم**﴾، بمعنىٰ: أينما وجدتموهم ثمّ جاء الاستثناء ﴿**إلاّ بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس**﴾.

والحبل هنا قد يراد به العهد، عهد الله سبحانه وتعالى، وعهد الناس.

فاليهود هم في ذمة مَنْ يسكنون في جوارهم وبعبارة أخرى إن دمّهم وعرضهم ومالهم يكون في ذمّة المسلمين فيما لو تمسّكوا بعهد الله المعبّر عنه في الآية «بالحبل» لأنّ الحبل إذا وصل الشيء به أحكمه من السقوط ومنعه، وبما أنّ الإنسان الخائف لا أمان له قبل العهد فيصير بعد العهد آمناً، كأنّما العهد أوصله الى الأمان، وهكذا الحبل يوصل المتمسّك به الى مطلوبه.

---

(١) مجمع البيان: ٤٨٨/٢.

والعهد الذي يستهظر من «الحبل» هو دفع الجزية حتّىٰ يكونوا في ذمام المسلمين، ولمّا استظهرنا من لفظة «الذلّة» المعاني الأربعة جميعاً، أو قل: المعنى الخامس، وهو المعنى الجامع تعيّن أنّ الحبل المقصود منه ـ من خلال الاستثناء ـ حصول الأمان، وهذا يدلّل على أنّ دفع الجزية ـ رافع للحرب والقتل فقط.

فالاستثناء هنا لمصداقٍ واحدٍ من مصاديق المستثنىٰ منه المتعدّدة.

والحاصل: أنّ الحبل الذي استظهرناه بالعهد ـ وهو، دفع الجزية كما نصّ عليه سبحانه وتعالى ـ رافع للخوف والقتل والحرب. أمّا الذلّ والهوان والاستصغار فلم يدخل في الاستثناء، بل لازم لهم اين ما وُجدوا.

أمّا الذين قالوا: «الحبل من الله» هو الاسلام و«الحبل من الناس» هو الذمّة فهذان معنيان متغايران والعطف يراد به: الجمع والوحدة فكيف جاز لكم أن تجمعوا بين الإسلام والذمّة؟ وقد عرفت أنّ الذمّة لا محلّ لها بعد دخول الكتابيّ في الإسلام !!

نعم، يصحّ ذلك إذا ورد العطف بالحرف «أو» للتنويع، فيصير المعنىٰ: هم في أمانٍ اذا تمسّكوا بحبلٍ من الله وهو الإسلام، أو: هم في أمانٍ إن تمسّكوا بحبلٍ من الناس، وهو دفع الجزية فيكونوا في ذمّتهم ...!

وبعضهم قال: يراد بالحبلين: هماالعهد والذمّة والامان لان الامان المأخوذ من المؤمنين هو الأمن المأخوذ بإذن الله، وهذا المعنى لا يقوىٰ على دليل، وضعيف في مبناه لعدّة وجوهٍ لا طائل من ذكرها.

وذهب السيّد الطباطبائي في الميزان الى إنّ تكرار لفظ «الحبل» إنّما كان لاختلاف المعنى بالإضافة .. فيقول: (وقد كرّر لفظ «الحبل بإضافته الى الله» والى الناس؛ لاختلاف المعنى بالإضافة، فإنّه من الله القضاء، والحكم تكويناً أو تشريعاً، ومن الناس البناء والعمل).

ثمّ قال: (والمراد بضرب الذلّة عليهم: القضاء التشريعيّ بذلّتهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**أينما ثقفوا**﴾، فإنّ ظاهر معناه: أينما وجدهم المؤمنون، أي: تسلّطوا عليهم، وهو إنّما يناسب الذلّة التشريعية التي من آثارها الجزية)[١].

أقول: لا يستفاد من كلام صاحب الميزان «قدّس سرّه» تفصيل المطلب، لذا نورد عليه ما يلي:

أوّلاً: عدم تحديد المعنى بالنسبة لحبل الله وحبل الناس بلحاظ الاضافة حتى يُعرف الفرق بينهما. أمّا ما أورده الطباطبائي قدّس سره في معنى الحبل قبل النصّ المنقول فهو معنىً عامّ لا يفيد التمييز.

ثانياً: حبل الله وحبل الناس لابدّ أن يجمعهما م عنىً مشترك، كالعهد والأمان وما شابه ذلك، حتىٰ يكون لأخذ الجزية الموجب لحصول الأمان أثر من آثار حبل الناس، وهذا الأثر إنّما هو فرع أصلٍ، وأصله قضاء الله وحكمه في عالم التكوين أو التشريع، والمعبّر عنه في الآية ﴿حبل من الله﴾ وإذا كان كذلك فلا معنىٰ أنّ تكرّر لفظة الحبل واذا كرررت فلا داعي ان نقول بمغايرة المعنى من خلال الإضافة، بل هو بملاك واحد، أحدهما في عالم الإثبات، والثاني في عالم الثبوت.

ثالثاً: نحن بصدد الكشف عن معنى «الحبل من الله والحبل من الناس»، وليس بصدد الذلّة التشريعية أو التكوينية، بل إنّ هذه الذلّة متحقّقة كيفما كان.

رابعاً: من قال إنّ الذلّ سوف يرتفع من الذمّي فيما لو دخل في أمانٍ من الناس أو تحت ذمّة المسلمين...؟ ويكفي للذمّي استصغاراً واحتقاراً وإذلالاً له بدفعه الجزية، وما دفع الجزية إلاّ مظهر من مظاهر الإذلال والهوان، بينما ما أفاده صاحب الميزان (قدس سره) خلاف ذلك، قال: (فيؤوّل معنى الآية الى أنّهم أذلاّء بحسب حكم الشرع الإسلامي، إلاّ أن يدخلوا تحت الذّمة أو أمانٍ من الناس

---

(١) تفسير الميزان ٣/٣٨٤.

بنحوٍ من الأنحاء)[١].

وكيف كان، إنّ عبارة السيّد ـ قدّس سرّه ـ قاصرة عن أداء الغرض، وفيها تشويش وارتباك لا يخفى.

﴿وباؤا بغضبٍ من الله﴾، أي: رجعوا بغضب الله، وهو لعنه وعقابه.

﴿وضربت عليهم المسكنة﴾، المسكنة: أشدّ الفقر؛ وذلك أنّ اليهود يتظاهرون بالفقر وإن كانوا أغنياء، وهذا ديدنهم إلى اليوم. ولا يخفى أنّ مظهر الفقر يُلازمه ـ غالباً ـ الذلّ والاستعطاف والإلتواء، بل إنّ أغنياءهم كانوا يظهرون بهذه الحالة؛ كي لا تضاعف عليهم الجزية.

فهذه صفات ثلاث ذكرتها الآية الكريمة:

١ ـ ضربت عليهم الذلّة.

٢ ـ وباؤا بسخط الله وغضبه.

٣ ـ وضربت عليهم المسكنة من الفقر والذلّ.

أمّا السبب في ذلك هو: **﴿بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾**، **﴿ويقتلون الأنبياء بغير حقّ﴾**.

وهذا شأن اليهود أنّهم جحدوا صفة النبي محمد(صلى الله عليه وآله) في كتبهم، وكفروا بآيات الله سبحانه ونعمه الظاهرة. كما أنّهم جحدوا بالقرآن، ومن قبل بالإنجيل، لذا ففي موردٍ آخر يصفهم القرآن الكريم: **﴿فباؤا بغضبٍ على غضبٍ﴾**، الأول: لكفرهم بعيسى(عليه السلام) والإنجيل، والغضب الثاني: لكفرهم بمحمدٍ صلى الله عليه وآله والقرآن الكريم.

أمّا قتلهم الأنبياء مثل: زكريّا ويحيى وغيرهما(عليهما السلام) بغير حقٍّ: أي بغير ذنبٍ أو جرم، وهذا لا يعني في قوله تعالى: **﴿بغير حقٍّ﴾** أنّه قد يصحّ قتل الأنبياء بحقٍّ عليهم السلام لأنّ الله سبحانه لم يجعل للناس على الأنبياء من سبيل، بل هم

(١) المصدر السابق.

دائماً في موقع المظلومين، حتّى يزيد لهم الأجر ويرفع لهم منزلتهم(عليهم السلام).

﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾: إشارة إلى معاصيهم وقتلهم الأنبياء بغير الحقّ، واعتدائهم في السبت ونقضهم العهد...الخ.

ولا يخفى أنّ الخطاب في هذه الآية موجّه لليهود في زمن النبيّ(صلى الله عليه وآله)، وأولئك الذين كانوا في صدر الإسلام لم يصدر منهم اعتداء القتل، فليس هم المعنيّين بقوله: **﴿يقتلون الأنبياء بغير حقّ﴾**، بل إنّ المعنيّ أسلافهم وآباؤهم السّابقون. وبما أنّ هؤلاء المعاصرين للنبي محمد(صلى الله عليه وآله) رضوا بأفعال آبائهم وصوّبوها كان رضاهم هذا كفعل آبائهم، ولو قدّر أنّهم عاشوا زمن آبائهم لصدر منهم القتل أيضاً، وعلى أيّ حالٍ، من رضي بفعل قومٍ حُشر معهم.

ومّما تجدر الإشارة إليه: أنّ الذلّة التي عليها اليهود قد ورثوها من زمانٍ سابقٍ، وقبل ظهور الإسلام، حيث كانوا يدفعون الجزية من قبلُ للفرس وهم صاغرون.

روي عن يونس بن عبدالرحمان، عن عدّةٍ من أصحابنا رفعوه إلى أبي عبدالله(عليه السلام) في قوله: **﴿إلاّ بحبلٍ من اللهِ وحبلٍ من الناس﴾** قال: الحبل من الله: كتاب الله، والحبل من الناس: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام[(١)].

وعن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) وتلا هذه الآية: **﴿ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حقٍّ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾** قال: واللهِ ما ضربوهم بأيديهم، ولا قتلوهم بأسيفاهم، ولكن سمعوا أحاديثهم وأسرارهم فإذا عوها فأُخذوا عليها فقتلوا. فصار قتلاً واعتداءً ومعصية[(٢)].

---

(١) نور الثقلين ١ / ٣١٨ ورواه عليّ بن إبراهيم القمي ورواه ابن شهر آشوب في المناقب عن الباقر عليه السلام ورواه العياشي في تفسيره ١ / ١٩٦ والبرهان ١ / ٣٠٩ والصافي ١ / ٢٩٠.

(٢) تفسير العياشي ١ / ١٩٦ والبرهان ١ / ٣٠٩ والصافي ١ / ٢٩٥.

والجدير بالذكر ان الاشارة في ذيل الآية الكريمة، ﴿**ذلك بما عصوا**﴾ يستظهر منها ان سبب قتلهم للأنبياء بغير حق وكفرهم بآيات الله انّما حصل من جراء مقدمات سابقة الا وهو اصرارهم على الصغائر من الذنوب والمعاصي المنهي عنها بالنقل والعقل وكما هو المروي عن أهل العصمة (عليهم السلام) لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فالاصرار على الصغائر يفضي إلى مباشرة الكبائر بل والاستمرار عليها يؤدّي إلى الكفر وقد تعارف عند أهل الأدب وأهل الدين والورع أن من ابتلي بترك الأدب وقع في ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع في استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر.

وقد ورد عن الرسول (صلى الله عليه وآله) الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالرّاعي يحوم حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

الدليل الروائي

ممّن استشهد بهذه الآية مضموناً: العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين (عليهما السلام) إذْ لمّا وصلت السبايا إلى الكوفة قادمةً من كربلاء، خرج أهل الكوفة يتفرّجون على حريم رسول الله صلى الله عليه وآله وما أن شاهدوا ذلك المنظر الحزين حتّى انفرجوا بالبكاء والعويل وهم كذلك حيث خطبت بهم العقيلة متمثّلةً بمضمون هذه الآية[1] فقالت:

بعد الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين:

---

(١) من سورة آل عمران ومثلها من سورة البقرة آية ٦١.

«أمّا بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّةٍ أنكاثاً، تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلاّ الصلف النطف[١]، وملَق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعىً على دمنةٍ، أو كفضّةٍ[٢] على ملحودةٍ، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون!

أتبكون وتنتحبون؟ إي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنآنها[٣]، ولن ترحضوها بغسلٍ بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء، وسيّد شباب أهل الجنّة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومِدره سنّتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضبٍ من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أيّ كبدٍ لرسول الله فريتم؟ وأيّ كريمةٍ له أبرزتم؟ وأيّ دمٍ له سفكتم؟ وأيّ حرمةٍ له انتهكتم؟ لقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوّاء فقماء، [خرقاء شوهاء] كطلاع الأرض، وملأ السماء، أفعجبتم أن مَطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنّكم المَهَل، فإنّه لا تحفره البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإنّ ربّكم لبالمرصاد»[٤].

---

(١) الصَلَف الذي يمتدح بما ليس عنده. والنطف القذف بالفجور.

(٢) وربما ضبطت بالقاف وهي انسب إلى الملحودة والقصّة أي تجصيص ـ القبر ـ وهو المنهي عنه.

(٣) وفي نسخة شنارها.

(٤) البحار ٤٥ / ١٠٩، اللهوف في قتل الطفوف ١٢٥، الاحتجاج ٢٥٦.

الآية الخامسة عشرة:

قوله تعالى..

﴿وَكَأَيِّن من نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾(١)

يظهر من سياق الآيات المتقدّمة إلى آية (١٥): أنّها نزلت في غزوة أُحد. كما أنّ في الآيات المتقدّمة عتاب وتوبيخ للمسلمين الذين ظنّوا فوات النصر والخذلان، واعتقدوا أنّ النبيّ قد قُتل؛ وذلك لمّا حمي الوطيس ودارت الدوائر على المسلمين؛ فانهزم جمعهم من حول الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وتولّوا عن القتال.

والمستفاد من تلك الآيات: أنّ الكفّار كانوا أيّام نزول الآيات ـ في غزوة أُحد ـ يلقون إلى المؤمنين بصورة الوعظ والنصح، ممّا يُثبّط عزائمهم ويصرفهم عن القتال، وقد حاولوا زرع الفتنة بين المسلمين والتنازع، وإيجاد الفرقة بين المؤمنين.

ولا يخفى انّ هذا العمل يولّد الشقاق والبغضاء بين صفوف المجاهدين، بل يوقع الرعب في ضعاف النفوس، وقد التزم به الكفّار في جميع حروبهم مع الرسول (صلى الله عليه وآله) كوسيلةٍ إعلاميّةٍ يراد منها: تشريد المسلمين وإبعادهم عن القتال: ويستفاد من هذا المعنى لكشف نوايا الكفّار وغيرهم من اليهود والمنافقين من خلال الآيات اللاحقة.

منها قوله تعالى: **﴿الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم...﴾**(٢).

---

(١) آل عمران / ١٤٦.

(٢) آل عمران / ١٧٣.

ومنها قوله تعالى: **﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله﴾**[١].

وكذا قوله تعالى: **﴿يا أيّها الذين آمنوا إن تُطيعوا الذين كفروا يردُّوكم على أعقابكم...﴾**[٢].

ولا يستبعد أنّ الخطاب في بعض هذه الآيات قد استهدف اليهود والمنافقين يوم «أُحد»، حيث أشاعوا بين المسلمين، أنّ النبيّ قد قُتل، وهذا يستفاد من الآية: **﴿الذين قال لهم الناس إنّ الناس...﴾**[٣] فكلمة «الناس» في الموردين عام يشمل الكافر واليهوديّ والمنافق، إذ الكلّ داخل فيه، وإلاّ فإتّصال المؤمنين بالكفار ليسمعوا منهم نصائحهم وإرشادهم أمر مستبعد.

نعم، لا يستبعد أن يكون الإصغاء إلى كلمات الكفّار ونصائحهم المزعومة بوسائط متعدّدةٍ، لا منهم مباشرةً، ومن جملة تلك الوسائط بين المسلمين والكفّار: هم المنافقون الذين يأتون بهذه الكلمات زعماً من عند أنفسهم، وأنّهم يريدون الخير والصلاح للمسلمين، إلاّ أنّ الواقع غير ذلك؛ بل هم رسل وجواسيس الكفّار على المسلمين. فمن هذا الباب أوضحت الآية الشريفة أن الإصغاء والإطاعة لهؤلاء إنّما هو إطاعة للذين كفروا بعدما تبيّن للمسلمين أنّ الوجه في هذه الكلمات من أُولئك هو لاستزلالهم، كما أنّ الشيطان يزلّ الإنسان، كما في قوله تعالى: **﴿إنّ الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا...﴾**[٤].

وعلى أيّ حالٍ فهي الآية التي صدر البحث موعظة واعتبار وتشويق

---

(١) آل عمران / ١٥١.
(٢) آل عمران / ١٤٩.
(٣) آل عمران / ١٧٣.
(٤) آل عمران / ١٥٥.

للمؤمنين، واقتداء بالّذين سبقوهم من الأمم الغابرة، والاعتبار بأصحاب الأنبياء الذين قاتلوا مع أنبيائهم إعلاءً لكلمة الله وتأييداً لدينه...

و**﴿كأيّن...﴾** أصلها: أيٌّ، دخلت عليها كاف التشبيه، كما دخلت على «ذا». و«أنّ» فأصبحتا «كذا» و«كأنَّ» ثمّ كثر استعمالها فصارت بمنزلة الكلمة الواحدة.

وأيٌّ تُفيد الاستفهام، ولمّا أصبحت مع الكاف بمنزلة الكلمة الواحدة أفادت ـ عندئذٍ ـ معنى «كم»، وتأويلها التكثير، وهذا نظير ما جاء في القرآن الكريم **﴿فكأيّن من قريةٍ أهلكناها...﴾**، وقوله تعالى: **﴿وكأيّن من قريةٍ أمليت لها...﴾**.

﴿من نبيٍّ قاتل معه ربّيّون كثير﴾: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو **﴿قتل معه﴾**، وعلى هذا التقدير يكون المعنى: أنّ كثيراً من الأنبياء قتلوا، والذين بقوا بعدهم ما وهنوا وما استكانوا، وهذه القراءة ضعيفة لا يمكن التعويل عليها؛ لأنّ المعنى يكون بها بعيداً، وما دلّت عليه الروايات خلاف ذلك:

منها: ما رواه سعيد بن جبير انه قال: ما سمعنا قطّ أنّ نبيّاً قتل في القتال[١] وكذا رواه الحسن.

ومن قرأ: **﴿قاتل معه...﴾** فمعناه: كم من نبيٍّ حارب أو قاتل معه العدد الكثير من أصحابه، فأصابهم من عدوّهم القتل والتعذيب ومع ذلك فما وهنوا وما استكنوا؛ لأنّ الذي أصابهم انما هو في سبيل الله، وإعلاءً لكلمته، ونصرةً لنبيّه، وهذا الخطاب ـ للمسلمين ـ فيه عتاب وتوبيخ، وكذلك فيه ترغيب وتشويق. فمن كان هذا شأنهم مع الأنبياء في الأمم السابقة كان النصر حليفهم وحريّ بكم يا أُمّة محمدٍ (صلى الله عليه وآله) أن تقتدوا بأُولئك، بل ينبغي لكم أن لا تفارقوا سوح القتال وتتركون نبيّكم وحده هدفاً للأعداء.

---

(١) الدرّ المنثور ٢ / ٨٢، ومجمع البيان ٤ / ٥١٧.

ويستظهر من الآية الشريفة: إدامة القتال؛ لأنّ فيها ترغيب المسلمين عليه.

نقل عن ابن الأنباري أنّه قال: فقد كان واجباً عليكم أن تقاتلوا على أمر نبيّكم لو قتل كما قاتل امم الأنبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم[١].

﴿**ربّيون كثير**﴾ في معناه عدّة أقوال:

أوّلها: عن ابن عبّاس: أنّهم علماء فقهاء صُبّر.

ثانيها: عن مجاهد وقتادة: أنّهم جموع كثيرة[٢].

ثالثها: عن الأخفش: أنّهم منسوبون إلى الربّ، ومعناه: المتمسّكون بعبادة الله.

رابعها: عن الزجاج ان [الربّيون] عشرة آلاف وهو المروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

خامسها: عن ابن زيد أن «الربّيون» الاتباع والربانيون الولاة[٣].

سادسها: حكى الواحدي عن الفرّاء الربّيون: الأوّلون[٤].

كيف كان فـ«الربّيون» هم الذين ناصروا النبيّ وقاتلوا معه، وقد مدحهم الله سبحانه بصفاتٍ جليلة، فقال عزّ من قائل: ﴿**فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله**﴾ أي: أنّ البقيّة من المجاهدين في سبيله لم يفتروا عن القتال عندما رأوا أصحابهم قد استشهدوا أمامه، فمالكم أيّها المسلمون حيث أُرجفتم في يوم أُحدٍ حتّى بان عليكم الضعف ولُذتم بالفرار وتركتم نبيّكم لمّا وجدّتم جيوش الكفر قد أحاطت بكم؟ فإنّ الأمم التي سبقتكم ما جبنوا عن القتال ولا هَرَبوا.

ثمّ وصفهم الله بقوله: ﴿**وما ضعفوا**﴾ أي: أنّ أُولئك الذين سبقوكم لم

---

(١) مجمع البيان ١ / ٥١٧.

(٢) وقال الزجّاج: هم الجماعات الكثيرة، التفسير الكبير للفخر الرازي ٩ / ٢٦.

(٣) مجمع البيان ٤ / ٥١٧.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي ٩ / ٢٦، وفيه: هم الأئمّة والولاة.

يفتروا عن الجهاد.

ثمّ وصفهم بصفةٍ ثالثةٍ **﴿وما استكانوا﴾** أي: وما خضعوا لعدوّهم. وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والإنكسار عند الإرجاف بقتل رسولهم كما توهّمه بعض النفوس الضعيفة، حتّى أنّ البعض تمنّى لو أنّ عبدالله ابن أبي سلّول معهم حتّى يرسلوه إلى أبي سفيان يأخذ لهم الأمان منه، فما بالك بهؤلاء النفر الذين يتمنّون لو أن رأس النفاق عبدالله ابن أبي سلول معهم، فلو كان معهم فأيّ هزيمةٍ وخسارةٍ سوف تلحق بالمسلمين...؟

وليس بعيداً لو فُسّر الوهن باستيلاء الخوف على المسلمين، والضعف هو ضعف الإيمان ممّا استجابوا للشكوك والشبهات، حتّى أنّ بعضهم صدّق قول من أذاع خبر قتل النبيّ، والاسكتانة: الخضوع للمقابل.

ثمّ إنّ الوهن غالباً ما يكون ضعفاً يلحق القلب، أما الضعف المطلق ما يلحق البدن والأعضاء، فتختلّ فيه القوى الجسميّة والقدرة.

﴿والله يحبّ الصابرين﴾، أي: مَن صَبَر على الجهاد في سوح القتال وتحمّل الشدائد في ذات الله ولم يظهر الجزع والهلع فإنّ الله يحبّه، وهذه المحبّة من الله سبحانه لعبده هي غاية الإكرام والإعزاز، والشهادة رزق يخصّ بها من عباده من يشاء، فهي مدّخرة لخواصّ عباده، وقد مدحهم الله سبحانه بعدّة آياتٍ، منها: **﴿ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**(١).

والجدير بالذكر: أنّ الله سبحانه وتعالى ضرب للمسلمين مثلاً رائعاً يتّسم بالعموميّة، فالآية الكريمة لم تحدّد نبيّاً من الأنبياء، ولا فيها تحديد لتلك الأمم السالفة، ولا ذكرت الأزمان التي حدثت فيها تلك الوقائع، بل إنّها تربطهم

---

(١) آل عمران / ١٦٩.

بموكب الإيمان والمؤمنين الذين سبقوهم، وتعلّمهم الأدب الرساليّ الذي ينبغي لكلّ فردٍ أن يتمثّل به كي يؤدّي دوره خلال تبليغه رسالة الحقّ والهدى إلى الناس.

ثمّ إنّ الآية تصوّر للمسلمين الابتلاء والمحنة التي واجهها من سبقهم وكأنّما الأمر مطرّد في كل دعوة وفي كل مواجهة بين الحق والباطل...

مجمل قصّة أُحد وواقعتها:

كان رأس المشركين أبو سفيان يؤلّب قريش على حرب المسلمين وذلك بعد هزيمتهم في بدر وبعدما أصابهم من الخذلان والخسران إذ قتل منهم سبعون وأسر مثلهم، وقد كانت لقريش قافلة تحمل متاجرهم، فتواصوا في التآمر على المسلمين برصد تلك الأموال للحرب، ثمّ إنّ أبا سفيان خطب في رؤساء الكفر قائلاً: يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فإن الدّمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والعداوة لمحمد.

ثمّ جهّز أبو سفيان ثلاثة آلاف فارس وألفي راجلٍ وأخرجوا معهم النساء وكان خروجهم إلى أُحد يوم الأربعاء من شوال سنة ثلاث للهجرة ولمّا بلغ الرسول أمرهم جمع أصحابه وحثّهم على الجهاد ومقاتلة الكفّار، فأشار إليه عبدالله بن أبي سلول، وكان رأس المنافقين، أن يُقيم في المدينة وتكون المعركة والقتال فيها لأنّهم يتحصّنون بازقّتها وطرقها وتشاركهم نساءهم من أعلى السطوح غير أنّ سعد بن معاذ أشار إلى الرسول عكس ذلك وهو بالخروج لهم، على أيٍّ كان الأمر من الرسول (ﷺ) أن يخرج لهم حيث وصل مع أصحابه إلى أُحد يوم الجمعة من شوال وكان القتال يوم السبت، وقد تخلّف عبدالله بن أبي

سلول في المدينة لعدم استجابة الرسول إلى رأيه، والذي اشترك مع الرسول في غزوة أُحد سبعمائة رجل، ثم عبّأ الرسول أصحابه فوضع عبدالله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب وقال لهم (صلى الله عليه وآله) : إنْ رأيتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكّة فلا تبرحوا من هذا المكان وإنْ رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا وألزموا مراكزكم، ثم دفع الرسول الراية إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

أما قريش فقد عبّأهم أبو سفيان فوضع خالد بن الوليد على كمين في مأتي فارس وقال لهم إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم. ثم حمل الأنصار على المشركين وأوقعوا فيهم حتى هزموهم فاشتغل المسلمون بجمع الغنائم وتركوا عدوَّهم يتربّص بهم الدوائر ولما رأى أصحاب عبدالله بن جبير أن اخوانهم غنموا من فلول المشركين اعترضوا على ابن جبير في البقاء على باب الشعب وطلبوا الغنيمة إلاّ أنّ عبدالله وعظهم وأرشدهم إلى وصية الرسول وما عهد إليهم لكنّهم لم يستجيبوا له، فأخذ أصحابه ينسلّ الواحد منهم بعد الآخر فلم يبق معه إلاّ اثنا عشر رجلاً، وأصبحت مراكزهم مكشوفة لقريش، وقد كانت راية الكفار آنذاك بيد طلحة بن أبي طلحة العبدي فتقدّم هؤلاء نحو المسلمين وهجم بعضهم على سرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) فحمل عليهم الامام علي (عليه السلام) حتى قتل تسعة ممّن رفع راية المشركين وكلهم من بني عبد الدار، وقد جهّز خالد بن الوليد مع أصحابه على باب الشعب فقتل عبدالله بن جبير والنفر القليل الذين واسوه، ثم أتى المسلمين من أدبارهم والراية أصبحت بيد عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها حتّى لاذ بها أصحاب أبي سفيان وحملوا على الرسول وأصحابه فتفرّق المسلمون وانهزموا من بين يدي الرسول إلاّ نفر قليل كعلي بن أبي طالب والعباس وجماعة من الصحابة كأبي دجانة وسعد بن أبي وقاص وهذا مما ساعد الموقف قريش

فكانت الدائرة على الرسول (صلى الله عليه وآله) ، لولا نصر الله ورعايته لرسوله الكريم، ولمّا كانت هزيمة المسلمين نكسة كبيرة وخطرها فادح يؤدّي بالاسلام صاح بهم الرسول(صلى الله عليه وآله)بعدما كشف البيضة عن رأسه..إليّ أنا رسول الله، إليّ أين تفرّون عن الله تعالى وعن رسوله...والجدير بالذكر ان الذي ساعد على هزيمة المسلمين هو نداء بعض المشركين بقتل الرسول، وقيل النداء كان من ابليس، فاجتمع أصحاب الرسول ثانية وأحاطوا بالنبيّ وحموه بعدما أُثخن بالجراحات وكسرت رباعيته وشجّ في وجهه.

الاحداث المهمة في هذه الغزوة:

أولاً: هو مقتل حمزة بن عبد المطلب والمُثلة فيه وقاتله وحشي وهو عبد لجبير بن مطعم وقد اغرّته هند بنت عتبة زوج أبي سفيان فقالت له دونك محمد أو علي أو حمزة لئن قتلت واحداً منهم لأعطينّك كذا وكذا وقد أمّنته بالعتق والمال، ولمّا قتله بحربته جاءت هند وشقّت بطن حمزة (عليه السلام) وأخرجت كبده فلاكته ثم لفظته من فيها وقد مثّلت به فقطعت مذاكيره وأُذنيه ويده ورجله.

ثانياً: هزيمة المسلمين وانكسارهم بسبب عَدْوِهم وراء الغنائم وعدم اطاعة أوامر نبيّهم وهذا درس يسجّله التاريخ لكافة المسلمين في كل وقت وعصر...

ثالثاً: كشفت هذه المعركة النقاب عن أهل النفاق وضعاف النفوس وميّزتهم عن غيرهم ممّن ثبت مع الرسول وأخلص لله جهاده.

رابعاً: اشتراك عنصر النساء في المعركة من كلا الجانبين، فقد اشتركت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية والتي كانت تذبّ عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وضربت عمر بن قميئة بسيفها عدة ضربات إلاّ أنها لم تؤثّر فيه إذ كان يرتدي درعين، وامّا من جهة المشركين فاشتركت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وكذلك اشتركت عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعت راية قريش حتى لاذ بها المنهزمون ثانية.

خامساً: ممّن امتاز بهذه المعركة بفضيلة وشرف: الامام علي(عليه السلام)؛ لمّا انكسر سيفهُ ناوله الرسول سيفه المسمّى بذي الفقار فنادى جبرئيل في السماء: «لا فتى إلاّ علي لا سيف إلاّ ذو الفقار»، وكذلك نال حنظلة الأنصاري وساماً من الملائكة إذْ غسّلته لما استشهد حيث برز إلى القتال وهو جُنُب فسمّي حنظلة غسيل الملائكة. وهناك احداث اخرى تطلب في مظانّها...

الدليل الروائي

إنّ من أشهر مصاديق الآية الكريمة: ما ورد عن المعصوم (عليه السلام) في زيارة شهداء طفّ كربلاء ـ رضوان الله عليهم ـ الذين قدّموا أنفسهم قرباناً لله سبحانه، وإعلاءً لكلمة الحقّ التي تمثّلت بالحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء، والذي نذر نفسه أن يقف بوجه الظلم والانحراف المتمثّل برأس الخيانة والمنكر يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان، سلالة المُجُون والانحراف والكفر...

فجاء في الزيارة: «السلام عليكم أيّها الربّانيّون، أنتم لنا فرط وسلف، ونحن لكم اتباع وأنصار، أشهد أنّكم أنصار الله كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿**وكأين من نبيٍّ قاتل معه ربّيّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا...**﴾».

وفي زيارةٍ أُخرى، وهي المشهورة أيضاً: «أشهد أنّكم أنصار الله كما قال الله عزوجل: ﴿**وكأين من نبيٍّ قاتل معه ربّيّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا**﴾، وما ضعفتم وما استكنتم حتّى لقيتم الله على سبيل الحق.

وهنا يتجلّى للباحث والمتتبّع: أنّ أصحاب الحسين (عليه السلام) هم أفضل

بكثيرٍ من بعض أصحاب الرسول، بل قل أفضل من الجميع عدا المعصوم منهم؛ لأنّ هؤلاء على قلّتهم وكثرة جيوش يزيد بن معاوية، وللحصار الذي ضربه عمر بن سعد على الحسين وأصحابه ومنعوهم من الماء لمدّة ثلاثة أيّام، وللأُمنيات الكثيرة التي كان يمنيّها عمر بن سعد ومن خلفه عبيدالله بن زياد ويزيد بن معاوية بغية الإغراء والتغرير بهولاء النخبة الطاهرة فمع ذلك فلم يتركوا الحسين(عليه السلام) وحيداً، ولم يضعفوا عن القتال، ولم يهنوا، وما استكانوا للعدو قطّ، بل كان أحدهم صلباً قويّاً في إيمانه، لا تغريه غنائم، ولا يطمع بما يُمنّيه له يزيد وأتباعه، كما أنّهم لم ينهزموا، ولم يلوذوا بالفرار، ولو شاؤا ذلك لوجدوا من الزمان والمكان متّسعاً لهم...فهل يوجد بعد هذا شكّ في الأفضليّة؟



الفهرس

صدر للمؤلِّف

١ ـ المرأة المعاصرة (الطبعة الرابعة)
٢ ـ شاعر العقيدة
٣ ـ شرح الأشباه
٤ ـ ملامح شخصية الإمام علي (ع) من كتب الجمهور
٥ ـ الميسّر في علوم القرآن
٦ ـ الكلينيّ وخصومه (محمد أبو زهرة) الحلقة الثانية
٧ ـ شبهة الغلو عند الشيعة
٨ ـ الحسين من خلال القرآن (الجزء الأول)
٩ ـ الكلينيّ والكافي (أطروحة الدكتوراه)
١٠ـ فصول من العقيدة
١١ـ أهمية علم الرجال في العلوم الإسلامية (تحت الطبع)

الكتب المخطوطة

١٢ـ الطب بين القديم والسنة
١٣ـ عقائد وفرق
١٤ـ الإعلام وأهميته بين الماضي والحاضر
١٥ـ النقد الأدبي ومنهجه
١٦ـ الأدب السياسي في صدر الإسلام
١٧ـ مواقف شهد لها التاريخ
١٨ـ فهرست مخطوطات المكتبة الستريّة (٤ أجزاء)
١٩ـ فلسفة الدعاء
٢٠ـ العزلة بين السلب والإيجاب
٢١ـ فضائل السور





